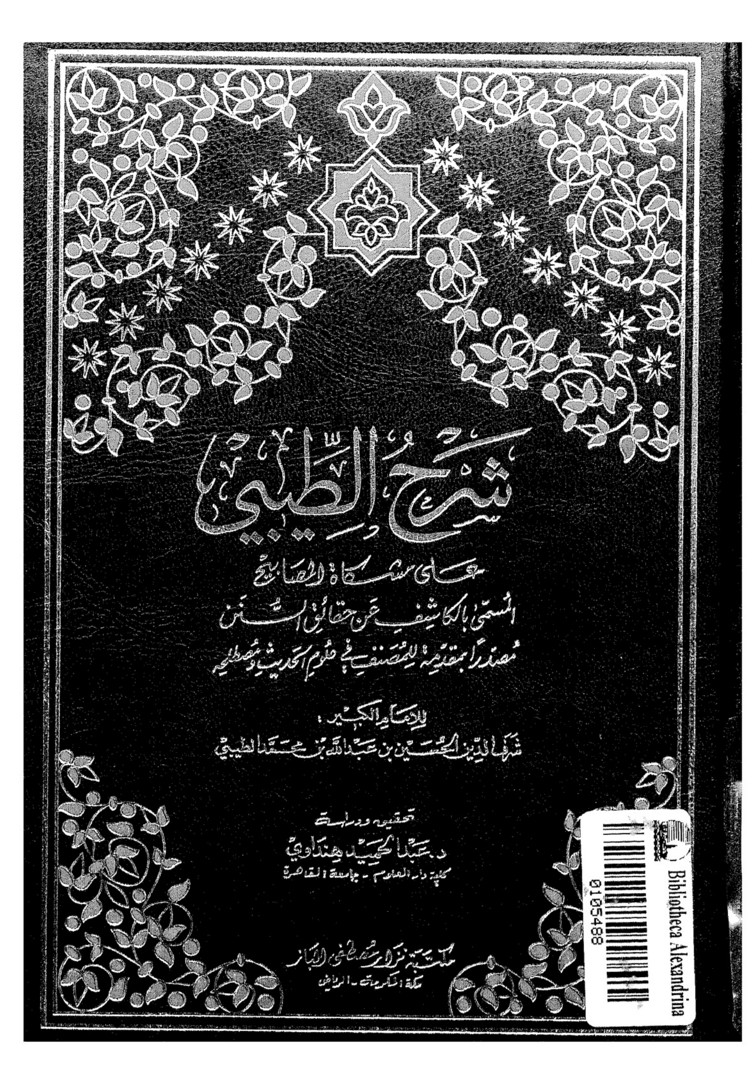
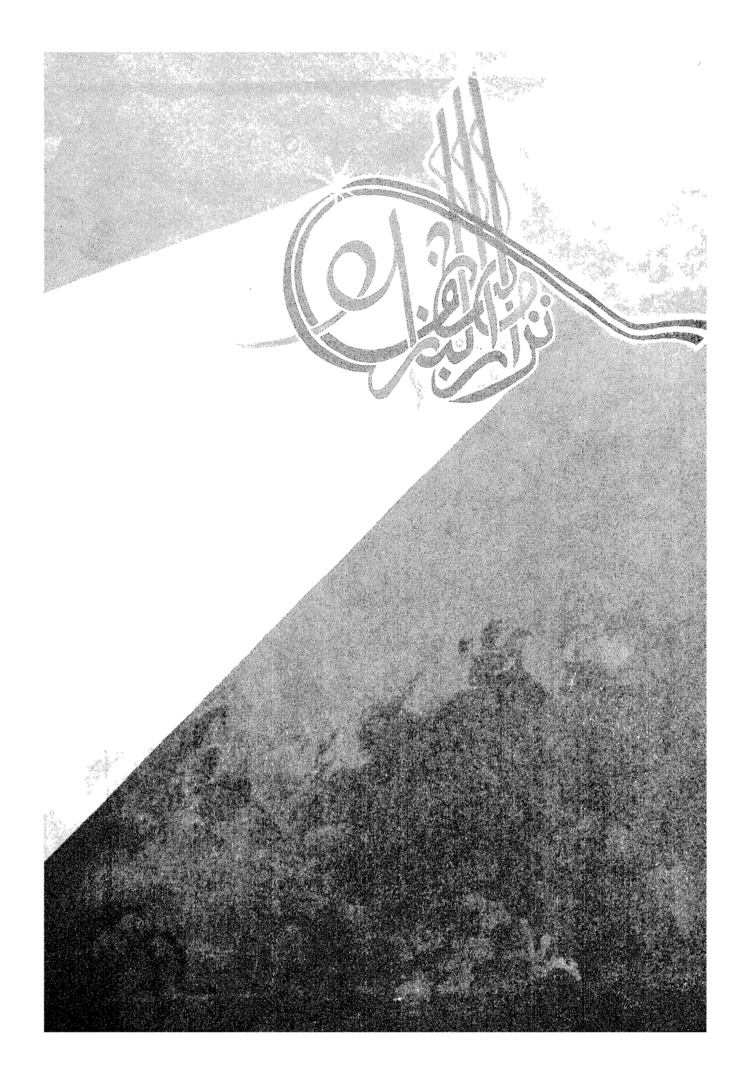
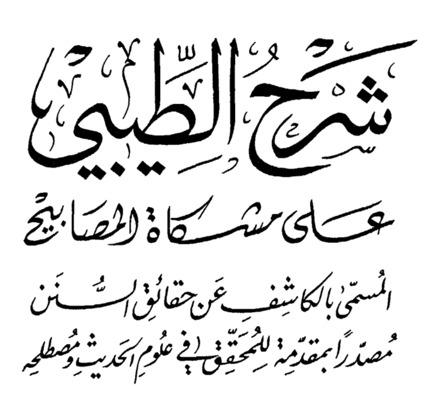

شرح الطيبي
على مشكاة المصابيح
المسمى بالكاشف عن حقائق السنن
مصدراً بمقدمة للمصنف في علوم الحديث ومصطلحه
للإمام الكبير:
شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
تحقيق ودراسة
د. عبد الحميد هنداوي
كلية دار العلوم - جامعة القاهرة
مكتبة نزار مصطفى الباز
مكة المكرمة - الرياض
Bibliotheca Alexandrina
0105488







للإمام الكبير:
شرف الدين الحسين بن عبد الله بن محمد الطيبي
توفي ٧٤٣ هـ.

المجلد العاشر

إعداد: مركز الدراسات والبحوث بمكتبة نزار الباز

تحقيق ودراسة
د. عبد الحميد هنداوي

مكتبة نزار مصطفى الباز
مكة المكرمة - الرياض

○ الطبعة الأولى ○

□ ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م □

المملكة العربية السعودية

مكة المكرمة : الشامية - المكتبة ت ٥٧٤٩٠٢٢/٥٧٤٥٠٤٤
مستودع ٥٣٧٢٣٧٤٠ ص.ب : ٣٠١٩

الرياض - شارع السويدي العام المتقاطع مع شارع
كعب بن زهير - خلف أسواق الراجحي ص.ب : ٦٦٩٣
مكتبة : ٤٢٤٠٣٥٣ مستودع : ٤٢١٩١١ الرمز البريدي : ١١٥٨٦


بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب الآداب

(١) باب السلام

الفصل الأول

٤٦٢٨ - * عن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خلقَ اللهُ آدمَ على صورته، طوله ستونَ ذراعًا، فلمَّا خلقَه قال: اذهبْ فسلّم على أولئكَ النفرِ- وهم نفرٌ من الملائكةِ جُلوسٌ - فاستمعْ ما يُحيونكَ، فإنها تحيَّتُكَ وتحيَّةُ ذريتكَ، فذهبَ فقال:

كتاب الآداب

المغرب: الآداب: أدّب النفس وقد أُدّب فهو أديب، وأدّبه غيره فتأدب واستأدب. وتركيبه يدل على الجمع والدعاء. ومنه الأدب وهو أن يجتمع الناس إلى طعامك وتدعوهم.

ومنه قيل للصنيع مأدبة كما قيل له مدعاة: ومنه الآدب، لأنه يأدب الناس إلى المحامد أى يدعوهم إليها. عن الزهرى وعن أبى زيد: الأدب اسم يقع على رياضة محمودة يتخرج بها الإنسان فى فضيلة من الفضائل.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «على صورته» الهاء مرجعها إلى آدم عليه السلام»، والمعنى: أن ذرية آدم خلقوا أطوارًا فى مبدأ الخلق، نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم صاروا صورًا أجنة إلى أن تتم مدة الحمل، فيولدون أطفالا وينشئون صغارًا إلى أن يكبروا، فيتم طول أجسادهم. يقول: إن آدم لم يكن خلقه على هذه الصفة، ولكنه أول ما تناولته الخلقة وجد خلقًا تاما طوله ستون ذراعًا.

وقال الشيخ التوربشتى: هذا كلام صحيح فى موضعه، فأما فى تأويل هذا الحديث فإنه غير سديد، لما فى حديث آخر: «خلق آدم على صورة الرحمن»، ولما فى غير هذه الرواية: «أن النبىﷺ رأى رجلا يضرب وجه غلام، فقال: «لا تضرب الوجه؛ فإن الله خلق آدم على صورته». والمعنى الذى ذهب إليه هذا المؤول لايلائم هذا القول.

وأهل الحق فى تأويل ذلك على طبقتين: إحداهما: المتنزهون عن التأويل مع نفى التشبيه وعدم الركون إلى مسميات الجنس، وإحالة المعنى فيه إلى علم الله تعالى الذى أحاط بكل شىء علما، وهذا «أسلم الطريقين. والطبقة الأخرى يرون الإضافة فيها إضافة تكريم وتشريف. وذلك أن الله تعالى خلق آدم أبا البشر على صورة لم يشاكلها شىء من الصور والجمال والكمال وكثرة ما احتوت عليه من الفوائد الجليلة، فاستحقت الصورة البشرية أن تكرم ولا تهان، اتباعا لسنة الله تعالى فيها وتكريمًا لما كرمه.

أقول: تأويل أبى سليمان للحديث فى هذا المقام سديد يجب المصير إليه؛ لأن قوله: «طوله»

السلامُ عليكم: فقالوا: السلامُ عليكَ ورحمةُ الله» قال: «فزادوهُ ورحمة الله».
قال: «فكل من يدخلُ الجنةَ على صورة آدمَ وطوله ستونَ ذراعًا، فلم يزلْ الخلقُ ينقصُ بعدَه حتى الآن». متفق عليه.

بيان لقوله: «على صورته» كأنه قيل: خلق آدم على ماعرف من صورته الحسنة وشكله وهيئته من الجمال والكمال وطول القامة، كما قال تعالى: ﴿لقد خلقنا الإنسان فى أحسن تقويم﴾(1).

وإنما خص الطول منها؛ لأنه لم يكن متعارفًا بين الناس. وورد أيضًا فى رواية أبى هريرة من الترمذى فى الفصل الثالث: لما خلق الله آدم ونفخ فيه الروح عطس، فقال: الحمد لله، فحمد الله بإذنه إلى قوله: اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس فقل: السلام عليكم.

وتخصيص الحمد بالذكر إشارة إلى بيان قدرته الباهرة ونعمته المتظاهرة؛ لأن الحمد هو الثناء على الجميل من الفضل والإفضال؛ وذلك أن الله تعالى أبدعه إبداعًا جميلا، وأنشأه خلقًا سويا صحيحًا فعطس، فإنه مشعر بصحة المزاج فوجب الحمد على ذلك. ولا ارتياب أن وقوفه على قدرة الله تعالى وإفضاله عليه لم يكن إلا بتوفيقه وتيسيره.

وفى فاء التعقيب إشارة إلى هذا المعنى، ثم إنه تعالى لما وفقه لقيام الشكر على نعمه السابقة، وأوقفه على قدرته الكاملة البالغة، علمه كيفية المعاشرة مع الخلق، حتى يفوز بحسن الخلق مع الخلق بعد تعظيم الحق. وأما تخصيص السلام بالذكر، فإنه فتح باب المودات، وتأليف قلوب الإخوان المؤدى إلى استكمال الإيمان كما ورد: «لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولاتؤمنوا** حتى تحابوا- إلى قوله - أفشوا السلام»*.

قوله: «فكل» بالفاء فى البخارى وجميع نسخ المصابيح، وهو مرتب على ماتقدم من قوله: «خلق الله آدم على صورته» وذلك يؤيد ماذكرنا فى تأييد قول الخطابى من قولنا: خلق آدم على ما عرف من صورته الحسنة، وشكله وهيئته من الجمال والكمال وطول القامة ثم إن أولاده لم يزالوا ينقصون فى الجمال والطول حتى الآن. فإذا دخلوا الجنة عادوا إلى ما كان عليه أبوهم من الحسن والجمال وطول القامة فالفاء [إذًا]*** فصيحة. وقوله: «مايحيونك» بالحاء المهملة والياء المثناة من تحت، والواو، صح فى الأصول، وبالجيم والياء والباء مغير كما فى بعض نسخ المصابيح.

---

(1) التين: ٤.

* صحيح أخرجه مسلم وغيره عن أبى هريرة «صحيح الجامع ٧٠٨١» ويأتى برقم «٤٦٣١».

** كذا فى «ك» وفى «ط» «تؤمنون» وكلاهما صواب، وحذف النون للتخفيف من غير ناصب ولا جازم صحيح وشواهده كثيرة كما قال الشيخ أحمد شاكر فى تعليقه على الرسالة.

*** كذا فى «ط» وفى «ك» وكلاهما جائز، وكتابتهما بالألف رأى البصريين؛ لأن الوقف عليها بالألف، وهو الأجود، ويرى الكوفيون كتابتها بالنون، للفرق بينها وبين إذا الفجائية، وإذا الظرفية.

٤٦٢٩-* وعن عبدِالله بنِ عمروٍ: أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللهﷺ: أىُّ الإسلامِ خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف» متفق عليه.

٤٦٣٠-* وعن أبى هريرة، قال: قال رسول اللهﷺ: «للمؤمنِ على المؤمنِ ستٌّ خصال: يعوده إذا مرض، ويشهدهُ إذا مات، ويجيبه إذا دعاه، ويسلّم عليه إذا لقيه، ويشمته إذا عطَس، وينصح له إذا غاب أو شهد» لم أجده «فى الصحيحين» ولا فى كتاب الحميدى، ولكن ذكره صاحب «الجامع» برواية النسائى. [٤٦٣٠]

٤٦٣١-* وعنه، قال: قال رسول اللهﷺ: «لا تدخلون الجنةَ حتى تُؤمنوا، ولاتؤمنوا حتى تَحابُّوا، أولا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم». رواه مسلم.

الحديث الثانى عن عبدالله: قوله: «أى الإسلام خير» السؤال وقع عما يتصل بحقوق الآدميين من الخصال دون غيرها، بدليل أنهﷺ أجاب عنها دون غيرها من الخصال. «تو»: أي: أى خصال أهل الإسلام وآدابهم أفضل؟ ويدل عليه الجواب بالإطعام والسلام على من عرف أولم يعرف. ولعل تخصيصهما لعلمه بأنهما يناسبان حال السائل، ولذلك أسندهما إليه فقال: «تطعم الطعام وتقرأ السلام» أو علم النبى ﷺ أنه يسأل عما يعامل به المسلمين فى إسلامه فأخبره بذلك، ثم رأى أن يجيب عن سؤاله بإضافة الفعل إليه؛ليكون أدعى إلى العمل، والخبر قد يقع موقع الأمر. قوله: «وتقرأ السلام» «نه»: يقال: أقرأ فلانا السلام وأقرأ عليه السلام؛ كأنه حين يبلغه سلامه يحمله على أن يقرأ السلام ويرده.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ويشمته» «نه»: التشميت بالسين والشين الدعاء بالخير والبركة، والمعجمة أعلاهما يقال: شمت فلانا وشمت عليه تشميتا فهو مشمت. واشتقاقه من الشوامت وهى القوائم، كأنه دعاء للعاطس بالثبات على طاعة الله. وقيل: معناه أبعدك الله عن الشمتة وجنبك مايشمت به عليك. انتهى كلامه.

وقيل: «وينصح له» أى يريد خيره فى حضوره وغيبته، فلا يتملق فى حضوره ويغتاب فى غيبته، فإن هذا صفة المنافقين، والنصح إرادة الخير.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لاتدخلون الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا» «مح» : هكذا فى جميع الأصول والروايات: «ولاتؤمنوا» بحذف النون إلى آخره.

[٤٦٣٠] صحيح . «صحيح النسائى ١٨٣٠»

٤٦٣٢-* وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يسلّم الراكبُ على الماشى، والماشى على القاعدِ، والقليل على الكثير». متفق عليه.

٤٦٣٢-* وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُسلّم الصغيرُ على الكبيرِ، والمارُّ على القاعدِ، والقليلُ على الكثيرِ». رواه البخارى.

٤٦٣٤- * وعن أنس، قال: إنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ على غلمانٍ، فسلم عليهم. متفق عليه.

أقول: ولعل سقوط النون من المنفى نظرًا إلى لفظ السابق ليعلق به أمر آخر. ونحن استقرأنا نسخ مسلم والحميدى وجامع الأصول وبعض نسخ الأصول، فوجدناها مثبتة بالنون على الظاهر.

واعلم أنه تعالى جعل إفشاء السلام سببًا للمحبة، والمحبة سببًا لكمال الإيمان؛ لأن إفشاء السلام سبب للتحاب والتواد، وهو سبب الألفة والجمعية بين المسلمين المسبب لكمال الدين وإعلاء كلمة الإسلام. وفى التهاجر والتقاطع والشحناء التفرقة بين المسلمين، وهو سبب لانثلام الدين والوهن فى الإسلام، وجعل كلمة الذين كفروا العليا؛ قال الله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم**﴾ الآية[(1)].

الحديث الخامس والسادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يسلم الراكب» إنما يستحب ابتداء السلام للراكب؛ لأن وضع السلام إنما هو لحكمة إزالة الخوف بين الملتقيين إذا التقيا أو من أحدهما فى الغالب، أو لمعنى التواضع المناسب لحال المؤمن، أو لمعنى التعظيم؛ لأن السلام إنما يقصد به أحد الأمرين: إما اكتساب ود، أو استدفاع مكروه، قاله أقضى القضاة الماوردى. فالراكب يسلم على الماشى وهو على القاعد للإيذان بالسلامة وإزالة الخوف، [والكثير* على القليل] للتواضع، والصغير على الكبير للتوقير والتعظيم.

«مح»: وهذا الأدب هو فيما إذا تلاقا اثنان فى طريق، أما إذا ورد على قعود أو قاعد، فإن الوارد يبدأ بالسلام بكل حال، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا أو قليلا أو كثيرًا، قال المتولى: إذا لقى رجل جماعة فأراد أن يخص طائفة منهم بالسلام كره؛ لأن القصد من السلام المؤانسة والألفة. وفى تخصيص البعض إيحاش الباقين، وربما صار سببًا للعداوة، وإذا مشى فى السوق والشوارع المطروقة كثيرًا فالسلام هنا إنما يكون لبعض الناس دون بعض؛ لأنه لو سلم على كلٍّ لتشاغل به عن كل [مهم]** ويخرج به عن العرف.

الحديث السابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فسلم عليهم» «مح»: فيه استحباب السلام على

---

(١) آل العمران: ١٠٣

* وقع فى «ط» «والقليل على الكثير» وهو تصحيف، والتصويب من «ك».

** فى «ك»: «منهم».

٤٦٣٥-* وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لاتبدءوا اليهودَ ولا النَّصارى بالسلامِ، وإذا لقيتم أحدَهم فى طريقٍ فاضطروه إلى أضيَقِه». رواه مسلم.

٤٦٣٦-* وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم اليهودُ فإنما يقول أحدُهم: السَّامُ عليك. فقل: وعليك». متفق عليه.

٤٦٣٧-* وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا سلَّم عليكم أهل الكتابِ فقولوا: وعليكم». متفق عليه.

٤٦٣٨-* وعن عائشةَ، قالت: استأذنَ رهطٌ من اليهودِ على النبى ﷺ، فقالوا: السّام عليكم. فقلت: بل عليكم السام واللعنةُ فقال: «ياعائشة! إنَّ اللهَ رفيقٌ يحب الرِّفق فى الأمرِ كله» قلت: أو لم تسمعْ ما قالوا؟ قال: «قد قلتُ: وعليكم».

الناس كلهم حتى الصبيان المميزين، وبيان تواضعه وكمال شفقته على العالمين. ولو سلم على رجال وصبيان، ورد صبى منهم، الأصح أنه يسقط فرض الرد، كما تسقط صلاة الجنائز بصلاة الصبى. ولو سلم على جماعة ورد غيرهم، لم يسقط الرد منهم، فإن اقتصروا على رده أثموا.

وأما المرأة مع الرجل: فإن كانت زوجته أو جاريته أو محرمًا من محارمه فهى معه كالرجل، وإن كانت أجنبية، فإن كانت جميلة يخاف الافتتان بها، لايسلم الرجل عليها. ولو سلم لم يجز لها رد الجواب ولاتسلم عليه، فإن سلمت لم تستحق جواباً، فإن أجابها كره له. وإن كانت عجوزاً لا يفتتن بها، جاز أن تسلم على الرجل وعليه الرد. قاله أبو سعيد المتولى قال: وإذا كان النساء جماعة فسلم عليهن الرجل، أو كان الرجال جمعًا، فسلموا على المرأة الواحدة جاز، إذا لم يخف عليه ولا عليهن ولاعليها أو عليهم فتنة.

الحديث الثامن عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لا تبدءوا اليهود» «مح»: قال بعض أصحابنا: يكره ابتداؤهم بالسلام، ولا يحرم، وهذا ضعيف؛ لأن النهى للتحريم، فالصواب تحريم ابتدائهم. وحكى القاضى عياض عن جماعة أنه يجوز ابتداؤهم للضرورة والحاجة. وهو قول علقمة والنخعى. وقال الأوزاعى: إن سلمت فقد سلم الصالحون، وإن تركت فقد ترك الصالحون. وأما المبتدعُ، فالمختار أن لايبدأ بالسلام إلا لعذر وخوف من مفسدة. ولو سلم على من لم يعرفه فبان ذميًا، استحب أن يسترد سلامه بأن يقول: استرجعت سلامى تحقيراً له. وقال أصحابنا: لايترك للذمى صدر الطريق بل يضطر إلى أضيقه، ولكن التضييق بحيث لا يقع فى وهدة ونحوها. وإن خلت الطريق عن الزحمة فلا حرج.

الحديث التاسع إلى الحادى عشر عن عائشة رضى الله عنها: «قد قلت: وعليكم» «مح»:

وفى رواية: «عليكم» ولم يذكر الواو. متفق عليه.

وفى رواية للبخارى. قالت: إنَّ اليهود أتَوا النبىَّ ﷺ فقالوا: السام عليك. قال: «وعليكم» فقالت عائشة: السام عليكم، ولعنكم الله، وغضب عليكم، فقال رسول الله ﷺ: «مهلا ياعائشة! عليكِ بالرِّفق، وإياك والعنفَ والفُحشَ». قالت: أولم

اتفقوا على الرد على أهل الكتاب إذا سلموا. لكن لايقال لهم: وعليكم السلام، بل يقال: عليكم فقط أو وعليكم. وقد جاءت الأحاديث التى ذكرها مسلم «عليكم وعليكم» بإثبات الواو وحذفها، وأكثر الروايات وعليكم بإثباتها. وعلى هذا ففى معناه وجهان: أحدهما أنه على ظاهره، فقالوا: عليكم الموت. فقال: وعليكم أيضًا، أى نحن وأنتم فيه سواء كلنا نموت. والثانى أن الواو هنا للاستئناف لا للعطف والتشريك، وتقديره: وعليكم ما تستحقونه من الذم.

قال القاضى عياض: اختار بعض العلماء منهم ابن حبيب المالكى حذف الواو، لئلا تقتضى التشريك. وقال غيره بإثباتها كما هى فى الروايات. وقال بعضهم: يقول: وعليكم السِّلام- بكسر السين- أى الحجارة، وهذا ضعيف. قال الخطابى: حذف الواو هو الصواب؛ لأنه صار كلامهم بعينه مردودًا عليهم خاصة. وإذا أثبت الواو اقتضى المشاركة معهم فيما قالوه.

قال الشيخ محيى الدين: والصواب أن إثبات الواو وحذفها جائزان كما صرحت به الروايات، وإثباتها أجود ولامفسدة فيه؛ لأن السام الموت، وهو علينا وعليهم، فلا ضرر فيه. «تو»: إثبات الواو فى الرد عليهم إنما يحمل على معنى الدعاء لهم بالإسلام، إذا لم يعلم منه تعريض بالدعاء علينا. وأما إذا علم ذلك فالوجه فيه أن يكون التقدير: وأقول عليكم ما تستحقونه.

وإنما اختار هذه الصيغة، ليكون أبعد عن الإيحاش وأقرب إلى الرفق؛ فإن رد التحية يكون إما بأحسن منها، أو بقولنا: وعليك السلام، والرد عليهم، بأحسن مما حيونا به لايجوز لنا ولارد بأقل من قولنا: وعليك. وأما الرد بغير الواو فظاهر، أى عليكم ما تستحقونه.

«قض»: إذا علم التعريض بالدعاء علينا، فالوجه أن يقدر: وأقول: عليكم ماتريدون بنا أو تستحقونه. ولايكون «وعليكم» عطفا على «عليكم» فى كلامهم، وإلا لتضمن ذلك تقرير دعائهم، ولذلك قال فى الحديث الذى قبله: «فقل: عليك» بغير واو. وقد روى ذلك بالواو أيضا: أقول: سواء عطف على «عليكم» أو على الجملة من حيث هى، لأن المعنى يدور مع إرادة المتكلم، فإذا أردت الاشتراك كان ذلك، وإن لم ترد حملت ذلك على معنى الحصول والوجود، كأنه قيل: حصل منهم ذاك ومنى هذا. قال ابن الحاجب: حروف العطف هى الحروف التى يشرك بها بين المتبوع والتابع فى الإعراب، فإذا وقعت بعدها المفردات فلا إشكال، وإذا وقعت الجمل بعدها، فإن كانت من الجمل التى هى صالحة لمعمول ماتقدم، كان

تسمع ما قالوا؟ قال: «أو لم تسمعى ما قلتُ، رددتُ عليهم، فيستجابُ لى فيهم، ولا يُستجابُ لهم فىّ».

وفى رواية لمسلم. قال: «لا تكونى فاحشةً، فإنَّ اللهَ لا يُحبُّ الفُحْشَ والتفحُّش».

٤٦٣٩-* وعن أُسامة بن زيد: أنَّ رسول اللهﷺ مرَّ بمجلسٍ فيه أخلاطٌ من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود، فسلَّم عليهم. متفق عليه.

حكمها حكم المفرد فى التشريك، كقولك: أصبح زيد قائمًا وعمرو قاعدًا، وشبهه، وإن كانت الجملة معطوفة على غير ذلك كقولك: قام زيد وخرج عمرو.

وبهذا تبين أن معنى الواو على ماذكرناه من تقدير حصول الأمرين تم كلامه، هذا على تقدير أن تكون جملتين وعطفت إحداهما على الأخرى. وإذا عطفت على الخبر نظرًا إلى عطف الجملة على الجملة لا على الاشتراك جار أيضًا.

قال ابن جنى فى قوله تعالى: ﴿**والنجم والشجر يسجدان**﴾،[1] إن قوله: ﴿**والسماء رفعها**﴾ عطف على «يسجدان» وهو جملة من فعل وفاعل، نحو قولك: قام زيد وعمروًا ضربته. وقال ابن الحاجب فى الأمالى فى قوله تعالى: ﴿**تقاتلونهم أو يسلمون**﴾:[2] الرفع فيه وجهان: أن يكون مشتركا بينه وبين «تقاتلون»فى العطف، والآخر أن يكون جملة مستقلة معطوفة على الجملة التى قبلها باعتبار الجملة لا باعتبار الإفراد. وقال فى الشرح: الرفع على الاشتراك أو على الابتداء بجملة معربة إعراب نفسها، غير مشترك بينها وبين ما قبلها فى عامل واحد، إذ الجملة الاسمية لا تكون معطوفة على جملة فعلية باعتبار التشريك ولكن باعتبار الاستقلال. انتهى كلامه.

والسام الموت وألفه منقلبة عن واو. ورواه قتادة مهموزًا وقال: معناه: تسأمون دينكم. يقال: سئمه، ورواه غيره: «السام» وهو الموت، فإن كان عربيا فهو من سام يسوم إذا مضى؛ لأن الموت مضى. و«الفحش» هومايشتد قبحه من الذنوب والمعاصى، وأراد به هنا التعدى فى القول والجواب لا الفحش الذى هو من ردىء الكلام. و«المتفحش» الذى يتكلف ذلك ويتعمده.

الحديث الثانى عشر عن أسامة: قوله: «فسلم عليهم»«مح»: لو مر على جماعة منهم مسلمون أو مسلم وكفار، فالسنة أن يسلم ويقصد المسلمين أو المسلم. ولو كتب كتابا إلى مشرك فالسنة أن يكتب كما كتب رسول اللهﷺ إلى هرقل: «سلام على من اتبع الهدى».

وقوله: «عبدة الأوثان» بدل من «المشركين»، وكذا قوله: «واليهود»، وجعلهم مشركين إما لقولهم: عزير ابن الله، وإما للتغليب أو للتقدير، كقولك:

متقلدًا سيفا ورمحًا

---

(١) الرحمن: ٦، ٧.　　(٢) الفتح: ١٧

٤٦٤٠- * وعن أبى سعيد الخدرىّ، عن النبىﷺ قال: «إياكم والجلوسَ بالطرقات». فقالوا: يارسول الله! مالنا من مجالسنا بدٌّ نتحدَّثُ فيها. قال: «فإذا أبَيْتم إلا المجلسَ فأعطوا الطريق حقَّه». قالوا: وماحق الطريق يارسول الله؟ قال: «غضُّ البصر، وكف الأذى، وردّ السلام، والأمرُ بالمعروفِ، والنهى عن المنكر». متفق عليه.

٤٦٤١-* وعن أبى هريرة، عن النبىﷺ فى هذه القصَّةِ قال: «وإرشاد السَّبيلِ». رواه أبوداود عقيب حديث الخدرى هكذا. [٤٦٤١]

٤٦٤٢-* وعن عمر، عن النبىﷺ فى هذه القصَّة قال: «وتغيثوا الملهوف، وتهدوا الضالَّ». رواه أبوداود عقيب حديث أبى هريرة هكذا، ولم أجدهما فى «الصحيحين». [٤٦٤٢]

الفصل الثانى

٤٦٤٣- * عن علىّ، قال: قال رسول اللهﷺ «للمسلم على المسلم ستٌّ بالمعروف: يسلّمُ عليه إذا لقيه، ويجيبُه إذا دعاه، ويشمتُه إذا عطس، ويعودُه إذا مرض، ويتبع جنازته إذا مات، ويحبُّ له مايحبُّ لنفسه. رواه الترمذى، والدارمى. [٤٦٤٣]

الحديث الثالث عشر إلى الخامس عشر عن أبى سعيد: قوله: «مالنا من مجالسنا بدٌّ» «من مجالسنا» متعلق بقوله: «بد» أى مالنا فراق منها. قوله: «وتغيثوا» عطف على قوله: وإرشاد السبيل» وحذف النون على تقدير «أن» كقوله تعالى: ﴿وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا»(١) الكشاف(٢): ﴿وحيًا... أو يرسل﴾ مَصدران واقعان موقع الحال، لأن ﴿أويرسل﴾ فى معنى إرسالا. والفرق بين إرشاد السبيل وهداية الضال أن إرشاد السبيل أعم من هداية الضال.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن على رضى الله عنه: قوله: «بالمعروف» صفة بعد صفة لموصوف محذوف،

[٤٦٤١] حسن صحيح (صحيح أبى داود) (٤٠٣١)

[٤٦٤٢] صحيح (صحيح أبى داود) (٤٠٣٢)

[٤٦٤٣] ضعيف (ضعيف الجامع) (٤٧٥٤)

(١) الشورى: ٥١

(٢) الكشاف: ٤٠٩/٣.

٤٦٤٤-* وعن عمران بن حصين، أنَّ رجلا جاء إلى النبيﷺ فقال: السلام عليكم، فردَّ عليه، ثمَّ جلس. فقال النبيﷺ: «عشر». ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله فرد عليه، فجلس، فقال: «عشرون» ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فردَّ عليه، فجلس ، فقال: «ثلاثون». رواه الترمذي ، وأبو داود. [٤٦٤٤]

يعني للمسلم خصال على المسلم ست ملتبسة بالمعروف، وهو ماعرف في الشرع والعقل حسنه.

الحديث الثاني والثالث عن عمران: قوله: «عشر» أي له عشر حسنات، أو كتب له عشر حسنات أو المكتوب له. «مح»: اعلم أن أفضل السلام أن يقول: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فيأتي بضمير الجمع وإن كان المسلم عليه واحدًا. ويقول المجيب: وعليكم السلام ورحمة الله وبركاته، ويأتي بواو العطف في قوله: «وعليكم». وأقل السلام أن يقول: السلام عليكم. وإن قال: السلام عليك أو سلام عليك حصل أيضًا. وأما الجواب فأقله: وعليك السلام أو وعليكم السلام، فإن حذف الواو أجزأه. واتفقوا على أنه لو قال في الجواب: عليكم لم يكن جوابًا.

فلو قال: وعليكم بالواو فهل يكون جوابًا؟ فيه وجهان: * قال الإمام الحسن الواحدي في تعريف السلام وتنكيره بالخيار. قال الشيخ محيي الدين: ولكن الألف واللام أولى. وإذا تلاقى رجلان وسلم كل واحد منهما على صاحبه دفعة واحدة، أو أحدهما بعد الآخر، فقال القاضي حسين وصاحبه أبو سعيد المتولي: يصير كل واحد منهما مبتدئًا بالسلام، فيجب على كل واحد أن يرد على صاحبه. وقال الشاشي: فيه نظر، فإن هذا اللفظ يصلح للجواب، فإذا كان أحدهما بعد الآخر كان جوابًا، وإن كان دفعة لم يكن جوابًا، قال: وهو الصواب. وإذا قال المبتدئ: وعليكم السلام، قال المتولي: لا يكون ذلك سلامًا فلا يستحق جوابًا. ولو قال بغير واو فقطع الإمام الواحدي بأنه سلام، يتحتم على المخاطب به الجواب. وإن كان قد قلب اللفظ المعتاد، وهو الظاهر وقد جزم به إمام الحرمين: انتهى كلامه.

فإن قلت: بين لي الفرق بين قولك: سلام عليكم والسلام عليكم. قلت: لابد للمعرف باللام من معهود ، إما خارجي أو ذهني، فإذا ذهب إلى الأول كان المراد السلام الذي سلمه آدم عليه السلام على الملائكة في قولهﷺ: «قال لآدم: اذهب فسلم على أولئك النفر فإنها تحيتك وتحية ذريتك».

وإلى الثاني كان المراد جنس السلام الذي يعرفه كل واحد من المسلمين أنه ماهو، فيكون تعريضًا بأن ضده لغيرهم من الكفار، وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿والسلام على من اتبع

[٤٦٤٤] صحيح (صحيح الترمذي) (٢١٦٣) و(صحيح أبي داود) (٤٣٢٧).

٤٦٤٥-* عن معاذ بن أنس، عن النبيﷺ بمعناه، وزاد، ثمَّ أتى آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ومغفرته، فقال: «أربعون» وقال: «هكذا تكون الفضائل». رواه أبوداود. [٤٦٤٥]

٤٦٤٦-* وعن أبى أمامة، قال: قال رسول اللهﷺ: «إنَّ أولى الناس بالله من بدأ بالسلام». رواه أحمد، والترمذى، وأبو داود. [٤٦٤٦]

٤٦٤٧-* وعن جرير: أنَّ النبيﷺ مرَّ على نسوةٍ فسلَّمَ عليهنَ. رواه أحمد. [٤٦٤٧]

٤٦٤٨-* وعن على بن أبى طالب رضى الله عنه قال: يجزئ عن الجماعة إذا

الهدى»[١]، فظهر من هذا أيضًا الفرق بين توارد السلامين معًا، وبين ترتب أحدهما على الآخر، وذلك أنه إذا تواردا كان الإشارة منهما إلى أحد المعنيين المذكورين فلا يحصل الرد. وإذا تأخر كان المشار إليه ما يلفظ به المبتدئ، فيصح الرد، فكأنه قال: السلام الذى وجهته إلىّ فقد رددته عليك. والله أعلم. وذهب إلى مثل هذا الفرق فى التنكير والتعريف الكشاف فى سورة مريم.

الحديث الرابع عن أبى أمامة: قوله: «إن أولى الناس» أى أقرب الناس من المتلاقين إلى رحمة الله من بدأ بالسلام. الكشاف[٢] فى قوله تعالى: ﴿إن أولى الناس بإبراهيم﴾[٣] أى إن أخصهم به وأقربهم منه. «حس»: عن عمربن الخطاب رضى الله عنه، أنه قال: مما يصفى لك ود أخيك ثلاث: أن تبدأه بالسلام إذا لقيته، وأن تدعوه بأحب أسمائه إليه، وأن توسع له فى المجلس. «مح»: ابتداء السلام سنة مستحبة ليست بواجبة، وهى سنة على الكفاية، فإن كان المسلم جماعة كفى منهم تسليم واحد منهم، ولو سلموا كلهم كان أفضل. قال القاضى حسين: ليس لنا سنة على الكفاية إلا هذا. وقال الشيخ: تشميت العاطس أيضًا سنة على الكفاية، وكذا الأضحية سنة فى حق كل واحد من أهل البيت، فإذا ضحى واحد منهم حصل الشعار والسنة لجميعهم.

الحديث الخامس والسادس عن على رضى الله عنه: قوله: «وهو شيخ أبى داود» كلام

[٤٦٤٥] إسناده ضعيف.
[٤٦٤٦] صحيح (صحيح الجامع) (٢٠١١)
[٤٦٤٧] صحيح.
(١) طه: ٤٧
(٢) الكشاف: ٢/ ٤٣٥.
(٣) آل عمران: ٦٨

مروا أن يسلم أحدهم، ويجزئ عن الجلوس أن يردَّ أحدهم. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» مرفوعًا. ورواه* أبوداود، وقال: رفعه الحسن بن على، وهو شيخ أبي داود. [٤٦٤٨]

٤٦٤٩-* وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه رضى الله عنهم أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: «ليس منَّا من تشبَّه بغيرنا، لاتشبَّهُوا باليهودَ ولا بالنَّصارى، فإنَّ تسليمَ اليهودِ الإشارةُ بالأصابع، وتسليم النَّصارى الإشارةُ بالأكُفّ». رواه الترمذى، وقال: إسناده ضعيف.

٤٦٥٠-* وعن أبى هريرة رضى الله عنه، عن النبىﷺ قال: «إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه فإن حالت بينهما شجرةٌ، أو جدارٌ، أو حجرٌ، ثمَّ لقيه، فليسلم عليه». رواه أبوداود. [٤٦٥٠]

المؤلف، أراد أن إسناد هذا الحديث قد روى موقوفًا، ورفعه الحسن بن على شيخ أبى داود: حدثنا أبو داود، حدثنا الحسن بن على، حدثنا عبدالملك بن إبراهيم، حدثنا سعيد بن خالد قال: حدثنى عبدالله بن الفضل؛ حدثنا عبيد الله بن أبى رافع عن على بن أبى طالب «قال أبوداود: رفعه الحسن بن على شيخ أبى داود»قال: يجزئ عن الجماعة إلخ الحديث ويوافقه مافى المصابيح عن على رضى الله عنه رفعه.

الحديث السابع عن عمرو: قوله: «إسناده ضعيف» فيه إيماء إلى أن الحكم قد يكون على خلافه وليس كذلك. «مح»: روينا عن أسماء بنت يزيد أن رسول اللهﷺ مرّ فى المسجد يوما، وعصبة من النساء قعود فألوى بيده بالتسليم. قال الترمذى: هذا حديث حسن، وهو محمول على أنه ﷺ جمع بين اللفظ والإشارة؛ يدل على هذا أن أبا دواد روى هذا الحديث. وقال فى روايته: «فسلم علينا».

الحديث الثامن عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فإن حالت بينهما شجرة» فيه حث على إفشاء السلام، وأن يكرر عند كل تغير حال، ولكل جاء وغاد. «مح»: روينا فى موطأ الإمام مالك: أن الطفيل أخبر أنه كان يأتى عبدالله بن عمر فيغدو معه الى السوق. قال: قلت له ذات يوم: ما تصنع بالسوق وأنت لاتقف على البيع، ولا تسأل عن السلع ولا تسوم بها، ولاتجلس فى مجالس السوق؟ فقال: إنما نغدو من أجل السلام ونسلم على من لقينا.

ويستثنى من ذلك مقامات ومواضع منها: إذا كان مشتغلا بالبول والجماع ونحوهما فيكره أن

[٤٦٤٨] إسناده حسن. [٤٦٤٩]: إسناده ضعيف كما قال.

[٤٦٥٠ بإسناد ين أحدهما صحيح.

* فى «ط» «وروى» ولعله تصحيف.

٤٦٥١-* وعن قتادة قال: قال النبىﷺ: «إذا دخلتم بيتًا فسلمُوا على أهلهِ، وإذا خرجتمُ فأودعوا أهله بسلام». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» مرسلا. [٤٦٥١]

٤٦٥٢- *وعن أنس، أنَّ رسول اللهﷺ قال: «يا بنىّ إذا دخلتَ على أهلك فسلّم [يكونُ]* بركَة عليك وعلى أهل بيتك». رواه الترمذى. [٤٦٥٢]

٤٦٥٣-* وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «السَّلامُ قبلَ الكلامِ». رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ منكر. [٤٦٥٣]

يسلم عليه. ومنهسا: إذا كان نائمًا أو ناعسا أو مصليًا، أو مؤذنًا فى حال أذانه أو كان فى حمام ونحوه، أو كان آكلا واللقمة فى فمه. فإن سلم عليه فى هذه الأحوال لايستحق جوابًا. وأما إذا كان فى حال المبايعة من المعاملات فيسلم ويجب الجواب.

وأما السلام فى حال خطبة الجمعة فقال أصحابنا: يكره الابتداء به، لأنهم مأمورون بالإنصات، فإن خالف وسلم فهل يرد عليه؟ فيه خلاف: منهم من قال: لايرد، ومنهم من قال: إن قلنا: إن الإنصات واجب لايرد، وإن قلنا: سنة، رد عليه واحد من الحاضرين فحسب. وأما السلام على القارئ فقال الواحدى: الأولى ترك السلام عليه، وإن سلم عليه كفاه الرد بالإشارة. وإن رد باللفظ استأنف الاستعاذة. قال: والظاهر أنه يجب الرد باللفظ.

الحديث التاسع عن قتادة: قوله: «فأودعوا» هو من الإيداع أى اجعلوا السلام وديعة عندهم كى ترجعوا إليهم وتستردوا وديعتكم، فإن الودائع تستعاد تفاؤلا للسلامة والمعاودة مرة بعد مرة أخرى. وأنشد:

[فلابد لى من جهلة فى وصاله   فمن لى بخِلٍّ أودع الحلم عنده]**

اللطف فيه أنه لم يعزم على مفارقة الحكم؛ لأن الودائع تستعاد.

الحديث العاشر والحادى عشر عن جابر: قوله: «منكر» «تو»: لأن مداره على عنبسة بن عبدالرحمن وهو ضعيف جدًا، ثم إنه يرويه عن محمد بن زاذان وهو منكر الحديث. وكذلك حديثه الآخر: «إذا كتب أحدكم كتابًا فليتربه» والمحنة فيه من قبل حمزة بن عمرو النصيبى، فإنه الراوى عن أبى الزبير عن جابر وكذلك الحديث الذى يتلوه: «ضع القلم على أذنيك» ومداره

[٤٦٥١] حسن (صحيح الجامع) (٥٢٦).

[٤٦٥٢] وقال: حسن صحيح غريب. قال المباركفورى: فإن قلت: كيف صححه الترمذى وفى سنده على بن زيد بن جدعان، وهو ضعيف، كما فى التقريب؟ قلت: على بن زيد هذا صدوق عند الترمذى كما فى تهذيب التهذيب وغيره. أهـ «تحفة الأحوذى ٧/ ٤٧٨».

[٤٦٥٣] موضوع. «ضعيف الجامع ٣٣٧٢».

* يكون بركة» جملة مستأنفة متضمنة للعلة، اى فإنه يكون اى السلام سبب زيادة بركة ا.هـ افاده المباركفورى.

** من «ك» وفى «ط»:

فلابد من جهلة فيه وصباله   فمن لى بحل اودع الحكم عنده!!

٤٦٥٤-* وعن عمران بن حصينٍ، قال: كنَّا فى الجاهليَّة نقولُ: أنعمَ اللهُ بكَ عينًا، وأنعِمْ صباحًا. فلمَّا كانَ الإسلامُ نُهينا عن ذلك. رواه أبو داود.[٤٦٥٤]

٤٦٥٥-* وعن غالبٍ رحمه الله، قال: إنا لجلوسٌ بباب الحسنِ البصرى، إذ جاءَ رجلٌ فقال: حدثنى أبى، عن جدّى، قال: بعثنى أبى إلى رسول اللهﷺ فقال: ائته فأقرِئه السلامَ. قال: فأتيتُه؛ فقلتُ: أبى يُقرِئُكَ السلامَ. فقال: «عليكَ وعلى أبيكَ السلامُ». رواه أبو داود.[٤٦٥٥]

أيضًا على عنبسة بن عبدالرحمن، ومحمد بن زاذان، وقد وجدناه فى كتاب المصابيح. وقد أخطأ فيه فى قوله: «على أذنيك» وإنما هو على أذنك.

الحديث الثانى عشر عن عمران :قوله: «أنعم الله بك عينًا» الجوهرى: النُّعم بالضم خلاف البؤس، ونعم الشىء بالضم نعومة أى صار ناعما لينا ويقال: أنعم الله عليك من النعمة، وأنعم الله صباحك من النعومة. وأنعم الله بك عينًا أى أقر الله عينك بمن تحبه. وكذلك نعم الله بك عينًا.

«نه» فى حديث مطرف: «لا تقل: نعم الله بك عينا؛ فإن الله لا ينعم بأحد عينا، ولكن قل: أنعم الله بك عينا». قال الزمخشرى: الذى منع منه مطرف صحيح فصيح فى كلامهم. و«عينا» نصب على التمييز من الكاف، والباء للتعدية، والمعنى: نعمك الله عينا أى نعم عينك وأقرها. وقد يحذفون الجار ويوصلون الفعل فيقولون: **نعمك*** الله عينا، وأما أنعم الله بك عينا، فالباء فيه للتعدية ، لأن الهمزة كافية فى التعدية يقال: نعم زيد عينا وأنعمه الله عينا. ويجوز أن يكون من«أنعم» إذا دخل فى النعيم فيعدى بالباء. قال: ولعل مطرفًا خيل إليه أن انتصاب المميز فى هذا الكلام عن الفاعل فاستعظمه، تعالى الله أن يوصف بالحواس علوًا كبيرًا كما يقولون: نعمت بهذا الأمر عينا والباء للتعدية فحسب أن الأمر فى«نعم الله بك عينا» كذلك.

أقول: يحتمل أن تكون الباء سببية و«عينا» مفعول «أنعم»والتنكير فيه للتفخيم أى أنعم الله بسببك عينا. وأى عين غير من يحبك، فيكون **كناية** عن خفض عيشة ورفاهية لا يحوم حولها خشونة. وقوله: «وأنعم صباحًا»معناه طاب عيشك فى الصباح، وإنما خص الصباح به؛ لأن الغارات والمكاره تقع صباحًا.

[٤٦٥٤] إسناده ضعيف.

[٤٦٥٥] إسناده ضعيف.

*** من «ك» وفى «ط» «نعم».**

٤٦٥٦-* وعن أبي العلاء بن الحضرمىِّ، أنَّ العلاءَ الحضرمىَّ كانَ عاملَ رسول اللهﷺ، وكانَ إذا كتبَ إليه، بدأَ بنفسه. رواه أبو داود.

٤٦٥٧-* وعن جابرٍ، أنَّ النبىَّﷺ قال: «إذا كتبَ أحدُكم كتابًا فليتربه، فإنه أنجحُ للحاجةِ». رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ منكر. [٤٦٥٧]

٤٦٥٨-* وعن زيد بن ثابت، قال: دخلتُ على النبيِّ ﷺ وبين يديه كاتبٌ، فسمعتُه يقولُ: «ضعِ القلَم على أُذنك؛ فإنَّه أذكرُ للمآل». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب، وفي إسناده ضعف. [٤٦٥٨]

٤٦٥٩-* وعنه، قال: أمرني رسول اللهﷺ أن أتعلَّمَ السريانيَّةَ وفى رواية: إنه

الحديث الثالث عشر والرابع عشر عن أبى العلاء: قوله: «بدأ بنفسه» «مظ»: كان يكتب: هذا من العلاء الحضرمى إلى رسول اللهﷺ، وهكذا أمر النبى ﷺأن يكتبوا من لسانه: هذا من رسول الله إلى عظيم البحرين وغيره من الملوك. انتهى كلامه. والمقصود من إيراد هذا فى باب السلام أن هذا كان مقدمة السلام، يدل عليه قوله فى كتابه إلى هرقل: «من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى».

الحديث الخامس عن جابر: قوله: «فليتربه» أى يسقطه على التراب حتى يصير أقرب إلى المقصد. قال أهل التحقيق: إنما أمره بالإسقاط على التراب اعتمادًا على الحق سبحانه فى إيصاله إلى المقصد. وقيل: المراد به ذر التراب على المكتوب: «مظ»: قيل: معناه فليخاطب الكاتب خطابًا على غاية التواضع، والمراد بالتتريب المبالغة فى التواضع فى الخطاب.

الحديث السادس عشر عن زيد: قوله: «ضع القلم على أذنك» قيل: والسر فى ذلك أن القلم أحد اللسانين المترجمين عما فى القلب من الكلام وفنون العبارات، فتارة يترجم عنه اللسان اللحمى المعبر عنه بالقول، وتارة يعبر عنه بالقلم وهو المسمى بالكتابة. وكل واحد من اللسانين يسمع مايريد من القول وفنون الكلام من القلب، ومحل الاستماع الأذن، فاللسان موضوع دائما على محل الاستماع ودرج القلب، فلم يزل يستمع منه الكلام، والقلم منفصل عنه خارج عن محل الاستماع، فيحتاج فى الاستماع إلى القرب من محل الاستماع، والدنو إلى طريقه ليستمع من القلب مايريده من العبارات وفنون الكلام ويكتب.

الحديث السابع عشر عن زيد[1] رضى الله عنه قوله: «ماآمن يهود على كتاب» استعمل

[٤٦٥٧] انظر كلام الحافظ بن حجر على هذا الحديث فى الرسالة الملحقة فى آخر الكتاب.

[٤٦٥٨] موضوع. ضعيف الجامع (٣٥٩٠).

(١) قال مصحح «ط»: كذا فى الترمذى ومتن المشكاة، أما فى نسخ الكاشف الموجودة عندنا ففى كلها: «عن أنس» بدل «عن زيد» لعله من سهو الكاتب. قلت: وفى «ك» «أنس» أيضاً.

أمرني أن أتعلَّم كتاب يهود، وقال: «إني ما آمنُ يهودَ على كتاب» قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت. فكان إذا كتب إلى يهود كتبت، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابَهم. رواه الترمذي.[٤٦٥٩]

٤٦٦٠-* وعن أبي هريرةَ رضي الله عنه عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا انتهى أحدُكم إلى مجلسٍ فليسلِّمْ؛ فإنْ بدا له أن يجلسَ فلْيجلسْ،ثمَّ إذا قامَ فليسلِّم؛ فليستِ الأولى بأحقَّ من الآخرةِ». رواه الترمذي، وأبوداود.[٤٦٦٠]

٤٦٦١-* وعنه، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «لا خيرَ في جلوس في الطرقاتِ،إلا لمنْ هَدى السبيلَ،وردَّ التحيَّةَ،وغضَّ البصرَ،وأعانَ على الحمولةِ». رواه في «شرح السنَّة». [٤٦٦١]

بـ«على» فإن نفي الأمن عبارة عن الخوف كأنه قال: أخاف على كتابي، كما قالت إخوة يوسف: ﴿مالك لاتأمنا على يوسف﴾[1]. «مظ»: أي أخاف إن أمرت يهوديا بأن يكتب مني كتابا إلى اليهود أن يزيد فيه أو ينقص. وأخاف إن جاء كتاب من اليهود فيقرأه يهودي فيزيد وينقص فيه.

وقوله: «حتى تعلمت» معناه مقدر أي مامربي نصف شهر في التعليم، حتى كمل تعليمي.

قيل: وفيه دليل على جواز تعلم ماهو حرام في شرعنا للتوقي والحذر عن الوقوع في الشر.

الحديث الثامن عشر عن أبي هريرة: قوله: «فليست الأولى بأحق» قيل: كما أن التسليمة الأولى إخبار عن سلامتهم من شره عند الحضور فكذلك الثانية إخبار عن سلامتهم من شره عند الغيبة، وليست السلامة عند الحضور أولى من السلامة عند الغيبة، بل الثانية أولى.

«مح» ظاهر هذا الحديث يدل على أنه يجب على الجماعة رد السلام على الذي سلم على الجماعة عند المفارقة. قال القاضي حسين وأبو سعيد المتولي: جرت عادة بعض الناس بالسلام عند المفارقة، وذلك دعاء يستحب جوابه ولا يجب ، لأن التحية إنما تكون عند اللقاء لاعند الانصراف. وأنكره الشاشي وقال: إن السلام سنة عند الانصراف كما هو سنة عند اللقاء، فكما يجب الرد عند اللقاء كذلك عند الانصراف، وهذا هو الصحيح.

الحديث التاسع عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «وأعان على الحمولة» هي بالفتح مايحمل الأثقال من الدواب وبالضم الأحمال أي يعين صاحبه على حمل الأثقال على الحمولة.

[٤٦٥٩] إسناده صحيح.

[٤٦٦٠] إسناده حسن.

[٤٦٦١] إسناده ضعيف جداً، فيه يحيى بن عبدالله هو التيمي متروك، وإسماعيل بن عياش الحمصي مخلط في روايته عن غير أهل بلده «شرح السنة ١٢/ ٣٠٥» بتحقيق زهير الشاويش وشعيب

(١) يوسف: ١١

وذكر حديث أبي جُري في« باب فضل الصدقة».

الفصل الثالث

٤٦٦٢-* عن أبي هريرة، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «لما خلقَ اللهُ آدمَ ونفخَ فيه الروحَ عطسَ، فقال: الحمدُ لله، فحمدَ اللهَ بإذنه، فقال له ربُّه: يرحمكَ اللهُ ياآدمُ! اذهبْ إلى أولئكَ الملائكةِ إلى ملأ منهم جلوسٍ، فقل: السلام عليكم فقال: السلام عليكم. قالوا: عليكَ السلامُ ورحمة الله. ثم رجع إلى ربّه، فقال: إنَّ هذه تحيَّتُك وتحيَّةُ بنيكَ بينهم. فقال له اللهُ ويداهُ مقبوضتان: اخترْ أيّتهما شئتَ. فقال: اخترتُ يمينَ ربي وكلْتا يدَيْ ربي يمينٌ مباركة، ثم بسطها، فإذا فيها آدمُ وذرِّيته، فقال: أيْ

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي هريرة : قوله: «فقال: الحمد لله» أي فأراد أن يقول: الحمد لله. فحمد الله بإذنه أي بتيسيره وتوفيقه. وقد سبق تأويله في الحديث الأول من هذا الباب وقوله: «إلى ملأ منهم جلوس» يحتمل أن يكون بدلا، فيكون من كلام رسول اللهﷺ بيانًا لكلام الله تعالى، وهو إلى الحال أقرب منه إلى البدل يعني قال الله تعالى: «أولئك» مشيرًا به إلى ملأ منهم، ثم رجع إلى ربه أي إلى مكان كلمه ربه فيه.

[قوله: «وكلتا يدي ربي يمين» كالتتميم* صونًا لما يتوهم من إثبات الجارحة من الكلام السابق. وللشيخ أبي بكر بن محمد بن الحسن** بن فورك كلام متين فيه قال: واليدان إن حملتا على معنى القدرة والملك صح. وإن حملتا على معنى النعمة والأثر الحسن صح، لأن ذلك مما حدث في ملكه بتقديره وعن ظهور نعمته على بعضهم، ثم قال: قد ذكر بعض مشايخنا! أن الله عز وجل هو الموصوف بيد الصفة لا بيد الجارحة، وإنما تكون يد الجارحة يمينًا ويسارًا؛ لأنهما يكونان لمتبعض ومتجزئ ذى أعضاء، ولما لم يكن ما وصف الرب به يد جارحة بين ﷺ بما قال، أي ليست هي يد جارحة.

وقيل: إن المراد أن الله عز وجل لماوصف باليدين، ويدا الجارحة تكون إحداهما يمينًا والأخرى يسارًا، واليسرى ناقصة في القوة والبطش، عرّفنا ﷺ كمال صفة الله عز وجل، وأنه لانقص فيها، ويحتمل أن يكون معناه أن آدم عليه السلام لما قيل له: اختر أيتهما شئت فقال: اخترت يمين ربى وكلتا يدي ربي يمين. أراد به لسان الشكر والنعمة، لا لسان الحكم والاعتراف بالملك، فذكر الفضل والنعمة؛ لأن جميع ما بيديه -عز وجل- من منه فضل وطول، من مبتدأ من منفوع ينفعه، ومن مدفوع عنه يحرسه، فقصد قصد الشكر والتعظيم للمنة.

قيل: أراد به وصف الله تعالى بغاية الجود والكرم والإحسان والتفضيل؛ وذلك أن العرب

---

* هو تقييد الكلام بتابع يفيد مبالغة، أو صيانة عن احتمال مكروه.

** من «ك» وفى «ط» «الحسنى».

ربِّ! ماهؤلاءِ؟ قال: هؤلاءِ ذريَّتكَ، فإذا كلُّ إنسانٍ مكتوبٌ عُمرهُ بين عينيه، فإذا فيهم رجلٌ أضوؤُهم- أو من أضوئِهم- قال: ياربِّ! مَنْ هذا؟ قال: هذا ابنُك داودُ وقد

تقول لمن هو كذلك: كلتا يديه يمين، وإذا نقص حظ الرجل وبخس نصيبه، قيل: جعل سهمه في الشمال، وإذا لم يكن عنده اجتلاب منفعة ولا دفع مضرة قيل: ليس فلان باليمين ولا بالشمال. وقال أيضًا في حديث آخر نحوه: «إن ذلك كان من ملك أمره الله عز وجل بجمع أجزاء الطين من جملة الأرض، أمره بخلطها بيديه، فخرج كل طيب بيمينه، وكل خبيث بشماله» فتكون اليمين والشمال للملك، فأضاف إلى الله تعالى من حيث كان عن أمره. وجعل كون بعضهم في يمين الملك علامة لأهل الخير منهم، وكون بعضهم في شماله علامة لأهل الشر منهم، ولذلك ينادون يوم القيامة بأصحاب اليمين وأصحاب الشمال.

أقول وبالله التوفيق: وتقريره على طريقة أصحاب البيان هو أن إطلاق اليد على القدرة تارة، وعلى النعمة أخرى من إطلاق السبب على المسبب؛ لأن القدرة والنعمة صادرتان عنها وهى منشؤهما، وكذلك القدرة منشأ الفعل، والفعل إما خير أو شر أو إضلال أو هداية. «واليدان» فى الحديث إذا حملتا على القدرة منشأ الفعل، والفعل إما خير أو شر وإضلال أو هداية. «واليدان» في الحديث إذا حملتا على القدرة حملتا على خلق الخير والشر والهداية والإضلال. فاليمين عبارة عن خلق الهدى والإيمان. وإليه الإشارة بقوله: «فإذا فيهم رجل أضوؤهم» على أفعل التفضيل الذى يقتضى الشركة. والشمال على عكسها. ومعنى «كلتا يديه يمين»: أن كلا من خلق الخير والشر والإيمان والكفر من الله تعالى عدل وحكمة، لأنه عزيز يتصرف في ملكه كيف يشاء: ولا مانع له فيه ولا منازع، حكيم يعلم بلطيف حكمته مايخفى على الخلق. قال تعالى: **﴿فيضل الله من يشاء ويهدى من يشاء وهو العزيز الحكيم﴾**(1) فمعنى اليمين كما في قول الشاعر:

إذا ما راية رُفعت لمجد تلقاها عرابةُ باليمين

أي بتدبيره الأحسن وتحريه الأصوب. وإذا حملتا على النعمة كان اليمين المبسوطة عبارة عن منح الألطاف وتيسير اليسرى على أهل السعادة من أصحاب اليمين والشمال المقبوضة على عسكها. ومعنى «كلتا يديه يمين» على ماسبق ، قال تعالى: **﴿الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له إن الله بكل شيء عليم﴾**(2). فالفاصلتان فى الآيتان أعنى **﴿العزيز الحكيم﴾** و**﴿بكل شيء عليم﴾** ملوحتان إلى معنى مافي الحديث في قوله: «كلتا يديه يمين». و**﴿الحمد لله الذى هدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله﴾**(3) والله أعلم]*.

---

(1) إبراهيم: ٤. (2) العنكبوت: ٦٢ (3) اقتباس من الأعراف: ٤٣.

* قد سبق التنبيه غير ما مرة على أن هذا التأويل لا حاجة إليه، وأن المنهج الأهدى والأقوم ما كان عليه الصحابة والتابعون لهم بإحسان من إثبات ما أثبته الله عز وجل لنفسه وأثبته له نبيه ﷺ، فاليدان ثابتتان له عز وجل بنص الكتاب والسنة من غير تكييف لها، والله أعلم.

كتبتُ له عمرهُ أربعين سنة. قال :يا ربِّ زِدْ في عمره. قال: ذلكَ الذي كتبتُ له. قال: أيْ ربِّ!فإني قدْ جعلتُ له من عمري ستينَ سنة. قال: أنتَ وذاكَ. قال: ثمَّ سكنَ الجنةَ ماشاءَ اللهُ، ثمَّ أُهبط منها، وكان آدمُ يعدّ لنفسه، فأتاهُ ملكُ الموتِ، فقال له آدمُ: قد عجلتَ، قد كتُبَ لي ألفُ سنة. قال: بلى، ولكنَّك جعلتَ لابنكَ داود ستينَ سنةً، فجَحَدَ فجحدتْ ذريَّته، ونسي فَنَسيت ذَريتهُ» قال: «فمن يومئذٍ أُمرَ بالكتابِ والشهودِ»رواه الترمذي. [٤٦٦٢]

٤٦٦٣-* وعن أسماء بنتِ يزيدَ، قالت: مَرَّ علينا رسولُ اللهﷺ في نسوةٍ، فسلَّمَ علينا. رواه أبو داود، وابن ماجه، والدارمي. [٤٦٦٣]

قوله: «فإذا فيها آدم وذريته» مقول النبيﷺ ، يعني رأى آدم مثاله ومثل بنيه في عالم الغيب. قوله: «ماهؤلاء» ذكر«ما» أولا؛ لأنه ما عرف ما رآه ثم لما قيل له: وهم ذريتك فعرفهم، فقال: من هذا. وقوله: «أو من أضوئهم» هو من شك الراوى. فعلى هذا «من أضوئهم» صفة «رجل» و«فيهم» خبره، وعلى إسقاط «من» هو مستأنف، أى: هو أضوؤهم. وليس المعنى بقوله. «أضوؤهم» أن سائر الأنبياء دونه فى الضوء والإشراق، بل لبيان فضله وجمعه بين النبوة والملك، وإفاضة نور العدل من الله تعالى عليه، وأنه خليفة الله فى أرضه. قال الله تعالى: ﴿إنا جعلناك خليفة في الأرض فاحكم بين الناس بالحق﴾(١)، فأفعل هنا كما فى قول الأنمرية: هم كالحلقة المفرغة لايدرى أين طرفاها. على مامر مرارًا. وقوله: «عمره أربعين سنة» مفعول«كتبت» ومؤدى المكتوب؛ لأن المكتوب عمره أربعون سنة، ونصب«أربعين» على المصدر على تأويل كتبت له أن يعمر أربعين سنة. وقوله: «ذلك الذى» المبتدأ والخبر معرفتان فيفيد الحصر، أى لامزيد على ذلك ولا نقصان عنه، وكان كذلك حيث وهب ثم رجع.

قوله: «قال: أى رب فإني قد جعلت» أي في موضعين «بأى» التي تستعمل للمنادى القريب حيث نظر إلى قربه من الحضرة الربوبية، ورأى الكلامين في خاصة نفسه، وفي موضعين بـ«يا» المستعملة للبعيد نظرًا إلى غيره. وقوله: «أنت وذاك» نحو قولهم: «كل رجل وضيعته» أي أنت مع مطلوبك مقرونان، ويعد لنفسه ماقدر له ويراعى أوقات أجله سنة فسنة، فلما بلغ تسعمائة وأربعين أتاه ملك الموت. وقوله: «نسى فنسيت ذريته» يشير إلى قوله تعالى: ﴿ولقد عهدنا إلى آدم من قبل فنسي ولم نجد له عزمًا﴾(٢).

الحديث الثاني عن أسماء: قوله: «في نسوة» غير متعلق بالفاعل، لئلا يلزم منه مرور رسول

[٤٦٦٢] قال الشيخ: وصححه الحاكم ووافقه الذهبى، وهو كما قالا.

[٤٦٦٣] انظر صحيح أبى داود (٤٣٣٦) وصحيح ابن ماجه (٣٧٠١).

(١) ص:٢٦ (٢) طه: ١١٥.

٤٦٦٤-* وعن الطفيلِ بن أبي بن كعب: أنه كان يأتي ابنَ عمَر فيغدو معه إلى السوق. قال: فإذا غدونا إلى السوق، لم يمرَّ عبدُ الله بن عمر على سَقَّاط ولا على صاحب بيعة، ولا مسكين ، ولا على أحد إلا سلَّمَ عليه. قال الطفيلُ: فجئتُ عبدَ الله بن عمر يومًا، فاستتبعني إلى السوقِ، فقلت له: وماتصنعُ في السوقِ وأنت لاتقف على البيع ولاتسأل عن السِّلع ولاتسومُ بها، ولا تجلس في مجالسِ السوق؟ فاجلسْ بناهاهنا نتحدَّثْ: قال: فقال لي عبدُ الله بن عمر: ياأبابطن!- قال: وكان الطفيل ذا بطنٍ- إنما نغدو من أجل السلامِ، نسلمُ علىَ من لقيناه. رواه مالك، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٤٦٦٤]

٤٦٦٥-* وعن جابرٍ، قال: أتى رجلٌ النبيَّ ﷺ فقال: لفلانٍ في حائطي عَذْقٌ، وإنه قد آذاني مكانُ عذقِه، فأرسل النبيُّ ﷺ: «أنْ بِعْني عَذْقَك» قال: لا. قال: «فهبْ لي». قال: لا. قال: «فبِعنيه بعَذق في الجنَّة». فقال: لا فقال رسولُ الله ﷺ: «مارأيتُ الذي هوَ أبخلُ منكَ إلاَّ الذي يبخلُ بالسلامِ» رواه أحمد ، والبيهقى في «شعب الإيمان». [٤٦٦٥]

الله ﷺ في زمرة النسوة عليهن، بل هو متعلق بالجار والمجرور وبيان له، وهو من باب قولك: في البيضة عشرون رطلا من حديد، وهي بنفسها هذا المقدار، لا أنها ظرف له يدل عليه ماسبق في شرح الحديث السابع من الفصل الثانى بروايتها أن رسول الله ﷺ مر في المسجد يومًا وعصبة من النسوة قعود إلى آخره.

الحديث الثالث عن الطفيل: قوله: «على سقاط» هو متاع السقط وهو الردىء من المتاع. وقوله: «بيعة» يروى بفتح الباء وهى الصفقة، وبكسرها الحالة كالركبة والقعدة .

الحديث الرابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «عذق» «نه»: العذق بالفتح النخلة وبالكسر العرجون بما فيه من الشماريخ، ويجمع على عذاق : قوله: «قد آذانى مكان عذقه» أي آذانى عذقه. ونحوه قوله تعالى: ﴿إن كان كبر عليكم مقامى﴾ (١) الكشاف(٢): «مقامى» مكانى يعنى نفسه كما تقول: فعلت كذا مكان فلان. ويمكن أن يكون الأذى من جهة المكان الذى غرس فيه

[٤٦٦٤] انظر تنوير الحوالك على شرح موطأ مالك (٣/ ١٣٣).

[٤٦٦٥] ضعيف انظر ضعيف الجامع (٥٠٧١).

(١) يونس: ٧١ (٢) الكشاف. ٢/ ١٩٧.

٤٦٦٦-* وعن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، قال: «البادئُ بالسَّلامِ بريءٌ من الكِبْرِ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٤٦٦٦]

باب الاستئذان

الفصل الأول

٤٦٦٧-* عن أبي سعيد الخدريِّ، قال: أتانا أبو موسى، قال: إنَّ عمرَ أرسلَ إليَّ أنْ آتيه، فأتيتُ بابَه، فسلَّمتُ ثلاثًا، فلم يردَّ عليَّ، فرجعتُ. فقال: مامنعكَ أنْ تأتيَنا؟

العذق، أي مروره في حائطى بسبب مكان عذقه يؤذيني، وقوله: «بعذق في الجنة» مشعر بأن الرجل كان مسلما، وكان سوم رسول الله ﷺ إياه شفاعة منه، لا أمرًا وإلا لوجب عليه قبوله والحكم بعصيانه، كما في حديث بريدة وقد تقدم.

قوله: «الذي هو أبخل» التعريف فيه للجنس على نحو قوله تعالى: ﴿**الذين أنعمت عليهم**﴾[1] في وجه الكشاف[2]: وإنما صح وقوع «غير» صفة للمعرفة، لأن«الذين أنعمت عليهم»

لاتوقيت فيه فهوكقوله:

«ولقد أمر على اللئيم يسبني»

فالمعنى ما رأيت للجنس الذي هو أبخل منك إلا من بخل بالسلام. وإنما سماه بخيلا؛ لأن مثل رسول الله ﷺ إذا استوهب من مثله كان واجبا عليه أن يبذل روحه بل[3] الدنيا ومافيها على أن أذى أخيه المسلم من العظائم أيضا. وفيه حث على بذل السلام وإفشائه وأن الإمساك عنه من أخنى الأفعال الرديئة.

الحديث الخامس عن عبدالله: قوله: «البادىء بالسلام» يراد بالبادىء من تلقى صاحبه وهما سيان في الوصف بأن لايكون أحد هما راكبا والآخر ماشيًا، أو ماشيًا والآخر قاعدًا إلى غير ذلك كما علم ذلك والله أعلم.

باب الاستئذان

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «فقلت إنى أتيت» الظاهر فتح «أن»

[٤٦٦٦] ضعيف. انظر ضعيف الجامع ٢٣٦٣، والسلسلة الضعيفة ١٧٥١.

(١) الفاتحة: ٧ (٢) الكشاف: ١/ ١٠. (٣) وفي نسخة: «بلد».

فقلت: إني أتيتُ فسلَّمتُ على بابكَ ثلاثا فلم تردَّ عليَّ فرجعتُ، وقد قال لي رسول اللهﷺ: «إذا استأذنَ أحدُكم ثلاثًا فلم يُؤذَنْ له، فلْيرجِعْ». فقال عمرُ: أقِمْ عليهِ البيِّنةَ. قال أبو سعيدٍ: فقُمتُ معهَ، فذهبتُ إلى عمرَ، فشهِدتُ. متفق عليه.

٤٦٦٨- * وعن عبدِ الله بن مسعود، قال: قال لي النبيُّﷺ: «إذنكَ عليَّ أنْ ترفعَ الحجابَ وأنْ تسمعَ سوادي حتى أنهاكَ» رواه مسلم.

ليكون مطابقًا للسؤال؛ فإن السؤال عن المنع، فيجب أن يبين المانع، ويقال: المانع إتيانى وتسليمى إلى آخره، والكسر يدل على المانع بالمفهوم. قوله: «أقم عليه البينة» أي على الحديث الذى رويته. «مح»: وقد تعلق بهذا من يقول: لايحتج بخير الواحد وهو باطل؛ لأنهم أجمعوا على الاحتجاج بخبر الواحد ووجوب العمل به، ودلائلهم أكثر من أن تحصى. وأما قول عمر رضى الله عنه «أقم عليه البينة» فليس معناه أن خبر الواحد من حيث هو خبر واحد ولكن خاف عمر رضى الله عنه مسارعة الناس إلى القول على النبى ﷺ بما لم يقل، كما يفعله المبتدعون والكذابون. وكذا من وقع له قضية وضع فيها حديثا على النبي ﷺ، فأراد سد الباب، لاشكًا في رواية أبى موسى، لأنه أجل من أن يظن به أن يحدث عن النبى ﷺ مالم يقل.

ومما يدل على أن عمر رضى الله عنه لم يرد خبر أبى موسى، لكونه خبر واحد، أنه طلب منه إخبار رجل آخر حتى يعمل بالحديث، ومعلوم أن خبر الاثنين خبر واحد، وكذا مازاد حتى يبلغ التواتر، لأن مالم يبلغ التواتر فهو خبر واحد.

وأجمعوا على أن الاستئذان مشروع، وتظاهرت به دلائل القرآن والسنة. والسنة أن يجمع بين السلام والاستئذان، واختلفوا فى أنه هل يستحب تقديم السلام أو الاستئذان؟.

والصحيح تقديم السلام فيقول: السلام عليكم أأدخل؟ . وعن الماوردى: إن وقعت عين المستأذن على صاحب المنزل قبل دخوله، قدم السلام، وإلا قدم الاستئذان.

الحديث الثانى عن عبدالله: قوله: «سوادى» «نه»: السواد بالكسر السرار، يقال: ساودت الرجل مساودة أى ساررته. وقيل: هو من إدناء سوادك من سواده أى شخصك من شخصه. أقول: قوله: «على» متعلق بـ«إذنك» وهو مبتدأ، و«أن ترفع» مع المعطوف خبره، يعنى إذنك الجمع بين رفع الحجاب وبين معرفتك إياى فى الدار، ولو كنت مسارا لغيرى، هذا شأنك مستمر فى جميع الأحيان إلا أن أنهاك. وفيه دلالة على شرفه، وأنه من رسول اللهﷺ بمنزلة أهل الدار وصاحب السر. وليس فيه أنه يدخل عليه فى كل حال وأن يدخل على نسائه ومحارمه.

«مح» فيه دليل على جواز الاعتماد على العلامة فى الإذن فى الدخول، فإذا جعل الأمير

٤٦٦٩-* وعن جابرٍ، قال: أتيتُ النبيَّ ﷺ في دينٍ كانَ على أبي، فدققتُ البابَ، فقال: «مَنْ ذا؟» فقلتُ: أنا. فقال: «أنا! أنا!!» كأنَّه كرهَها. متفق عليه.

٤٦٧٠-* وعن أبي هريرةَ، قال: دخلتُ مع رسول الله ﷺ، فوجدَ لبَنًا في قدَح. فقال: «أباهرّ! الحَقْ بأهلِ الصُّفةِ فادعهم إليَّ» فأتيتُهم فدعوتُهم، فأقبلوا، فاستأذنوا، فأذنَ لهم، فدخلوا. رواه البخاري.

الفصل الثاني

٤٦٧١-* عن كلدَةَ بن حنبل: أنَّ صفوان بن أميةَ بعثَ بلبنٍ أو جِداية وضُغابيسَ إلى النبيِّ ﷺ، والنبيُّ ﷺ بأعْلى الوادي، قال: فدخلتُ عليه ولمْ أُسلمْ ولم أستأذنْ. فقال النبيُّ ﷺ: «ارجِعْ، فقُل: السلامُ عليكم أأدخلُ». رواه الترمذيُّ، وأبوداود. [٤٦٧١]

والقاضى أو غيرهما رفع الستر الذى على بابه علامة فى الإذن فى الدخول عليه للناس عامة، أو لطائفة خاصة أو لشخص أو جار أو علامة غير ذلك، جار الاعتماد عليها والدخول بغير استئذان.

الحديث الثالث عن جابر: * قوله: «فقال: أنا أنا» إنكار عليه أى قولك: «أنا» مكروه فلا تعد، و«أنا» الثانى تأكيد للأول: «مح»: وإنما كره؛ لأنه لم يحصل بقوله: «أنا» فائدة تزيل الإبهام، بل ينبغى أن يقول: فلان باسمه، فإن قال: أنا فلان فلا بأس كما قالت أم هانىء حين استأذنت، فقال ﷺ: «من هذه؟» قالت: أنا أم هانىء. ولابأس أن يصف نفسه بما يعرف به إذا لم يكن منه بد، وإن كان صورة له فيها تبجيل وتعظيم بأن يكنى نفسه أو يقول: أنا المفتى فلان، أو القاضى، أو الشيخ.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بأهل الصفة» هم جماعة من صعاليك المهاجرين والأنصار اجتمعوا فى صفة، ذكرهم الشيخ أبو نعيم الأصفهانى فى «حلية الأولياء» وفيه دلالة على من دعى إلى وليمة أو طعام لايكفيه الدعاء، بل لابد من الاستئذان، اللهم إلا أن يقرب زمان الإذن.

الفصل الثاني

الحديث الأول إلى آخره عن كلدة: قوله: «أوجداية» بفتح الجيم وكسرها «نه»: هو من أولاد الظباء مابلغ ستة أشهر أوسبعة، ذكرًا كان أو أنثى، بمنزلة الجدى من المعز. و«ضغابيس» هى

[٤٦٧١] صحيح، انظر صحيح الترمذى (٢١٨٠).

٤٦٧٢-*وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: «إذا دُعيَ أحدُكم فجاءَ مع الرسولِ، فإنَّ ذلكَ له إذنٌ». رواه أبوداود. وفي رواية له، قال: «رسولُ الرجلِ إلى الرجلِ إذنُه». [٤٦٧٢]

٤٦٧٣-* وعن عبدِ الله بن بُسرٍ، قال: كان رسولُ اللهﷺ إذا أتى بابَ قومٍ لم يستقبلِ البابَ منْ تلقاءِ وجهِه، ولكنْ منْ ركنه الأيمن أو الأيسر فيقولُ: «السَّلام عليكم، السلامُ عليكم» وذلك أنَّ الدورَ لم يكنْ يومئذٍ عليها ستورٌ. رواه أبو داود.

وذُكر حديث أنسٍ، قال عليه الصلاة والسلام: «السلامُ عليكم ورحمة الله» في «باب الضيافة». [٤٦٧٣]

الفصل الثالث

٤٦٧٤-* عن عطاء أنَّ رجلا سألَ رسولَ اللهﷺ، فقال: أستأذنُ على أُمي؟ فقال: «نعم» فقال الرجلُ: إني معها في البيت. فقال رسولُ اللهﷺ: «استأذنْ عليها» فقال الرجلُ: إني خادمها. فقال رسولُ اللهﷺ: «استأذنْ عليها، أتُحبُّ أن تراها عُريانةً؟» قال: لا. قال: «فاستأذنْ عليها». رواه مالك مُرسلا. [٤٦٧٤]

٤٦٧٥-* وعن عليّ، رضي اللهُ عنه، قال: كانَ لي من رسول اللهﷺ مدخلٌ بالليلِ، ومدخلٌ بالنهارِ، فكنتُ إذا دخلتُ بالليلِ تنحْنحَ لي. رواه النسائي. [٤٦٧٥]

صغار القثاء. واحدها ضغبوس. وقيل: هى نبت ينبت فى أصول الثمام يشبه الهليون يسلق بالخل والزيت ويؤكل

الفصل الثالث

الحديث الأول إلى آخره عن على رضى الله عنه: قوله: «كان لى من رسول اللهﷺ» «لى» خبر «كان» واسمه مدخل و «من رسول اللهﷺ» متعلق بالجار والمجرور: أى حصل لى من رسول اللهﷺ دخول بالليل ودخول بالنهار، وعلامة الإذن بالليل تنحنحه ﷺ. والله أعلم.

[٤٦٧٢] صحيح. انظر صحيح الجامع (٥٤٣)

[٤٦٧٣] صحيح. انظر صحيح الجامع (٤٦٣٨).

[٤٦٧٤] ضعيف لإرساله.

[٤٦٧٥] إسناده ضعيف.

٤٦٧٦-* وعن جابرٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا تأذنوا لمن لم يبدأ بالسلامِ»

رواه البيهقى في «شعب الإيمان». [٤٦٧٦]

(٣) باب المصافحة والمعانقة

الفصل الأول

٤٦٧٧-* عن قتادة ، قال: قلتُ لأنس: أكانتِ المصافحةُ في أصحاب رسول الله ﷺ؟. قال: نعمْ. رواه البخاري

٤٦٧٨-* وعن أبي هريرة، قال: قبَّلَ رسولُ الله ﷺ الحسنَ بنَ عليٍّ وعندَه الأقرعُ ابن حابسٍ. فقال الأقرعُ: إنَّ لي عشرةً من الولد ماقبَّلتُ منهم أحدًا.

فنظر إليه رسولُ الله ﷺ، ثمَّ قال: «من لا يَرْحَم لايُرحم». متفق عليه.

وسنذكرُ حديثَ أبي هريرةَ«أثَمَّ لُكع» في «باب مناقب أهل بيت النبيِّ صلى الله عليه وسلم وعليهم أجمعين» إن شاء الله تعالى.

باب المصافحة والمعانقة

المصافحة الإفضاء بصفحة اليد. «مح»: اعلم أن المصافحة سنة مستحبة عند كل لقاء، وماعتاده[1] الناس بعد صلاة الصبح والعصر، لا أصل له فى الشرع على هذا الوجه، ولكن لابأس به؛ فإن أصل المصافحة سنة. وكونهم حافظين عليها فى بعض الأحوال مفرطين فيها في كثير من الأحوال لايخرج ذلك البعض عن كونه من المصافحة التى ورد الشرع بأصلها، وهى من البدعة المباحة. وقد شرحنا أنواع البدع فى أول كتاب الاعتصام مستوفى. وينبغى أن يحترز عن مصافحة الأمرد الحسن الوجه، فإن النظر إليه حرام كما بسطنا القول فيه فى كتاب النكاح. قال أصحابنا: كل من حرم النظر إليه حرم مسه بل المس أشد، فإنه يحل النظر إلى الأجنبية إذا أراد أن يتزوجها، وفى حال البيع والشراء ونحو ذلك. ولايجوز مسها فى شىء من ذلك.

الفصل الأول

الحديث الأول والثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «من لايرحم» يجوز فيه الجزم والرفع على أن «من» موصولة أو شرطية. ولعل وضع الرحمة فى الأولى للمشاكلة، فإن المعنى

[٤٦٧٦] إسناده ضعيف.

(١) وفي نسخة: «اعتقده» بدل اعتاده.

وذكر حديث أمِّ هانىء في «باب الأمان»

الفصل الثانى

٤٦٧٩-* عن البراءِ بن عازب[رضي اللهُ عنهما]، قال: قال النبيُّ ﷺ: «مامن مسلمين يلتقيانِ فيتصافحانِ، إلاَّ غُفرَ لهما قبل أنْ يتفرَّقا».

رواه أحمد، والترمذى ، وابن ماجه.[٤٦٧٩]

وفي رواية أبي داود، قال: «إذا التقى المسلمان فتصافحا، وحمِدا اللهَ واستغفراه، غُفِرَ لهُما»[٤٦٧٩]

٤٦٨٠-* وعن أنسٍ، قال : قال رجلٌ: يارسولَ الله! الرَّجلُ منَّا يلقى أخاه أو صديقه، أينحني له؟قال: «لا». قال: أفيلتزمه ويقبله؟قال: «لا»قال: أفيأخذُ بيدِه ويصافحه؟ قال: «نعم». رواه الترمذي.[٤٦٨٠]

من لم يشفق على الأولاد لايرحمه الله تعالى، وأتى بالعام لتدخل فيه الشفقة دخولا أوليًا.
«مح»: تقبيل الرجل خد ولده الصغير واجب، وكذا غير خده من أطرافه ونحوها على وجه الشفقة والرحمة واللطف ومحبة القرابة سنة، سواء كان الولد ذكرًا أو أنثى. وكذلك قبلة ولد صديقه وغيره من صغار الأطفال على هذا الوجه. وأما التقبيل بالشهوة فحرام بالاتفاق وسواء في ذلك الولد [(١)] وغيره.

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن أنس رضى الله عنه: قوله: «أينحنى له»«مح»:

حنى الظهر مكروه للحديث الصحيح في النهي عنه، ولاتعتبر كثرة من يفعله ممن ينسب إلى علم وصلاح . والمعانقة وتقبيل الوجه لغير القادم من سفر ونحوه مكروهان، صرح به البغوى وغيره للحديث الصحيح في النهي عنه كراهة تنزيه.

[٤٦٧٩] صحيح./ انظر صحيح الجامع (٥٧٧٨) والصحيحة (٥٢٥).

[٤٦٨٠] وقال: حديث حسن قال الشيخ الألباني: وهو كما قال أو أعلى فإن له طرقًا جمعتها وخرجتها فى «الأحاديث الصحيحة»

(١) وفي المرقاه نقلا عن الطيبى: «الوالد» بدل«الولد».

٤٦٨١-* وعن أبي أمامةَ، أنَّ رسول اللهﷺ قال: «تمامُ عيادة المريضِ أن يضعَ أحدُكم يدَه على جبهته، أو على يده، فيسألَه: كيفَ هو؟ وتَمامُ تحيَّاتكم بينكم المصافحةُ». رواه أحمد، والترمذيُّ، وضعَّفه[٤٦٨١].

٤٦٨٢-* وعن عائشة [رضي اللهُ عنها]، قالتْ: قدمَ زيدُ بنُ حارثةَ المدينةَ ورسول اللهﷺ في بيتي، فأتاه فقرعَ البابَ، فقامَ إليه رسولُ اللهﷺ عُرياناً يجرُّ ثوبَه، واللهِ ما رأيتُهُ عريانًا قبلَه ولابعدَه، فاعتنقَه وقبَّلَه. رواه الترمذي. [٤٦٨٢]

٤٦٨٣-* وعن أيوب بن بُشَير، عن رجلٍ من عَنَزةَ، أنَّه قال: قلتُ لأبي ذر: هلْ كانَ رسولُ اللهﷺ يصافحكم إذا لقيتموهُ؟ قال: مالقيتُه قطُّ إلاّصافحنى، وبعث إليَّ ذاتَ يومٍ ولم أكنْ في أهلي، فلمَّا جئتُ أُخبرتُ، فأتيتُه وهوَ على سرير، فالتزمني، فكانتْ تلك أجودَ وأجود. رواه أبو داود. [٤٦٨٣]

٤٦٨٤-* وعن عكرمة بن أبي جهل، قال: قال رسول الله ﷺ يوم جئته: «مرحبًا بالراكب المهاجر» رواه الترمذي.

٤٦٨٥-*وعن أسَيدِ بن حضَيرٍ- رجلٌ منَ الأنصار- قال: بينما هوَ يُحدِّثُ القومَ- وكانَ فيه مُزاح- بينما يَضحكُهم، فطعنه النبيُّﷺ في خاصرتِه بعودٍ، فقال: أصبِرني.

الحديث الثالث عن أبى أمامة: قوله: «وتمام تحياتكم» يعنى لامزيد على هذين فلو زدتم على هذا دخل في التكلف وهو بيان لقصد الأمور لا أنه نهى عن الزيادة أو النقصان.

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «مارأيته عريانا» «قض»: لعلها أرادت مارأيته عريانا استقبل رجلا واعتنقه، فاختصرت الكلام لدلالة الحال. أقول: هذا هو الوجه؛ لما يشم من سياق كلامها رائحة الفرج والاستبشار بقدومه وتعجيله للقائه بحيث لم يتمكن من تمام التردى بالرداء حتى جره ، وكثيراً مايقع مثل هذا والله أعلم.

الحديث الخامس عن أيوب: قوله: «تلك» إشارة إلى الالتزام على تأويل المعانقة وعبر عنها به؛ ليكون أقرب إلى الأدب. **وأشار اليها بـ«تلك» والمشار إليه قريب بعدًا لمرتبتها، وكرر أفعل ولم يذكر المتعلق ليعم،** ويحتمل أن يكون التقدير: أجود من المصافحة. والواو فى قوله: «وأجود» للتعاقب بمنزلة الفاء فى قولهم: الأحسن فالأحسن والأفضل فالأفضل.

الحديث السادس والسابع عن أسيد : قوله: «رجل من الأنصار» «شف»: فى لفظ هذا الحديث في المصابيح اضطراب ، وجامع الأصول ينبىء عنه، وهو فيه هكذا: عن أسيد بن

[٤٦٨١] إسناده ضعيف. [٤٦٨٢] وإسناده ضعيف. [٤٦٨٣] إسناده ضعيف.

قال: «اصطبر». قال : إنَّ عليكَ قميصا وليس عليَّ قميص. فرفعَ النبيُّ ﷺ عن قميصه، فاحتضنه وجعل يُقبلُ كشحَه قال: إنما أردتُ هذا يارسول الله، رواه أبوداود. [٤٦٨٥]

٤٦٨٦-* وعن الشعبي: أنَّ النبيَّ ﷺ تلقّي جعفرَ بن أبي طالب، فالتزمه وقبَّلَ ما بينَ عينيه. رواه ابو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان» مرسلاً.

وفي بعض نسخ «المصابيح» : وفي «شرح السنَّة» عن البياضيِّ متصلا [٤٦٨٦]

حضير قال: إن رجلا من الأنصار كان فيه مزاح، فبينما هو يحدث القوم يضحكهم، إذ(1) طعنه النبيﷺ بعود كان في يده قال: اصبرني يارسول الله، قال: اصطبر إلى آخره. فليس المراد بقوله رجل من الأنصار هو أسيد بن حضير، فلا يجوز جره بل هو مرفوع على أنه مبتدأ ومخصصه قوله: «من الأنصار» وخبره قوله: «قال» مع فاعله المستكن فيه و«بينما» ظرف: «قال». والضمير فى قوله: «فيه» «للرجل»، و«كان فيه مزاح» جملة حالية «يحدث»وقعت بين قوله: «يضحكهم». وقوله: «بينما»* مع مابعده مقول لـ«قال» و«بينما»* ظرف لقوله: «طعنه» أو لمحذوف دل عليه الفعل الظاهر ، والتقدير :بينما* يضحكهم فاضحكهم فطعنه النبيﷺ عطف على قوله: «يضحكهم».

أقول: الحديث على ماهو فى المتن والمصابيح مثبت فى سنن أبى داود وفى نسخة يعتمد عليها. فبقى أن يقال: إن الرجل الذي طعن رسول اللهﷺفى خاصرته هل هو أسيد بن حضير أوغيره؟، فعلى مافى جامع الأصول هو غيره،وعلى ما في شرح السنة أنه هو: ولفظه هكذا: «عن عبدالرحمن بن أبى ليلى عن أسيد بن حضير، «بينما هو يحدث القوم يضحكهم وكان فيه مزاح، فطعنه النبىﷺ» الحديث. وكان أسيد بن حضير من نقباء الأنصار . وتنزيل الحديث على هذه الرواية أسهل وأبعد من التكلف من تلك الرواية، وما قيل: أن «قال» خبر و«بينما» ظرف له خارج عن السداد. فقوله: «رجل» مجرور بدل من «أسيد». وقال قول الراوى، أى قال الراوى -وهو عبدالرحمن- بينما أسيد يحدث . . . إلى آخره. ولو كان القائل أسيد رضى الله عنه لقال: بينما أنا و«بينا» الثانية بدل منها، وقوله: «فطعنه» هو الجوب والعامل فى «بينما».

الجوهرى: المزاح بالضم الاسم والمزاحة أيضًا، وأما المزاح بالكسر فهو مصدر مازحه وهما يتمازحان. قوله: «أصبرنى» «نه»: أى أقدنى من نفسك . قال: استقد.يقال: أصبر فلان

[٤٦٨٥] وإسناده جيد كما ال الشيخ الألبانى: والنص موافق لما فى «سنن أبى داود إلا فى كلمة: «وجعل»، وقد وقع الحديث فى «تيسير الوصول».(٤/ ١٦٨) مغايراً لما فى «السنن» (٥٢٢٤) فاقتضى التنبيه.

[٤٦٨٦] إسناده ضعيف.

(1) فى «ط» أن ، والصواب ما أثبتناه من «ك».

* فى «ط» «بينا».

٤٦٨٧-* وعن جعفر بن أبي طالب في قصة رجوعه من أرض الحبشة، قال: فخرجنا حتى أتينا المدينةَ، فتلقَّاني رسولُ اللهﷺ، فاعتنقَني ثمَّ قال: «ماأدري: أنا بفتح خيبرَ أفرحُ، أم بقُدومِ جعفرٍ؟». ووافق ذلكَ فتح خيبرَ. رواه في «شرح السنَّة». [٤٦٨٧]

٤٦٨٨-* وعن زارع، وكانَ في وفد عبدالقيس، قال: لما قدمنا المدينةَ، فجعلنا: نتبادرُ من رواحلنا فنقبِّلُ يد رسول اللهﷺ ورجلَه. رواه أبوداود. [٤٦٨٨]

٤٦٨٩-* وعن عائشةَ [رضي الله عنها]، قالت: مارأيتُ أحدًا كانَ أشبهَ سمتًا وهدْيًا ودلا. وفي رواية: حديثًا وكلامًا برسول اللهﷺ من فاطمةَ، كانت إذا دخلت عليه، قامَ إليها، فأخذَ بيدِها فقبَّلها وأجلسَها في مجلسِه، وكان إذا دخل عليها، قامت إليه، فأخذت بيده فقبَّلته وأجلسته في مجلسِها. رواه أبو داود. [٤٦٨٩]

من خصمه واصطبر أى اقتص منه، وأصبره الحاكم أى أقصه من خصمه «فا» : وأصله الحبس حتى يقتل، وأصبره القاضى إصبارا أى أقصه، واصطبر أى اقتص انتهى كلامه. «وليس على قميص» **حكاية الحال الماضية**. ومن الظاهر أن يقال: «ولم يكن على قميص» وضمن رفع معنى الكشف، وعداه بـ«عن» أى كشف عما ستره قميصه برفعه عنه: وقوله: «فاحتضنه» أي اعتنقه وأخذه فى حضنه وهو مادون الإبط الى الكشح. وفيه إشعار بإباحة المزاح إذا لم يكن فيه محذور شرعا وباستماعه أيضًا، وبأن الانبساط مع الوضيع من شيم الشريف.

الحديث الثامن والتاسع عن جعفر رضى الله عنه: قوله": «**أفرح، أم بقدوم جعفر؟» هذا الأسلوب من باب الذهاب الى التشابه من التشبيه مبالغة في إلحاق الناقص بالكامل.**

الحديث العاشر عن زارع: قوله: «فنقبل» «مح»: إذا أراد تقبيل يد غيره إن كان ذلك لزهده وصلاحه أو علمه وشرفه وصيانته أو نحو ذلك من الأمور الدينية، لم يكره بل يستحب. وإن كان لغناه ودنياه وثروته وشوكته ووجاهته عند أهل الدنيا ونحو ذلك فهو مكروه شديد الكراهية. وقال المتولى: لايجوز، فأشار إلى أنه حرام.

الحديث الحادى عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «سمتًا» «تو» السمت أخذ النهج ولزوم المحجة، وسمت فلان ويسمت. ثم قالوا: ما أحسن سمته أى طريقته التى ينتهجها فى تحرى

[٤٦٨٧] إسناده ضعيف.

[٤٦٨٨] صحيح انظر صحيح أبى داود (٤٣٥٣).

[٤٦٨٩] إسناده جيد انظر صحيح أبى داود (٤٣٤٧).

٤٦٩٠-* وعن البراء، قال: دخلت مع أبي بكرٍ [رضى الله عنهما]، أولَ ماقدمَ المدينةَ، فإذا عائشة ابنتُه مضطجعة، قد أصابَها حمًّى، فأتاها أبوبكرٍ، فقال: كيفَ أنت يابُنيَّةٌ؟ وقبَّلَ خدَّها. رواه أبوداود.[٤٦٩٠]

٤٦٩١-*وعن عائشة [رضي الله عنها]. أنَّ النبيَّ ﷺ أتىَ بصبيٍ ، فقبَّله، فقال: «أما إنهم مبْخلَةٌ مجبَنةٌ، وإنهم لمَن ريحان الله» رواه في «شرح السنة».[٤٦٩١]

الخير والتزي بزي الصالحين،والهدى السيرة السوية يقال: هدى هدي فلان إذا سار مسيره. قال الشاعر:

ويخبرني عن غائب المرء هديه   كفى الهدى عما غيب المرء مخبراً

والدل حسن الشمائل، وأصله من دل المرأة وهو شكلها، وذلك يستحسن منها وقد دلت تدل «تو» كأنها أشارت بالسمت إلى مايرى على الإنسان من الخشوع والتواضع لله، وبالهدى إلى مايتحلى به من السكينة والوقار، وإلى مايسلكه من المنهج المرضى وبالدل إلى دماثة الخلق وحسن الحديث.

الحديث الثاني عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله:«مبخلة»«نه»: المبخلة مفعلة من البخل ومظنةله، أي يحمل أبويه على البخل ويدعوهما إليه فيبخلان بالمال لأجله.

«فا»: معناه أن الولد يوقع أباه فى الجبن خوفًا من أن يقتل- أي فى الحرب-- فيضيع ولده بعده. وفي البخل إبقاء على ماله له، والواو فى «وأنهم» للحال، كأنه قال: مع أنهم من ريحان الله أى من رزق الله تعالى. يقال: سبحان الله وريحانه أى أسبح له وأسترزقه، وهو مخفف عن ريحان أى فيعلان من الروح؛ لأن انتعاشه بالرزق. ويجوز أن يراد بالريحان المشموم، لأن الشمامات تسمى ريحانا. ويقال: حباه بطاقة نرجس وبطاقة ريحان، فيكون المعنى: وإنهم مما أكرم الله به الأناسى وحباهم به؛ أو لأنهم يشمون ويقبلون فكأنهم من جملة الرياحين التى أنبتها الله تعالى. أقول: قوله:«أما إنهم إلى أخره» تذييل للكلام السابق،ولذلك جمع الضمير الراجع إلى الصبى ليعقب الحكم الخاص بالعام. ويؤكده فيدخل فيه دخلولا أوليًا. وقوله: «وإنهم لمن ريحان الله»من باب الرجوع، ذمهم أولا ثم رجع منه إلى المدح.

[٤٦٩٠] صحيح انظر صحيح أبى داود (٤٣٥١).

[٤٦٩١] ذكره فى ضعيف الجامع (٦١٧٨) بلفظ «الولد ثمرة القلب، وإنه مجبنة مبخلة محزنة» عن أبى سعيد وضعفه، وساقه فى الذى بعده بلفظ الولد من ريحان الجنة، وعزاه إلى الحكيم عن خولة بنت حكيم وضعفه، لكن قال فى الحديث الأول: ثابت دون قوله: «ثمرة القلب» ولذلك أوردته فى الصحيح (٧١٦٠) لكن فاتنا هناك حذف هذه الزيادة، فلتحذف.

والحديث صح عن خولة بنت حكيم بلفظ «إن الولد مبخلة مجبنة مجهلة محزنة» أخرجه الحاكم عن «الأسود ابن خلف والطبرانى عن خولة (صحيح الجامع ١٩٩٠).

الفصل الثالث

٤٦٩٢- * عن يعلى، قال: إنَّ حسنًا وحُسينًا رضى الله عنهما استبقا إلى رسول الله ﷺ، فضمَّهما إليه، وقال: «إنَّ الولدَ مبخلةٌ مجبنَةٌ». رواه أحمد.[٤٦٩٢]

٤٦٩٣- * وعن عطاءِ الخراسانيِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «تصافحوا، يذهبِ الغلُّ، وتهادوا، تحابُّوا وتذهبِ الشَّحناءُ». رواه مالك مرسلا.[٤٦٩٣]

٤٦٩٤- * وعن البراءِ بن عازبٍ رضي الله عنهما، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صلَّى أربعًا قبل الهاجرةِ، فكأنَّما صلاَّهنَّ في ليلة القدرِ، والمسلمانِ إذا تصافحا لم يبقَ بينهما ذَنْبٌ إلاَّ سقطَ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».[٤٦٩٤]

الفصل الثالث

الحديث الأول عن يعلى: قوله: «مبخلة مجبنة» هما هاهنا **كنايتان** عن المحبة على ما يقتضيه المقام فيكون مدحًا، وإن كان فى الحديث السابق **كناية** عن الذم.

الحديث الثانى والثالث عن البراء: قوله: «لم يبق بينهما ذنب» أى غل وشحناء؛ يدل عليه الحديث السابق فوضع الذنب موضعهما؛ لأنه مسبب عنهما. والفرق بين الغل والشحناء أن الغل هو الحقد، والشحناء العداوة.

[٤٦٩٢] صحيح «صحيح الجامع» (١٩٨٩).

[٤٦٩٣] هذا مرسل ضعيف، عطاء هذا تابعى صغير، صدوق يهم كثيرًا، وقد أخرجه عبد الله بن وهب فى الجامع «ص٣٨» عن عبد الله بن عمر بن عبدالعزيز عن أبيه مرفوعا به، وهذا مرسل أيضًا، ولكنه أقوى من الذى قبله... وقال ابن عبدالبر فى المرسل الأول: هذا يتصل من وجوه شتى، حسان كلها» قال الشيخ الألبانى: كذا قال، ولم نر فيما ذكرنا، ولا فى غيرها مما لم نذكر ما هو حسن سوى طريق أبى هريرة يعنى حديث «تهادوا تحابوا». إرواء الغليل (١٦٠١) ص ٤٦).

[٤٦٩٤] أخرجه البيهقى فى «الشعب» ح(٨٩٥٥).

(٤) باب القيام

الفصل الأول

٤٦٩٥- * عن أبي سعيد الخدري، قال: لما نزلت بنو قريظةَ على حكم سعدٍ، بعث رسولُ الله ﷺ إليه، وكان قريبًا منه، فجاء على حمار، فلما دنا من المسجد، قال رسول الله ﷺ للأنصار: «قوموا إِلى سيِّدكم». متفق عليه. ومضى الحديث بطوله في «باب حكم الأُسراء». [٤٦٩٥]

باب القيام

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى سعيد: قوله: «قوموا إلى سيدكم» «تو»: ليس هذا من القيام الذى يراد التعظيم على ما كان يتعاهده الأعاجم فى شىء، فكيف يجوز أن يأمر بما صح أنه نهى عنه وعرف منه التنكير فيه إلى آخر العهد؟ وإنما كان سعد بن معاذ رضى الله عنه وجعا؛ لما رمى فى أكحله، مخوفا عليه من الحركة حذرًا من سيلان العرق بالدم، وقد أتى به يومئذ للحكم الذى سلمت بنو قريظة إليه عند النزول على حكمه، فأمرهم بالقيام إليه ليعينوه على النزول من الحمار ويرفقوا به، حتى لا يصيبه ألم، فلا يضطر إلى حركة ينفجر منه العرق، وكان معنى قوله: «قوموا إليه» أى إلى إعانته وإنزاله من المركب، ولو كان يريد به التوقير والتعظيم لقال: «قوموا لسيدكم»*.

وما ذكر فى قيام النبى ﷺ لعكرمة بن أبى جهل رضى الله عنه عند قدومه عليه، وما روى عن عدى بن حاتم رضى الله عنه: ما دخلت على رسول الله ﷺ إلا قام لى أو تحرك، فإن ذلك مما لايصح الاحتجاج به لضعفه، والمشهور عن عدى: «إلا وسع لى» ولو ثبت، فالوجه فيه أن يحمل على الترخيص حيث يقتضيه الحال. وقد كان عكرمة من رؤساء قريش، وعدى كان سيد بنى طىء. فرأى تأليفهما بذلك على الإسلام، أو عرف من جانبهما تطلعا عليه على حسب ما يقتضيه حب الرياسة والله أعلم.

«مح»: فى الحديث إكرام أهل الفضل من علم أو صلاح أو شرف بالقيام لهم إذا أقبلوا،

[٤٦٩٥ قال الشيخ الألبانى : زاد أحمد من حديث عائشة: «فأنزلوه» وإسناده قوى كما قال الحافظ، وقد خرجته فى الأحاديث الصحيحة (٦٦).

* ويشهد لهذا ما رواه أحمد من حديث عائشة وذكره الشيخ الألبانى -أعنى لفظة «أنزلوه» فإنها نص فى محل الخلاف.

٤٦٩٦- * وعن ابن عمر، عن النبيِّ ﷺ قال: «لا يُقيم الرجلُ الرجلَ من مجلسه ثمَّ يجلس فيه، ولكن تفسَّحوا وتوسَّعوا». متفق عليه.

٤٦٩٧- * وعن أبي هريرة، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «من قامَ من مجلسه ثمَّ رجعَ إليه فهو أحقُّ به». رواه مسلم.

هكذا احتج بالحديث جماهير العلماء. قال القاضى عياض: ليس هذا من القيام المنهى عنه، إنما ذاك فيمن يقومون عليه وهو جالس ويمثلون قياما طول جلوسه. قال الشيخ محيى الدين: هذا القيام للقادم من أهل الفضل مستحب، وقد جاءت أحاديث ولم يصح فى النهى عنه شىء صريح، وقد جمعت كل ذلك مع كلام العلماء عليه فى جزء، وأجبت فيه عما يوهم النهى عنه. واختلفوا فى الذين عناهم النبى ﷺ بقوله: «قوموا إلى سيدكم» هل هم الأنصار خاصة أم جميع من حضر من المهاجرين معهم؟.

أقول: قوله: ليس هذا من القيام الذى يراد به التعظيم، مسلم، لكن لم قلت: إنه كان هذا القيام للتعظيم لا للإكرام؟ قال الشيخ أبو حامد: القيام مكروه على سبيل الإعظام لا على سبيل الإكرام. وقوله: «قوموا» لو كان يريد به التوقير والتعظيم لقال: قوموا لسيدكم، ضعيف؛ لأن **«إلى» فى هذا المقام أفخم من اللام، كأنه قال: قوموا واذهبوا إليه تلقيًا وكرامة، يدل عليه ترتب الحكم على الوصف المناسب المشعر بالعلة؛ فإن قوله: «إلى سيدكم»** علة للقيام له، وليس ذلك لكونه شريفًا كريما على القدر، وإليه أشار الشيخ محيى الدين بقوله: أو شرف.

الحديث الثانى عن ابن عمر: قوله: «لا يقيم الرجل الرجل» «مح»: هذا النهى للتحريم، فمن سبق إلى موضع مباح من المسجد وغيره يوم الجمعة أو غيره لصلاة أو غيرها فهو أحق به، ويحرم على غيره إقامته لهذا الحديث، إلا أن أصحابنا استثنوا منه ما إذا ألف من المسجد موضعًا يفتى فيه أو يقرأ قرآنًا، أو غيره من العلوم الشرعية فهو أحق به. وليس لأحد أن ينازعه فيه. وكان ابن عمر رضى الله عنهما إذا قام له رجل من مجلسه لم يجلس فيه.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فهو أحق به» «مح»: قال أصحابنا: هذا الحديث فيمن جلس فى موضع من المسجد أو غيره لصلاة مثلا، ثم فارقه ليعود، بأن فارقه ليتوضأ أو يقضى شغلا يسيرًا، لم يبطل اختصاصه به، بل إذا رجع فهو أحق به. وإن قعد فيه غيره فله أن يقيمه، وعلى القاعد أن يفارقه. وقال بعضهم: هذا مستحب ولا يجب، والصواب الأول. وإنما يكون أحق به فى تلك الصورة وحدها.

الفصل الثاني

٤٦٩٨- * عن أنس [بن مالك] قال: لم يكن شخصٌ أحبَّ إليهم من رسولِ الله ﷺ، وكانوا إذا رأوه لم يقوموا، لما يعلمون من كراهيته لذلك. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن صحيح.[٤٦٩٨]

٤٦٩٩- * وعن معاوية، قال: قال رسول الله ﷺ : «من سرَّهُ أن يتمثَّلَ له الرجالُ قيامًا فليتبوأْ مقعدَه من النار» رواه الترمذي، وأبو داود.[٤٦٩٩]

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «من كراهيته لذلك» ولعل الكراهية للمحبة والاتحاد الموجب لرفع التكلف والحشمة، يدل عليه قوله: «لم يكن شخص أحب إليهم من رسول الله ﷺ»؛ قال الشيخ أبو حامد: مهما تم الاتحاد خفت الحقوق فيما بينهم مثل القيام والاعتذار والثناء؛ فإنها وإن كانت من حقوق الصحبة لكن فى ضمنها نوع من الأجنبية والتكلف. فإذا تم الاتحاد، انطوى بساط التكلف بالكلية، فلا يسلك به إلا مسلك نفسه؛ لأن هذه الآداب الظاهرة عنوان الآداب الباطنة وصفاء القلب، ومهما صفت القلوب استغنى عن تكلف إظهار ما فيها. فالحاصل أن القيام وتركه بحسب الأزمان والأحوال والأشخاص.

الحديث الثانى عن معاوية: قوله: «أن يتمثل» «فا»: المثول الانتصاب، ومنه: فلان متماثل ومتماسك بمعنى تماثل المريض. وقالوا: الماثل من الأضداد يكون المنتصب واللاطئ بالأرض. وقوله: «فليتبوأ» لفظه لفظ الأمر ومعناه الخبر، كأنه قال: من سره ذلك وجب له أن ينزل منزلة من النار وحق له ذلك.

أقول: «قيامًا» يجوز أن يكون مفعولا مطلقًا لما فى الانتصاب من معنى القيام، وأن يكون تمييزًا لاشتراك المثول بين المعنيين. روى البيهقى فى شعب الإيمان عن الخطابى فى معنى الحديث: هو أن يأمرهم بذلك ويلزمه إياهم على مذهب الكبر والنخوة. قال: وفى حديث سعد دلالة على أن قيام المرء بين يدى الرئيس الفاضل، والوالى العادل، وقيام المتعلم للعالم مستحب غير مكروه. قال البيهقى: هذا القيام يكون على وجه البر والإكرام، كما كان قيام الأنصار لسعد وقيام طلحة لكعب بن مالك. ولا ينبغى للذى قام له أن يريد ذلك من صاحبه حتى إن لم يفعل حنق عليه أوشكاه أو عاتبه.

[٤٦٩٨] إسناده صحيح.

[٤٦٩٩] إسناده صحيح

٤٧٠٠- * وعن أبي أمامة، قال: خرج رسول الله ﷺ متكئًا على عصًا، فقمنا له فقال: «لا تقوموا كما يقومُ الأعاجمُ يعظِّمُ بعضُها بعضًا». رواه أبو داود.[٤٧٠٠]

٤٧٠١- * وعن سعيد بن أبي الحسن، قال: جاءنا أبو بكرة في شهادة فقام له رجل من مجلسه، فأبى أن يجلس فيه، وقال: إنَّ النبيَّ ﷺ نهى عن ذا، ونهى النبيُّ ﷺ أن يمسح الرجل يده بثوب من لم يكسُه. رواه أبو داود.[٤٧٠١]

٤٧٠٢- * وعن أبي الدرداءِ، قال: كان رسولُ الله ﷺ إذا جلَسَ - جلَسنا حوله- فقام، فأراد الرجوع، نزع نعله أو بعض ما يكون عليه، فيعرف ذلك أصحابه فيثبتون. رواه أبو داود.[٤٧٠٢]

٤٧٠٣- * وعن عبدالله بن عمرو عن رسولِ الله ﷺ قال: «لا يَحلُّ لرجلٍ أن يفرِّق بين اثنين إلا بإذنهما» رواه الترمذي وأبو داود.[٤٧٠٣]

«حس»: عن أبى مخلد أن معاوية رضى الله عنه خرج وعبد الله بن عامر وعبد الله بن الزبير رضى الله عنهما جالسان، فقام ابن عامر وقعد ابن الزبير فقال معاوية: إن رسول الله ﷺ قال: «من سره أن يتمثل له عباد الله قياما فليتبوأ مقعده من النار».

الحديث الثالث والرابع عن سعيد: قوله: «فى شهادة» «مظ»: أى فى أداء شهادة كانت عنده. وقوله: «عن ذا» أى أن يقوم أحد ليجلس غيره فى مجلسه. وقوله: «أن يمسح» معناه إذا كانت يدك ملطخة بطعام فلا تمسح يدك بثوب أجنبى، ولكن بإزار غلامك أو ابنك؛ أو غيرهما ممن ألبسته الثوب. أقول: لعل المراد بالثوب الإزار والمنديل ونحوهما، فلما أطلق عليه لفظ الثوب، عقبه بالكسوة مناسبة للمعنى، نهى أن يمسح يده بمنديل الأجنبى، فيمسح بمنديل نفسه أو منديل وهبه من غلامه أو ابنه.

الحديث الخامس إلى السابع عن أبى الدرداء: قوله: «نزع نعله» أى تركه هناك ولعله يمشى حافيًا إلى حجرة عائشة رضى الله عنها. وقوله: «فقام» عطف على «جلس» و«نزع» جواب الشرط.

[٤٧٠٠] إسناده ضعيف.

[٤٧٠١] ضعيف الجامع(٦٠٣٨).

[٤٧٠٢] إسناده ضعيف.

[٤٧٠٣] صحيح أبى داود (٤٠٥٥) وصحيح الترمذى (٢٩١٢).

٤٧٠٤- * وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جدِّه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لاتجلس بين رَجُلين إلا بإذنهما» رواه أبو داود. [٤٧٠٤]

الفصل الثالث

٤٧٠٥- * عن أبي هريرة، قال: كان رسولُ اللهﷺ يجلس معنا في المسجد يحدِّثنا، فإذا قام قمنا قيامًا حتى نراه قد دخل بعض بيوت أزواجه. [٤٧٠٥]

٤٧٠٦- * وعن واثلةَ بنِ الخطابِ، قال: دخل رجلٌ إلى رسولِ الله ﷺ وهو فى المسجدِ قاعدٌ، فتزحْزَحَ له رسولُ الله ﷺ. فقال الرجلُ: يا رسولَ الله! إنَّ في المكانِ سَعةَ. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ للمسلمِ لحقًا إذا رآه أخوه أنْ يتزحزَحَ له» رواهما البيهقي في «شعب الإيمان» [٤٧٠٦]

(٥) باب الجلوس والنوم والمشي

الفصل الأول

٤٧٠٧- * عن ابن عُمَرَ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ بفناءِ الكعبةِ مُحتبِيًا بيديهِ. رواه البخاري.

٤٧٠٨- * وعن عبَّادِ بن تميم، عن عمِّه، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المسجدِ مُستلقيًا واضعًا إحدى قدمَيه على الأخرى. متفق عليه.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثانى عن واثلة: قوله: «فتزحزح» أى تنحى عن مكان هو فيه. وقوله: «أن يتزحزح»بيان «الحقا» أو بدل. وفيه استحباب إكرام الداخل وإجلاسه بصدر المجلس. والله أعلم.

باب الجلوس والنوم والمشى

الفصل الأول

الحديث الأول إلى الثالث عن جابر رضى الله عنه: قوله: «وهو مستلق» «مظ»: وجه الجمع

[٤٧٠٤] صحيح الجامع (٧٢٢٨) بلفظ «لا تجلسوا بين رجلين إلا بإذنهما»

[٤٧٠٥، ٤٧٠٦] إسنادهما ضعيف، والأول أخرجه أبو داود أيضًا.

٤٨٠٩- * وعن جابر، قال نهى رسولُ اللهﷺ أن يرفعَ الرجلُ إِحدى رجليه على الأخرى وهوَ مستلقٍ على ظهره. رواه مسلم.

٤٧١٠- * وعنه، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «لا يستلقِيَنَّ أحدُكم ثمَّ يضع إِحدى رجليه على الأخرى». رواه مسلم.

٤٧١١- * وعن أبي هريرةَ [رضي الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «بينما رجلٌ يتبخترُ في بُردَينِ وقد أعجبَتْهُ نفسُه، خُسِفَ به الأرضَ، فهوَ يتجلجلُ فيها إِلى يومِ القيامةِ» متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٧١٢- * عن جابرِ بن سمُرة، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ مُتكئًا على وِسادة على يساره. رواه الترمذي. [٤٧١٢]

بين حديث عباد بن تميم وجابر، أن وضع إحدى الرجلين على الأخرى قد يكون على النوعين: أن تكون رجلاه ممدودتين إحداهما فوق الأخرى ولا بأس بهذا؛ فإنه لاَ ينكشف شيء من عورته بهذه الهيئة، وأن يكون ناصبا ركبة إحدى الرجلين ويضع الرجل الأخرى على الركبة المنصوبة. وعلى هذا، فإن أمن انكشاف العورة بأن يكون عليه سراويل أو يكون إزاره أو ذيله طويلين جاز وإلا فلا.

«مح» : يحتمل أنه ﷺ فعله لبيان الجواز، وأنكم إذا أردتم الاستلقاء فليكن هكذا، وأن النهى الذى نهيتكم عنه ليس على الإطلاق، بل المراد به الاجتناب عن كشف العورة، وفيه جواز الاستلقاء فى المسجد. قال القاضى عياض: لعله ﷺ فعله لضرورة من تعب أو طلب راحة، وإلا فقد علم أن جلوسه ﷺ فى المجامع على خلاف هذا. بل كان يجلس متربعًا على الوقار والتواضع.

الحديث الرابع والخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يتجلجل» «نه»: أى يغوص فى الأرض حتى يخسف به، والجلجلة حركة مع صوت. «مح»: يحتمل أن هذا الرجل من هذه الأمة، وأنه إخبار عمن قبله كما مر فى كتاب اللباس.

الفصل الثاني

الحديث الأول إلى الثالث عن قيلة: قوله: «القرفصاء» الجوهرى: القرفصاء ضرب من القعود

[٤٧١٢] صحيح انظر صحيح الترمذى (٢٢٢٣).

٤٧١٣- * وعن أبي سعيدٍ الخدري، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا جلسَ في المسجد احتبى بيديه. رواه رزين. [٤٧١٣]

٤٧١٤- * وعن قيلة بنت مُخْرمةَ، أنها رأت رسولَ الله ﷺ في المسجدِ وهو قاعدٌ القُر فُصاءَ. قالتْ: فلمَّا رأيتُ رسولَ الله ﷺ المتخشع أُرْعِدتُ منَ الفرَق. رواه أبو داود. [٤٧١٤]

٤٧١٥- * وعن جابر بن سمرةَ، قال: كان النبيُّ ﷺ إذا صلَّى الفجرَ تربَّعَ في مجلسهِ حتى تطلع الشمسُ حسناء. رواه أبو داود. [٤٧١٥]

يمد ويقصر. فإذا قلت: قعد القرفصاء فكأنك قلت: قعودا مخصوصًا، وهو أن يجلس على إليتيه ويلصق فخذيه ببطنه ويحتبى بيديه يضعهما على ساقيه. وقيل: هو أن يجلس على ركبتيه متكئًا ويلصق بطنه بفخذيه ويتأبط كفيه. «تو»: «المتخشع» يجوز أن يكون نعتا لرسول الله ﷺ وأن يكون مفعولا ثانيًا ويكون التقدير: الرجل المتخشع. «قض»: المتخشع صفة رسول الله ﷺ ولايجوز أن يجعل ثانى مفعولى «رأيت»؛ لأنه ها هنا بمعنى أبصرت.

أقول: سلك الشيخ التوربشتى مسلك **التجريد**، جرد من ذاته الزكية الرجل المتخشع وجعله شخصًا آخر، وهو مبالغة لكمال التخشع فيه وإلقاء رداء الهيبة عليه؛ ومن ثم قالت: «أرعدت من الفرق». ونحوه قوله تعالى: **﴿فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان﴾**[(1)] **الكشاف**[(2)]: قرأ عبيد بن عمير «وردة» بالرفع بمعنى: فحصلت سماء وردة وهو من الكلام الذى يسمى التجريد كقوله:

فلئن بقيت لأرحلن بغزوة ... تحوى الغنائم أو يموت كريم

والتفعل هنا ليس للتكلف بل هو لزيادة المعنى، والمبالغة فيه كما فى أسماء الله تعالى من نحو المتكبر.

الحديث الرابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «حسناء» «قض»: قيل: الصواب «حسنًا» على

[٤٧١٣] صحيح ذكره الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع (٤٧٠٢) وعزاه إلى أبى داود والبيهقى لكن بغير ذكر «فى المسجد».

[٤٧١٤] حسن انظر صحيح أبى داود (٤٠٥٧)

[٤٧١٥] إسناده صحيح وانظر صحيح أبى داود (٤٠٦٠).

(١) الرحمن: ٣٧

(٢) الكشاف: ٤/ ٥٣

٤٧١٦- * وعن أبي قتادة: أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إذا عرَّسَ بليلٍ اضطجعَ على شقِّه الأيمن، وإذا عرَّس قُبيلَ الصبحِ نصبَ ذراعَه ووضعَ رأسَه عَلَى كفِّه. رواه في «شرح السنة». [٤٧١٦]

٤٧١٧- * وعن بعضِ آل أم سلمة، قال: كانَ فراشُ رسول الله ﷺ ، نحواً ممَّا يوضعُ في قبره، وكانَ المسجدُ عند رأسِه. رواه أبو داود. [٤٧١٧]

٤٧١٨- * وعن أبي هريرةَ، قال: رأى رسولُ الله ﷺ رجلا مضطجعًا على بطنِه، فقال: «إنَّ هذِه ضجعةٌ لا يحبُّها اللهُ» رواه الترمذي. [٤٧١٨]

٤٧١٩- * وعن يعيشَ بنِ طخفةَ بن قيسٍ الغفاريِّ، عن أبيهِ- وكانَ منْ أصحاب

المصدر أى طلوعًا حسنًا. معناه أنه كان يجلس متربعًا فى مجلسه إلى أن ترتفع الشمس. وفى أكثر النسخ «حسناء» فعلى هذا يحتمل أن يكون صفة لمصدر محذوف، والمعنى ما سبق، أو حالا والمعنى: حتى تطلع الشمس نقية بيضاء زائلة عنها الصفرة التى يتخيل فيها عند الطلوع بسبب ما يعترض دونها على الأفق من الأبخرة والأدخنة.

الحديث الخامس عن أبى قتادة: قوله: «إذا عرس» «نه»: التعريس نزول المسافر آخر الليل نزلة للنوم والاستراحة. يقال منه: عرس يعرس تعريسًا ويقال فيه أعرس، والمعرِّس موضع التعريس. قوله: «نصب ذراعيه» هذا القيد مشعر بأن تعريسه بالليل لم يكن على هذه الهيئة. وقد روى صاحب النهاية أنه كان إذا عرس بليل توسد لبنةً، وإذا عرس عند الصبح نصب ساعده نصبًا ووضع رأسه على كفه. ولعل ذلك [لئلا يتمكن من النوم]* فتفوته صلاة الفجر.

الحديث السادس عن بعض آل أم سلمة: قوله: «نحواً» خبر «كان» وقيل: «مما» بيان لمحذوف أى مثل شيء مما يوضع فى قبره، وقد وضع فى قبره قطيفة حمراء، أى كان فراشه للنوم نحوها. وقوله: «كان المسجد عن رأسه» أى كان ﷺ إذا نام يكون رأسه إلى جانب المسجد.

الحديث السابع(١) عن يعيش: قوله: «من السحر» أى من داء السحر وهو الرئة. وقيل: ما لصق بالحلقوم من أعلى البطن.

[٤٧١٦] ورواه أحمد وإسناده صحيح.

[٤٧١٧] ضعيف انظر ضعيف الجامع (٤٤٧٨).

[٤٧١٨] حديث صحيح.

(١) كذا فى النسخ كلها ولكن فى الحقيقة السابع لهذا الفصل حديث أبى هريرة رضى الله عنه كما فى المتن.

* كذا في (ك) وفى (ط) (لعل ذلك يتمكن من النوم). وقد يكون الصواب: لئلا يتمكن منه النوم، أو يحمل الكلام على أسلوب القلب كقولهم (عرضت الحوض على الناقة).

الصُّفَّة- قال: بينما أنا مضطجعٌ من السَّحَرِ على بطنى إذا رجلٌ يحرِّكني برجله فقال: «إنَّ هذه ضِجعَةٌ يبغُضُها الله» فنظرتُ فإذا هو رسولُ الله ﷺ. رواه أبو داود، وابن ماجه.[٤٧١٩]

٤٧٢٠- * وعن عليٍّ بن شيبان، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن باتَ على ظهرِ بيت ليسَ عليه حجابٌ - وفي رواية: حجارٌ - فقد برئتْ منه الذمَّةُ» رواه أبو داود. وفي «معالم السنن» للخطابي «حجىً».[٤٧٢٠]

٤٧٢١- * وعن جابرٍ، قال: نهى رسولُ الله ﷺ ، أن ينامَ الرجلُ على سطحٍ ليس بمحجورٍ عليه. رواه الترمذي.[٤٧٢١]

الحديث الثامن عن على رضى الله عنه: قوله: «حجاب» «نه»: حجاب هكذا رواه الخطابى فى معالم السنن. وقال: إنه يروى بكسر الحاء وفتحها، ومعناه فيهما الستر. فمن قال بالكسر شبهه بالحجى العقل؛ لأن العقل يمنع الإنسان من الفساد ويحفظه من التعرض للهلاك، فشبه الستر الذى يكون على السطح المانع للإنسان من التردى والسقوط، بالعقل المانع له من أفعال السوء المؤدية إلى الردى. ومن رواه بالفتح فقد ذهب إلى الناحية والطرف، وأحجاء الشىء نواحيه واحدها حجى. وذكر فى جامع الأصول: الذى قرأته فى كتاب أبى داود «وليس عليه حجاب». وفى نسخة أخرى «حجار». أما الحجاب بالباء فهو الذى يحجب الإنسان عن الوقوع. وبالراء يجوز أن يكون جمع حجر وهو ما حجر به من حائط. وذلك أيضًا ما يمنع النائم على السطح من السقوط ويعضد رواية الراء الحديث الذى يليه: «ليس بمحجور عليه».

قوله: «فقد برئت منه الذمة» «قض»: معناه من نام على سطح لاسترة له فقد تصدى للهلاك وأزال العصمة عن نفسه، وصار كالمهدر الذى لاذمة له، فلعله ينقلب فى نومه فيسقط ويموت مهدرًا. وأيضًا فإن لكل من الناس عهدًا من الله تعالى بالحفظ والكلاءة ، فإذا ألقى بيده إلى التهلكة انقطع عهده.

الحديث التاسع والعاشر عن حذيفة: قوله: «ملعون على لسان محمد» «حس»: لعن من

[٤٧١٩] أورده الشيخ الألبانى فى ضعيف ابن ماجه (٨١٦) عن أبى أمامة قال: مر النبى (ﷺ) على رجل نائم فى المسجد، منبطح على وجهه، فضربه برجله وقال: «قم واقعد. فإنها نومة جهنمية» وقال: ضعيف. والحديث فى سنن أبى داود عن يعيش بن طخفة عن أبيه بلفظ المصنف ٥٠٤٠).

[٤٧٢٠] بالرواية الثانية ،والحديث صحيح لغيره.

[٤٧٢١] صحيح (انظر صحيح الجامع) (٦٨٤٧).

٤٧٢٢- * وعن حذيفةَ، قال: ملعونٌ على لسان محمَّدٍ ﷺ مَنْ قعدَ وسْطَ الحَلْقةِ. رواه الترمذي، وأبو داود.[٤٧٢٢]

٤٧٢٣- * وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خيرُ المجالس أوسعُها» رواه أبو داود.[٤٧٢٣]

٤٧٢٤- * وعن جابر بن سمرة، قال: جاءَ رسولُ الله ﷺ وأصحابُه جُلوسٌ، فقال: «مالي أراكم عِزِينَ؟» رواه أبو داود.[٤٧٢٤]

٤٧٢٥- * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا كانَ أحدُكم في الفيءِ فقلَصَ عنه الظلُّ، فصار بعضُه في الشَّمسِ وبعضُه في الظلِّ، فلْيقُمْ» رواه أبو داود.[٤٧٢٥]

٤٧٢٦- * وفي «شرح السنة» عنه قال: «إذا كانَ أحدُكم في الفيءِ فقَلَصَ عنه فليقُمْ؛ فإنَّه مجلسُ الشيطان» هكذا رواه معْمَرٌ موقوفًا.

جلس وسط الحلقة وهذا يتأول على وجهين: أحدهما: أن يأتى حلقة قوم فيتخطى رقابهم ويقعد وسطها ولايقعد حيث ينتهى به المجلس. والثانى: أن يقعد وسط الحلقة فيحول بين الوجوه ويحجب بعضهم عن بعض فيتضررون به. «تو»: المراد منه والله أعلم الماجن الذى يقيم نفسه مقام السخرية ليكون ضحكة بين الناس، ومن يجرى مجراه من المتأكلين بالسمعة والشعوذة.

الحديث الحادى عشر والثانى عشر عن جابر رضى الله عنه: قوله: «عزين» «حس»: قال سفيان: يعنى حلقًا، قال: وروى يحيى عن الأعمش فقال: دخل رسول الله ﷺ المسجد وهم حلق فقال: «ما لى أراكم عزين» أى متفرقين مختلفين لايجمعكم مجلس واحد. وواحد العزين عزة كما يقال [ثبة]* ثبوت وثبات، وهي الجماعات المتميز بعضها عن بعض.

الحديث الثالث عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «فقلص عنه» قلص عنه الظل إذا ارتفع، وقلص الماء فى البئر إذا ارتفع. قوله: «موقوفًا» «تو»: الأصل فيه الرفع وإن لم يرو مرفوعًا؛ لأن الصحابى لا يقدم على التحدث بالأمور الغيبية إلا من قبل الرسول صلوات الله

[٤٧٢٢] وإسناده ضعيف.

[٤٧٢٣] وسنده صحيح.

[٤٧٢٤] وإسناده صحيح، ورواه مسلم أيضًا فى حديث (٢/ ٢٩).

[٤٧٢٥] وإسناده ضعيف.

* ساقطة من (ط).

٤٧٢٧- * وعن أبي أُسيد الأنصاريِّ، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقولُ وهوَ خارجٌ منَ المسجد، فاختلطَ الرجالُ مع النساء في الطريقِ، فقال للنساء: «استأخِرْنَ فإنه ليسَ لكُنَّ أن تحقُقْنَ الطريقَ، عليكنَّ بحافاتِ الطريقِ». فكانت المرأةُ تلْصَقُ بالجدارِ حتى إنَّ ثوبَها ليتعلق بالجدار. رواه أبو داود. والبيهقيُّ في «شعب الإيمان». [٤٧٢٧]

٤٧٢٨- * وعن ابن عمَرَ: أنَّ النبيَّ ﷺ نهى أنْ يمشيَ - يعني الرجلَ- بين المرأتينِ. رواه أبو داود. [٤٧٢٨]

٤٧٢٩- * وعن جابرِ بن سمرةَ، قال: كنَّا إذا أتينا النبيَّ ﷺ جلسَ أحدُنا حيثُ ينتهي. رواه أبو داود. [٤٧٢٩]

وذكر حديثا عبد الله بن عمْرو في «باب القيام».

وسنذكر حديث عليٍّ وأبي هريرةَ في «باب أسماءِ النبيِّ ﷺ وصفاته» إن شاءَ اللهُ تعالى.

الفصل الثالث

٤٧٣٠- * عن عمْرِو بن الشَّريدِ، عن أبيه، قال: مَرَّ بي رسولُ الله ﷺ وأنا

عليه، لا سيما وقد وردت به الروايات من غير هذا الوجه عنه ﷺ. والحق الأبلج فيه وفى أمثاله التسليم لنبى الله ﷺ فى مقاله؛ فإنه يعلم ما لا يعلم غيره ويرى ما لايرى غيره.

الحديث الرابع عشر إلى السادس عشر عن أبى أسيد: قوله: «فاختلط» مسبب عن محذوف هو القول، أى يقول: كيت وكيت، فاختلط الرجال مع النساء، فقال للنساء.... إلى آخره. فالفاء فى «فاختلط» مسبب عن قوله: «يقول» وفى «فقال» عن «اختلط». وقوله: «أن تحققن» «نه»: أى أن تركبن حقها وهو وسطها. يقال: سقط على حاق القفار وحقه. والحاقة الناحية، وعينها واو بدليل قولهم فى تصغيرها حويقة.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثانى عن عمرو: قوله: «على ألية يدى» الألية اللحمة التى فى أصل

[٤٧٢٧] حسن انظر صحيح أبى داود (٤٣٩٢) والصحيحة (٨٥٦).

[٤٧٢٨] إسناده ضعيف.

[٤٧٢٩] انظر صحيح أبى داود (٤٠٤٠).

جالسٌ هكذا وقد وضعتُ يديَ اليسرى خلفَ ظهري واتكأت على ألْيةِ يدي. قال: «أتقعدُ قعدةَ المغضوبِ عليهم؟» رواه أبو داود. [٤٧٣٠]

٤٧٣١- * وعن أبي ذرٍّ، قال: مرَّ بي النبيُّ وأنا مضطجعٌ على بطنى فركضنى برجله وقال: «يا جندب! إنما هيَ ضِجْعَةُ أهلِ النار» رواه ابنُ ماجه. [٤٧٣١]

(٦) باب العطاس والتثاؤب

الفصل الأول

٤٧٣٢- * عن أبي هريرة، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنَّ اللهَ يُحبُّ العُطاسَ ويكره التَّثاؤبَ، فإذا عطسَ أحدُكم وحمِدَ اللهَ كانَ حقّاً على كلِّ مسلمٍ سمعَه أن يقولَ له: يرحمُكَ اللهُ. فأمَّا التَّثاؤبُ فإنما هوَ من الشَّيطان، فإذا تثاءَبَ أحدُكم فليرُدَّه ما استطاعَ، فإنَّ أحدكم إذا تثاءَبَ ضحكَ منه الشيطانُ» رواه البخاري. وفي رواية لمسلم: «فإنَّ أحدكم إذا قال: ها؛ ضحكَ الشيطانُ منه»

الإبهام. والمراد بالمغضوب عليهم اليهود، وفى التخصيص بالذكر فائدتان: إحداهما: أن هذه القعدة مما يبغضه الله تعالى،وإن المسلم ممن انعم الله عليه، فينبغى أن يجتنب التشبه بمن غضب الله عليه ولعنه.

باب العطاس والتثاؤب

«مح»: وقع فى بعض النسخ تثاءب بالمد وفى أكثرها تثاوب بالواو. قال القاضى عياض: قال ثابت: لا يقال تثاءب بالمد مخففا بل تثأب بتشديد الهمزة. قال ابن دريد: أصله من تثأب الرجل بالتشديد فهو مثوب إذا استرخى وكسل. وقال الجوهرى: يقال: تثاءبت بالمد مخففًا على تفاعلت، ولا يقال: تثاوبت والاسم منه الثوباء ممدودة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ويكره التثاؤب» «قض»: التثاؤب

[٤٧٣٠] صحيح،انظر صحيح أبى داود (٤٠٥٨).

[٤٧٣١] صحيح،انظر صحيح ابن ماجه (٣٠٠١) ولفظه «ياجنيدب إنما هذه ضجعة أهل النار».

٤٧٣٣- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا عطسَ أحدُكم فلْيقلِ: الحمدُ لله، وليقُل له أخوه- أو صاحبُه- : يرحمكَ اللهُ. فإذا قال له: يرحمكَ الله، فلْيقُلْ: يهديكم اللهُ ويصلحُ بالكم» رواه البخاري.

٤٧٣٤- * وعن أنسٍ، قال: عطسَ رجُلان عندَ النبيِّ ﷺ، فشمَّتَ أحدهما ولم يشمّت الآخرَ. فقال الرجلُ: يا رسولَ الله! شمَّتَّ هذا ولم تشمّتني قال: «إنَّ هذا حمِدَ اللهَ، ولم تحمَدِ اللهَ» متفق عليه.

بالهمزة التنفس الذى ينفتح منه الفم، وهو إنما ينشأ من الامتلاء وثقل النفس وكدورة الحواس ويورث الغفلة والكسل وسوء الفهم، ولذلك كرهه الله تعالى وأحبه الشيطان وضحك منه. والعطاس لما كان سببًا لخفة الدماغ واستفراغ الفضلات عنه وصفاء الروح وتقوية الحواس كان أمره بالعكس. «خط»: صار العطاس محمودًا؛ لأنه يعين على الطاعات، والتثاؤب مذمومًا؛ لأنه يثنيه عن الخيرات فالمحبة والكراهة تنصرف إلى الأسباب الجالبة لهما. وإنما أضيف إلى الشيطان؛ لأنه هو الذي يريد للنفوس شهوتها، فإذا قيدها يعنى إذا بالغ فى التثاؤب ضحك الشيطان فرحًا بذلك. وقيل : ما تثاءب نبى قط. قوله: «سمعه» «حس»: فيه دليل على أنه ينبغى أن يرفع صوته بالتحميد حتى يسمع من عنده ويستحق التشميت.

قوله: «وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان» هذا القيد يؤذن بأن العطاس من الله تعالى وهو نعمة سنية؛ لأنها المؤدية إلى الطاعات، فتستدعى الحمد عليها وعلى من سمع إرشاده إلى ما يزلفه إلى رحمة الله تعالى من الطاعات. وعليه أن يكافئه بالدعاء بالهداية وإصلاح شأنه وحاله بالتوفيق فى أمور الدين والدنيا.

«مح» : اتفقوا على أنه يستحب للعاطس أن يقول عقيب عطاسه: الحمد لله، فلو زاد «رب العالمين» لكان أحسن. ولو قال: الحمد لله على كل حال كان أفضل. ويستحب للسامع أن يقول له: يرحمك الله أو رحمك الله أو رحمكم الله أو يرحمكم الله. وللعاطس: يهديكم الله ويصلح بالكم أو يغفر الله لنا ولكم. وقول السامع: يرحمك الله سنة على الكفاية، لو قاله بعض الحاضرين أجزأ عنهم، ولكن الأفضل أن يقول كل واحد منهم لظاهر قوله: «كان حقا على كل مسلم سمعه». هذا على مذهب الشافعى، ومذهب مالك فى التشميت اختلاف فى أنه واجب أو سنة. انتهى كلامه. فمن نظر إلى ظاهر قوله: «حقا» أوجبه. ومن جعله من جملة ما فى قوله ﷺ: «حق المسلم على المسلم ست» جعله سنة.

٤٧٣٥- * وعن أبي موسى، قالَ: سمعتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «إذا عطسَ أحدكم فحمِدَ اللهَ فشمِّتوه، وإنْ لم يحمَدِ اللهَ فلا تشمِّتوه» رواه مسلم.

٤٧٣٦- * وعن سلمةَ بنِ الأكوعِ، أنَّه سمعَ النبيَّ ﷺ وعطسَ رجلٌ عندَه، فقال له: «يرحمكَ اللهُ» ثمَّ عطسَ أخرى، فقال: «الرجلُ مزكومٌ» رواه مسلم وفي رواية للترمذي أنَّه قال له في الثالثة: «إنَّه مزكومٌ».

٤٧٣٧- * وعن أبي سعيد الخدريِّ، أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «إذا تثاءَبَ أحدكم فليُمْسكْ بيدِهِ على فمه، فإنَّ الشيطانَ يدخلُ» رواه مسلم.

الحديث الثانى إلى الرابع عن أبى موسى: قوله: «فشمتوه» «قض»: تشميت العاطس أن يقال له: يرحمك الله. وكان أصله إزالة الشماتة فاستعمل للدعاء بالخير لتضمنه ذلك. «حس»: فيه بيان أن العاطس إذا لم يحمد الله لايستحق التشميت. قال مكحول: كنت إلى جنب ابن عمر فعطس رجل من ناحية المسجد، فقال: يرحمك الله إن كنت حمدت الله. فقال الشعبى: إذا سمعت الرجل يعطس من وراء جدار فحمد الله فشمته. وقيل: قال إبراهيم : إذا عطست فحمدت وليس عندك أحد قل: يغفر الله لى ولكم؛ فإنه يشمتك من سمعك.

الحديث الخامس والسادس عن سلمة: قوله: «فقال» الظاهر أن يقال: «يقول له»؛ لأنه حال النبى ﷺ، **الكشاف**[1] فى قوله تعالى: ﴿**إننا سمعنا مناديًا ينادى**﴾[2]. تقول : سمعت زيدا يتكلم فتوقع الفعل عليه، وتحذف المسموع وتجعله حالا له فأغناك عن ذكره. فإذا مقتضى الكلام أن يقال: سمعت النبى ﷺ فشمته فقال . . . . فلا إشكال حينئذ.

قوله: «إنه مزكوم» كذا فى نسخ المصابيح، وفى جامع الأصول عن الترمذي: أنت مزكوم. «مح» : يعنى أنك لست ممن يشمت بعد هذا؛ لأن هذا الذى بك مرض. فإن قيل: فإذا كان مريضًا فكان ينبغى أن يدعى له؛ لأنه أحق بالدعاء من غيره. فالجواب أنه يستحب أن يدعى له لكن غير دعاء العاطس، بل دعاء المسلم للمسلم بالعافية والسلامة ونحو ذلك. ولا يكون من باب التشميت.

---

(١) الكشاف: ١/ ٢٣٧.

(٢) آل عمران: ١٩٣

الفصل الثاني

٤٧٣٨- * عن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ إِذا عطسَ غطّى وجهَه بيدِه أو ثوبِه، وغضَّ بها صوتَه. رواه الترمذي، وأبو داود. وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ حسنٌ صحيح. [٤٧٣٨]

٤٧٣٩- * وعن أبي أيوبَ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا عطسَ أحدكم فلْيقلْ: الحمدُ لله على كلِّ حال، وليقلِ الذي يردُّ عليه: يرحمُكَ الله، وليقُل هوَ: يهديكم اللهُ ويصلحُ بالكم» رواه الترمذي، والدارمي. [٤٧٣٩]

٤٧٤٠- * وعن أبي موسى، قال: كانَ اليهودُ يتعاطسونَ عندَ النبيِّ ﷺ يرجونَ أن يقولَ لهم: يرحمكم اللهُ، فيقول: «يهديكم اللهُ ويصلح بالكم» رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٧٤٠]

٤٧٤١- * وعن هلالِ بن يساف، قال: كنَّا مع سالمِ بن عبيد، فعطسَ رجلٌ من القومِ، فقال: السلام عليكم. فقال له سالم: وعليك وعلى أُمكَ. فكأنَّ الرجلَ وجَدَ في نفسِه، فقال: أَما إِني لم أَقُلْ إِلا ما قال النبيُّ ﷺ إِذ عطسَ رجلٌ عندَ النبيِّ ﷺ

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «غطى وجهه» «تو»: هذا نوع من الأدب بين يدى الجلساء وذلك؛ لأن العاطس لا يأمن عند العطاس ما يكرهه الراؤون من فضلات الدماغ. «نه»: غض صوته أى خفضه ولم يرفعه بصيحة.

الحديث الثانى والثالث عن أبى موسى: قوله: «يرجون» لعل هؤلاء هم الذين عرفوه حق معرفته، لكن منعهم عن الإسلام إما التقليد وإما حب الرياسة، وعرفوا أن ذلك مذموم فتحروا أن يهديهم الله تعالى ويزيل عنهم ذلك ببركة دعائه صلوات الله عليه.

الحديث الرابع إلى السادس عن هلال: قوله: «وجد فى نفسه» أى حزن. الجوهرى: وجد

[٤٧٣٨] إسناده جيد.

[٤٧٣٩] حديث جيد.

[٤٧٤٠] إسناده جيد.

فقال: السلام عليكم، فقال النبيُّ ﷺ: «عليكَ وعلى أُمِّكَ، إذا عطسَ أحدكم فليقلْ: الحمدُ لله ربِّ العالمينَ، وليقلْ لهَ من يردُّ عليه: يرحمكَ اللهُ وليقل يغفرُ الله لي ولكم». رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٧٤١]

٤٧٤٢- * وعن عبيدِ بن رفاعة، عن النبيِّ ﷺ قال: «شمِّتِ العاطسَ ثلاثًا فإنْ زادَ فشمِّته، وإنْ شئتَ فلا» رواه أبو داود، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريبٌ.

٤٧٤٣- * وعن أبي هريرةَ، قال: «شمِّتْ أخاكَ ثلاثًا، فإن زاد فهوَ زكامٌ» رواه أبو داود، وقال: لا أعلمُه إلاَّ أنَّه رفع الحديثَ إلى النبيِّ ﷺ. [٤٧٤٣]

الفصل الثالث

٤٧٤٤- (١٣) عن نافع : أنَّ رجلا عطسَ إلى جنب ابن عمَرَ، فقال: الحمدُ لله والسلامُ على رسول الله ﷺ، قال ابنُ عمرَ: وأنا أقولُ : الحمدُ لله والسلامُ على رسولِ الله، وليسَ هكذا. علَّمنا رسولُ الله ﷺ أن نقولَ: الحمدُ لله على كلِّ حالٍ. رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.

عليه في الغضب موجدة ووجدانًا أيضًا، ووجد في الحزن وجدانًا بالفتح. وفي الحديث إذا حمل على الغضب قيل: وجد عليه في نفسه أي لم يظهر الغضب وكظم الغيظ. وإذا حمل على الحزن أي أوقع الحزن في نفسه. «تو»: نبه بقوله: «عليك وعلى أمك» على بلاهته وبلاهة أمه وأنها كانت محمقة فصارا مفتقرين إلى السلام، فيسلمان به من الآفات. «مح»: إذا قال العاطس لفظًا آخر غير الحمد لله لم يستحق التشميت.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن نافع: قوله: «إلى جنب ابن عمر» أي منتهيًا جلوسه إلى جنبه. وقوله: «وأنا أقول» معناه: أنا أقول كما تقول، والحال أنه ليس كذلك؛ لأن شأن العاطس أن يقول: «الحمد لله» كما علمنا رسول الله ﷺ. وقوله: «علمنا رسول الله ﷺ» مستأنف دال على المقدر فهو من باب الرجوع إلى ما هو أحق وأحرى، على طريق إرخاء العنان والتساهل والاجتناب عن التفحش، خلافا لقول سالم: وعليك وعلى أمك، كما مر في الحديث السابق. فإن قلت:

[٤٧٤١] إسناده صحيح.

[٤٧٤٣] حسن انظر (صحيح أبي داود) (٤٢١٠).

(٧) باب الضحك

الفصل الأول

٤٧٤٥- * عن عائشةَ [رضي اللهُ عنها]، قالت: ما رأيتُ النبيَّ ﷺ مستجمِعًا ضاحكًا حتى أرى منه لهَواتِه، إنما كانَ يتبسَّم. رواه البخاري.

٤٧٤٦- * وعن جريرٍ، قال: ما حجَبَني النبيُّ ﷺ منذُ أسلمتُ، ولا رآني إلاَّ تبسَّم. متفق عليه.

٤٧٤٧- * وعن جابر بن سَمُرَةَ، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ لا يقومُ من مصلاَّهُ الذي يصلِّي فيه الصُّبحَ حتى تطلعَ الشَّمسُ، فإذا طلعتِ الشمسُ قامَ، وكانوا يتحدثون فيأخذونَ في أمرِ الجاهليةِ فيضحكونَ، ويبتسم ﷺ. رواه مسلم. وفي رواية للترمذي: يتناشدون الشِّعْرَ.

لم زجر النبى ﷺ فى حديث هلال إذا عطس الرجل وقال: السلام عليكم، وسمى أمه على سبيل الفظاظة وهو جدير بالرفق؟ قلت: لعله قد سمع منه مرارًا التشميت وعدل منه إلى ذلك؛ فلهذا زجره وما كان من ابن عمر ابتداء تعليم وإرشاد.

باب الضحك

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها، قوله: «مستجمعًا» المغرب: استجمع السيل، اجتمع من كل موضع. واستجمعت للمرء أموره، أجمع له ما يحبه. وهو لازم، كما ترى. وقولهم: استجمع الفرس جريا، نصب على التمييز. وأما قول الفقهاء: مستجمعًا شرائط الجمعة، فليس بثبت. انتهى كلامه. فعلى هذا «ضاحكًا» نصب على التمييز، وإن كان مشتقًا، كقولهم: لله درّه فارسًا، أى ما رأيته مستجمعًا من جهة الضحك، يعنى ما رأيته يضحك تامًا مقبلا بكليته على الضحك.

و«اللهوات» جمع لهاة، وهى اللحمات فى سقف أقصى الفم.

الحديث الثانى والثالث عن جابر رضى الله عنه قوله: «لايقوم من مصلاه» مح: فيه استحباب الذكر بعد الصبح، وملازمة مجلسها، ما لم يكن عذر. قال القاضي عياض: وكان السلف يواظبون على هذه السنة، ويقتصرون فى ذلك على الذكر والدعاء حتى تطلع الشمس.

وفيه جواز الحديث بأخبار الجاهلية، وغيرها من الأمم، وجواز الضحك. والاقتصار على التبسم.

الفصل الثاني

٤٧٤٨- * عن عبدالله بن الحارثِ بن جَزْء، قال: ما رأيتُ أحدًا أكثرَ تبسُّمًا من رسول الله ﷺ. رواه الترمذي. [٤٧٤٨]

الفصل الثالث

٤٧٤٩- * عن قتادةَ، قال: سُئِلَ ابن عمرَ: هلْ كانَ أصحابُ رسول الله ﷺ يضحكونَ؟ قال: نعمْ والإيمانُ في قلوبهم أعظمُ من الجبلِ. وقال بلالُ بنُ سعد: أدركتُهم يشتدونَ بين الأغراض، ويضحكُ بعضُهم إلى بعض، فإذا كانَ الليلُ كانوا رُهبانًا. رواه في «شرح السنَّة». [٤٧٤٩]

الفصل الثاني والثالث

الحديث الأول عن قتادة، قوله: «نعم، والإيمان» هو من باب الرجوع، والقول بالموجب، أى نعم كانوا يضحكون، لكن لا يتجاوزون إلى ما يميت قلوبهم، ويتزلزل به إيمانهم من كثرة الضحك، كما ورد : إن كثرة الضحك تميت القلب، نحوه قوله تعالى: **﴿ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين﴾**(١) كأنه قيل: نعم هو أذن، ولكن نعم الأذن.

قوله: «يشتدون» أى يعدون، والشد العدو . و«الغرض» هنا الهدف، ومعناه: أنهم كانوا يعدون بين الغرضين، ويضحك بعضهم إلى بعض. وهذا التأويل موافق لما فى النهاية، في حديث عقبة بن عامر: تختلف بين هذين الغرضين، وأنت شيخ كبير.

وضمن الضحك معنى السخرية، وعداه بإلى، كقوله تعالى: **﴿وإذا خلوا إلى شياطينهم﴾**(٢).

قوله: «رُهبانا» «نه» الرُهبان بضم الراء جمع راهب، كركبان وراكب. «نه»: وقد يقع على الواحد، ويجمع على رهابين. والرهبان من ترك الدنيا، وزهد فيها، وتخلّى عنها، وعزل عن أهلها، وتعمّد مشاقّها.

[٤٧٤٨] انظر صحيح الترمذى ٢٨٨٠.

[٤٧٤٩] رواه أيضًا عبد الرزاق فى مصنفه ٢٠٦٧١، ٢٠٧٩٦ .

(١) التوبة: ٦١ (٢) البقرة: ١٤

(٨) باب الأسامي

الفصل الأول

٤٧٥٠ - * عن أنس ، قال: كان النبي ﷺ في السوق، فقال رجلٌ: يا أبا القاسم؛ فالتفتَ إليه النبيُّ ﷺ، فقال: إنما دعوتُ هذا. فقال النبيُّ ﷺ: «سموا باسمي، ولا تكتنوا بكُنيتي» متفق عليه.

باب الأسامي

الفصل الأول

الحديث الأول والثاني عن جابر: قوله: «ولا تكنوا بكنيتي» اختلفوا فيه على وجوه:

أحدها: أنه لا يحل التكني بأبى القاسم أصلا، سواء كان اسمه محمدًا أو أحمد أو لم يكن له اسم* لظاهر هذا الحديث. وذلك أنه لما كان رسول الله ﷺ يكنى أبا القاسم؛ لأنه يقسم بين الناس من قبل الله تعالى ما يوحى إليه وينزل عليه؛ وينزلهم منازلهم التي يستحقونها في الشرف والفضل وقسم الغنائم. ولم يكن أحد منهم يشاركه فى هذا المعنى، منع أن يكنى به غيره بهذا المعنى، وهو مذهب الشافعى وأهل الظاهر.

«قض» هذا إذا أريد به المعنى المذكور، أما لو كنى به أحد للنسبة إلى ابن له اسمه قاسم، أو للعلمية المجردة جاز. ويدل عليه التعليل المذكور للنهى.

وثانيها: أن هذا الحكم كان في بدء الأمر ثم نسخ، فيباح التكنى اليوم بأبى القاسم لكل أحد، سواء فيه من اسمه محمد أو غيره، وعلته التباس خطابه بخطاب غيره. ودل عليه نهيه فى حديث أنس عقيب ماسمع رجلا يقول: يا أبا القاسم؛ فالتفت إليه النبى ﷺ فقال : إنما دعوت هذا. . . وما روي فى الفصل الثاني عن على رضى الله عنه: «أنه قال: يا رسول الله؛ إن ولد لى بعدك ولد أسميه محمدا وأكنيه بكنيتك، قال: نعم» ، هذا مذهب مالك، وبه قال القاضي عياض، وبه قال جمهور السلف، وفقهاء الأمصار.

وثالثها: أنه ليس بمنسوخ، وإنما كان النهى للتنزيه والأدب لا للتحريم،وهو مذهب جرير.

ورابعها: أن النهى للجمع ولا بأس بالكنية وحدها لمن لا يسمى بواحد من الاسمين . ويدل عليه ما روى عن أبى هريرة: «أن النبى ﷺ نهى أن يجمع أحد بين اسمه وكنيته». ونظيره قوله: «لا تشرب اللبن وتأكل السمك» أى حين شربه فيكون النهى عن الجمع بينهما وهو مذهب جماعة من السلف.

---

* أي لم يكن له اسم من أسماء النبي ﷺ.

٤٧٥١ - * وعن جابر، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «سموا باسمي ولا تكتنوا بكُنيتى، فإنى إنما جُعِلْتُ قاسمًا أقسمُ بينكم». متفق عليه.

٤٧٥٢ - * وعن ابن عمرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ أحبَّ أسمائِكم إلى الله: عبدُ الله ، وعبدالرحمن» رواه مسلم.

٤٧٥٣ - * وعن سَمُرة بن جُنْدُب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُسمينَّ غلامك؛ يسارًا، ولا رَباحًا، ولا نَجيحًا، ولا أفلحَ، فإنَّك تقول: أثَمَّ هوَ؟ فلا يكونُ ، فيقول: لا» رواه مسلم. وفى رواية له، قال: «لا تُسم غلامك رَباحًا ، ولا يسارًا، ولا أفلحَ، ولا نافعًا».

وخامسها: أنه نهى عن التكني بأبي القاسم مطلقا. وأراد المقيد وهو نهي عن التسمية بالقاسم. وقد غير مروان بن الحكم اسم ابنه حين بلغه هذا الحديث فسماه عبدالملك. وكان اسمه القاسم، وكذا عن بعض الأنصار.

وسادسها: أن التسمية بمحمد ممنوعة مطلقا. وجاء فيه حديث عن النبى ﷺ «تسمون أولادكم محمدا ثم تلعنونهم» وكتب عمر إلى الكوفة: لا تسموا أحدًا باسم النبى ﷺ وسببه أنه سمع رجلا يقول لمحمد بن يزيد بن الخطاب: فعل الله بك يا محمد؛ فدعاه عمر رضي الله عنه فقال: «أرى أن رسول الله ﷺ يسب بك؛ والله لا تدعى محمدا ما بقيت. وسماه عبدالرحمن. وهذا أكثره من كلام الشيخ محيي الدين النواوى. وقال أيضًا: أجمعوا على جواز التسمية بأسماء الأنبياء إلا ما قدمناه عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وكره مالك التسمى بأسماء الملائكة كجبريل.

الحديث الثالث عن سمرة: قوله: «لا تسمين» «مح»: قال أصحابنا : يكره التسمى بالأسماء المذكورة فى الحديث وما فـى معناها، وهي كراهة تنزيه لا تحريم . والعلة فيها ما نبه ﷺ بقوله: «أثم هو؟» فيقول: «لا» فكره لشناعة الجواب.

«حس»: معنى هذا أن الناس يقصدون بهذه الأسماء التفاؤل لحسن ألفاظها ومعانيها. وربما ينقلب عليهم ما قصدوه إلى الضد إذا سألوا، فقالوا: أثم يسار أو نجيح؟ فقيل: «لا». فيتطيروا بنفيه، وأضمروا اليأس من اليسر وغيره، فنهاهم عن السبب الذى يجلب سوء الظن والإياس من الخير، قال حميد بن زنجويه: فإذا ابتلى رجل فى نفسه أو أهله ببعض هذه الأسماء فليحوله إلى غيره، فإن لم يفعل وقيل: أثم يسار أو بركة؟ فإن من الأدب أن يقال: كل ما هنا يسر وبركة والحمد لله، ويوشك أن يأتي الذي تريده. ولا يقال: «ليس هنا» ولا «خرج». والله أعلم.

٤٧٥٤ - * وعن جابرٍ، قال: أرادَ النبيُّ ﷺ أن ينهى عن أن يُسمَّى بيَعلى وببركةَ وبأفلحَ وبيسارٍ وبنافعٍ وبنحو ذلك. ثمَّ سكتَ بعدُ عنها، ثم قُبِض ولم ينهَ عن ذلك، رواه مسلم.

٤٧٥٥ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: أخنى الأسماءِ يومَ القيامةِ عندَ الله رجل يُسمَّى ملك الأملاك» رواه البخاري. وفي رواية لمسلم، قال: «أغيظ رجلٍ على الله يومَ القيامةِ وأخبثُه رجلٌ كان يسمَّى ملِكَ الأملاكِ لا مَلِك إلا الله».

الحديث الرابع عن جابر: قوله: «أراد النبي ﷺ أن ينهى» كأنه لما رأى أمارات وسمع ما يشعر بالنهي ولم يقف على النهي صريحًا قال ذلك، وقد نهاه ﷺ في الحديث السابق لسمرة وشهادة الأثبات أثبت.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أخنى الأسماء» قال في أساس البلاغة: الخنى الفحش، وقد خنى عليه أو أخنى عليه في كلامه أفحش عليه. ومن المجاز أخنى عليهم الدهر، بلغ منهم بشدائده وأهلكهم، وأصابهم خنى الدهر. قال لبيد:

فإن هجدنا فقد طال السرى وقدرنا أن خنى الدهر غفل

أقول: لابد في الحديث من الحمل على المجاز؛ لأن التقييد بيوم القيامة مع أن حكمه في الدنيا كذلك؛ للإشعار بترتب ما هو مسبب عنه من إنزال الهوان وحلول العذاب. والرواية الأخرى لمسلم: أخنع اسم عند الله».

قال الشيخ محيي الدين: سأل أحمد بن حنبل أبا عمرو عن «أخنع» فقال: أوضع ،المعنى: أشد ذلا وصغارا يوم القيامة. وقال أبو عبيد: معنى أخنع: أي أقتل. والخنع القتل الشديد. انتهى كلامه. وقوله: «رجل يسمى» خبر «أخنى»ولابد من التأويل ليطابق الخبر المبتدأ وهو على وجهين: أحدهما: أن يقدر مضاف في الخبر أي: اسم رجل. وثانيهما: أن يراد بالاسم المسمى مجازا، أي أخنى الرجال رجل، كقوله تعالى: ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾[1]. وفيه من المبالغة أنه إذا قدس اسمه عما لا يليق بذاته فكأن ذاته بالتقديس أولى. وهذا إذا كان الاسم محكوما عليه بالهوان والصغار، فكيف بالمسمى، وإذا كان حكم المسمى ذلك فكيف بالمسمى، هذا إذا رضي المسمى بذلك الاسم واستمر عليه ولم يبدله. وهذا التأويل أبلغ من الأول وأولى؛لأنه موافق لرواية مسلم: «أغيظ رجل».

---

(١) الأعلى: ١.

قوله: «أغيظ رجل» «قض»: أى أكثر من يغضب عليه غضبا، اسم تفضيل بنى للمفعول كـ «ألوم» أضافه إلى المفرد على إرادة الجنس والاستغراق فيه.

أقول: و«على» هنا ليست بصلة لـ «أغيظ» كما يقال: اغتاظ على صاحبه ويغيظ عليه وهو مغيظ محنق؛ لأن المعنى يأباه كما لا يخفى. ولكن بيان، كأنه لما قيل: أغيظ رجل، قيل: على من؟ قيل: على الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿**هيت لك**﴾[1]. فإن «لك» بيان لاسم الصوت.

«نه»: هذا مجاز الكلام معدول عن ظاهره، فإن الغيظ صفة تعترى المخلوق، عند احتداده يتحرك لها. والله تعالى يتعالى عن ذلك وإنما هو كناية عن عقوبته للمسمى بهذا الاسم، أى أنه أشد أصحاب هذه الأسماء عقوبة عند الله تعالى.

أقول: إن الغيظ والغضب من الأعراض النفسانية لها بدايات وغايات. فإذا وصف الله تعالى بها، يتعين حملها على الغايات من الانتقام بإنزال الهوان وحلول العقاب، لا على بداياتها من التغيير النفسانى، فعلى هذا فى «على» معنى الوجوب أى واجب على الله تعالى على سبيل الوعيد أن يغيظ عليه وينكل به ويعذبه أشد العذاب.

قوله: «ملك الأملاك» «مح»: زاد ابن أبى شيبة فى روايته «لا مالك إلا الله تعالى» قال سفيان: مثل شاهنشاه. قال القاضى عياض: وقع فى رواية «شاه شاه». قال: وزعم بعضهم أن الأصوب شاه شاهان. قال القاضى: فلا ينكر مجئ ما جاءت به الرواية؛ لأن كلام العجم مبنى على التقديم والتأخير فى المضاف والمضاف إليه انتهى كلامه. فيتغير الاعتبار بكون المعنى شاهان شاه. ثم قال القاضى عياض: ومنه قولهم: شاه ملك وشاهان الملوك وكذا ما يقولون: قاضى القضاة. انتهى كلامه. ومما يلحق به «ملك شاه» وتأول بعضهم قوله: «باسم ملك الأملاك» أى يتسمى باسم الله عز وجل كقوله: «الرحمن الجبار العزيز».

«حس»: والذى قاله سفيان أشبه وكل له وجه.

أقول: تأويل الوجه الثانى هو أن يقال: معنى قوله: «يسمى ملك الأملاك» أى يسمى باسم من له هذا الوصف وهو الله تعالى ونظيره قوله تعالى: ﴿**ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم**﴾[2]. إلى آخر الآيات الثلاث. وليس هذا من مقول الكفار وجوابهم، بل جوابهم: «الله» فحسب، يعنى أنك إذا سألت الكفار: من خلق السموات والأرض؟ ينسبون الخلق إلى من هذه صفاته وهو الله تعالى.

ولو شئت قلت: هذه الوجه أبلغ؛ لأنه من باب **الكناية**؛ فإنهم يكنون بأخص أوصاف

---

(١) يوسف: ٢٣ (٢) الزخرف: ٩

٤٧٥٦ - * وعن زينب بنت أبي سَلَمَةَ، قالت: سميت برَّةً، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا تزكوا أنفسكم، الله أعلمُ بأهل البرِّ منكم، سموها زينبَ» رواه مسلم.

٤٧٥٧ - * وعن ابنِ عباسٍ، قال: كانت جوَيرية اسمُها برَّة فحوَّلَ رسولُ الله ﷺ اسمهَا جويرية، وكان يكره أن يقال: خرجَ من عندَ برَّة. رواه مسلم.

٤٧٥٨ - * وعن ابن عمَر، أن بنتًا كانت لعمرَ يقال لها: عاصيةُ، فسماها رسول الله ﷺ جميلةً. رواه مسلم

الرجل عن ذاته والمسمى به،وتنزيله على مانحن بصدده أن يقال: إن هذا الوصف بلغ فى الشهرة وعدم الإلباس بحيث ساوى الموصوف. فإذا أطلق لم يتبادر إلى الذهن غيره ولو احتمل الغير لبطلت المساواة. وأيضًا إذا لم يجز أن يسمى مدلول ملك الأملاك كالرحمن والجبار، فلأن لا يجوز بالدالّ أولى.

وقوله: «لا ملك» استئناف لبيان تعليل تحريم التسمية، فنفى جنس الملاك بالكلية لأن المالك الحقيقى ليس إلا هو، ومالكية الغير عارية له مستردة إلى مالك الملوك، فمن تسمى بهذا الاسم، نازع الله فى رداء كبريائه، واستنكف أن يكون عبدا لله فيكون له الخزى والنكال والإلقاء فى النار. وتحريره أن صفة المالكية مختصة بالله تعالى لا تتجاوز إلى غيره، والمملوكية صفة العبد لا يتجاوز عنها إلى غيرها. ولذلك كان أحب الأسماء إلى الله تعالى: عبدالله وعبد الرحمن ونحوهما؛ لأن من تسمى بها يكون على بصيرة؛ لأنه عرف قدره ولم يتعد طوره؛ وذلك أنه ليس بين الله وبين العبد نسبة إلا العبودية. وماتحقق أحد هذه النسبة حق تحقيقه إلا سيد المرسلين صلوات الله عليه؛ فلذلك وصفه الله تعالى فى مقام القرب وبساط الأنس بقوله: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا**﴾[1] . ورفع روح الله عيسى عليه السلام عن نفسه التهمة بالربوبية بقوله: ﴿**إنى عبد الله**﴾[2]. ونهى أن يقول أحد لمملوكه : عبدى؛ لأن العبودية غاية التذلل لا يستحقها إلا من له غاية العزة والكبرياء، ﴿**وله الكبرياء فى السموات والأرض وهو العزيز الحكيم**﴾[3] ﴿**والله يقول الحق وهو يهدى السبيل**﴾[4].

الحديث السادس والسابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «فحول» «مح»: بين رسول الله ﷺ فى الحديثين نوعين من العلة وهما التزكية وخوف التطير.

الحديث الثامن عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «يقال لها عاصية» «تو»: وإنما كان ذلك منه فى الجاهلية فإنهم كانوا يسمون بالعاصى والعاصية ذهابًا إلى معنى الإباء عن قبول النقائص والرضى بالضيم، فلما جاء الله بالإسلام كره ذلك لهم.

---

(١) الإسراء: ١. (٢) مريم: ٣٠.
(٣) الجاثية: ٣٧. . (٤) الأحزاب: ٤.

٤٧٥٩ - * وعن سهلِ بن سعدٍ، قال: أتى بالمنذربن أبى أُسَيدٍ إلى النبى ﷺ حين وُلد، فوضعه على فخذه فقال: «ما اسمُه؟» قال: فلان. قال: «لا، لكن اسمه المنذر» متفق عليه.

٤٧٦٠ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم عبدي وأمَتي، كلكم عبيدُ الله، وكلُّ نسائكم إماءُ الله، ولكن ليقل: غلامى وجاريتي، وفتايَ وفتاتي، ولا يقل العبدُ: ربي؛ ولكنْ ليقُلْ: سيدي» وفى رواية: «ليقلْ: سيدي ومولايَ» وفى رواية: «لا يقل العبدُ لسيدِه: مولاَي؛ فإن مولاكم الله». رواه مسلم.

قوله: «جميلة» كان من الظاهر أن تسمى بما يقابل اسمها، والمقابل برة وهو أيضًا غير جائز للعلتين السابقتين؛ ولذلك عدل إلى «جميلة» وهى مقابلة لها من حيث المعنى؛ لأن الجميل لا يصدر منه إلا الجميل والبر. «مح»: فيه استحباب تغيير الاسم القبيح كما يستحب تغيير الأسماء المكروهة إلى حسنة.

الحديث التاسع عن سهل: قوله: «ولكن اسمه المنذر» أى لا أرضى له بما سميتموه، ولكن أرضى له أن يكون اسمه المنذر. ولعله ﷺ تفاءل به ولمح إلى معنى التفقه فى الدين فى قوله تعالى: ﴿**فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة ليتفقهوا فى الدين، ولينذروا قومهم**﴾(١).

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لا يقولن أحدكم عبدى» «حس»: قيل: إنما منع أن يقول: ربى؛ لأن الإنسان مربوب متعبد بإخلاص التوحيد فكره المضاهاة بالاسم لئلا يدخل فى معنى الشرك. والعبد والحر فيه بمنزلة واحدة، ولم يمنع العبد أن يقول: سيدى ومولاى؛ لأن مرجع السياد إلى معنى الرئاسة له وحسن التدبير لأمره؛ ولذلك سمى الزوج سيدا، وقيل فى كراهة هذه الأسماء: هو أن يقول ذلك على طريق التطاول على الرقيق والتحقير لشأنه. وإلا فقد جاء به القرآن قال تعالى: ﴿**والصالحين من عبادكم وإمائكم**﴾(٢). وقال: ﴿**عبدا مملوكا لا يقدر على شئ**﴾(٣). وقال: ﴿**اذكرنى عند ربك**﴾(٤) وقال أيضًا: ﴿**سيدها لدى الباب**﴾(٥). ومعنى هذا راجع إلى البراءة من الكبر والتزام الذل والخضوع، فلم يحسن لأحد أن يقول: فلان عبدى، بل يقول: فتاى، وإن كان قد ملك فتاه ابتلاء وامتحانا من الله تعالى لخلقه، كما قال تعالى: ﴿**وجعلنا بعضكم لبعض فتنة**﴾(٦). وعلى هذا امتحان الله تعالى أنبياءه وأولياءه، (ابتلى)* يوسف عليه السلام بالرق.

---

(١) التوبة: ١٢٢. (٢) النور: ٣٢.
(٣) النحل: ٧٥. (٤) يوسف: ٤٢.
(٥) يوسف: ٢٥. (٦) الفرقان: ٢٠.
* كذا بالأصل (ط) و (ك).

٤٧٦١ - * وعنه، عن النبى ﷺ، قال: «لا تقولوا: الكرمَ؛ فإن الكرمَ قلبُ المؤمنِ» رواه مسلم.

٤٧٦٢ - * وفى رواية له عن وائلِ بن حُجرٍ، قال: «لا تقولوا: الكرمُ؛ ولكن قولوا: العنبُ والحبَلَةُ».

٤٧٦٣ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسموا العنبَ الكرمَ، ولا تقولوا: يا خيبةَ الدَّهر، فإن الله هو الدهرُ» رواه البخارى.

«مح»: قالوا إنما كره للملوك أن يقول لمالكه ربى؛ لأن فيه إيهام المشاركة لله تعالى. وأما حديث: «حتى يلقاها ربها فى الضالة» وحديث «رب الصريمة» ومافى معناهما، فإنما استعمل؛ لأنها غير مكلفة فهي كالدار والمال. ولا كراهة أن يقول: رب المال والدار. وأما قول يوسف عليه السلام: ﴿اذكرنى عند ربك﴾[1] و ﴿إنه ربى أحسن مثواى﴾[2] ففيه جوابان: أحدهما: أنه خاطبه بما يعرفه وجاز ذلك للضرورة. وثانيهما: أن هذا منسوخ في شرعنا.

الحديث الحادى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لا تقولوا: الكرم» «مح» قال أهل اللغة: يقال رجل كرم وامرأة كرم ورجلان كرم ورجال كرم ونسوة كرم، كله بفتح الراء وإسكانها بمعنى كريم، وصف بالمصدر كعدل وضيف. قوله: «الحبلة» «نه»: هى بفتح الحاء والباء وربما سكنت وهو الأصل و القصيب من شجر الأعناب. أراد أن يقرر ويشدد ما فى قوله تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[3]. بطريقة أنيقة ومسلك لطيف، فبصر أن هذا النوع من غير الأناسى المسمى بالاسم المشتق من الكرم. أنتم أحقاء بأن لا تؤهلوه بهذه التسمية ولا تسلموها له غيرة للمسلم التقى ورفعة لمنزلته أن يشارك فيما سماه الله تعالى. وليس الغرض حقيقة النهى عن تسمية العنب كرما، ولكن الغرض بيان أن المستحق للاسم المشتق من الكرم المسلم، ونظيره فى الأسلوب قول الله عز وجل: ﴿صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة﴾[4].

أقول: وتلخيص المعنى تخطئة رأى من سمى العنب بالكرم؛ نظرا إلى أنه تتخذ منه الخمر، وشربها يولد الكرم، وتسفيههم فيها؛ لأنها أم الخبائث والرجس الذى هو من عمل الشيطان؛ وتصويب رأي من رأى استحقاق هذا بقلب المؤمن الطاهر عن أوضار الرجس والآثام، وأنه معدن مكارم الأخلاق ومنبعها ومركز التقوى، فهو أولى وأحرى أن يسمى كرما قال تعالى: ﴿فإنها من تقوى القلوب﴾[5]. وقال: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾[6]، كأنه ﷺ نبه

---

(١) يوسف: ٤٢. (٢) يوسف: ٢٣.
(٣) الحجرات: ١٣. (٤) البقرة: ١٣٨
(٥) الحج: ٣٢. (٦) الحجرات: ١٣

٤٧٦٤ - وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يسب أحدكم الدهرَ، فإنَّ الله هوَ الدهرُ» رواه مسلم.

٤٧٦٥ - * ، وعن عائشةَ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يقولنَّ أحدُكم: خَبُثَتْ نفسي، ولكن ليقلْ: لقسَتْ نفسي» متفق عليه.

وذكر حديثَ أبى هريرة: «يؤذينى ابنُ آدمَ» فى «باب الإيمان».

المسلمين على التحلى بالتقوى والتزيى به، وأنه رأس مكارم الأخلاق لا ما ذهب إليه أهل الجاهلية، وهو من باب **المشاكلة**، كقوله تعالى: ﴿**صبغةالله**﴾(١) فإن النصارى كانوا يغمسون أولادهم فى ماء أصفر يسمونه بالمعمودية ، يقولون: هو تطهير لهم، فقيل للمسلمين: قولوا: ﴿**آمنا بالله**﴾(٢) إلى قوله: ﴿**صبغة الله**﴾(١) أى قولوا : صبغنا الله بالإيمان صبغته ولم يصبغ صبغتكم التى هى النجاسة لا الطهر.

الحديث الثانى عشر والثالث عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ياخيبة الدهر»«الخيبة» الحرمان والخسران، وقد خاب يخيب ويخوب، وهو **من إضافة المصدر إلى الفاعل**. ومايتعلق بالحديثين مضى بحثه مستوفى فى كتاب الإيمان.

الحديث الرابع عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «لقستْ» «نه»: أى غثت واللقس الغثيان، وإنما كره «خبثت» هربًا من لفظ الخبث والخبيث، واللقس أيضًا السيء الخلق، وقيل: الشحيح، ولقست نفسه إلى الشيء إذا حرصت عليه ونازعته عليه.

«مح»: إنما كره لفظ الخبث لشناعته، وعلمهم الأدب فى الألفاظ واستعمال أحسنها وهجران قبيحها، فإن قيل : قد قال ﷺ فى الذى ينام عن الصلاة «فأصبح خبيث النفس كسلان» والجواب أنه ﷺ مخبر هناك عن صفة غيره، وعن شخص مبهم مذموم الحال.

«تو»: وكم مثل ذلك فى السنن، ،نهى عن لعن المسلم أشد النهى، ثم قال: «لعن الله من تولى غير مواليه»، وقال« لعن الله من سرق منار الأرض»، وأمثال ذلك مما كان القصد فيه الوعيد والزجر لا اللعن لمسلم بعينه.

أقول: ويمكن أن يقال: إنه ﷺ نهى الشخص أن ينسب إلى نفسه الخبث،فإنه مذموم لا يحتمل غير الذم، والمراد النهي عن التعرض لما يوصف به من صفة المنافقين من الكسل والرياء، قال تعالى: ﴿**وإذا قاموا الى الصلاة قاموا كسالى يراءون الناس**﴾(٢) .نعم؛ إذا صدر منهم نحو غثيان كنوم أوسهو أو نحو ذلك، يخبرون عن أنفسهم بأنى لقست، فيتدارك ما فات منهم.

---

(١) البقرة:١٣٨ . (٢) البقرة:١٣٦ .
(٣) النساء١٤٢ .

الفصل الثانى

٤٧٦٦ - * عن شريح بن هانىء، عن أبيه، أنَّه لما وفَدَ إلى رسول الله ﷺ معَ قومِه سمعهم يكنونَه بأبي الحكمِ، فدعاه رسولُ الله ﷺ فقال: «إن الله هوَ الحكَم، وإليه الحُكمُ، فلمَ تُكنَّى أبا الحكم» قال: إنَّ قومى إذا اختلفوا فى شيءٍ أتوني فحكمت بينهم، فرضي كلا الفريقين بحكمي. فقال رسول الله ﷺ: «ما أحسنَ هذا، فما لكَ من الولدِ؟» قال: لي شريح، ومسلم، وعبدُالله. قال: «فمن أكبرهُم» قال: قلتُ: شريحٌ. قال: « فأنت أبو شريحٍ». رواه أبو داود، والنسائى. [٤٧٦٦]

٤٧٦٧ - * وعن مسروق، قال: لقيتُ عمرَ، فقال: مَنْ أنتَ؟ قلتُ: مسروقُ بنُ الأجدعِ. قال عمَرُ: سمعتُ رسول الله ﷺ يقولُ: «الأجدَعُ شيطانٌ». رواه أبو داود وابن ماجه. [٤٧٦٧]

الفصل الثانى

الحديث الأول عن شريح: قوله «إن الله هو الحكم» **عرف الخبر وأتى بضمير الفصل فدل على الحصر**، وأن هذا الوصف مختص به لا يتجاوزه إلى غيره، أى منه الحكم وإليه ينتهى الحكم. «حس» : الحكم هو الحاكم الذى إذا حكم لا يرد حكمه، وهذه الصفة لا تليق لغير الله تعالى، ومن أسمائه «الحكم». انتهى كلامه.

ولما لم يطابق جواب أبى شريح هذا المعنى ،قال ﷺ على ألطف وجه وأرشقه ردًا عليه ذلك: «ما أحسن هذا » لكن أين ذلك من هذا فاعدل عنه إلى ما هو يليق بحالك من التكنى بالأبناء، وهو من باب **الرجوع** والتنبيه إلى ما هو أولى به وأليق بحاله.

والكنى على أنواع يطلق تارة على قصد التعظيم والتوصيف، كأبى المعالى، وأبى الفضائل وأبى الحكم، وللنسبة إلى الأولاد كأبى سلمة وأبى شريح وإلى ما لا يلابسه كأبى هريرة؛ فإنه رُئى ومعه هرة فكنى بذلك، وللعلمية الصرفة كأبى عمرو وأبى بكر.

«حس»: فيه أن الأولى أن يكنى الرجل بأكبر بنيه فإن لم يكن له ابن فبأكبر بناته، وكذلك المرأة بأكبر بنيها، فإن لم يكن لها ابن فبأكبر بناتها.

الحديث الثانى عن مسروق : قوله: «الأجدع شيطان» وهو **استعارة** من مقطوع الأطراف لمقطوع الحجة.

[٤٧٦٦] انظر صحيح أبي داود برقم ٤١٤٥ وانظر النسائى ٥٣٨٧.
[٤٧٦٧] سنن أبي داود ٤٩٥٧ابن ماجه ٣٧٣١ أحمد ١: ٣١ الحاكم ٤: ٢٧٩، وضعفه الألبانى فى ضعيف الجامع برقم (٢٢٧١).

٤٧٦٨ - * وعن أبي الدرداءِ، قال: قال رسول الله ﷺ : «تُدعون يومَ القيامةِ بأسمائكم وأسماءِ آبائكم، فأحسِنوا أسماءكم». رواه أحمد وأبو داود. [٤٧٦٨]

٤٧٦٩ - * وعن أبي هريرة، أن النبى ﷺ نهى أن يجمعَ أحدٌ بين اسمه وكُنيته، ويسمى محمدًا أبا القاسم. رواه الترمذى. [٤٧٦٩]

٤٧٧٠ - * وعن جابرٍ: أن النبيَّ ﷺ قال: «إذا سميتم باسمى فلا تكتنوا بكُنيَتى» رواه الترمذي، وابن ماجه، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. وفى رواية أبى داود، قال: «مَن تسمَّى باسمي، فلا يكتنِ بكُنيتى؛ ومَن تكنَّى بكنيتى، فلا يتسمَّ باسمي». [٤٧٧٠]

٤٧٧١ - * وعن عائشةَ [رضى الله عنها] ، أن امرأةً قالتْ: يا رسولَ الله! إني ولدتُ غلامًا فسمَّيْته محمدًا، وكنَّيته أبا القاسم، فذُكر لي أنَّك تكره ذلكَ، فقال: «ما الذي أحلَّ اسمي وحرَّم كنيتى، أو ما الذي حرَّم كنيتي وأحل اسمي؟». رواه أبو داود. وقال محيي السنة: غريبٌ. [٤٧٧١]

الحديث الثالث والرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «يسمى محمد أبا القاسم»، «محمد» مرفوع على أنه مفعول أقيم مقام الفاعل. كذا فى جامع الترمذى وشرح السنة وأكثر نسخ المصابيح. المعنى يسمى المسمى بمحمد أبا القاسم. وفى جامع الأصول وبعض نسخ المصابيح «محمدا» منصوب فالفعل يكون على بناء الفاعل.

الحديث الخامس والسادس عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «ما الذى حرم كنيتى» فيه تصريح على أن النهى عن الجمع ليس للتحريم بل للتنزيه كما سبق.

[٤٧٦٨] أخرجه ابن عدى ٣: ص٩٥١ ، ٤ ص ٣٥٥ وإسناده ضعيف.

[٤٧٦٩] انظر صحيح الترمذى ٢٢٧٧.

[٤٧٧٠] انظر صحيح الترمذى بنحوه ٢٢٧٨،ابن ماجه ٣٧٣٦.

[٤٧٧١] انظر ضعيف الجامع برقم ٥٠١٧.

٤٧٧٢ - * وعن محمد بنِ الحنفيَّةِ، عن أبيه، قال: قلتُ: يا رسولَ الله! أرأيتَ إنْ وُلد لى بعدَك ولدٌ أسميه باسمك وأُكنيه بكنيتكَ؟ قال: «نعمْ» . رواه أبو داود. [٤٧٧٢]

٤٧٧٣ - * وعن أنسٍ، قال: كنَّانى رسول الله ببقلَةٍ كنت أجتنيها» رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ لا نعرِفه إلا من هذا الوجه. وفى «المصابيح»: صححه.

٤٧٧٤ - * وعن عائشةَ [رضى الله عنها] ، قالتْ: إنَّ النبيَّ ﷺ كانَ يُغيِّرُ الاسمَ القبيحَ. رواه الترمذى. [٤٧٧٤]

٤٧٧٥ - * وعن بشيرِ بن ميمونٍ، عن عمه أسامةَ بن أخدري، أن رجلا يُقال له. أصْرمُ كانَ فى النَّفرِ الذين أتوا رسول الله ﷺ، فقال رسول الله ﷺ: «ما اسمُكَ؟» قال: أصْرمُ قال: «بلْ أنت زُرعةُ». رواه أبو داود. [٤٧٧٥]

٤٧٧٦ - * وقال: وغيَّر النبى ﷺ اسمَ العاص، وعَزيزٍ، وعَتَلَة، وشيطان، والحكَم، وغُرابٍ، وحُباب، وشهاب، وقال: تركت أسانيدها للاختصار. [٤٧٧٦]

الحديث السابع والثامن عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ببقلة» «مظ» يعنى كنت أقلع بقلة اسمها حمزة - بالحاء والزاى - فكنانى رسول الله ﷺ أبا حمزة.

الحديث التاسع والعاشر عن بشير: قوله: «أصرم» الأصرم مأخوذ من الصرم وهو القطع فهو غير مستحسن. والزرعة مأخوذة من الزرع وهو مستحسن.

الحديث الحادى عشر عن أبى داود: قوله: «اسم العاص» «فا»: كره العاصى؛ لأن شعار المؤمن الطاعة. و«العزيز»؛ لأن العبد موصوف بالذل والخضوع، والعزة لله تعالى. و«عتلة»؛ لأن معناها الغلظة والشدة من «عتلته» إذا جذبته جذبًا عنيفًا، والمؤمن موصوف بلين الجانب وخفض الجناح، و«الحكم»؛ لأنه الحاكم ولا حكم إلا الله. و«شهابًا»؛ لأنه الشعلة والنار عقاب الكفار؛ ولأنه يرجم به الشيطان. و«غرابا»؛ لأن معناه البعيد؛* ولأنه من أخبث الطير لوقوعه على الجيف وبحثه عن النجاسة.

[٤٧٧٢] انظر صحيح أبى داود برقم ٤١٥٥.
[٤٧٧٤] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٢٧٥ الصحيحة ٢٠٧ و ٢٠٨.
[٤٧٧٥] انظر صحيح أبى داود برقم ٤١٤٤.
[٤٧٧٦] انظر صحيح أبى داود برقم ٤١٤٦.
* كذا في (ك)، وفي (ط): (البعد).

٤٧٧٧ - وعن أبى مسعودٍ الأنصارىِّ، قال لأبى عبدالله، أو قال أبو عبدالله لأبى مسعود: ما سمعتَ رسول الله ﷺ يقول فى «زعموا؟» قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «بئس مطيَّة الرجل». رواه أبو داود وقال: إن أبا عبدالله، حذيفةُ.[٤٧٧٧]

٤٧٧٨ - وعن حُذيفةَ عن النبى ﷺ قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاءَ فلانٌ ولكن قولوا: ما شاء الله ثمَّ شاءَ فلانٌ». رواه أحمد وأبو داود.[٤٧٧٨]

«حس»: وشيطانًا»؛ لأن اشتقاقه من الشطن وهو البعد من الخير، وهو اسم المارد الخبيث من الإنس والجن. و«حبابا»*؛ لأنه نوع من الحيات، وروى أن الحباب* اسم للشيطان.

قوله: «وقال: تركت أسانيدها» عطف على قوله: «قال وغيّر» وهو قول راوى أبى داود يقول: روى أبو داود أحاديث متعددة بإسناده إلى النبى ﷺ، وفيها أنه ﷺ غير أسامى رجال، ثم عطف أبو داود قوله: وغير.... الخ من حيث المعنى على المذكور. ثم قال: ما ذكرته من التغيير ورد فى أحاديث متفرقة مسندة، وإنى تركت أسانيدها اختصارا، كذا فى شرح السنة وفى سنن أبى داود: قال أبو داود سليمان بن الأشعث: وغير النبى ﷺ ... وفى المصابيح: وروى أنه ﷺ غير اسم العاص.... ولعله سهو من الناسخ.

الحديث الثانى عشر عن أبى مسعود: قوله: «فى زعموا» أى فى شأن «زعموا» أو أمره، أى هل كان يرضى به قولا أو لم يرض، ولابد من هذا التأويل؛ ليدخل فى باب تغيير الألفاظ الشنيعة، ولما لم يرض به ﷺ قال: «بئس مطية الرجل» يعني ينبغى أن لا يكثر الرجل فى كلامه: زعم فلان وفلان كيت وكيت. وينسب الكذب إلى أخيه المسلم، اللهم إذا تحقق وتيقن كذبه، وأراد أن يحترز الناس عنه كما ورد فى كلامه تعالى: ﴿**زعم الذين كفروا**﴾(١)، ﴿**بل زعمتم أن لن نجعل لكم موعدا**﴾(٢)، ﴿**أين شركائي الذين زعمتم**﴾(٣).

«نه» معناه أن الرجل إذا أراد شيئا من المسير إلى بلد والظعن في حاجة، ركب مطية وسار حتى يقضى إربه، فشبه ما يقدمه المتكلم أمام كلامه ويتوصل به إلى غرضه من قوله: زعموا كذا وكذا، بالمطية التى يتوصل بها إلى الحاجة. وإنما يقال: «زعموا» فى حديث لا سند له ولا ثبت فيه، وإنما يحكى على الألسن على سبيل البلاغ، فذم من الحديث ما كان هذا سبيله. والزعم - بالضم- والفتح قريب من الظن.

الحديث الثالث عشر عن حذيفة: قوله: «وشاء فلان»، «حس»: لما كان الواو حرف

[٤٧٧٧] انظر صحيح أبى داود رقم ٤١٥٨، الصحيحة ٨٦٦.

[٤٧٧٨] انظر صحيح أبى داود رقم ٤١٦٦، الصحيحة ١٣٧.

(١) التغابن: ٧ (٢) الكهف: ٤٨ (٣) الكهف: ٥٢

* فى (ط) و(ك): (الجباب) وهو خطأ لأن الحباب يطلق على الحية وعلى الشيطان كما فى اللسان ٧٤٦/٢ ط دار المعارف مادة (حبب).

٤٧٧٩ - * وفى رواية منقطعًا قال: «لا تقولوا: ما شاء الله وشاءَ محمدٌ وقولوا: ما شاءَ اللهُ وحدَه». رواه فى «شرح السنة».[٤٧٧٩]

٤٧٨٠ - * وعنه، عن النبىِّ ﷺ قال: «لا تقولُوا للمنافقِ سَيدٌ، فإنه إن يكُ سيدًا فقد أسخطتُم ربَّكم» . رواه أبو داود. [٤٧٨٠]

الفصل الثالث

٤٧٨١ - * عن عبدِ الحميد بنِ جُبير بن شيبةَ قال: جلستُ إلى سعيد بن المسيِّبِ

الجمع والتشريك، منع من عطف إحدى الشيئين على الأخرى. «نه» : وأمر بتقديم مشيئة الله وتأخير مشيئة من سواه بحرف «ثم» الذى هو للتراخى.

أقول: «ثم» ههنا يحتمل التراخى فى الزمان وفى الرتبة: فإن مشيئة الله تعالى أزلية ومشيئته حادثة تابعة لمشيئة الله تعالى. قال تعالى: ﴿وما تشاءون إلا أن يشاء الله﴾(1). وما شاء الله كان، ومشيئة العبد لم يقع أكثرها، فأين إحداهما من الأخرى؟.

فإن قلت كيف رخص أن يقال: ما شاء الله ثم شاء فلان، ولم يرخص فى اسمه ﷺ حيث قال: «قولوا ما شاء الله وحده»؟.

قلت: فيه وجهان: أحدهما: دفعًا لمظنة التهمة فى قولهم: «ما شاء الله وشاء محمد» تعظيما له ورياء لمنزلته . وثانيهما: أنه رأس الموحدين ومشيئته مغمورة فى مشيئة الله تعالى ومضمحلة فيها.

الحديث الرابع عشر عن حذيفة: قوله: «إن يك سيدا» أى إن يك سيدا لكم، فيجب عليكم طاعته، فإذا أطعتموه فقد أسخطتم ربكم؛ أو لا تقولوا للمنافق سيدًا، فإنكم إن قلتم ذلك فقد أسخطتم ربكم؛ فوضع الكون موضع القول تحقيقا له. وفيه أن قول الناس لغير الله «مولانا» كالحكماء والأطباء داخل فى هذا النهى والوعيد بل هو أشد لورود قوله تعالى «مولانا» فى التنزيل دون السيد.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عبد الحميد : قوله: «بل أنت سهل» أى هذا الاسم غير مناسب لك؛ لأنك حليم لين الجانب ينبغى أن تسمى سهلا.

[٤٨٧٩] ورواه أحمد ٥:٧٢ الحاكم ٣:٤٦٣.

[٤٧٨٠] انظر صحيح الجامع برقم ٤٧٠٥ الصحيحة ٣٧٠.

(1) الإنسان: ٣٠

فحدَّثنى أنَّ جدَّهُ حَزْنًا قدمَ على النبى ﷺ فقال: «ما اسمُك؟» قال: اسمي حَزْنٌ قال: «بل أنت سَهْلٌ» قال: ما أنا بمغيرٍ اسمًا سمانيه أبى. قال ابن المُسيِّب: فما زال فينا الحُزُونة بعدُ . رواه البخاري.

٤٧٨٢ - * وعن أبي وهب الجُشَمىِّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «تسمَّوا بأسماء الأنبياءِ، وأحبُ الأسماءِ إلى الله : عبدالله، وعبدالرحمن، وأصدقُها حارثٌ وهمامٌ، وأقبحها حربٌ ومُرَّة». رواه أبو داود. [٤٧٨٢]

(٩) باب البيان والشعر

الفصل الأول

٤٧٨٣ - * عن ابن عمر، قال: قدم رجلانِ من المشرقِ فخطبا، فَعَجِبَ الناسُ

الحديث الثانى عن أبى وهبٍ قوله: «وأصدقها حارث» «حس»: قيل: إنما صار الحارث وهمام من أصدق الأسماء من أجل مطابقة الاسم معناه؛ لأن الحارث الكاسب؛ قال: حرث الرجل إذا كسب، قال الله تعالى : ﴿منْ كانَ يريدُ حرثَ الآخرة نزدْ لهُ فى حرثه﴾(١). وهمام من هممت بالشيء إذا أردته. وما من أحد إلا وهو فى كسب أو يهم بشيء؛ وإنما صار «حرب» و«مرة» من أقبح الأسماء، لما فى الحرب من المكاره، وفى «مرة» من المرارة والبشاعة.

أقول: أمر أولا بالتسمى بأسماء الأنبياء، فرأى فيه نوع تزكية للنفس وتنويها بشأنها، فنزل إلى قوله: «أحب الأسماء إلى الله: عبدالله، وعبدالرحمن» لأن فيه خضوعا واستكانة على ما سبق. ثم نظر إلى أن العبد قد يقصر فى العبودية، ولم يتمكن من أدائها فلا يصدق عليه هذا الاسم فنزل إلى قوله: «حارث وهمام». والله أعلم.

باب البيان والشعر

«نه» البيان إظهار المعنى المقصود بأبلغ لفظ وهو من الفهم وذكاء القلب، وأصله الكشف والظهور. «غب» : الشعر معروف وشعرت أصبت الشعر، ومنه استعير شعرت كذا أى علمت علما فى الدقة كإصابة الشعر. قيل: وسمى الشاعر شاعرًا لفطنته ودقة معرفته، فالشعر فى الأصل اسم للعلم الدقيق فى قولهم: ليت شعرى. وصار فى التعارف اسما للموزون المقفى من الكلام، والشاعر للمختص بصناعته.

[٤٧٨٢] انظر صحيح أبى داود برقم ٤١٤٠، الصحيحة ٩٠٤ و ١٠٤٠.

(١) الشورى: ٢٠

لبيانِهما، فقال رسول الله ﷺ: «إنَّ من البيانِ لَسِحْرًا». رواه البخاري.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «رجلان من المشرق» قال الميداني: هما الزبرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم. وكذا عن الشيخ التوربشتي.

قوله: «إن من البيان لسحرًا»، «من» للتبعيض والكلام فيه تشبيه، وحقه أن يقال: إن بعض البيان كالسحر ، فقلب، وجعل الخبر مبتدأ مبالغة فى جعل الأصل فرعا والفرع أصلا. ووجه التشبيه يتغير بتغير إرادة المدح والذم.

«حس»: اختلفوا فى تأويله، فمنهم من حمله على الذم، وذلك أنه ذم التصنع فى الكلام والتكلف لتحسينه ليروق للسامعين قوله ويستميل به قلوبهم. وأصل السحر فى كلامهم الصرف، وسمى السحر سحرًا؛ لأنه مصروف عن جهته فهذا المتكلم ببيانه يصرف قلوب السامعين إلى قبول قوله، وإن كان غير حق. أو المراد من صرف الكلام فضله، وما يتكلف الإنسان من الزيادة فيه من وراء الحاجة قد يدخله الرياء ويخالطه الكذب. وأيضا فإنه قد يحيل الشيء عن ظاهره ببيانه ويزيله عن موضعه بلسانه إرادة التلبيس عليهم، فيصير بمنزلة السحر الذي هو تخيل لما لا حقيقة فيه له.

وقيل: أراد به أن من البيان ما يكتسب به صاحبه من الإثم ما يكتسب الساحر بسحره.

وقيل: معناه الرجل يكون عليه الحق، وهو ألحن بحجته من صاحب الحق، فيسحر القوم ببيانه فيذهب بالحق. وشاهده قول النبى ﷺ: «إنكم تختصمون إلىّ ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضى له (على نحو ما أسمع منه)* منه، فمن قضيت له بشيء من حق أخيه فلا يأخذه». الحديث.

وذهب آخرون إلى أن المراد منه مدح البيان، والحث على تحسين الكلام وتحبير الألفاظ؛ لأن أحد القرينين وهو قوله: «إن من الشعر حكمة» على طريق المدح. فكذلك القرين الآخر. وروى عن عمر بن عبدالعزيز أن رجلا طلب إليه حاجة كان يتعذر عليه إسعافه بها، فاستمال قلبه بالكلام، فأنجزها له ثم قال: هذا هو السحر الحلال.

أقول: يمكن أن يجاب عن التمسك بقوله، لأن أحد القرينين وهو قوله : «إن من الشعر حكمة» بأن يقال: إنه رد لمن زعم أن الشعر كله مذموم قبيح، يشهد بذلك التوكيد بـ «إنَ واللام»؛ ولذلك صان الله رسوله ﷺ عن ذلك كله. والنثر كله حسن محمود.

فقيل له: إن بعض البيان كالسحرفى الباطل، وبعض الشعر كالحكمة فى أنه حق؛ يدل عليه قوله: الشعر كلام فحسنه حسن وقبيحه قبيح. والحق أن الكلام ذو وجهين يختلف بحسب

* كذا فى «ك». وهو الأوفق تركيبًا.، وفي ط: (على ما أسمع نحو منه).

٤٧٨٤ - * وعن أبي بن كعبٍ، قال: قالَ رسول الله ﷺ: «إنَّ من الشِّعْرِ حكمةً». رواه البخاري.

٤٧٨٥ - وعن ابن مسعودٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «هلك المتنطعون» قالها ثلاثًا. رواه مسلم.

المغزى والمقاصد؛ لأن مورد المثل على ما رواه الشيخ التوربشتي. وكان هذا القول منه ﷺ عند قدوم وفد بنى تميم، وكان فيهم الزبرقان وعمرو؛ ففخر الزبرقان؛ فقال: يا رسول الله؛ أنا سيد بنى تميم، والمطاع فيهم والمجاب، أمنعهم من الظلم، وآخذ لهم بحقوقهم، وهذا يعلم بذلك فقال عمرو: «إنه لشديد المعارضة، مانع لجانبه، مطاع فى [إذنه]*». فقال الزبرقان: والله يا رسول الله؛ لقد علم منى غير ما قال، وما منعه أن يتكلم إلا الحسد، قال عمرو: أنا أحسدك فوالله إنك للئيم الخال، حديث المال، ضيق العطن، أحمق الولد، مضيع فى العشيرة، والله يا رسول الله؛ لقد صدقت فيما قلت أولا، وما كذبت فيما قلت آخرا، ولكنى رجل إذا رضيت قلت أحسن ما علمت، وإذا غضبت قلت: أقبح ما وجدت ولقد صدقت فى الأولى والأخرى جميعا. قال النبى ﷺ: «إن من البيان لسحرا» قال الميدانى: يضرب هذا المثل فى استحسان المنطق وإيراد الحجة البالغة

الحديث الثانى عن أبى: قوله: «إن من الشعر حكمة»«حس»: معناه: أن من الشعر كلاما نافعا يمنع عن الجهل والسفه، وأصل الحكمة المنع، وبها سميت اللجام حكمة؛ لأنه بها تمنع الدابة، وأراد به ما نظمه الشعراء من المواعظ والأمثال التى ينتفع بها الناس قال الشافعى: والشعر كلام فحسنه [لحسن]** الكلام[1]. وفضله على الكلام أنه سائر، فإذا كان الشاعر لا يعرف بشتم المسلمين وأذاهم، ولا يمدح فيكثر الكذب المحض، ولا يشبب بامرأة بعينها يشهرها بما يشينها فجائز الشهادة، وإن كان على خلاف ذلك لم يجز.

الحديث الثالث عن ابن مسعود: قوله: «المتنطعون» «تو» أرد بهم المتعمقين الغالين فى خوضهم فيما لا يعينهم من الكلام، والأصل فى المتنطع الذى يتكلم بأقصى حلقه مأخوذ من النطع، وهو الغار الأعلى فيه آثار، كالتحرير يخفف ويثقل. وإنما ردد القول ثلاثا تهويلا وتنبيها على ما فيه من الغائلة، وتحريضا على التيقظ والتبصر دونه، وكم تحت هذه الكلمة من مصيبة تعود على أهل اللسان، والمتكلفين فى القول الذى يرومون بسبك الكلام سبى قلوب الرجال، ونسأل الله العافية.

أقول: لعل المذموم من هذا ما يكون القصد فيه مقصورا على مراعاة اللفظ، ويجيء المعنى

---

(١) وفي نسخة بزيادة: «وقبيحه لقبيحه».

(*) الإذن: الإجازة.

** فى «ك»: «حسن» بدون اللام.

٤٧٨٦ - * وعن أبى هريرةَ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أصدقُ كلمةٍقالها الشاعر كلمةُ لبيدٍ: ألا كلُّ شيءٍ ما خلا الله باطلٌ». متفق عليه.

٤٧٨٧ - * وعن عمرو بن الشَّريد، عن أبيه، قال: رَدِفتُ رسولَ الله ﷺ يومًا فقال: «هل معكَ من شِعر أميَّة بنِ أبي الصّلتِ شيءٌ» قلت: نعم. قال: «هيهِ» فأنشدتُهُ بيتًا. فقال: «هيهِ» ثم أنشدته بيتًا فقال: «هيه» حتى أنشدتُه مائةَ بيتٍ. رواه مسلم.

تابعا للفظ، وأما إذا كان بالعكس، وكلام الله تعالى وكلام الرسولﷺ مصبوب فى هذا القالب، فيرفع الكلام إلى الدرجة القصوى؛ قال تعالى: ﴿وجئتك من سبأ بنبأ يقين﴾[(١)].

الكشاف: هذا من جنس الكلام الذى سماه المحدثون **البديع**، وهو من محاسن الكلام الذى يتعلق باللفظ بشرط أن يجيئ مطبوعا، أو يصبغه عالم بجوهر الكلام، يحفظ معه صحة المعنى وسداده .

ولقد جاء هاهنا زائدًا على الصحة فحسن وبدع لفظا ومعنىً، ألا ترى أنه لو وضع مكان «بنبأ» «بخبر» لكان المعنى صحيحًا، وهو كما جاء أصح؛ لما فى «النبأ»من الزيادة التى يطابقها وصف الحال.

وقال أبو الحسين الهروى صاحب دلائل النبوة: اعلم أن التلاؤم يكون بتلاؤم الحروف وتلاؤم الحركات والسكنات وبتلاؤم المعنى ، فإذا اجتمعت هذه الوجوه، خرج الكلام غاية فى العذوبة، وفى حصول بعضها دون بعض انحطاط درجة العذوبة عن الغاية، وسائر أقسام الفصاحة مع عدم التلاؤم يعد تكلفا، وكلما ظهرت الصنعة أكثر كان الكلام أقرب إلى التعسف، وإذا حصل التلاؤم عظم معه يسر الصنعة وشرف تأليف الكلام ووضعه.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «كلمة» «مح»: هى قطعة من الكلام، والمراد بـ «الباطل» الفانى المضمحل، وفى الحديث منقبة للبيد وهو صحابى ، انتهى كلامه. وإنما كان أصدق ؛ لأنه موافق لأصدق الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿كلُّ منْ علَيها فَان﴾[(١)].

الحديث الخامس عن عمرو : قوله «هيه» «نه» هو بمعنى إيه ، فأبدل من الهمزة هاء، وإيه اسم سمى به الفعل والفاعل ومعناه الأمر، تقول للرجل: «إيه» بغير تنوين إذا استزدته من الحديث المعهود بينكما، فإن نونته استزدته من حديث ما غير معهود ؛ لأن التنوين للتنكير. «تو»: قال ابن السكيت: فإن وصلت نونت ، قلت: إيهٍ حديثا. وقول ذى الرُّمة:

---

(١) النمل: ٢٢ (١) الرحمن: ٢٦

٤٧٨٨ - * وعن جُنْدبٍ، أنَّ النبىَّ ﷺ: كان فى بعض المشاهد وقد دَميت أصبعُهُ قال:

هل أنت إلا أصبعٌ دمَيتِ وفى سبيل اللهِ ما لقيتِ

متفق عليه.

وقفنا فقلنا إيه من أم سالم وما بال تكليم الديار البلاقع

فلم ينون وقد وصل ؛ لأنه نوى الوقف وقد ترك ضرورة.

«قض»: أمية بن أبى الصلت ثقفى من شعراء الجاهلية أدرك مبادئ الإسلام، وبلغه خبر المبعث لكنه لم يوفق للإيمان بالرسول ﷺ. وكان رجـلا مترهبا غواصا فى المعانى معتنيا بالحقائق مضمنا لها فى أشعاره ولذلك استنشد شعره.

الحديث السادس عن جندب : قوله : «هل أنت إلا أصبع دميت» هو بفتح الدال، قال فى أساس البلاغة: ودميت يده وأدميتها ودميتها، «قض»: اعترض عليه وعلى أمثاله: لأنها تدل على أنه ﷺ أنشأ الشعر ، وقد نفى الحق سبحانه عنه أن يكون شاعراً فى مواضع كثيرة من كتابه العزيز.

وأجيب عنه بوجوه: الأول: أن المروى عنه من باب الرجز وهو ليس بشعر. والثانى: أن قوله تعالى: ﴿وَمَا علَّمناه الشعْر﴾(١). «وما أنت بشاعر»* ونظائرهما، مسوقة لتكذيب الكفار فيما بهتوه. ولا يقال لمن تفوه ببيت واحد على ندور إنه شاعر. والثالث : أنه لم يقصد بذلك الشعر ولا عمد إلى مراعاة الوزن، لكنه اتفق أن جرى ذلك على لسانه موزونًا، وأمثال ذلك كثير فى القرآن وفى منثورات الفصحاء. لكن لما لم يكن للقائل بها قصد إلى وزن ولا التفات إليه، لم يعد شعراً، ولا القائل بها شاعراً.

أقول: «دميت» صفة «أصبع» والمستثنى منه أعم عام الصفة ، أى ما أنت بإصبع موصوفة بشىء من الأشياء إلا بأن دميت، كأنها لما توجعت وتحرجت، خاطبها على سبيل **الاستعارة** أو الحقيقة معجزة مسليا لها، أى تثبتى على نفسك؛ فإنك ما ابتليت بشىء من الهلاك والقطع، سوى أنك دميت، ولم يكن ذلك هدراً بل كان فى سبيل الله ورضاه، وكان ذلك فى غزوة أحد.

«مح» قال القاضى عياض: وقد غفل بعض الناس وقال: الرواية : «أنا النبى لا كذب» بفتح

---

(١) يٓس: ٦٩.

* كذا في (ك) و (ط).

٤٧٨٩ - * وعن البَراء، قال: قال النبيُّ ﷺ يومَ قريظة لحسانَ بن ثابت: «أُهجُ المشركين، فإنَّ جبريلَ معكَ» وكان رسول الله ﷺ يقولُ لحسانَ: «أجبْ عني، اللهمَّ أيِّده بروح القُدُس». متفق عليه.

٤٧٩٠ - * وعن عائشة [رضى الله عنها] أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أُهجوا قريشًا؛ فإنَّه أشدُّ عليهم من رَشْقِ النَبْلِ». رواه مسلم.

٤٧٩١- * وعنها، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول لحسانَ: «إنَّ روحَ القُدُس لايزال يؤيِّدُكَ ما نافحتَ عن الله ورسوله». وقالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «هجاهُم حسَّانُ فشفى واشتفى». رواه مسلم.

الباء و«أنا ابن عبد المطلب» بالخفض. وكذا قوله: «دميت» من غير مد؛ حرصا منه على أن يغير الرواية فيستغنى عن الاعتذار. وإنما الرواية بإسكان الباء والمد.

الحديث السابع إلى التاسع عن عائشة رضي الله عنها: قوله «من رشق النبل» «مح»: الرشق بفتح الراء الرمي بالسهم، وبالكسر النبل التي ترمى دفعة واحدة. وفيه جواز هجو الكفار وأذاهم ما لم يكن لهم أمان؛ لأن الله تعالى قد أمر بالجهاد فيهم والإغلاظ عليهم؛ لأن في الإغلاظ بيانا لنقصهم والانتصار منهم لهجائهم المسلمين. ولا يجوز ابتداء؛ لقوله تعالى: ﴿ولَا تسبُّوا الذينَ يدعُونَ من دونِ الله فيسبوا الله عدواً بغير علمٍ﴾[1].

قوله: «إن روح القدس لا يزال يؤيدك ما نافحت» وذلك لأن عند أخذه في الهجو والطعن في المشركين وأنسابهم مظنة الفحش من الكلام وبذاءة اللسان، ويؤدي ذلك إلى أن يتكلم بما يكون عليه لا له، فيحتاج إلى التأييد من الله تعالى بأن يقدسه من ذلك بروح القدس وهو جبريل.

«تو»: المعنى أن شعرك هذا الذى تنافح به عن الله وعن رسوله يلهمك المَلَكُ سبيلهُ، بخلاف ما يتقوله الشعراء، إذا اتبعوا الهوى وهاموا في كل واد؛ فإن مادة قولهم من إلقاء الشيطان إليهم.

«نه»: قوله: «نافحت» أى دافعت، والمنافحة المدافعة والمضاربة، ونفحت الرجل بالسيف تناولته به. ويريد بمنافحته هجاء المشركين ومحاربتهم ومجازاتهم على أشعارهم. قوله: «فشفى واشتفى» «تو»*: يحتمل أنه أراد بالكلمتين التأكيد، أى شفى من الغيظ بما أمكنه، ويحتمل أنه أراد شفى غيره واشتفى نفسه.

---

(١) الأنعام:١٠٨

* كذا في (ك)، وفي (ط): (نه).

٤٧٩٢- * وعن البَراءِ، قال: كانَ رسولُ اللهِ ﷺ، ينقُل الترابَ يومَ الخندقِ حتى اغبرَّ بطنُهُ يقول:

واللهِ لولا اللهُ ما اهتدينا	ولا تصدَّقنـا ولا صلَّينا
فأنزلـنْ سكينةً علينـا	وثبِّتِ الأقدام إن لا قينـا
إنَّ الألـى قد بغـوْا علينا	إذا أرادُوا فتنـةً أبَيْنَـا

يرفع بها صوته: «أبَينا أبَينا». متفق عليه.

٤٧٩٣- * وعن أنسٍ، قال: جعل المهاجرونَ والأنصارُ يحفِرونَ الخندَقَ وينقلونَ الترابَ وهم يقولون:

نحن الذينَ بايعوا محمَّدًا	على الجهادِ ما بقينا أبدًا

يقول النبي ﷺ وهو يجيبهم:

«اللهمَّ لا عيشَ إلا عيشُ الآخرة	فاغفر للأنصارَ والمهاجرةَ»

متفق عليه.

الحديث العاشر عن البراء: قوله: «لولا الله» أى لولا هداية الله ما اهتدينا؛ لقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنا لنهتديَ لولا أنْ هَدانَا اللهُ﴾[1] وقوله: «فأنزلن سكينة علينا» مثل قوله تعالى: ﴿فَأنزلَ اللهُ سكينتَهُ على رسُوله وَعَلى المؤْمنين﴾[2]، وقوله: «وثبت الأقدام» من قوله: ﴿وَثبتْ أَقْدامَنا وانصرْنَا عَلَى القَومِ الكَافرين﴾[3]. وقوله: (إن الأولى) إشارة إلى أهل مكة والأحزاب الذين تحزبوا معهم يومئذ. والمراد بالفتنة القتل والنهب والرد إلى الكفر. قال تعالى: ﴿إنْ يثقفوكُمْ يكونُوا لكُمْ أعداءً ويبْسُطوا إليكُمْ أيديهمْ وألسنتهمْ بالسوءِ وَودُوا لو تَكفُرون﴾[4] و«أبينا» أى امتنعنا عن القبول.

«نه»: الإباء أشد الامتناع، انتهى كلامه. والضمير في «بها» راجع إلى الأبيات، و«أبينا أبينا» حال أى خصوصا أبينا أبينا. ويحتمل أن يكون مفعولا مطلقا، وتجوز أن يكون الضمير فى «بها» مبهما مفسرا بقوله: «أبينا أبينا» كقوله تعالى: ﴿كَبرتْ كلمةً تخرُجُ منْ أفواههمْ﴾[5].

---

(١) الأعراف: ٤٣ (٢) التوبة: ٢٦.
(٣) البقرة: ٢٥٠. (٤) الممتحنة: ٢.
(٥) الكهف: ٥

٤٧٩٤- * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لأن يمتلئَ جوفُ رجلٍ قَيْحًا يَرِيه خيرٌ من أن يمتلئَ شِعْرًا». متفق عليه.

الفصل الثاني

٤٧٩٥- * عن كعبِ بنِ مالكٍ، أنَّه قال للنبيِّ ﷺ: «إنَّ اللهَ تعالى قد أنزلَ في

الحديث الحادى عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «لا عيش إلا عيش الآخرة» يعني أنهم إذا وفوا بما عاهدوا الله ورسوله، جازاهم مجازاة ليس بعدها جزاء، ولا يكون ذلك إلا فى الآخرة فاغفر لهم الآن؛ ليكون ذلك سببا للمطلوب.

الحديث الثانى عشر عن أبي هريرة: قوله: «يريه» «فا»:ورى الداء جوفه أفسده، وقيل لداء الجوف وري؛ لأنه داء داخل متوار. ومنه قيل للشمس وار كأن عليها ما تواريه من شعاعه. «نه»: هو من الورى الداء يقال: ورى يوري فهو موري إذا أصاب جوفه الداء. قال الجوهري*: الورى مثل الرمي داء بداخل الجوف، يقال: رجل مورى غير مهموز. وقال الفراء: هو الورى بفتح الراء، وقال ثعلب: هو بالسكون المصدر وبالفتح الاسم. وقال الجوهري: وري بالفتح جوفه يريه وريا أكله. وقال قوم: معناه حتى يصيب رئته، وأنكر غيرهم؛ لأن الرئة مهموزة، وإذا بنيت منه فعلا، قلت: وراه يراه فهو مرئي. وقال الأزهري: إن الرئة أصلها من وري وهي محذوفة. منه تقول: وريت الرجل فهو مورى إذا أصبت رئته، والمشهور في الرئة الهمزة.

«مح» قالوا: المراد منه أن يكون الشعر غالبا عليه مستوليا بحيث يشغله عن القرآن أو غيره من العلوم الشرعية وذكر الله تعالى: وهو مذموم من أى شعر كان، وإلا فلا يضرّه حفظ اليسير من الشعر؛ لأن جوفه ليس ممتلئًا شعرا، وسمى الرجل على أن هذا الذم مخصوص بمعين، وفي رواية أخرى لمسلم كما سيجيء في الفصل الثالث.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن كعب: قوله: «ماأنزل» كأنه لما سمع قوله تعالى: ﴿وَالشعراءُ يَتَّبِعُهمُ الغَاوُونَ﴾ أنكر على نفسه الشعر، وأنه من جملة الغاوين، فقال ما قال، فأجابه ﷺ بأنه ليس

---

(١) الشعراء: (٢٢٤).

* في (ط) (الأزهري).

الشعرِ ما أنزلَ. فقال النبيُّ ﷺ: «إنَّ المؤمنَ يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِه، والذي نفسي بيدِه لكأنَّ ما ترمونهم به نَضْحَ النبل» رواه في شرح السنة. [٤٧٩٥]

وفي «الاستيعاب» لابنِ عبدِ البرّ، أنَّهُ قال: يارسولَ الله ! ماذا ترى في الشِّعْر: فقال: «إنَّ المؤمن يُجاهدُ بسيفِهِ ولسانِه».

٤٧٩٦- * وعن أبي أُمامةَ عن النبيِّ ﷺ قال: «الحياءُ والعِيُّ شُعبتانِ من الإيمانِ، والبَذاءُ والبيانُ شُعبتانِ منَ النِّفاقِ». رواه الترمذي. [٤٧٩٦]

كذلك على الإطلاق؛ فإن ذلك من شأن الهائمين أودية الضلال. وأما المؤمن فهو خارج من ذلك الحكم؛ لأنه إحدى عُدَّتيه في ذب الكفار من اللسان والسنان، بل هو أعدى وأنكى، كما قال ﷺ: فإنه أشد عليهم من رشق النبل. وإليه ينظر قول الشاعر:

جراحات السنان لها التئام ولا يلتام ما جرح اللسان

وقال ابن عبد البر في الاستيعاب عن ابن سيرين: قال: كان شعراء المسلمين[1] حسان بن ثابت وعبدالله بن رواحة وكعب بن مالك، وكان كعب يخوفهم الحرب. قال ابن سيرين: بلغنا أن دوسا إنما أسلمت فرقا من قول كعب بن مالك. واللام في قوله: «لكأنما» زائدة لتأكيد القسم، والتقدير: والذي نفسي بيده إنَّ ما ترمونهم به كنضح النبل؛ لأن أصل «كأن زيدًا الأسد»، أن زيدا كالأسد، فقدم حرف التشبيه اهتمامًا به، يدل عليه ما في المفصل* من قوله: والفصل بينه وبين الأصل، إنك هاهنا بان كلامك على التشبيه من أول الأمر، وثم بعده مضى صدره على الإثبات.

«قض»: الضمير في «به» للشعر، ونضح النبل رميه مستعار من «نضح الماء»، والمعنى: أن هجاهم أثَّر فيهم تأثير النبل، وقام مقام الرمي** في النكاية بهم.

الحديث الثاني عن أبي أمامة: قوله: « الحياءوالعيُّ شعبتان من الإيمان» «قض»: لما كان الإيمان باعثا على الحياء، والتحفظ في الكلام، والاحتياط فيه، عُدَّ من الإيمان، وما يخالفهما من النفاق. وعلى هذا يكون المراد بالعي ما يكون بسبب التأمل في المقال والتحرز عن الوبال،

[٤٧٩٥] شرح السنة ١٢: ٣٧٨ وإسناده صحيح.

[٤٧٩٦] انظر صحيح الجامع رقم ٣٢٠١.

(١) وفي نسخة «السلام» بدل المسلمين.

* في (ط): الفصل، وما أثبتناه من (ك).

** كذا في (ك)، وفي (ط): (النبل).

٤٧٩٧- * وعن أبي ثَعلبةَ الخُشنيِّ، أنَّ رسولَ اللهﷺ قال: «إنَّ أحبَّكُم إليَّ وأقربكم مني يومَ القيامةِ، أحاسنُكم أخلاقاً، وإنَّ أبغضكُم إليَّ وأبعدَكم مني، مَساويكم أخلاقًا، الثرثارون، المتشدِّقون، المتفيهقون. رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٤٧٩٧]

لا لخلل فى اللسان. والبيان ما يكون سببه الاجتراء وعدم المبالاة بالطغيان، والتحرز عن الزور والبهتان. والبذاء: فحش الكلام.

أقول: ويمكن أن يقال: إنه إنما قوبل العيُّ فى الكلام مطلقا بالبيان الذى هو التعمق فى النطق والتفاصح، وإظهار التقدم فيه على الناس مبالغة لذم البيان، وأن هذه النقيصة ليست بمضرة للإيمان مضرة ذلك البيان.

الحديث الثالث عن أبي ثعلبة: قوله: «إن أحبكم إليَّ» «قض»: أفعل التفضيل إذا أضيف على معنى أن المراد به زائد على المضاف إليهم فى الخصلة التي هو وهم متشاركون فيها، جاز فيه الإفراد والتذكير في الحالات كلها؛ وتطبيقها لما هو وصف له لفظا ومعنى، وقد جمع الوجهان في الحديث، فأفرد «أحب وأبغض» وجمع «أحاسن وأساوى» فى رواية من روى «أساويكم» بدل مساويكم، وهو جمع مسوأ كمحاسن جمع محسن، هو إما مصدر ميمى نعت به ثم جمع، أو اسم مكان بمعنى الأمر الذى فيه السوء، فأطلق على المنعوت به مجازا. و«أخلاق» نصب على التمييز.

قال الدارحديثى: وأراد بـ«أبغضكم» بغيضكم وبـ«أحبكم» التفضيل. ولا يكون المخاطبون بأجمعهم مشتركين فى البغض والمحبة، وقال الحاجبي: تقديره: بأحب المحبوبين منكم وأبغض المبغضين منكم. ويجوز إطلاق العام وإرادة الخاص للقرينة.

أقول إذا جعل الخطاب خاصا بالمؤمنين، فكما لايجوز «أبغضكم» لا يجوز «بغيضكم» لاشتراكهم فى المحبة. والقول ما ذهب إليه ابن الحاجب؛ لأن الخطاب عام يدخل فيه البر والفاجر والموافق والمنافق، فإذا أريد به المنافق الحقيقي فالكلام ظاهر، وإذا أريد به غير الحقيقى كما سبق في باب علامات النفاق، فمستقيم أيضا يدل عليه الثرثارون المتشدقون المتفيهقون. وهذا القول أولى والمقام له أدعى للحديث السابق.

وقوله: «الثرثارون» إما بدل من «مساويكم أخلاقا»، فيلزم أن تكون هذه الأوصاف أسوأ الأخلاق؛ لأن المبدل كالتمهيد والتوطئة. وإما رفع على الذم على أنه خبر مبتدأ محذوف، فيكون أبلغ وأشنع.

[٤٧٩٧ شعب الإيمان ٤: ٢٥٠، صحيح الجامع ١٥٣٥، الصحيحة ٧٩١.

٤٧٩٨- * وروى الترمذي نحوه عن جابرٍ، وفي روايته قالوا: يارسول الله! قد علمنا الثرثارونَ والمتشدقون، فما المتفيهقون؟ قال: «المتكبرون». [٤٧٩٨]

٤٧٩٩- * وعن سعدِ بن أبي وقاص قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تقومُ الساعةُ حتَّى يخرجَ قومٌ يأكلونَ بألسنتهم كما تأكل البقرةُ بألسنِتها». رواه أحمد. [٤٧٩٩]

«نه»: الثرثارون هم الذين يكثرون الكلام تكلفا وخروجا عن الحق. والثرثرة كثرة الكلام وترديده. المتشدقون هم المتوسعون فى الكلام من غير احتياط واحتراز. وقيل: المراد بالمتشدق المستهزئ بالناس يلوى شدقه لهم وعليهم. والمتفيهقون هم الذين يتوسعون في الكلام ويفتحون به أفواهم، مأخوذ من الفهق وهو الامتلاء والاتساع، يقال: فهقت الإناء يفهق فهقا، وبئر مفهاق كثيرة الماء.

وقيل : هذا من النكير والرعونة. وزاد فى الفائق والنهاية على هذا: الموطئون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون. قالا: وهذا مثل وحقيقته من التوطئة وهي التمهيد والتذليل، وفراش وطيء، أى لا يؤذى جنب النائم. والأكناف الجوانب، أراد الذين جوانبهم وطيئة يتمكن فيها من يصاحبهم ولا يتأذى.

«مح» : كره التقعر في الكلام بالتشدق وتكلف السجع والفصاحة، والتصنع بالمقدمات التي يعتادها المتفاصحون، وزخارف القول، فكل ذلك من التكلف المذموم، وكذلك التحري فى دقائق الإعراب، ووحشي اللغة في حال مخاطبة العوام، بل ينبغي أن يقصد فى مخاطبته إياهم لفظا يفهمونه فهما جليا. ولا يدخل في الذم تحسين ألفاظ الخطب والمواعظ، إذا لم يكن فيها إفراط وإغراب؛ لأن المقصود منها تهييج القلوب إلى طاعة الله تعالى، ولحسن اللفظ فى هذا أثر ظاهر، هكذا ذكره في الأذكار.

الحديث الرابع عن سعد: قوله: «كما تأكل البقرة بألسنتها» «تو»: ضرب للمعنى مثلا يشاهده الراءون من حال البقر؛ ليكون أثبت فى الضمائر؛ وذلك أن سائر الدواب تأخذ من نبات الأرض بأسنانها، والبقر بلسانها، فضرب بها المثل لمعنيين: أحدهما: أنهم لا يهتدون من المأكل إلا إلى ذلك سبيلا، كما أن البقرة لا تتمكن من الاحتشاش إلا بلسانها. والآخر: أنهم فى مغزاهم ذلك كالبقرة التي لا تستطيع أن تميز في رعيها بين الرطب والشوكة، وبين الحلو والمر، بل تلف الكل(١) بلسانها لفا، فكذلك هؤلاء الذين يتخذون ألسنتهم ذريعة إلى مأكلهم لا يميزون بين الحق والباطل، ولا بين الحلال والحرام، سمَّاعون للكذب أكَّالون للسحت.

[٤٧٩٨] انظر صحيح الترمذى ١٦٤٢، الصحيحة ٧٩١.

[٤٧٩٩] انظر الصحيحة ٤٢٠، شرح السنة ٣٦٨١٢

(١) كذا فى (ك) ، وساقطة من (ط).

٤٨٠٠- * وعن عبدالله بنِ عمر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إنَّ اللهَ يَبغضُ البليغَ مِنَ الرجالِ الذي يتخلَّلُ بلسانِه كما يتخللُ الباقرةُ بلسانها». رواه الترمذي، وأبو داود، وقال الترمذي: هذا حديثٌ غريب. [٤٨٠٠]

٤٨٠١- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «مررْتُ ليلةَ أُسرِيَ بي بقومٍ تُقْرَضُ شفاهُهم بمقاريضَ منَ النّارِ، فقلتُ: ياجبريلُ! مَنْ هؤُلاء؟ قال: هؤلاء خُطباءُ أُمتكَ الذينَ يقولونَ مالا يفعلونَ». رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٤٨٠١]

٤٨٠٢- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ : «مَنْ تعلَّمَ صرفَ الكلامِ ليَسْبي بهِ قُلوبَ الرِّجالِ أو النَّاسِ، لم يقبلِ اللهُ منه يومَ القيامةِ صرفًا ولا عدْلا». رواه أبو داود. [٤٨٠٢]

٤٨٠٣- * وعن عمْرِو بن العاصِ، أنَّه قال يومًا وقامَ رجلٌ فأكثرَ القولَ. فقال عمْرُو: لوْ قصَدَ في قولِه لكانَ خيرًا له، سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «لقدْ رأيتُ- أو أُمرتُ- أنْ أتجوَّزَ في القولِ، فإنَّ الجوازَ هو خيرٌ». رواه أبو داود. [٤٨٠٣]

الحديث الخامس عن عبدالله: قوله: «يتخلل بلسانه» «نه»: هو الذي يتشدق في الكلام ويقحم به لسانه، ويلفه كما تلف البقرة الكلاء بلسانها لفا. «قض»: شبه إدارة لسانه حول الأسنان والفم حال التكلم تفاصحا، بما تفعل البقرة بلسانها. والباقرة جمع البقرة واستعماله بالتاء قليل.

الحديث السادس والسابع عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «صرف الكلام» مضى بيانه فى أول الباب. قوله: «صرفا ولا عدلا» «نه»: الصرف التوبة أو النافلة، والعدل الفدية أو الفريضة.

الحديث الثامن عن عمرو: قوله: «قال عمرو» كذا في سنن أبي داود، وفى بعض نسخ

[٤٨٠٠] انظر صحيح الجامع بنحوه ١٨٧٥، الصحيحة ٨٨٠، وصحيح أبى داود ٤١٨٥.

[٤٨٠١] شعب الإيمان ٤: ٢٥٠ رقم ٤٩٦٦ ، ٤٩٦٧.

[٤٨٠٢] انظر ضعيف الجامع برقم ٥٥٣٨.

[٤٨٠٣] حسن انظر صحيح أبى داود ٤١٨٧ .

٤٨٠٤- * وعن صخرِ بن عبدالله بنِ بُريدةَ، عن أبيه، عن جدِّه، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ منَ البيان سحْرًا، وإنَّ منَ العلمِ جهْلا، وإنَّ من الشِّعرِ حكمًا، وإنَّ من القولِ عيالا». رواه أبو داود. [٤٨٠٤]

المصابيح، وهو تكرار لطول الكلام؛ لأن قوله «لو قصد» هو المقول لقوله: «قال يوما» وقوله: «وقام رجل» حال، فلما وقع بينهما، طال الكلام فأعاد «قال عمرو» ونظيره قول الحماسي:

وإن امرأً دامت مواثيق عهده ... على مثل هذا إنه لكريم

قوله: «لكريم» خبر «إن» الأول، وأعاد «إنه» لطول الكلام.

قوله: «لو قصد» «تو»: أى لو أخذ فى كلامه الطريق المستقيم والقصد ما بين الإفراط والتفريط. ومعنى قوله: «أن أتجوَّز» أى أسرع فيه وأخفف المؤنة عن السامع، من قولهم: تجوَّز فى صلاته أى خفف(١).

الحديث التاسع عن صخر: قوله: «وإن من العلم جهلا» «نه»: قيل هو أن يتعلم من العلوم ما لا يحتاج إليه كالنجوم، وعلم الأوائل، ويدع ما يحتاج إليه في دينه من علم القرآن والسنة، فالاشتغال به يمنعه عن التعلم لما هو محتاج إليه، فيكون جهلا له. قاله الأزهري: وقيل هو أن لا يعمل بعلمه فيكون ترك العمل بالعلم جهلا، ومصداقه قوله تعالى: ﴿مَثَلُ الذينَ حُمِّلُوا التَّوراة ثُمَّ لم يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الحِمَارِ يَحْمِلُ أسفَارًا﴾(٢).

قوله: «وإن من القول عيالا» «نه»: هو عرضك حديثك وكلامكم على من لا يريده، وليس من شأنه، يقال علت الضالة أعيل عيلا إذا لم تدر أى جهة تبغيها، كأنه لم يهتد لمن يطلب كلامه فيعرضه على من لايريده.

أقول: يحتمل أن يراد بالعيال الثقل؛ قال الراغب: العيال جمع عيل؛ لما فيه من الثقل، وعاله تحمل ثقل مؤنته، ومنه العول وهو ما يثقل من المصيبة. انتهى كلامه. فهو يحتمل وجهين: أحدهما: أن يعبر به عن الوبال، كما جاء: أن البلاء موكل بالمنطق. وثانيهما: أراد به الملال، فالسامع أحد الرجلين: إما عالم ولا يريد سماع كلامك فيمل، أو جاهل فلا يفهم ما تقول فيسأم.

[٤٨٠٤] انظر ضعيف الجامع برقم ١٩٨٩.

(١) كذا فى «ك»، وفى «ط» تخفف.

(٢) الجمعة: ٥

الفصل الثالث

٤٨٠٥- * عن عائشةَ، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ يضعُ لحسَّانَ منبرًا في المسجد يقومُ عليه قائمًا، يُفاخِرُ عن رسولِ الله ﷺ، أو يُنافحُ. ويقولُ رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يُؤيِّدُ حسَّانَ بروحِ القدسِ ما نافحَ أوْ فاخرَ عن رسولِ الله ﷺ». رواه البخاري.

٤٨٠٦- * وعن أنسٍ، قال: كانَ للنبيِّ حادٍ يقالُ له: أنجشةُ، وكانَ حسَنَ الصَّوتِ. فقال له النبيُّ ﷺ: «رُويدَكَ يا أنجشة لا تكسرِ القواريرَ». قال قتادةُ: يعني ضعفةَ النساءِ. متفق عليه.

٤٨٠٧- * وعن عائشةَ رضي اللهُ عنها، قالتْ: ذُكِرَ عندَ رسولِ الله ﷺ الشِّعْرُ فقال رسولُ الله ﷺ: «هوَ كلامٌ، فحسَنُه حسنٌ، وقبيحُه قبيحٌ». رواه الدارقطني. [٤٨٠٧]

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «يفاخر عن رسول الله ﷺ» أى لأجله وجهته. و«عن» فيه كما في قوله: «ينهون عن أكل وشرب»، وليس «عن» فيه كما فى قوله: ينافح عن رسول الله ﷺ أى يدافع عنه، قال فى أساس البلاغة: يقال: تفاخرت أنا وصاحبي إلى فلان فأفخرني غلبنى. انتهى كلامه. ويحتمل أن يكون مجازا، أى يذب عن مفاخره وطعنهم فيها.

الحديث الثاني عن أنس رضي الله عنه: قوله: «حاد» قال في أساس البلاغة: حدا الإبل حدوًا وهو حادي الإبل وهم حداتها، وحدا بها حداء إذا غنى لها.

قوله: «بالقوارير»(١). «نه»: أراد به النساء، شبههن بالقوارير من الزجاج؛ لأنه يسرع إليها الكسر. وكان أنجشة يحدو وينشد العريض والرجز، فلم يأمن أن يصيبهن، أو يقع في قلوبهن حداؤه، فأمره بالكف عن ذلك. وفى المثل: الغناء رقية الزنا. وقيل: أراد أن الإبل إذا سمعت الحداء، أسرعت في المشي واشتدت، فأزعجت الراكب وأتعبته، فنهاه عن ذلك؛ لأن النساء يضعفن عن شدة الحركة. وواحدة القوارير قارورة سميت بها؛ لاستقرار الشراب فيها.

أقول: القوارير استعارة لأن المشبه غير مذكور والقرينة حالية لا مقالية، والكسر ترشيح لها، ولما كانت الاستعارة مسبوقة بالتشبيه قال: شبههن .... إلخ.

[٤٨٠٧] الصحيحة ٤٤٨، البيهقى السنن الكبرى ١٠:٢٣٩.

(١) كذا فى النسخ كلها، وأما فى المتن فبغير باء «القوارير» وهو الصحيح المطابق لما فى الأصول.

٤٨٠٨- * وروى الشافعيُّ، عن عروةَ، مرسلا. [٤٨٠٨]

٤٨٠٩- * وعن أبي سعيدٍ الخدريِّ، قال: بيْنا نحنُ نسيرُ معَ رسولِ الله ﷺ بالعَرْجِ إذ عرضَ شاعرٌ يُنشدُ. فقال رسولُ الله ﷺ: «خُذوا الشيطانَ، أو أمسكوا الشيطانَ؛ لأنْ يمتلئَ جوفُ رجلٍ قيحًا خيرٌ له من أنْ يمتلئَ شعْرًا». رواه مسلم.

٤٨١٠- * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ، : «الغناءُ يُنبتُ النّفاقَ في القلبِ كما يُنبتُ الماءُ الزَّرعَ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٤٨١٠]

٤٨١١- * وعن نافعٍ، [رحمه الله]، قال: كنتُ معَ ابن عمرَ في طريقٍ، فسمعَ مِزمارًا، فوضع أصبعيهِ في أُذنيهِ وناءَ عن الطريقِ إلى الجانبِ الآخرِ، ثمَّ قال لي بعدَ أن بعُدَ: يانافعُ! هلْ تسمعُ شيئًا؟ قلتُ: لا، فرفعَ أصبعيهِ منْ أُذنيه، قال: كنتُ معَ رسول الله ﷺ فسمعَ صوتَ يراعٍ، فصنعَ مثلَ ما صنعتُ. قال نافعُ: فكنتُ إذ ذاكَ صغيرًا. رواه أحمد، وأبو داود. [٤٨١١]

الحديث الثالث والرابع عن أبي سعيد: قوله: «بالعَرْج» «مح»: هو بفتح العين المهملة وإسكان الراء، وبالجيم، قرية جامعة من عمل الفرع على نحو ثمانية وسبعين ميلا من المدينة.

قوله: «خذوا الشيطان» أي امنعوه عن إنشاده. ولعله ﷺ لما رآه ينشد الشعر معرضا غير ملتفت إليهم ومبال بهم مستهزءًا بإنشاد الشعر، عرف أن الغالب عليه هو قرض الشعر وأنه مسلوب الحياء، معزول عن الأدب؛ ولذلك أطلق عليه اسم الشيطان. وأتبعه بقوله: «لأن يمتلئ جوف رجل قيحًا» وقد سبق بيانه.

الحديث الخامس عن جابر: قوله: «الغناء ينبت النفاق» يعني الغناء سبب للنفاق ومؤد إليه، وأصله وشعبته، كما قال: «البذاء والبيان شعبتان من النفاق» وهذا تشبيه تمثيلي؛ لأنه منتزع من عدة أمور متوهمة. «حس»: قيل : الغناء رقية الزنا. قال الشافعي: ولو كان يديم الغناء ويغشاه المغنون معلنا، فهذا سفيه ترد شهادته، وإن كان يقل لا ترد.

الحديث السادس عن نافع: قوله: «وكنت إذ ذاك صغيرا» جواب سؤال مقدر يعني ليس لقائل أن يقول: سماع اليراع مباح، والمنع ليس للتحريم بل للتنزيه؛ لأنه لو كان حراما لمنع

[٤٨٠٨] ضعيف لإرساله.

[٤٨١٠] شعب الإيمان ٤:٢٧٩.

[٤٨١١] انظر سنن أبي داود برقم ٤٩٢٤ مج ٤، وقال: هذا حديث منكر.

(١٠) باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

الفصل الأول

٤٨١٢- * عنِ سهلِ بن سعدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ يضمن لي ما بينَ لَحيَيه وما بين رجليه، أضمنْ له الجنَّةَ». رواه البخاري.

أيضا نافعًا عن الاستماع. والجواب أن نافعا لم يبلغ مبلغ التكليف. وإليه الإشارة بقوله: «وكنت إذ ذاك صغيرا» ولو لم يذهب إلى هذه الفائدة، لكان وصفه لنفسه بالصغر ضحكة للساخرين، كما في قولك: «الميت اليهودي لا يبصر». وذكر هذا الحديث بعد السابق مشعر بأن استماع الغناء والمزمار واليراع من باب واحد.

«مح في الروضة»: غناء الإنسان قد يقع بمجرد صوته وقد يقع بآلة، فالأول مكروه وسماعه مكروه وليسا محرمين. وإن كان سماعه من أجنبية فأشد كراهة. والثاني: أن يغنى بعض آلات الغناء مما هو شعار شاربي الخمر، وهو مطرب كالطنبور والعود والصَّنج[1] وسائر المعازف والأوتار، فيحرم استعماله واستماعه.

وفى «اليراع» وجهان: صحح البغوي التحريم، والغزالى الجواز وهو أقرب، وليس المراد من اليراع كل قضيب، بل المزمار العراقي. وما يضرب به من الأوتار حرام بلا خلاف. قال الشيخ محيى الدين النووي: الأصح أو الصحيح تحريم اليراع وهو هذه المزمارة، التى يقال لها الشبابة. وقد صنف الإمام أبو القاسم الدولقي كتابا في تحريم اليراع مشتملا على نفائس، وأطنب في دلائل تحريمه.

«حس»: اتفقوا على تحريم المزامير والملاهي والمعازف، وكان الذى سمع ابن عمر صفارة الرعاة. وقد جاء مذكورا فى الحديث، وإلا لم يقتصر فيه على سد المسامع دون المبالغة فى الردع والزجر. وقد رخص بعضهم فى صفارة الراعى الرعاة*، والله إعلم.

باب حفظ اللسان والغيبة والشتم

الفصل الأول

الحديث الأول عن سهل: قوله: «من يضمن لي» عن بعضهم معناه: من يضمن لى لسانه أى شر لسانه وبوادره، وحفظه عن التكلم بما لا يعنيه ويضره، مما يوجب الكفر والفسوق، وفرجه بأن يصونه من الحرام، أضمن له دخول الجنة. و«لحييه»- بفتح اللام- تثنية لحى، وهما العظمان اللذان ينبت عليهما الأسنان علوا وسفلا.

أقول: أصل الكلام من يحفظ ما بين لحييه من اللسان مما لا يعنيه من الكلام والطعام

---

(١) فى«ط» : الفج، والصواب ما أثبتناه من «ك».   (٢) ساقطة من «ك».

*كذا في (ك)، و(ط).

٤٨١٣- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «إنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ من رضوان الله لا يُلقي لها بالا، يرفعُ اللهُ بها درجات، وإنَّ العبدَ ليتكلمُ بالكلمةِ من سَخَطِ الله لا يُلقي لها بالا، يهوي بها في جهنم». رواه البخاريُّ وفي رواية لهما: «يهوي بها في النارِ أبعدَ ما بينَ المشرقِ والمغرب».

٤٨١٤- * وعن عبدِالله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «سِبابُ المسلمِ فسوقٌ، وقتالُه كفرٌ». متفق عليه.

يدخل الجنة. فأراد أن يؤكد الوعد تأكيدا بليغا فأبرزه في صورة **التمثيل**؛ ليشعر بأنه واجب الأداء، فشبه صورة حفظ المؤمن نفسه مما وجب عليه من أمر رسول اللهﷺ ، ونهيه، وشبه ما يترتب عليه من الفوز بالجنة، وأنه واجب على الله بحسب الوعد أداؤه، وأن رسول الله ﷺ هو الواسطة والشفيع بينه وبين الله تعالى بصورة شخص له حق واجب الأداء على آخر، فيقوم به ضامن يتكفل له بأداء حقه. وأدخل المشبه في صورة المشبه به وجعله فردا من أفراده، ثم ترك المشبه به وجعل القرينة الدالة على ما يستعمل فيه من الضمان نحو قولك للمفتي الذي يتردد في فتواه: أراك أيها المفتي تقدم رجلا وتؤخر أخرى. ونحوه في التمثيل قوله تعالى ﴿إنَّ اللهَ اشْتَرَى مِنَ المؤمِنينَ أنفُسَهُم وأمْوَالَهُم بأنَّ لَهُمُ الجنَّةَ﴾(١) .

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «من رضوان الله» «من» فيه بيانية حال من الكلمة، وكذا قوله «لا يُلقي لها بالا». وقوله: «يرفع الله بها درجات» جملة مستأنفة بيان للموجب، كأنّ قائلا يقول: ماذا يستحق بعد؟ قيل له يرفع الله بها درجات. «نه» : «لا يلقي لها بالا» أي لا يستمع إليه ولا يجعل قلبه نحوه.

قوله : «أبعد» الظاهر أنه صفة مصدر محذوف أي هويا بليغا بعيد المبدأ والمنتهى.

الحديث الثالث عن عبدالله: قوله: «سباب المسلم» «نه»: السب الشتم يقال: سبه يسبه سبا وسبابا. قيل: هذا محمول على من سب أو قاتل مسلما من غير تأويل. وقيل: إنما قال ذلك على جهة التغليظ إلا أن يخرجه إلى الفسق والكفر. «حس»: إذا استباح دمه من غير تأويل، ولم ير الإسلام عاصما له فهو ردة كفر.

أقول: معنى الحديث راجع إلى قوله ﷺ : «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده». وقد تقرر أن المراد بالمسلم هنا الكامل في الإيمان المؤدي لحقوقه بحسب استطاعته. فالنسبة إلى الكفر في هذا الحديث إشارة إلى نقصان إيمانه تغليظا.

---

(١) التوبة: ١١١

٤٨١٥- * وعن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ «أيُّما رجلٍ قال لأخيهِ كافرٌ، فقدْ باءَ بها أحدُهما». متفق عليه.

٤٨١٦- * وعن أبي ذرٍّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يرمي رجلٌ رجلا بالفسوقِ، ولا يرميهِ بالكفرِ إلا ارتدَّتْ عليه إنْ لم يكنْ صاحبُه كذلك» رواه البخاري.

٤٨١٧- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ دعا رجلا بالكفرِ، أو قال: عدوَّ الله وليسَ كذلكَ، إلا حارَ عليهِ». متفق عليه.

«حس»: وفيه دليل على المرجئة الذين لا يرون الطاعة من الإيمان، ويقولون: إن الإيمان لا يزيد بالطاعة ولا ينقص بالمعصية؛ فإنه ﷺ أشار بقوله: «قتاله كفر» إلى أنَّ ترك القتال من الإيمان، وأنَّ فعله ينقص الإيمان.

الحديث الرابع عن ابن عمر: قوله: «فقد باء بها» «نه»: أي التزمها ورجع بها.

أقول: لابد للرجوع والعود من الشيء، فإذا قال القائل لصاحبه: يا كافر! فإن صدق رجع إليه كلمة الكفر الصادر منه مقتضاها، وإن كذب واعتقد بطلان دين الإسلام، رجعت هذه الكلمة الصادرة إلى القائل.

«مح»: هذا الحديث مما عدَّه [بعض][1] العلماء من المشكلات من حيث أن ظاهره غير مراد؛ وذلك أن مذهب أهل الحق أنه لايكفر المسلم بالمعاصي كالقتل والزنا. وقوله لأخيه: «كافر» من غير اعتقاد بطلان دين الإسلام. وإذا تقرر ما ذكرناه فقيل في تأويل الحديث أوجه أحدها: أنه محمول على المستحل لذلك، فعلى هذا معنى «باء بها»: أي بكلمة الكفر أي رجع عليه الكفر. وثانيها: معناه: رجعت عليه نقيصة لأخيه ومعصية تكفيره. وثالثها: أنه محمول على الخوارج المكفرين للمؤمنين. وهذا ضعيف؛ لأن المذهب الصحيح المختار الذي قاله الأكثرون: أن الخوارج كسائر أهل البدع لا يكفر. ورابعها: أن ذلك يؤول به إلى الكفر. وخامسها: معناه فقد رجع إليه تكفيره. وليس الراجع حقيقة الكفر بل التكفير؛ لكونه جعل أخاه المؤمن كافرا، فكأنه كفَّر نفسه، إما لكونه كفَّر من هو مثله، وإما لأنه كفَّر من لا يكفره إلا كافر، يعتقد بطلان دين الإسلام. انتهى كلامه. وفي أكثر الوجوه أحدهما محمول على القائل.

الحديث الخامس والسادس عن أبي ذر: قوله: «إلاحار عليه» «نه»: في باب الحاء المهملة مع الراء حار عليه أي رجع عليه ما نسب إليه، انتهى كلامه. والمستثنى منه محذوف هو جواب الشرط، أي من دعا رجلا بالكفر باطلا، فلا يلحقه من قوله ذلك شيء إلا الرجوع عليه.

---

(١) ساقطة من «ط».

٤٨١٨- * وعن أنس، وأبي هريرة، أن رسول الله ﷺقال: «المستبَّان ماقالا، فعلى البادئ مالم يعتد المظلوم». رواه مسلم.

٤٨١٩- * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «لا ينبغي لصدِّيقٍ أنْ يكونَ لعَّانًا». رواه مسلم.

٤٨٢٠- * وعن أبي الدَّرداءِ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ اللعّانينَ لا يكونونَ شهداءَ ولا شفعاءَ يومَ القيامةِ» رواه مسلم.

٤٨٢١- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا قال الرجلُ: هلكَ النَّاسُ؛ فهوَ أهلكُهم» رواه مسلم.

ويجوز أن تكون «من» استفهامية. وفيه معنى الإنكار أى ما يفعل أحد هذه الفعلة فى حالة من الأحوال إلا فى هذه الحالة.

الحديث السابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ما قالا» يجوز أن تكون «ما» شرطية. وقوله: «فعلى البادئ» جزاؤه، أو موصولة و«فعلى البادىء» خبره، والجملة سببية. ومعناه: إثم ما قالاه على البادىء إذا لم يعتد المظلوم، فإذا تعدى فيكون عليهما، نعم إلا إذا تجاوز غاية الحد، فيكون إثم القولين عليه. «حس»: من أربى الربا من سب سبتين بسبة.

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «لاينبغي لصِدِّيق» حكم مرتب على الوصف المناسب، وذلك أن هذه الصفة تالية صفة النبوة؛ قال الله تعالى: ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللهُ عَلَيْهِم مِنَ النَّبيين والصديقين والشهداء والصالحين﴾[1] والأنبياء إنما بعثوا رحمة للخلق مقربين البعيد والطريد إلى الله تعالى ورحمته، واللاعن طارد لهم وطالب لبعدهم منها، فاللعنة منافية لحاله.

الحديث التاسع عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قوله: «لا يكونون شهداء» يعني في قوله تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس﴾[2] والمراد بالوسط العدل، واللعنة سالبة للعدالة. «ولا شفعاء» أى لا تكون لهم مرتبة الشفاعة؛ لأنهم باللعنة أسقطوا مرتبتهم تلك من الأنبياء.

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «فهو أهلكهم» «نه»: يروى بفتح الكاف وضمها. فمن فتحها كان فعلا ماضيا، ومعناه أن الغالين الذين يؤيِّسون الناس من رحمة

(١) النساء: ٦٩ (٢) البقرة: ١٤٣

٤٨٢٢- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «تجدون شرَّ الناسِ يومَ القيامةِ ذا الوَجهينِ، الذي يأتي هؤلاءِ بوجهٍ، وهؤلاء بوجهٍ». متفق عليه.

٤٨٢٣- * وعن حُذيفةَ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ: يقول: «لا يدخلُ الجنَّةَ قَتَّاتٌ». متفق عليه. وفي رواية مسلم: «نمَّام».

٤٨٢٤- * وعن عبدِ الله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عليكم بالصِّدق فإنَ الصدْقَ يهدي إلى البرِّ، وإنَّ البرَّ يهدي إلى الجنَّةِ، وما يزالُ الرجلُ يصدُقُ ويتحرَّى الصِّدْقَ حتى يُكتبَ عندَ الله صدِّيقًا. وإيَّاكم والكَذِبَ، فإنَّ الكذبَ يهدي إلى الفُجورِ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ، وما يزالُ الرجلُ يكذِبُ ويتحرَّى الكَذِبَ حتى يكتبَ عندَ الله كذَّابًا». متفق عليه. وفى رواية لمسلم قال: «إنَّ الصدْقَ بِرٌّ، وإنَّ البِرَّ يهدي إلى الجنَّةِ. وإنَّ الكذبَ فجورٌ، وإنَّ الفجورَ يهدي إلى النَّارِ».

الله يقولون: هلك الناس، أي استوجبوا النار بسوء أعمالهم. فإذا قال الرجل ذلك فهو الذي أوجبه لهم، لا الله تعالى، أو هو الذى لما قال لهم ذلك وآيسهم، حملهم على ترك الطاعة والانهماك فى المعاصي، فهو الذى أوقعهم في الهلاك.

وأما الضم فمعناه أنه إذا قال لهم ذلك، فهو أهلكهم أى أكثرهم هلاكا. وهو الرجل يولع بعيب الناس ويذهب[1] بنفسه عجبا. ويرى له عليهم فضلا. وزاد فى شرح السنة: رُوي معنى هذا عن مالك قال: فإذا قال ذلك عجبًا بنفسه وتصاغرا للناس، فهو المكروه الذى نهى عنه، وإذا قال ذلك تحزنا لما يرى فى الناس من أمر دينهم فلا أرى به بأسا.

الحديث الثانى عشر عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «قتات» «نه»: هو النمام، قت الحديث إذا زوره وهيأه وسواه. وقيل: النمام هو الذى يكون مع القوم يتحدثون فينم عليه، والقتات هو الذي يتسمع على القوم وهم لا يعلمون ثم ينم. قال الشيخ أبو حامد: قيل: النميمة مبنية على الكذب والحسد والنفاق، وهى أثافى الذل. فينبغى أن يبغض النمام ولا يوثق به وبصداقته.

حكى أن حكيما زاره رجل* وأخبره عن غيره بخبر، فقال: أبطلت زيارتي، ثم أتيتني بثلاث جنايات: بغضت إلى أخي، وشغلت قلبي الفارغ، واتهمت نفسك الأمينة.

الحديث الثالث عشر عن عبدالله: قوله: «صدِّيقا» هو من أبنية المبالغة، ونظيره: الضحيك، والمراد فرط صدقه وكثرة صدوره منه حتى يصدق قوله بالعمل. وإليه الإشارة بقوله تعالى:

---

(١) وفي نسخة: «ويزهي» بدل «يذهب».

* كذا في (ك) وفي (ط): أحد.

٤٨٢٥- * وعن أُمِّ كلثومٍ [رضي اللهُ عنها]، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ الكذَّابُ الذي يُصلِحُ بينَ النَّاسِ ويقولُ خيرًا وينمي خيرًا» متفق عليه .

٤٨٢٦- * وعن المقداد بن الأسوَدِ [رضي اللهُ عنه]، قال : قال رسول الله ﷺ: «إذا رأيتُمُ المدَّاحينَ فاحثُوا في وجوهِهِمُ الترابَ». رواه مسلم.

﴿والذى جاء بالصدق وصدَّق به﴾[1]. والتنكير فى «صدِّيقا» للتعظيم والتفخيم، أى بلغ فى الصدق إلى غايته ونهايته، حتى يدخل به فى زمرة الصدِّيقين ويكتب عند الله منهم.

«مح»: ومعنى «يكتب» هنا يحكم له بذلك ويستحق الوصف بمنزلة الصديقين وثوابهم، أو صفة الكذابين وعقابهم، والمراد إظهار ذلك للمخلوقين، إما بأن يكتب اسمه بخط المصنفين فى تصانيفهم ليشتهر به أو فى الملأ الأعلى، ويلقى ذلك فى قلوب الناس وألسنتهم حتى يوضع له القبول، أو البغضاء بقدر الله سبحانه وتعالى.

الحديث الرابع عشر عن أم كلثوم: قوله: «ليس الكذاب» الكذاب اللام فيه إشارة إلى الكذاب المعهود الذى مرَّ فى الحديث السابق ونحوه، يعنى الكذاب المذموم عندالله تعالى الممقوت عند المسلمين ليس من يصلح ذات البين، فإنه محمود عند الله تعالى وعندهم. فعلى هذا يجب أن يكون «الكذاب» مرفوعا على أنه اسم «ليس». وقوله: «الذي يصلح» خبره خلافا لمن زعم أن «الكذاب» خبر «ليس» و «الذى» اسمه.

قوله: «وينمي خيراً» «نه»: يقال نميت الحديث أنميه إذا بلغته على وجه الإصلاح وطلب الخير، فإذا بلغته على وجه الإفساد والنميمة. قلت: نميته بالتشديد، هكذا قال أبو عبيد وابن قتيبة وغيرهما من العلماء. وقال الحربي: نمى مشددة، وأكثر المحدثين يقولونها مخففة، وهذا لايجوز، ورسول الله ﷺ لم يكن يلحن. ومن خفف لزمه أن يقول «خير» بالرفع. وهذا ليس بشيء، فإنه ينتصب بـ«نمى» كما انتصب بـ«قال». وكلاهما على زعمه لازمان. وإنما «نمى» متعد يقال: نميت الحديث أى رفعته وأبلغته.

الحديث الخامس عشر عن المقداد رضى الله عنه: قوله: «المدَّاحين» «خط»: المداحون هم الذين اتخذوا مدح الناس عادة وجعلوه بضاعة يستأكلون به الممدوح، فأما من مدح الرجل على الفعل الحسن والأمر المحمود، يكون منه ترغيبا له فى أمثاله؛ وتحريضا للناس على الاقتداء فى أشباهه فليس بمداح.

«حس» : قد استعمل المقداد الحديث على ظاهره فى تناول عين التراب وحثه فى وجه المادح. وقد يتأول على أن يكون معناه الخيبة والحرمان، أى من تعرض لكم بالثناء والمدح

(١) الزمر: ٣٣.

٤٨٢٧- * وعن أبي بكرةَ، قال: أثْنى رجُلٌ على رجلٍ عندَ النبيِّ ﷺ، فقال: «ويْلكَ قطعتَ عنُقَ أخيكَ» ثلاثًا «مَنْ كانَ منكم مادحًا لا محالَةَ فليقُل: أحسب فلانًا، واللهُ حسيبُه، إنْ كانَ يُرى أنَّه كذلكَ، ولا يُزكِّي على اللهِ أحدًا». متفق عليه.

٤٨٢٨- * وعن أبي هريرةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «أتدرونَ ما الغيبةُ؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلم. قال: «ذِكرُكَ أخاكَ بما يكرهُ». قيل: أفرأيتَ إنْ كانَ فى أخي ما

فلا تعطوه واحرموه. كنى بالتراب عن الحرمان لقولهم: ما فى يده غير التراب، كقوله ﷺ: «إذا جاءك يطلب ثمن الكلب فاملأ كفه ترابا» وفي الجملة المدح والثناء على الرجل مكروه؛ لأنه قلما يسلم المادح عن كذب يقوله فى مدحه، وقلما يسلم الممدوح من عجب يدخله.

«قض»: وقيل: معناه أعطوهم عطاء قليلا، فشبهه لقلته بالتراب، وإعطائه بالحثى على سبيل الترشيح وللمبالغة فى تقليل العطاء والاستهانة بهم

أقول: ويحتمل أن يراد به دفعه عنه وقطع لسانه عن عرضه بما يرضيه من الرضخ*: لأن الدافع قد يدفع خصمه بحثى التراب على وجهه استهانة به.

الحديث السادس عشر عن أبي بكرة: قوله: «قطعت عنق» «مح»: هذه استعارة من قطع العنق الذى هو القتل؛ لاشتراكهما فى الهلاك، لكن هذا الهلاك فى الدين، وقد يكون من جهة الدنيا. «شف» «والله حسيبه» يعنى محاسبه على عمله الذى يحيط بحقيقة حاله ويعلم سره، وهى جملة اعتراضية. وقوله: «وإن كان يرى أنه كذلك» يتعلق بقوله: «أحسب فلانا». وقوله: «ولا يزكي على الله أحدا» منع له عن الجزم وهو عطف على قوله: «فليقل» أى من كان منكم مادحا فليقل: أحسب فلانا كذا إن كان يرى أنه كذلك ولا يجزم بالمدح، ولا يزكى على الله أحدا بالجزم بمدحه.

أقول: أحسب أن قوله: «والله حسيبه» من تتمة القول، وقوله: «إن كان يرى» الجملة الشرطية وقعت حالا من فاعل «فليقل» و«على» فى «على الله» فيه معنى الوجوب والقطع. المعنى: فليقل: أحسب أن فلانا كيت وكيت والله يعلم سره فيما فعل، فهو يجازيه إن خيرا فخير وإن شرا فشر. ولا يقل: أتيقن أنه محسن، والله شاهد عليه على الجزم والقطع، وأن الله تعالى يجب عليه أن يفعل به كذا وكذا. ويقابله قوله ﷺ: «إذا دعا أحدكم فلا يقل: اللّهم اغفر لى إن شئت، ولكن ليعزم وليعظم الرغبة». «ولا يزكي» جاء بإثبات الياء إخبار فى معنى النهي، أى لا تكن منكم التزكية على الله.

---

* أى العطاء.

أقولُ؟ قال: «إنْ كانَ فيه ما تقولُ فقد اغْتَبتَه، وإنْ لم يكنْ فيه ما تقول فقد بَهَتَّه». رواه مسلم. وفي رواية: «إِذا قلتَ لأخيكَ ما فيهِ فقدِ اغتبتَه، وإِذا قلتَ ماليسَ فيه فقدْ بَهتَّه».

٤٨٢٩- * وعن عائشةَ [رضي الله عنها]، أنَّ رجُلا استأذنَ على النبيِّ ﷺ: فقال: «ائذنوا له، فبئسَ أخو العشيرة» فلمَّا جلسَ تطلَّقَ النبيُّ ﷺ فى وجهه وانبسطَ إليه.. فلمَّا انطلقَ الرجلُ قالت عائشةُ: يا رسولَ الله ! قلتَ له: كذا وكذا، ثمَّ تطلَّقتَ فى وجهِه، وانبسطتَ إليهِ. فقال رسولُ الله ﷺ: «متى عاهدتِني فحَّاشًا؟ إنَّ شرَّ الناسِ عندَ الله منزلةً يومَ القيامة مَنْ تركه الناسُ اتقاء شرّه». وفى رواية: «اتقاءَ فُحشه» متفق عليه.

الحديث السابع عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «ذكرك أخاك بما يكره» «مح»: اعلم أن الغيبة من أقبح القبائح وأكثرها انتشارا فى الناس، حتى لايسلم منها إلا القليل من الناس. وذكرك فيه بما يكرهه عام، سواء كان فى بدنه، أو دينه، أو دنياه، أو نفسه، أو خلقه، أو ماله، أو ولده، أو والده، أو زوجه، أو غلامه، أو خادمه، أو ثوبه، أو مشيه، وحركته، وبشاشته، وعبوسته، وطلاقته، أو غير ذلك مما يتعلق به، سواء ذكرته بلفظك أو كتابتك، أو رمزت أوأشرت إليه بعينك أو يدك أو رأسك ونحو ذلك.

وضابطه أن كل ما أفهمت به غيرك نقصان مسلم،فهو غيبة محرمة، ومن ذلك المحاكاة بأن تمشي متعارجًا أو مطأطئًا، أو على غير ذلك من الهيئات مريدا حكاية هيئة من تنتقصه بذلك.

الحديث الثامن عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «فبئس أخو العشيرة» كقولك: «ياأخا العرب» لرجل منهم «مح»: العشيرة القبيلة أى بئس هذا الرجل من هذه العشيرة. واسم هذا الرجل عيينة بن حصين. ولم يكن أسلم حينئذ وإن كان قد أظهر الإسلام، فأراد النبى ﷺ أن يبين حاله؛ ليعرفه الناس ولا يغتر به من لم يعرف بحاله. وكان منه في حياة النبي ﷺ وبعده ما دل على ضعف إيمانه، ووصف النبي ﷺ بأنه بئس أخو العشيرة من أعلام النبوة؛ لأنه ظهر كما وصف ، وإنما ألان له القول تألفا له ولأمثاله على الإسلام. وفيه مداراة من يتقى فحشه وجواز غيبة الفاسق.

«حس»: فيه دليل على أن ذكر الفاسق بما فيه، ليعرف أمره فيتقى، لا يكون من الغيبة. ولعل الرجل كان مجاهرا بسوء أفعاله، ولا غيبة لمجاهر.

قوله: «إن شر الناس» استئناف كالتعليل لقوله: «متى عاهدتني فحَّاشا» وهو إنكار على

٤٨٣٠- * وعن أبي هريرةَ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ أمَّتي معافىً إلا المجاهرونَ، وإنَّ منَ المجانَةِ أنْ يعملَ الرَّجلُ عملا بالليلِ ثمَّ يُصبحُ وقدْ سترَه اللهُ. فيقولُ: يافلانُ! عملتُ البارحة كذا وكذا، وقد باتَ يسترُه ربُّه ويصبحُ يكشفُ سترَ اللهِ عنه» متفق عليه.

وذُكرَ حديثُ أبي هريرةَ: «مَنْ كانَ يؤمنُ باللهِ» في «باب الضيافة».

الفصل الثاني

٤٨٣١- * عن أنسٍ، رضى اللهُ عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن تركَ الكذبَ

عائشة رضى الله عنها قولها: إنك خالفت بين الغيبة والحضور، فلِمَ لم تذمه في الحضور كما ذممته في الغيبة؟، فقال: متى عاهدتني فحاشا؟ وإنما تركته اتقاء شره».

الحديث التاسع عشر عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله. «معافىً» «مح»: «معافاة» بالهاء فى آخره، هكذا هو فى معظم النسخ والأصول المعتمدة، انتهى كلامه. وفى نسخ المصابيح «معافىً» بلاهاء، وعلى هذا ينبغى أن يكتب ألفه بالياء فيكون مطابقا للفظه؛ كما ورد: «كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته».

قوله: «إلا المجاهرون» كتب مرفوعا فى نسخ المصابيح، وحقه النصب على الاستثناء. «شف»: هو مستثنى من قوله: «معافى» وهو فى معنى النفي، أى كل أمتي لا ذنب عليهم إلا المجاهرون. وأورد الحافظ أبو موسى فى مجموعة المغيث: «إلا المجاهرين» بالنصب على الأصل، وهكذا أورده فى النهاية.

أقول: والأظهر أن يقال: كل أمتي يتركون الغيبة إلا المجاهرون، كما ورد: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له». والعفو بمعنى الترك. وفيه معنى النفي، نحوه قوله تعالى: ﴿**ويأبى الله إلا أن يتم نوره**﴾[1] ، والمجاهرون هم الذين جاهروا بمعاصيهم وأظهروها، وكشفوا ما ستر الله عليهم فيتحدثون به، يقال: جهر وجاهر وأجهر.

«مح» : ومن الذين يجوز بهم الغيبة المجاهر بفسقه أو بدعته، فيجوز ذكره بما يجاهر به ولا يجوز لغيره. قوله: «وإن من المجانة» الجوهرى: المجون والمجانة أن لا يبالي الإنسان بما صنع، يقال مجن بالفتح يمجن بالضم مجونا ومجانة فهو ماجن.

---

(١) التوبة: ٣٢.

وهو باطلٌ بُنَي له في ربضِ الجنَّة، ومَن تركَ المراءَ وهو مُحقٌّ بُنيَ له في وسط الجنَّةِ، ومَن حسُنَ خلقُه بُنَي له في أعْلاها». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن. وكذا في «شرح السنَّة». وفى «المصابيح» قال: غريب.[٤٨٣١]

٤٨٣٢- * وعن أبي هريرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أتدرونَ ما أكثرُ ما يدخلُ

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فى ربض الجنة» «نه»: وهو بفتح الباء ما حولها خارجا عنها؛ تشبيها بالأبنية التي تكون حول المدن وتحت القلاع. قوله: «من ترك الكذب» قيل: أى من ترك الكذب في قوله طوعا وإرادة واتباعا للصدق، ورأى أن الصدق أحق أن يتبع، والكذب باطل لا يجوز اتباعه. والتفوهُ به كالتأكيد والمبالغة فى وجوب ترك الكذب، وهو جملة اعتراضية وقعت بين الجزاء والشرط كالبيان، أى الكذب باطل فى الواقع لايكون حقا. والباطل اسم جامع لما لا يحل. فقيل: معناه من ترك الكذب -والحال أنه باطل- لا يكون له ولا لغيره مصلحة فيه، كما ذكر فى مرخصات الكذب من الحرب، وإصلاح ذات البين، والمعاريض، وغيرها فتكون جملة حالية.

قوله: «ومن ترك المراء» أى الجدال والمماراة والمجادلة. وقوله: «وهو محق» أى فى ذلك الجدال فتركه كسرا لنفسه كيلا يرتفع على خصمه، وأن لا يظهر فضله عليه، فتواضع فى ذلك مع كونه محقًّا فيه، بني له بيت فى وسط الجنة.

أقول: لاشك أن قوله: «وهو محق» حال من فاعل «ترك» وقع تتميما للمعنى ومبالغة. وقوله: «من ترك الكذب وهو باطل» قرينة له فينبغي مراعاة هذه الدقيقة. فالمعنى: من ترك الكذب، والحال أنه عالم ببطلانه فى أمور الدين، لكن سنح له فيه منفعة دنيوية، فيتركها كسرا لهواه وإيثارا لرضى الله على رضاه، بني له بيت فى ربض الجنة. ولما كانت مكارم الأخلاق متضمنة لترك رذائلها وللإتيان بمحاسنها، عقبهما بقوله: «ومن حسن خلقه» تحلية بعد التحلية.

قال الشيخ أبو حامد: المراء الاعتراض على كلام الغير بإظهار خلل فيه إما لفظا أو معنىً أو فى قصد التكلم، وترك المراء بترك الإنكار والإعراض. فكل كلام سمعته فإن كان حقا فصدق به، وإن كان باطلا ولم يكن متعلقا بأمور الدين فاسكت عنه.

الحديث الثاني عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «تقوى الله» إشارة إلى حسن المعاملة

[٤٨٣١] انظر شرح السنة ١٣: ٨٢ إسناده صحيح.

النَّاسَ الجنَّةَ؟ تقْوى اللهِ، وحُسنُ الخلُقِ، أتدرونَ ما أكثرُ ما يدخلُ الناسَ النار؟ الأجْوَفانِ: الفمُ والفرْجُ». رواه الترمذي، وابنُ ماجه. [٤٨٣٢]

٤٨٣٣- * وعن بلالِ بن الحارث، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمةِ منَ الخيرِ ما يعلمُ مبلغها يكتبُ اللهُ له بها رضوانَه إلى يومِ يلقاهُ. وإنَّ الرجلَ ليتكلمُ بالكلمة منَ الشرِّ ما يعلمُ مبلغَها يكتبُ اللهُ بها عليه سخطَه إلى يومِ يلقاهُ» رواه في «شرحِ السنة». وروى مالك، والترمذي، وابن ماجه نحوَه. [٤٨٣٣]

٤٨٣٤- * وعن بَهْزِ بن حكيمٍ، عن أبيهِ، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ:

مع الخالق، بأن يأتي جميع ما أمر به وينتهي عما نهى عنه. وحسن الخلق إشارة إلى حسن المعاملة مع الخلق. وهاتان الخصلتان موجبتان لدخول الجنة ونقيضهما لدخول النار، فأوقع الفم والفرج مقابلا لهما.

أما الفم فمشتمل على اللسان، وحفظه ملاك أمر الدين كله، وأكل الحلال رأس التقوى كله. وأما الفرج فصونه من أعظم مراتب الدين، قال تعالى: ﴿**والذين هم لفروجهم حافظون**﴾[1]؛ لأن هذه الشهوة أغلب الشهوات على الإنسان، وأعصاها عند الهيجان على العقل، ومن ترك الزنا خوفا من الله تعالى، مع القدرة، وارتفاع الموانع، وتيسير الأسباب -لاسيما عند صدق الشهوة- وصل إلى درجة الصديقين، قال تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى، فإن الجنة هى المأوى**﴾[2]. وقصة الرشيد فى تعليق طلاق زبيدة مشهورة.

ومعنى الأكثرية فى القرينتين أن أكثر أسباب السعادة الأبدية الجمع بين هاتين الخلتين، وأن أكثر أسباب الشقاوة الجمع بين هاتين الخلتين.

الحديث الثالث عن بلال رضى الله عنه: قوله: «يكتب الله بها رضوانه» فإن قلت: ما معنى قوله: «بكتب الله له بها رضوانه»، وما فائدة التوقيت إلى يوم يلقاه؟

قلت : معنى «كتب رضوانه»: توفيقه لما يرضى الله تعالى من الطاعات والمسارعات إلى الخيرات، فيعيش فى الدنيا حميدا، وفي البرزخ يصان من عذاب القبر، ويفسح له قبره ويقال له: «نم كنومة العروس الذي لايوقظه إلا أحب أهله إليه» ويحشر يوم القيامة سعيدا، ويظله الله

[٤٨٣٢] انظر شرح السنة ١٣: ٧٩، ٨٠ والحديث له طريق تحسنه.

[٤٨٣٣] شرح السنة ١٤:٣١٥ وإسناده صحيح

(١) المعارج: ٢٩ . (٢) النازعات: ٤٠ .

«وَيْلٌ لمن يحدِّثُ فيكذبُ ليُضحكَ به القومَ، ويلٌ له، ويلٌ له». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والدارميُّ. [٤٨٣٤]

٤٨٣٥- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ ليقولُ الكلمةَ لايقولُها إلا ليُضحكَ به الناسَ، يهْوي بها أبعد ما بينَ السماءِ والأرض، وإنَّه ليزلُّ عن لسانه أشدَّ ممَّا يزلُّ عن قدمِه». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٤٨٣٥]

٤٨٣٦- * وعن عبدالله بن عمْرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن صمتَ نجا». رواه أحمد، والترمذي، والدارمي، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٤٨٣٦]

تعالى فى ظله، ثم يلقى بعد ذلك من الكرامة[1] والنعيم المقيم فى الجنة، ثم يفوز بلقاء الله ما كل ذلك دونه. وفى عكسه قوله: «يكتب الله بها عليه سخطه» ونظيره قوله تعالى لإبليس: ﴿إن عليك لعنتي إلى يوم الدين﴾[2].

الحديث الرابع والخامس عن أبي هريرة: قوله: «إلا ليضحك بها»[3] استثناء، من أعم عام الغرض، أى يكون غرضه منحصرا فيه ولا يتجاوز عنه. قال الشيخ أبو حامد في الإحياء: وكان رسول الله ﷺ، يمزح ولا يقول إلا حقا، ولا يؤذي قلبا ولا يفرط فيه. فإن كنت أيها السامع تقتصر عليه أحيانا وعلى الندور فلا حرج عليك فيه، ولكن من الغلط العظيم أن يتخذ الإنسان المزاح حرفة، يواظب عليه ويفرط فيه، ثم يتمسك بفعل رسول الله ﷺ، وهو كمن يدور مع الزنوج أبدا لينظر رقصهم، ويتمسك بأن رسول الله ﷺ أذن لعائشة رضى الله عنها فى النظر إليهم وهم يلعبون. انتهى كلامه.

وقوله: «وإنه ليزل عن لسانه» تمثيل بعد تمثيل، مثّل أولا مضرته منها فى جاهه وسقوطه من منزلته عند الله تعالى، بمن سقط من أعلى مكان إلى أدناه، ثم مثل ثانيا مضرته بها فى نفسه، وما يلحقه من المشقة والتعب بمن يتردد في وحل عظيم فيدحض قدماه فى تلك المزالق فلا يتخلص منها.

الحديث السادس عن عبدالله بن عمرو رضى الله عنهما: قوله: «من صمت نجا»: الصمت

[٤٨٣٤] حسن: انظر صحيح الجامع برقم ٧١٣٦.

[٤٨٣٥] شعب الإيمان ٤:٢١٣.

[٤٨٣٦] صحيح الترمذي ٢٠٣١ - الصحيحة ٥٣٥.

(١) وفى بعض النسخ «الكرامات» بصيغة الجمع.

(٢) ص:٧٨.

(٣) كذا فى النسخ كلها، وفى المتن «به»، وهو الصحيح المطابق لما فى الأصول.

٤٨٣٧- * وعن عُقْبَةَ بن عامرٍ، قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: ما النَّجاةُ، فقال: «أَملِكْ عليكَ لسانَكَ، ولْيَسَعْكَ بيتُكَ، وابْكِ على خطيئتِكَ» رواه أحمد، والترمذي. [٤٨٣٧]

أبلغ من السكوت؛ لأنه قد يستعمل فيما لا قوة له للنطق وفيما له قوة النطق؛ ولهذا قيل لما لا نطق له «الصامت والمصمت» والسكوت يقال لما له نطق فيترك استعماله.

قال الشيخ أبو حامد: «اعلم أن ما ذكره ﷺ من فصل الخطاب وجوامع الكلم وجواهر الحكم. ولا يعرف أحد ما تحت كلماته من بحار المعاني، إلا خواص العلماء؛ وذلك أن خطر اللسان عظيم وآفاته كثيرة من الخطأ، والكذب، والنميمة، والغيبة، والرياء، والنفاق، والفحش، والمراء، وتزكية النفس، والخوض فى الباطل، وغير ذلك. ومع ذلك النفس مائلة إليها؛ لأنها سباقة إلى اللسان لا تثقل عليه ولها حلاوة في القلب، وعليها بواعث من الطبع ومن الشيطان. فالخائض فيها قلما يقدر على أن يزم اللسان، فيطلقه بما يحب ويكفه عما لايحب، ففى الخوض خطر وفى الصمت سلامة، مع ما فيه من جمع الهم، ودوام الوقار، والفراغة للفكر، والعبادة، والذكر، والسلامة من تبعات القول فى الدنيا، ومن حسابه فى الآخرة. وقد قال تعالى: ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾[1].

ويدلك على لزوم الصمت أمر، وهو أن الكلام أربعة أقسام: قسم هو ضرر محض، وقسم هو نفع محض وقسم فيه ضرر ومنفعة، وقسم لاضرر فيه ولا منفعة، أما الذى هو ضرر محض فلا بد من السكوت عنه، وكذلك ما فيه ضرر ومنفعة لا تفي بالضرر. وأما ما لا منفعة فيه ولاضرر، فهو فضول والاشتغال به تضييع زمان، وهو عين الخسران ظاهرا، فلا يبقى إلا القسم الرابع، وفيه خطر؛ إذ قد يمتزج به ما فيه إثم من دقائق الرياء والتصنع والغيبة وتزكية النفس وفضول الكلام امتزاجا يخفى مدركه فيكون به الإنسان مخاطرا.

الحديث السابع عن عقبة: قوله: «أملك عليك لسانك» «نه»: أى لا تجره إلا بما يكون لك لا عليك، وعن بعضهم: أى اجعل لسانك مملوكا لك فيما عليك وباله وتبعته، وأمسكه عما يضرك، وأطلقه فيما ينفعك، انتهى كلامه. وهذا الجواب من باب الأسلوب الحكيم، سأل عن حقيقة النجاة، فأجاب عن سببه؛ لأنه أهم بحاله وأولى، وكان من الظاهر أن يقول: حفظ اللسان، فأخرجه على سبيل الأمر الذى يقتضي الوجوب مزيدا للتقرير والاهتمام.

وقوله: «وليسعك بيتك» الأمر في الظاهر وارد على البيت، وفى الحقيقة على المخاطب،

[٨٤٣٧] صحيح الترمذى ١٩٦١ - الصحيحة ٨٨٨.

(١) ق:١٨.

٤٨٣٨- * وعن أبي سعيدٍ، رفعَه، قال: «إذا أصبحَ ابنُ آدَم، فإنَّ الأعضاءَ كلها تكفِّرُ اللسانَ، فتقولُ: اتقِ الله فينا، فإنا نحنُ بكَ، فإنِ استقمت استقمْنا، وإنِ اعوججْتَ اعوَججْنا». رواه الترمذي. [٤٨٣٨]

٤٨٣٩- * وعن عليِّ بن الحسينِ [رضى اللهُ عنهما] قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مِنْ حُسنِ إسلامِ المرءِ تركُه ما لا يعنِيه». رواه مالك، وأحمد. [٤٨٣٩]

أى تعرض لما هو سبب للزوم البيت من الاشتغال بالله والمؤانسة بطاعته والخلوة عن الأغيار. وضمن «بكى» معنى الندامة، وعداه بـ«على» أى اندم على خطيئتك باكيا.

الحديث الثامن عن أبي سعيد: قوله: «تكفر» «نه»: أى تذل وتخضع، والتكفير هو أن ينحني الإنسان ويطأطئ رأسه قريبا من الركوع كما يفعل من يريد تعظيم صاحبه، قال عمرو بن كلثوم.

تكفـر باليدين إذا التقينا ونلقى من مخافتنا عصاكا

انتهى كلامه. وقوله: «فإنا نحن بك» أى نحن نستقيم ونعوج بك يدل عليه التفصيل.

فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث وبين قوله ﷺ: «إن فى الجسد لمضغة إذا صلحت، صلح الجسد كله وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهى القلب». قلت: اللسان ترجمان القلب وخليفته فى ظاهر البدن، فإذا أسند إليه الأمر يكون على سبيل المجاز فى الحكم كما فى قولك: شفى الطبيب المريض. قال الميدانى فى قوله: «المرأ بأصغريه» يعنى بهما القلب واللسان أى تقوم معانيه بهما ويكمل بهما. وأنشد لزهير:

وكأين ترى من صامت لك معجب زيادتــه أو نقصه فــى التكلــم

لســـان الفتى نصف ونصف فؤاده فلم يبق إلا صورة اللحم والدم

الحديث التاسع عن على رضى الله عنه: قوله: «ما لا يعنيه» «نه»: أى لا يهمه ويقال: عنيت بحاجته أعني بها، وأنا بها معنى، وعنيت به فأناعان، والأول أكثر أى اهتممت بها واشتغلت، وعن بعضهم «من» فى قوله «من حسن إسلام المرء» تبعيضية، ويجوز أن تكون بيانية.

أقول: على أن تكون تبعيضية إشارة إلى قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك» بعد ذكر الإيمان والإسلام، وأنت تعلم أن التحلية مسبوقة بالتخلية،

[٨٤٣٨] انظر صحيح الترمذى ١٩٦٢ - وقال إسناده حسن.

[٨٤٣٩] صحيح الترمذى ١٨٨٧.

٤٨٤٠- * ورواه ابنُ ماجه، عن أبي هريرة.[٤٨٤٠]

٤٨٤١- * والترمذيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان» عنهما.[٤٨٤١]

٤٨٤٢- * وعن أنسٍ، قال: توفيَ رجلٌ منَ الصَّحابةِ، فقال رجلٌ: أبشرْ بالجنَّةِ. فقال رسولُ اللهِﷺ : «أوَلا تدري، فلعله تكلَّم فيما لا يعنيه، أو بخِلَ بما لا ينقصُه». رواه الترمذي.[٤٨٤٢]

فالترك بعض من الإحسان، فيكون إشارة إلى الانسلاخ عما يشغله عن الله تعالى. فإذا أخذ السالك فى السلوك تجرد بحسب أحواله ومقاماته شيئا فشيئا، مما لايعنيه إلى أن يتجرد عن جميع أوصافه ويتوجه بذاته إلى الله تعالى. وإليه يلمح قوله تعالى: ﴿بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن﴾[1] وقول إبراهيم عليه السلام: «أسلمت لرب العالمين» إذ قال له ربه أسلم.

«مح» : هو أحد الأحاديث التي عليها مدار الإسلام. قال أبو داود: وهي أربعة: الأول: حديث نعمان بن بشير: «الحلال بين والحرام بين». والثانى «من حسن إسلام المرء تركه مالا يعنيه». والثالث: «لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه» والرابع: «إنما الأعمال بالنيات». وقيل بدل الثالث «ازهد فى الدنيا يحبك الله، وازهد فيما فى أيدي الناس يحبك الناس». وأنشد الإمام الشافعى رضي الله عنه في معناه:

عمدة الخير عندنا كلمـــات   أربع قالهن خير البرية

اتق الشبهات وازهد ودع ما   ليس يعنيك واعملن بنية

قال الشيخ أبو حامد: وحد ما لايعنيك فى الكلام أن تتكلم بكل ما لو سُكت عنه لم تأثم ولم تتضرر فى حال ولا مآل؛ فإنك به مضيع زمانك ومحاسب على عمل لسانك، إذ تستبدل الذى هو أدنى بالذي هو خير؛ لأنك لو صرفت زمان الكلام فى الفكر والذكر، ربما ينفتح لك من نفحات رحمة الله تعالى ما يعظم جدواه. ولو سبحت الله تعالى بنى لك بها قصرا فى الجنة. ومن قدر على أن يأخذ كنزا من الكنوز فأخذ بدله مدرة لا ينتفع بها، كان خاسرا خسرانا مبينا.

الحديث العاشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «أولا تدري» الواو فيه عطف على محذوف،

[٤٨٤٠] ابن ماجه فى سننه ٣٩٧٦.

[٤٨٤١] انظر صحيح الترمذى ١٨٨٦.

[٤٨٤٢] انظر ضعيف الجامع برقم ٢١٥٠.

(١) البقرة: ١١٢ .

٤٨٤٣- * وعن سُفيانَ بنِ عبدِالله الثَّقفيِّ، قال: قلتُ: يارسولَ الله! ما أخوفُ ما تخافُ عَلَيَّ؟ قال: فأخذَ بلِسانِ نفسِه وقال: «هذا». رواه الترمذيُّ، وصحَّحَه. [٤٨٤٣]

٤٨٤٤-* وعن ابنِ عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إذا كذبَ العبدُ تباعدَ عنه الملَكُ ميلا منْ نتنِ ما جاءَ به». رواه الترمذي. [٤٨٤٤]

٤٨٤٥- * وعن سُفيانَ بن أسيد الحضرميِّ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «كبُرتْ خيانةً أن تحدِّثَ أخاكَ حديثًا هوَ لك به مصدِّقٌ وأنت به كاذبٌ». رواه أبو داود. [٤٨٤٥]

أى أتكلم بهذا ولا تدري! فلعله قال فى الإحياء: معناه: أنه إنما يهنأ بالجنة من لا يحاسب، ومن تكلم فى ما لا يعنيه حوسب عليه. فإن كان كلاما مباحا، فربما لا تتهيأ له الجنة مع المناقشة في الحساب، فإنه نوع من العذاب. وقوله: «يبخل بما لاينقصه» يعم جميع ما ينقص بالبذل والإيتاء من المال والمسائل العلمية.

الحديث الحادى عشر عن سفيان: قوله: «ما أخوف» هو نحو أشهر وألوم وأشغل، بنى للمفعول. و«ما» فى «ما تخاف» يجوز أن تكون موصولة أو موصوفة، أو تكون مصدرية على طريقة: جد جده وجن جنونه، وخشيت خشيته. وإنما أسند ﷺ شدة خوفه على أمته في سائر الأخبار إلى اللسان؛ لأنه أعظم الأعضاء عملا؛ إذ ما من طاعة ولا معصية إلا وله فيها مجال. فالإيمان والكفر يتبين بشهادة اللسان، وهما غاية الطاعة والطغيان، فمن أطلق عذبة اللسان وأصله مرخي العنان، سلك به الشيطان فى كل ميدان، وساقه إلى شفا جرف هار إلى أن يضطره إلى البوار، ولا يكب الناس على مناخرهم فى النار إلا حصائد ألسنتهم، ولا ينجي من شره إلا أن يقيد بلجام الشرع. وعلمُ ما يحمد إطلاق اللسان فيه أو يذم، غامض عزيز، والعمل بمقتضاه على من عرفه ثقيل عسير، كذا قاله في الإحياء.

الحديث الثاني عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «تباعد عنه الملك» وإذا كان الملك يتأذى ويتباعد من نتن نحو البصل والثوم، فلأن يتأذى ويتباعد من الكذب أولى.

الحديث الثالث عشر عن سفيان: قوله: «أن تحدث أخاك» هو فاعل «كبرت» وأنث الفعل باعتبار المعنى؛ لأنه نفس الخيانة. وفيه معنى التعجب كما فى قوله تعالى: ﴿كبر مقتا عند

[٤٨٤٣] انظر صحيح الترمذى ١٩٦٥.

[٤٨٤٤] انظر ضعيف الجامع برقم ٧٨٠.

[٤٨٤٥] انظر ضعيف الجامع ٤١٦٧ - الضعيفة ١٢٥١.

٤٨٤٦- * وعن عمَّار، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ كانَ ذا وَجهَينِ في الدنيا، كانَ له يومَ القيامةِ لسانان من نارٍ». رواه الدارمي. [٤٨٤٦]

٤٨٤٧- * وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ المؤمنُ بالطعَّانِ، ولا باللعَّانِ، ولا الفاحش، ولا البذِيء» رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان». وفي أخرى له: «ولا الفاحش البذيء». وقال الترمذيُّ: هذا حديثٌ غريب. [٤٨٤٧]

٤٨٤٨- * وعن ابنِ عمَرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يكونُ المؤمنُ لعَّانًا». وفي رواية: «لا ينبغي للمؤمنِ أنْ يكونَ لعَّانًا». رواه الترمذيُّ. [٤٨٤٨]

٤٨٤٩- * وعن سمُرةَ بنِ جُندبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا تلاعَنوا بلعنةِ الله، ولابغضبِ الله، ولا بجهنم». وفي رواية «ولا بالنار». رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٨٤٩]

الله﴾[1] الكشَّاف[2]: هذا من أفصح الكلام وأبلغه في معناه، قصد في كبر التعجب من غير لفظه، ومعنى التعجب تعظيم الأمر في قلوب السامعين؛ لأن التعجب لا يكون إلا من شئ خارج عن نظائره وأشكاله، انتهى كلامه.

والمعنى: خيانة عظيمة منك إذا حدثت أخاك المسلم بحديث كذب، وهو يعتمد عليك، ويثق بقولك، وظن بك أنك مسلم لا تكذب، فيصدقك، والحال أنك كاذب.

الحديث الرابع عشر إلى السابع عشر عن سمرة: قوله: «لا تلاعنوا» أي لا تدعوا الناس بما يبعدهم من الله تعالى ومن رحمته، إما صريحا كما تقولون: لعنة الله عليه، أو كناية كما تقولون: عليه غضب الله، أو أدخله الله النار. فقوله: «لا تلاعنوا» من باب عموم المجاز؛ لأنه في بعض أفراده حقيقة وفي بعضه مجاز. وهذا مختص بمعين؛ لأنه يجوز اللعن بالوصف الأعم

[٤٨٤٦] الدارمي في سننه ٢/ ٤٠٥ ح٢٧٦٤ .

[٤٨٤٧] انظر صحيح الترمذي ١٦١٠ ، الصحيحة ، ٣٢٠.

[٤٨٤٨] انظر صحيح الترمذي ١٦٤٣ .

[٤٨٤٩] انظر صحيح الترمذي ١٦٠٩ ، الصحيحة ٨٩٣.

(١) الصف:٣.

(٢) الكشاف: ٤/ ٩١

٤٨٥٠- * وعن أبي الدرداء، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنَّ العبدَ إذا لعن شيئًا صعدتْ اللعنةُ إلى السَّماء، فتغلق أبواب السماءِ دونها، ثم تهبط إلى الأرض فتغلق أبوابها دونها، ثمَّ تأخذ يمينا وشمالا، فإذا لم تجد مساغًا رجعت إلى الذي لُعِن، فإن كان لذلك أهلا، وإلا رجعت إلى قائلها» رواه أبو داود.[٤٨٥٠]

٤٨٥١- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، أن رجلا نازعتهُ الريحُ رداءه فلعنها. فقال رسول الله ﷺ: «لا تلعنها فإنها مأمورةٌ، وإنه من لعن شيئًا ليس له بأهل رجعتِ اللعنةُ عليه». رواه الترمذي، وأبو داود.[٤٨٥١]

٤٨٥٢- * وعن ابنِ مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايبلغني أحدٌ من أصحابي عن أحدٍ شيئًا، فإني أُحِبُّ أن أخرجَ إليكم وأنا سليمُ الصَّدرِ». رواه أبو داود.[٤٨٥٢]

٤٨٥٣- * وعن عائشةَ، قالت: قلتُ للنبيِّ ﷺ: حسبك من صفيَّةَ كذا وكذا - تعني قصيرةً- فقال «لقد قلتِ كلمةً لو مُزِجَ بها البحر لمزجَتْهُ». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود.[٤٨٥٣]

كقوله: لعنة الله على الكافرين، أو بالأخص كقوله: لعنة الله على اليهود، أو على كافر معين مات على الكفر، كفرعون وأبي جهل.

الحديث الثامن عشر إلى العشرين عن ابن مسعود: قوله: «شيئا» عام فى الأفعال والأقوال مما يكرهه ويورث الغش فى صدره- ﷺ- من أحد من أصحابه؛ لقوله: «أن أخرج إليكم وأنا سليم الصدر».

الحديث الحادي والعشرون عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «لو مزج بها البحر»«تو»: قد حرفت ألفاظ هذا الحديث فى المصابيح، والصواب «لو مزجت بالبحر لمزجته». أقول: قد ورد هذا الحديث كما فى المصابيح والمتن فى نسخة مصححة من سنن أبى داود. ولعل التخطئة

[٤٨٥٠] سنن أبى داود برقم ٤٩٠٥ وذكر أن يحيى بن حسان وهم فيه.وإسناده ضعيف

[٤٨٥١] انظر صحيح الترمذى برقم ١٦١١ ، الصحيحة ٥٢٨ و أيضًا صحيح أبى داود برقم ٤١٠٢.

[٤٨٥٢] انظر ضعيف الجامع برقم ٦٣٣٧.

[٤٨٥٣] انظر صحيح الترمذى بنحوه رقم ٢٠٣٤ ، صحيح أبى داود برقم ٤٠٨٠.

٤٨٥٤- * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما كان الفُحْشُ في شيءٍ إلا شانَهُ، وما كان الحياءُ في شيءٍ إلا زانَهُ». رواه الترمذي. [٤٨٥٤]

٤٨٥٥- * وعن خالدِ بن معدانَ عن معاذٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من عيَّر أخاه بذنبٍ لم يمتْ حتى يَعْمَلَهُ» - يعنى من ذنب قد تاب منه- رواه الترمذي وقال: هذا حديث غريب وليس إسناده بمتصل، لأنَّ خالدًا لم يُدرك معاذ بن جبل. [٤٨٥٥]

٤٨٥٦- * وعن واثلةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تُظْهِرِ الشماتةَ لأخيكَ فيَرحُمهُ الله ويبتليك». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن غريب. [٤٨٥٦]

لأجل الدراية لا للرواية؛ إذ لا يقال: مزج بها البحر، بل مزجت بالبحر. ويمكن أن يقال: إن المزج والخلط يستدعيان الامتزاج والاختلاط، وكل من الممتزجين يمتزج بالآخر؛ قال الله تعالى: ﴿فاختلط به نبات الأرض﴾[1]، الكشاف[2]: وكان حق اللفظ: فاختلط بنبات الأرض. ووجه صحته: أن كل مختلطين موصوف كل واحد منهما بصفة صاحبه على أن هذا التركيب أبلغ؛ لأنه حينئذ من باب «عرضت الناقة على الحوض».

«قض»: المزج الخلط والتغيير بضم غيره إليه والمعنى أن هذه الغيبة لو كانت مما يمزج بالبحر، لغيرته من حاله مع كثرته وغزارته، فكيف بأعمال نزر* خلطت بها؟

الحديث الثاني والعشرون عن أنس رضي الله عنه: قوله: «في شئ» فيه مبالغة، أى لو قدر أن يكون الفحش أو الحياء فى جماد لزانه أو شانه، فكيف بالإنسان؟

الحديث الثالث والعشرون والرابع والعشرون عن واثلة: قوله: «لا تظهر الشماتة» الشماتة الفرح ببلية من تعاديه ويعاديك. يقال: شمت به فهو شامت وأشمت الله به العدو. وقوله: «فيرحمه الله» أى يرحمه رغما لأنفك ويبتليك؛ حيث زكيت نفسك ورفعت منزلتك عليه، نحوه قوله ﷺ فى قول من قال لصاحبه: والله لا يغفر الله لك أبدا: «فقال الله تعالى للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي» الحديث. وقوله: «فيرحمه الله» نصب جوابا للنهي. وقوله: «ويبتليك» عطف عليه.

[٤٨٥٤] انظر صحيح الترمذى ١٦٠٧.

[٤٨٥٥] انظر ضعيف الجامع ٥٧٢٢، الضعيفة ١٧٨.

[٤٨٥٦] انظر ضعيف الجامع ٦٢٥٨.

(١) الكهف: ٤٥. (٢) الكشاف: ٢/٢٩٣.

* أى قليلة، وهي في (ط): «قذرة»، وما أثبتناه من (ك) وهو الموافق للسياق.

٤٨٥٧- * وعن عائشةَ قالت: قال النبيُّ ﷺ: «ما أُحِبُّ أنى حكيت أحدًا وأنَّ لي كذا وكذا» رواه الترمذي وصحَّحه. [٤٨٥٧]

٤٨٥٨- * وعن جُنْدُبٍ، قال: جاءَ أعرابيٌّ، فأناخَ راحِلَتَهُ، ثمَّ عقلَها، ثمَّ دخَلَ المسجدَ فصلَّى خلفَ رسولِ اللهِ ﷺ، فلما سلَّم أتى راحِلَتَه فأطْلَقَها، ثمَّ ركِبَ، ثمَّ نادى: اللهم ارحمني ومحمَّدًا ولا تشرِكْ في رَحمَتِنا أحدًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «أتقولون هو أضل أم بعيره؟ ألم تسمعوا إِلى ما قال؟» قالوا: بلى. رواه أبو داود. [٤٨٥٨]

وذُكر حديث أبى هريرة: «كفى بالمرءِ كذبًا» فى «باب الاعتصام» فى الفصل الأول.

الفصل الثالث

٤٨٥٩- * عن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إِذا مُدِحَ الفاسِقُ غضِبَ الرَّبُّ تعالى، واهتزَّ لهُ العرشُ» رواه البيهقي فى «شعب الإيمان». [٤٨٥٩]

الحديث الخامس والعشرون عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «حكيت أحدا» «نه»: أى فعلت مثل فعله. يقال حكاه وحاكاه، وأكثر ما يستعمل فى القبيح المحاكاة. «مح»: ومن الغيبة المحرمة المحاكاة. بأن يمشي متعارجا أو مطأطئًا رأسه، أو غير ذلك من الهيئات كما مرّ. قوله: «وأن لي كذا وكذا» جملة حالية واردة على التتميم والمبالغة، أى ما أحب أن أحاكي أحدا ولو أعطيت كذا وكذا من الدنيا.

الحديث السادس والعشرون عن جندب رضى الله عنه: قوله: «أتقولون» أي أتظنون؟ «نه»: فى الحديث: «فقال البر تقولون بهن» أى أتظنون وترون أنهن أردن البر؟ انتهى كلامه. يعنى أيدور هذا التردد فى ظنكم؟ولا يقول ما قال إلا جاهل بالله وبسعة رحمته حيث يحجر الواسع والله أعلم.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله: «اهتز له العرش» اهتزاز العرش عبارة عن وقوع أمر عظيم وداهية دهياء؛ لأن فيه رضى بما فيه سخط الله وغضبه، بل يقرب أن يكون كفرا؛ لأنه يكاد أن يفضي إلى استحلال ما حرمه الله تعالى، وهذا هو الداء العضال لأكثر

[٤٨٥٧] انظر صحيح الترمذى رقم ٢٠٣٣.

[٤٨٥٨] سنن أبى داود ٤٨٨٥ ، الحاكم ٤/ ٢٤٨ - صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

[٤٨٥٩] انظر ضعيف الجامع برقم ٧٩٤ - الضعيفة ٥٩٦ و ١٣٩٩.

٤٨٦٠- * وعن أبي أمامةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «يُطبَعُ المؤمنُ على الخِلالِ كلِّها إلا الخيانةَ والكذبَ» رواه أحمد. [٤٨٦٠]

٤٨٦١- * والبيهقي في «شعب الإيمان» عن سعد بن أبي وقّاصٍ. [٤٨٦١]

العلماء والشعراء، والقراء والمرائين في زماننا هذا. وإذا كان هذا حكم من مدح الفاسق، فكيف بمن مدح الظالم وركن إليه ركونا؟ وقد قال تعالى: ﴿ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار﴾[١] الكشاف[٢]: النهي متناول للانحطاط في هواهم، والانقطاع إليهم، ومصاحبتهم، ومجالستهم، وزيارتهم، ومداهنتهم، والرضى بأعمالهم، والتشبه بهم، والتزيي بزيهم، ومد العين إلى زهرتهم، وذكرهم بما فيه تعظيم لهم.

ولما خالط الزهري السلاطين، كتب إليه أخ له في الدين:

«عافانا الله وإياك أبا بكر من الفتن، فقد أصبحت بحال ينبغي لمن عرفك أن يدعو لك الله ويرحمك، أصبحت شيخا كبيرا، وقد أثقلتك نعم الله بما فهمك من كتابه وعلمك من سنة نبيه، وليس كذلك أخذ الله الميثاق على العلماء، قال تعالى: ﴿لتُبَيِّننه للناس ولا تكتمونه﴾[٣].

واعلم أن أيسر ما ارتكبت وأخف ما احتملت أنك آنست وحشة الظالم، وسهلت سبيل الغي بدنوك لمن لم يؤد حقا ولم يترك باطلا حين أدناك، واتخذوك قطبا تدور عليك رحى باطلهم، وجسرا يعبرون عليك إلى بلائهم، وسلما يصعدون فيك إلى ضلالهم، يدخلون الشك بك على العلماء ، ويقتادون بك قلوب الجهلاء، فما أيسر ما عمروا لك في جنب ما خربوا عليك، وما أكثر ما أخذوا منك فيما أفسدوا عليك من دينك. فما يؤمنك أن تكون ممن قال الله تعالى فيهم: ﴿فخلف من بعدهم خلف أضاعوا الصلاة واتبعوا الشهوات فسوف يلقون غيًّا﴾[٤]، فإنك تعامل من لا يجهل ويحفظ عليك من لا يغفل، فداو دينك، فقد دخله سقم، وهيئ زادك، فقد حضر السفر البعيد، وما يخفى على الله من شئ في الأرض ولا في السماء، والسلام.

الحديث الثاني عن أبي أمامة رضى الله عنه: قوله: «يطبع عليها» «نه»: أي يخلق عليها.

[٤٨٦٠] انظر ضعيف الجامع بنحوه رقم ٦٤٤٨ - الضعيفة ٣٢١٥.

[٤٨٦١] انظر شعب الإيمان برقم ٤٨٠٩.

(١) هود: ١١٣.

(٢) الكشاف: ٢/ ٢٣٧

(٣) آل عمران: ١٨٧. (٤) مريم: ٥٩.

٤٨٦٢- * وعن صفوان بن سليم، أنه قيل لرسول الله ﷺ: أيكون المؤمن جَبانًا؟ قال: «نعم» فقيل له: أيكون المؤمنُ بخيلا؟ قال: «نعم». فقيل: أيكون المؤمنُ كذابًا؟ قال: «لا». رواه مالك والبيهقي فى «شعب الإيمان» مرسلا. [٤٨٦٢]

٤٨٦٣- * وعن ابن مسعودٍ، قال: «إنَّ الشيطانَ ليتمثلُ في صورةِ الرجلِ، فيأتي القومَ فيحدِّثهم بالحديث من الكذبِ فيتفرَّقونَ؛ فيقول الرجل منهم: سمعتُ رجلا أعرفُ وجْهَهُ ولا أدري ما اسمُه يحدِّث» رواه مسلم.

٤٨٦٤- * وعن عِمران بن حطَّان، قال: أتيتُ أبا ذَرٍّ فوجدته فى المسجدِ محتبيًا بكساءٍ أسودَ وحده. فقلتُ: يا أبا ذَرّ! ما هذه الوحدة؟ فقال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «الوحدةُ خيرٌ من جليسِ السوء، والجليسُ الصالح خير من الوَحدة وإملاءُ الخير خيرٌ من السكوتِ، والسكوتُ خيرٌ من إملاءِ الشر». [٤٨٦٤]

والطباع ما ركب فى الإنسان من جميع الأخلاق التي لا يكاد يزاولها من الخير والشر، انتهى كلامه. وإنما كانت الخيانة والكذب منافيين لحاله؛ فإن الإيمان إفعال من الأمن وحقيقته آمنه التكذيب والمخالفة؛ ولأنه حامل أمانة الله تعالى، فينبغى أن يكون أمينا لا خائنا.

«غب»: أصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، والأمن والأمانة والأمان فى الأصل مصادر. ويجعل الأمان تارة اسما للحالة التى يكون عليها الإنسان فى الأمن، وتارة اسما لما يؤمن عليه الإنسان نحو ﴿**وتخونوا أماناتكم**﴾(١).

الحديث الثالث والرابع عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «إن الشيطان ليتمثل» فيه تنبيه على التحرى فيما يسمع من الكلام وأن يتعرف من القائل؟ أهو صادق يجوز النقل عنه، أو كاذب يجب الاجتناب عن نقل كلامه؟ على ما ورد: «كفى بالمرء كذبا أن يحدث بكل ما سمع»*.

[٤٨٦٢] شعب الإيمان برقم ٤٨١٢.

[٤٨٦٤] انظر ضعيف الجامع برقم ٦١٦٤ - الضعيفة ٢٤٢٢.

(١) الأنفال: ٢٧.

* رواه مسلم فى مقدمة صحيحه.

٤٨٦٥- * وعن عمران بن حُصَينٍ، أن رسولَ الله ﷺ قال: «مقامُ الرجلِ بالصَّمتِ أفضلُ من عبادةِ ستينَ سنة»[٤٨٦٥]

٤٨٦٦- * وعن أبي ذرّ، قال: دخلتُ على رسولِ الله ﷺ، فذكر الحديث بطوله إلى أن قال: قلت: يارسول الله ! أوصني قال: «أوصيكَ بتقوى الله، فإنَّهُ أزينُ لأمركَ كلِّه» قلت: زدني. قال: «عليكَ بتلاوةِ القرآن وذكرِ الله عزَّ وجلَّ، فإنّه ذكرٌ لكَ في السماءِ، ونورٌ لك في الأرض». قلت: زدني. قال: «عليك بطول الصَّمت، فإنَّهُ مَطْرَدةٌ للشيطانِ وعَوْنٌ لك على أمرِ دينكَ». قلت: زدني. قال: «إيَّاكَ وكثرةَ

الحديث الخامس عن عمران : قوله: «مقام الرجل» أى منزلته عند الله تعالى؛ لأن فى العبادة آفات يسلم عنها بالصمت كما ورد: «من صمت نجا».

الحديث السادس عن أبي ذر رضى الله عنه: قوله: «فذكر الحديث بطوله» أى ذكر راوى أبى ذر الحديث بطوله. ولعله أراد مثل ما روى عن أنس: «أن رسول الله ﷺ لقى أبا ذر فقال: يا أبا ذر! ألا أدلك على خصلتين، هما أخف على الظهر وأثقل فى الميزان من غيرهما؟ قال: بلى يا رسول الله! قال: عليك بحسن الخلق وطول الصمت، والذى نفس محمد بيده ما عمل الخلائق بمثلهما. وقال: الخصلة الواحدة الصالحة تكون فى الرجل فيصلح الله له بها عمله كله. وطهور الرجل وصلاته يكفر الله بطهوره ذنوبه وتبقى صلاته له نافلة.

قوله: «فإنه أزين» نسب الزينة إلى التقوى كما نسب الله تعالى اللباس إليه فى قوله: ﴿**ولباس التقوى ذلك خير**﴾[(١)] بعد قوله: ﴿**خذوا زينتكم عند كل مسجد**﴾[(٢)] كما أن السماء مزينة بزينة الكواكب، كذلك قلوب العارفين مزينة بالمعارف والتقوى، قال تعالى: ﴿**فإنها من تقوى القلوب**﴾[(٣)]. والضمير فى «إنه ذكر» وفى «فإنه يميت» واقع موقع اسم الإشارة، أى كثرة الضحك تورث قساوة القلب. وهى مفضية إلى الغفلة، وليس موت القلب إلا الغفلة. والمراد بنور الوجه بهاؤه فى قوله تعالى: ﴿**سيماهم فى وجوههم من أثر السجود**﴾[(٤)].

وقوله: «قل الحق وإن كان مرًّا» شبه الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فيمن يأباهما بالصبر؛ فإنه مر المذاق ولكن عاقبته محمودة. ثم زاد فى التأكيد بتوصية قوله: «لا تخف فى

[٤٨٦٥] شعب الإيمان ٤٩٥٣ - صحيح الجامع بلفظ (مقام الرجل فى الصف فى سبيل الله أفضل من ستين سنة) برقم ٥٨٨٦.

(١) الأعراف: ٢٦. (٢) الأعراف: ٣١.
(٣) الحج: ٣٢. (٤) الفتح: ٢٩.

الضحكِ، فإنَّهُ يُميتُ القلبَ، ويذهَبُ بنورِ الوجه» قلت : زدني قال : «قُل الحق وإن كان مرًّا». قلت زدني. قال: «لاتخف في الله لومةَ لائم». قلت زدني. قال: «ليحجزكَ عن الناسِ ما تعلمُ من نفسكَ». [٤٨٦٦]

٤٨٦٧- * وعن أنسٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «يا أبا ذر! ألا أدلُّكَ على خَصْلَتينِ هما أخفُّ على الظَّهْر، وأثقَلُ في الميزانِ؟» قال: قلت: بلى قال: «طول الصَّمْتِ، وحُسْنُ الخُلُقِ، والذي نفسي بيده ما عمل الخلائقُ بمثلهما». [٤٨٦٧]

٤٨٦٨- * وعن عائشةَ، قالت: مرَّ النبيُّ ﷺ بأبي بكرٍ وهو يَلْعَنُ بعضَ رقيقه، فالتفت إليه فقال: «لعانين وصدِّيقين؟ كلا وربِّ الكعبة» فأعتق أبو بكرٍ يومئذ بعضَ رقيقِه، ثمَّ جاء إلى النبيِّ ﷺ فقال: لا أعود. روى البيهقى الأحاديث الخمسة فى «شعب الإيمان». [٤٨٦٨]

٤٨٦٩- * وعن أسلم، قال: إنَّ عمرَ دخلَ يومًا على أبي بكر الصِّديق [رضى الله

الله لومة لائم» أى كن صلبا فى دينك إذا شرعت فى إنكار منكر أو أمر بمعروف، امض فيه كالمسامير المحماة، لا يرعك قول قائل، ولا اعتراض معترض، ولا لومة لائم يشق عليه جدك. وقوله: «ليحجزك» أى ليمنعك عيب نفسك عن عيوب الناس.

الحديث السابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «بمثلهما» الباء فى «بمثلهما» يحتمل أن تكون زائدة، أى ما عمل الخلائق عملين مثلهما. وأن يكون «عمل» بمعنى أتى، أى أتى بمثلهما . وقوله: «أخف على الظهر» تشبيه المعقول في تأتيه بالسهولة، كما فى قوله ﷺ: «كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان».

الحديث الثامن عن عائشة رضي الله عنها قوله: «لعانين وصديقين» أى هل رأيت صديقا يكون لعانا؟ كلا والله لا تتراءى ناراهما*، فالواو للجمع أى لا يجتمعان أبدا، وفى الكلام معنى التعجب.

الحديث التاسع عن أسلم: قوله: «يجبذ» «نه»: الجبذ لغة فى الجذب. وقيل هو مقلوب منه.

[٤٨٦٦] شعب الإيمان ٤٩٤٢ - ضعيف الجامع بنحوه ٢١٢١.

[٤٨٦٧] شعب الإيمان ٤٩٤١.

[٤٨٦٨] شعب الإيمان برقم ٥١٥٤.

* هذا اقتباس من الطيبي من الحديث الصحيح الذي رواه مسلم وغيره أن النبي ﷺ:«نهى أن يقيم المسلم بين ظهراني المشركين. فقيل: لم؟ قال: «لا تتراءى ناراهما».

عنهم] وهو يجْبِذُ لسانَهُ. فقال عُمر: مه، غفر الله لك فقال له أبو بكر: إنَّ هذا أوردني الموارد. رواه مالك. [٤٨٦٩]

٤٨٧٠- * وعن عبادة بن الصامت، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «اضمَنوا لي ستًّا من أنفسكم أضمنْ لكم الجنَّة: اصدُقوا إِذا حدَّثتم، وأوفوا إِذا وعدتم، وأدُّوا إِذا أُتمنتُم، واحْفَظوا فروجكم، وغضُّوا أبصارَكم، وكفُّوا أيدَيكُم». [٤٨٧٠]

٤٨٧١- * ٤٨٧٢- * وعن عبد الرحمن بن غنم، وأسماء بنت يزيد [رضي الله عنهم]، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «خيارُ عبادِ الله الذينَ إِذا رُؤُوا ذُكرَ اللهُ. وشرارُ عبادِ الله المشَّاؤونَ بالنَّميمة، والمفرِّقونَ بينَ الأحبَّة، الباغونَ البَراءَ العنتَ». رواهما أحمد، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٤٨٧١]، [٤٨٧٢]

٤٨٧٣- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ رجُلينِ صلَّيا صلاةَ الظهرِ أو العصر، وكانا صائمينِ، فلمَّا قضى النبيُّ ﷺ الصَّلاةَ قال: «أعِيدا وُضوءَ كما وصلاتكما، وامْضِيا

الحديث العاشر والحادى عشر عن عبد الرحمن : قوله: «إذا رؤوا ذكر الله» يحتمل وجهين: أحدهما: أنهم فى الاختصاص بالله بحيث إذا رؤوا خطر ببال من رآهم مولاهم؛ لما فيهم من سيماء العبادة. وثانيهما: أن من رآهم يذكر الله تعالى، كما روى ابن الأثير فى النهاية عن عمران بن حصين قال: قال رسول الله: «النظر إلى وجه على عبادة» قيل: معناه أن عليا رضى الله عنه كان إذا برز قال الناس: لا إله إلا الله ما أشرف هذا الفتى، لا إله إلا الله ما أعلم هذا الفتى، لا إله إلا الله ما أكرم هذا الفتى، لا إله إلا الله ما أشجع هذا الفتى. فكانت رؤيته تحملهم على كلمة التوحيد.

و«العنت» المشقة، والفساد، والهلاك، والإثم، والغلط، والخطأ، والزنا، كل ذلك قد جاء وأطلق العنت عليه، والحديث يحتمل كلها. والبراء جمع برىء. وهو، والعنت منصوبان مفعولان للباغين يقال: بغيت فلانا خيرا وبغيتك الشىء طلبته لك، وبغيت الشىء طلبته.

الحديث الثاني عشر عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «امضيا» أى لا تقطعا ولاتفطرا

[٤٨٦٩] مالك فى الموطأ باب (ما جاء فيما يخاف من اللسان).

[٤٨٧٠] شعب الإيمان ٥٢٥٦ - صحيح الجامع برقم ١٠١٨ - الصحيحة ١٤٧٠.

[٤٨٧١] شعب الإيمان ١١١٠٨ - ضعيف الجامع برقم ٢٨٧٠ - الضعيفة ٢٣٦٦.

[٤٨٧٢] شعب الإيمان كما فى الحديث السابق فهذا تابع له.

في صومِكما، واقضياهُ يومًا آخرَ». قالا: لِمَ يا رسولَ الله؟ قال: «اغْتبتُم فلانًا». [٤٨٧٣]

٤٨٧٤- * ٤٨٧٥- * وعن أبي سعيدٍ، وجابرٍ، قالا: قال رسولُ الله ﷺ: «الغِيبةُ أشد منَ الزنا». قالوا: يارسولَ الله! وكيفَ الغيبةُ أشد منَ الزنا؟ قال: «إنَّ الرَّجل ليزني فيتوبُ، فيتوبُ اللهُ عليه» - وفي رواية: «فيتوبُ فيغفرُ اللهُ له، وإنَّ صاحبَ الغيبةِ لا يُغفرُ له حتى يغفِرَها له صاحبهُ». [٤٨٧٤]،[٤٨٧٥]

٤٨٧٦- * وفي رواية أنس [رضي الله عنه]، قال: «صاحبُ الزنا يتوبُ، وصاحبُ الغيبة ليس له توبة». روى البيهقيُّ الأحاديث الثلاثة فى «شعب الإيمان». [٤٨٧٦]

٤٨٧٧- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ منْ كفَّارةِ الغيبةِ أنْ تستغفِرَ لمنِ اغتَبتَه، تقولُ: اللهُمَّ اغفِرْ لنا وله». رواه البيهقيُّ في «الدَّعوات الكبير» وقال: فى هذا الإِسناد ضعفٌ. [٤٨٧٧]

من «مضى فى أمره» إذا نفذ فيه ولم يتوقف، وهذا فى الصوم ظاهر لقوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا﴾[1] وأما فى الصلاة فإنه أكل لحم أخيه وشرب دمه فحمل النجاسة، هذا وارد على سبيل التشديد والتغليظ، والله أعلم.

الحديث الثالث عشر عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «كيف الغيبة أشد من الزنا؟» «الغيبة أشد من الزنا» مبتدأ على سبيل حكاية قول رسول الله ﷺ، و«كيف» خبره، أى كيف قولك هذا؟

الحديث الرابع عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «إن من كفارة الغيبة أن تستغفر» «مح»: رأيت فى فتاوي الطحاوى: أنه يكفى الندم والاستغفار فى الغيبة، وإن بلغته فالطريق أن يأتى المغتاب ويستحل منه. فإن تعذر لموته أو لغيبته البعيدة، استغفر الله تعالى. ولا اعتبار بتحليل الورثة.

[٤٨٧٣] شعب الإيمان رقم ٦٧٢٩ - ضعيف الجامع بنحوه ٣٩٤٨.

[٤٨٧٤ - ٤٨٧٥] شعب الإيمان برقم ٦٧٤١.

[٤٨٧٦] شعب الإيمان ٦٧٤٢.

[٤٨٧٧] كشف الخفاء ٢/ ١١١ - ١٩٣٢.

(١) الحجرات: ١٢.

(١١) باب الوعد

الفصل الأول

٤٨٧٨ - * عن جابرٍ، قال: لما ماتَ رسولُ الله ﷺ، وجاءَ أبا بكرٍ مالٌ منْ قِبَلِ العلاءِ بن الحضرميِّ. فقال أبو بكرٍ: مَنْ كانَ له على النبيِّ ﷺ دَينٌ، أو كانتْ له قِبَله عِدَةٌ فلْيأتِنا. قال جابر: فقلتُ: وعدَنى رسولُ الله ﷺ أنْ يُعطِيَنى هكذا، وهكذا، وهكذا. فبسطَ يدَيه ثلاثَ مرَّاتٍ. قال جابر: فحَثا لى حَثيةً، فعدَدتُها فإذا هِىَ خمسمائة. وقال: خُذْ مثلَيها. متفق عليه.

الفصل الثانى

٤٨٧٩ - * عن أبى جحيفةَ، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ أبيضَ قد شابَ، وكانَ الحسنُ بن على يشبهُه، وأمرَ لنا بثلاثةَ عشر قلوصًا، فذهبنا نقبضُها، فأتانا موتُه. فلم

وإذا اغتاب أحدا فهل يكفى أن يقول: قد اغتبتك فاجعلنى فى حل، أم لابد أن يبين ما اغتابه به، فيه وجهان لأصحاب الشافعى رضى الله عنه: أحدهما: يشترط، فإن أبرأه من غير بيانه، لم يصح كما لو أبرأه عن مال مجهول. وثانيهما: لا يشترط؛ لأن هذا مما يتسامح فيه بخلاف المال. والأول أظهر؛ لأن الإنسان قد يسمح بعفو عن الغيبة دون الغيبة.

قال الشيخ أبو حامد: سبيل المعتذر أن يبالغ فى الثناء عليه والتودد إليه، ويلازم ذلك حتى يطيب قلبه، فإن لم يطب قلبه كان اعتذاره وتودده حسنة محسوبة له، فتقابل بها سيئة الغيبة فى القيامة.

باب الوعد

الوعد يستعمل فى الخير، والشر، يقال: وعدته خيرا ووعدته شرا. فإذا أسقطوا الخير والشر، قالوا فى الخير الوعد والعدة، وفى الشر: الإيعاد والوعيد، وقد أوعده يوعده.

الفصل الأول

الحديث الأول عن جابر رضى الله عنه: قوله: «من كان له على النبى ﷺ دين» «شف»: فيه استحباب قضاء دين الميت وإنجاز وعده لمن تخلف بعده، وأنه يستوى فيه الوارث والأجنبى.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى جحيفة: قوله: «أمر لنا» كذا فى جامع الأصول، وساق إلى آخره ثم

يُعطونا شيئًا. فلمَّا قامَ أبو بكرٍ قال: مَن كانتْ له عندَ رسولِ الله ﷺ عِدَةٌ فلْيجئْ فقُمتُ إليه فأخبرتُه، فأمر لنا بها. رواه الترمذي.[٤٨٧٩]

٤٨٨٠ - * وعن عبدالله بن أبي الحَسْماء، قال: بايعتُ النبيَّ ﷺ قبلَ أنْ يُبعثَ، وبقيتْ له بقيَّةٌ، فوعدتُه أنْ آتيَه بها في مكانه، فنسيتُ، فذكرتُ بعدَ ثلاث، فإذا هوَ في مكانه، فقال: «لقد شقَقتَ عليَّ، أنا هاهنا منذُ ثلاثٍ أنتظرك» رواه أبو داود.[٤٨٨٠]

٤٨٨١ - * وعن زيد بن أرقمَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا وعدَ الرجلُ أخاهُ ومنْ نيَّته أنْ يَفي له، فلم يَفِ ولم يجئْ للميعادِ، فلا إثمَ عليهِ». رواه أبو داود، والترمذي.[٤٨٨١]

٤٨٨٢ - * وعن عبدالله بن عامرٍ، قال: دعَتني أمي يومًا ورسولُ الله ﷺ قاعدٌ في بيتنا، فقالت: ها تعالَ أعطيكَ. فقال لها رسولُ الله ﷺ: «ما أردتِ أنْ تُعطيهِ؟»

قال: اتفق البخاري ومسلم والترمذي على الفصل الأول. واتفق البخاري والترمذي على الفصل الثاني وانفرد الترمذي بذكر أبي بكر وإعطائه إياهم، وفي سائر المصابيح «أمر له» والأول أنسب لاتفاق الضمائر التالية.

الحديث الثاني عن عبدالله: قوله: «بايعت» أي بعت منه بمعنى شريت منه فهو من البيع لا من المبايعة. وقوله: «لقد شققت علي» أي حملت المشقة علي وأوصلتها إليّ، وكان انتظاره ﷺ لوعده لا لقبض بقية الثمن.

واعلم أن الوعد أمر مأمور الوفاء به في جميع الأديان، حافظ عليه الرسل المتقدمون؛ قال الله تعالى: ﴿ **وإبراهيم الذي وفَّى**﴾ (١)، ومدح ابنه إسماعيل بقوله: ﴿**إنه كان صادق الوعد**﴾(٢) يقال: إنه وعد إنسانا في موضع فلم يرجع إليه، فأقام حتى حال عليه الحول.

الحديث الثالث عن زيد: قوله: «ومن نيته أن يفي له» «شف»: هذا دليل على أن النية الصالحة يثاب الرجل عليها وإن لم يقترن معها المنوي وتخلف عنها.

الحديث الرابع إلى آخر الباب عن عبدالله: قوله: «أعطيك» بالجزم في بعض نسخ

[٤٨٧٩] انظر صحيح الترمذي رقم ٢٢٦٦.

[٤٨٨٠] قال الشيخ إسناده ضعيف.

[٤٨٨١] قال الشيخ إسناده ضعيف.

(١) النجم: ٣٧. (٢) مريم: ٥٤.

قالت: أردتُ أنْ أعطيَه تمرًا. فقال رسولُ الله ﷺ: «أما إنَّكِ لو لم تعطه شيئًا كتبتْ عليكِ كذبةٌ». رواه أبو داود، والبيهقيُّ فى «شعب الإيمان». [٤٨٨٢]

الفصل الثالث

٤٨٨٣ - * عن زيدِ بن أرقمَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مَنْ وعدَ رجلا فلم يأتِ أحدُهما إلى وقتِ الصَّلاةِ، وذهبَ الذى جاءَ ليُصلى، فلا إثمَ عليهِ». رواه رزين. [٤٨٨٣]

(١٢) باب المزاح

الفصل الأول

٤٨٨٤ - * عن أنسٍ، قال: إنْ كانَ النبيُّ ﷺ ليُخالطنا حتى يقول لأخٍ لى صغيرٍ: «يا أبا عُمَير! ما فعلَ النُّغيرُ؟» كانَ له نُغيرٌ يلعبُ به فمات. متفق عليه.

المصابيح جوابا للأمر وفى بعضه بإثبات الياء، وهو الرواية فى سنن أبى داود وشعب الإيمان على أنه استئناف، كقوله تعالى: ﴿فهب لى من لدنك وليا يرثنى﴾ (١) بالرفع. وكذلك فى السنن والشعب بعد قوله: «أعطيك» فقال لها: «ما أردت أن تعطيه؟ قالت: أردت أن أعطيه تمرا». وليس هذا فى المصابيح فكأنه سقط من النساخ.

باب المزاح

المزاح الدعابة. وقد مزح يمزح والاسم المزاح -بالضم- والمزاحة أيضا، وأما المزاح -بالكسر- فهو مصدر مازح (٢).

الفصل الأول

الحديث الأول عن أنس رضى الله عنه: قوله «إن كان» أى إنه كان «فإن» هى المخففة من المثقلة. و«حتى» غاية قوله: «يخالطنا» وضمير الجمع لأنس وأهل بيته، أى انتهت مخالطته لأهلنا كلهم حتى الصبى وحتى المداعبة معه، وحتى السؤال عن فعل النغير. وعن مسلم: «أنه ﷺ لايدخل على أحد من النساء إلا على أزواجه إلا أم سليم، فإنه كان يدخل عليها» وأم

[٤٨٨٢] شعب الإيمان ٤٨٢٢ - صحيح الجامع ١٣١٩ - الصحيحة - ٧٤٨.

[٤٨٨٣] انظر العلل ٢٣٢١.

(١) مريم: ٥: ٦ (٢) وفي النسختين: بدون لفظ «مازح».

الفصل الثانى

٤٨٨٥ - * عن أبى هريرةَ، قال: قالوا: يارسولَ الله ! إِنَّكَ: َ تداعبُنا. قال: «إنى لاأقولُ إلا حقًا». رواه الترمذى. [٤٨٨٥]

سليم أم أنس بن مالك. الجوهرى: النغير هو تصغير النغر وهو طائر كالعصافير. والنغرة كالحمرة واحدها*.

«غب»: الفعل: التأثير من جهة مؤثرة، والعمل كل فعل يكون من الحيوان بقصد. وهو أخص من الفعل؛ لأن الفعل قد ينسب إلى الحيوانات التى يقع منها فعل بغير قصد، وقد ينسب إلى الجمادات. انتهى كلامه . فالمعنى ما حاله وشأنه؟.

«حس»: فيه فوائد: منها: أن صيد المدينة مباح بخلاف صيد مكة. وأنه لا بأس بأن يعطى الصبى الطير ليلعب به من غير أن يعذبه. وإباحة تصغير الأسماء. وإباحة الدعابة ما لم تكن إثما، وجواز تكنى الصبى، ولايدخل ذلك فى باب الكذب.

وقد نقل عن الشيخ نجم الدين الكبير غير ذلك من الفوائد، وهو: أن يجوز للرجل أن يدخل فى بيت فيه امرأة أجنبية، إذا أمن على نفسه الفتنة، وأن يجوز للرجل أن يسأل عما هو عالم به تعجبا منه. وفيه كمال خلق النبى ﷺ ، وأن رعاية الضعفاء من مكارم الأخلاق، وأنه يستحب استمالة قلوب الصغار وإدخال السرور فى قلوبهم.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «تداعبنا» الدعابة المزاح. وتصدير الجملة بـ «إن المؤكدة» يدل على إنكار أمر سابق، كأنهم قالوا: لاينبغى لمثلك فى صدر الرسالة ومكانتك من الله تعالى المداعبة، فأجابهم بالقول الموجب، أى نعم أداعب ولكنى لا أقول إلا قولا حقا. لله در مزاح هو حق وصدق فكيف بجده؟.

«مح»: المزاح المنهى عنه هو الذى فيه إفراط ويداوم عليه، فإنه يورث الضحك وقسوة القلب، ويشغل عن ذكر الله تعالى والفكر فى مهمات الدين. ويؤول فى كثير من الأوقات إلى الإيذاء، ويورث الأحقاد ويسقط المهابة والوقار. فأما ما سلم من هذه الأمور، فهو المباح الذى كان رسول الله ﷺ يفعله على الندرة لمصلحة وتطييب نفس المخاطب ومؤانسته، وهو سنة مستحبة. فاعلم هذا؛ فإنه مما يعظم الاحتياج إليه.

[٤٨٨٥] انظر صحيح الترمذى ١٦٢١ - الصحيحة ١٧٢٦.

* وفي ط: «كالهمرة واحدتها» وما أثبتناه من (ك).

٤٨٨٦ - * وعن أنسٍ، أنَّ رجلا استحملَ رسولَ الله ﷺ، فقال: «إنى حاملُكَ على ولدِ ناقةٍ؟» فقال: ما أصنعُ بولدِ النَّاقةِ؟ فقال رسولُ الله ﷺ: «وهلْ تلدُ الإبلَ الا النوقُ؟». رواه الترمذى، وأبو داود. [٤٨٨٦]

٤٨٨٧ - * وعنه، أنَّ النبىَّ ﷺ قال له: «ياذا الأذنَينِ!». رواه أبو داود، والترمذىُّ. [٤٨٨٧]

٤٨٨٨ - * وعنه، عن النبى ﷺ، قال لامرأة عجوز: «إنَّه لاتدخلُ الجنَّةَ عجوزٌ» فقالتْ: وما لهُنَّ؟ وكانت تقرأُ القرآنَ فقال لها: «أما تقرئينَ القرآنَ؟ ﴿**إنَّا أنشأناهُنَّ إنشاءً فجعلناهُنَّ أبكارًا**﴾ (١)» رواه رزين. وفى «شرح السنة» بلفظ «المصابيح».

٤٨٨٩ - * وعنه، أنَّ رجلا منْ أهل البادية كانَ اسمُه زاهرَ بن حرامٍ، وكانَ يهْدى للنبىِّ ﷺ من البادية، فيجهزُه رسولُ الله ﷺ إذا أرادَ أنْ يخرجَ فقال النبى ﷺ «إنَّ زاهرًا باديتُنا ونحنُ حاضروه» وكانَ النبىُّ ﷺ يحبُّه، وكانَ دميمًا. فأتى النبىُّ ﷺ يومًا وهوَ يبيعُ متاعَه، فاحتضنَه منْ خلفه وهو لايُبصره. فقال: أرسلنى، مَن هذا؟ فالتفتَ فعرفَ النبىَّ ﷺ، فجعلَ لا يألوا ما ألزَقَ ظهرَه بصدرِ النبىِّ ﷺ حينَ

الحديث الثانى عن أنس رضى الله عنه: قوله: «استحمل» أى سأله الحملان، والمراد به أن يعطيه حمولة يركبها.

الحديث الثالث عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ياذا الأذنين» «نه»: معناه: الحض والتنبيه على حسن الاستماع والوعى لما يلقى إليه لا المزاح؛ لأن السمع بحاسة الأذن. ومن خلق الله تعالى له أذنين، فأغفل ولم يحسن الوعى لم يعذر. وقيل: إن هذا القول من جملة مداعباته ﷺ ولطيف أخلاقه.

الحديث الرابع والخامس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فيجهزه» أى يعد ما يحتاج إليه فى البادية من أمتعة البلدان. وقوله: «إن زاهرًا باديتنا ونحن حاضروه» معناه: إنا نستفيد منه ما

[٤٨٨٦] انظر صحيح الترمذى ١٦٢٣ - وقال: صحيح.

[٤٨٨٧] انظر صحيح الترمذى ١٦٢٢ - صحيح أبى داود ٤١٨٢.

(١) الواقعة: ٣٥، ٣٦

عرفَه، وجعلَ النبيُّ ﷺ يقولُ: «مَن يشترى العبدَ؟» فقال: يارسول الله ! إذًا والله تجدُنى كاسدًا فقال النبيُّ ﷺ: «لكنْ عندَ اللهِ لستَ بكاسدٍ». رواه فى «شرح السنة». [٤٨٨٩]

٤٨٩٠ - * وعن عوفِ بن مالك الأشجعىِّ، قال: أتيتُ رسولَ الله ﷺ فى غزوةِ تبوك، وهوَ فى قُبَّة من أدمٍ ، فسلمتُ ، فردَّ علىَّ وقال: «ادخُلْ» فقلتُ: أكلى يارسولَ الله؟ قال: «كلُّكَ» فدخلتُ. قال عثمانُ بن أبى العاتكة: إنما قال: أدخل كلى منْ صِغَرِ القُبَّةِ. رواه أبو داود. [٤٨٩٠]

٤٨٩١ - * وعن النعمان بن بشيرٍ، قال: استأذنَ أبو بكرٍ على النبىِّ ﷺ ، فسمعَ صوتَ عائشة عاليًا، فلمَّا دخلَ تناولَها ليلطمها وقال : لا أراكِ ترفعينَ صوتك على رسولِ الله ﷺ ، فجعلَ النبىُّ ﷺ يحجُزه، وخرج أبو بكرٍ مغضبًا . فقال النبىُّ ﷺ

يستفيد الرجل من باديته من أنواع النباتات، ونحن نعد له ما يحتاج إليه من البلد «وكان دميمًا» أى قبيح الوجه كريه المنظر. وقوله: «فاحتضنه» أى أخذه فى حضنه، وهو مادون الإبط إلى الكشح. «فجعل لا يألو» أى طفق لايقصر فى لزق ظهره بصدر النبى ﷺ تبركا. وقوله: «إذًا» جواب وجزاء أى إن بعتنى إذا تجدنى كاسدا، أى من المتاع الكاسد لما فيه من الدمامة.

الحديث السادس عن عوف: قوله: «كلك» يجوز فيه الرفع والنصب، فالتقدير: أيدخل كلى؟ فقال: كلك، أى يدخل كلك أو أأدخل كلى؟ فقال: أدخل كلك. قوله: «أدخل كلى» الظاهر أنه مضموم الهمزة على أنه من باب الإفعال. ولو ذهب إلى الفتح، فوجهه أن يحمل «كلى» على أنه تأكيد، وهو بعيد.

الحديث السابع عن نعمان: قوله: «لا أراك ترفعين» أى لاتتعرضى لما يؤدى إلى رفع صوتك، فالنهى وارد على المتكلم. والألف فى «لا أراك» للإشباع. ويجوز أن يحمل على النفى الواقع موقع النهى، أى لاينبغى لك أن أراك على هذه الحالة.

قوله: «أنقذتك من الرجل» الظاهر أن يقال: من أبيك، فعدل إلى الرجل أى من الرجل الكامل فى الرجولية حين غضب لله تعالى ولرسوله. وقولها: «فمكث أبو بكر» بدل «أبى» لما

[٤٨٨٩] انظر صحيح الجامع برقم ٢٠٨٧.

[٤٨٩٠] انظر صحيح أبى داود ٤١٨١.

حينَ خرجَ أبو بكرٍ: «كيفَ رأيتنى أنقذتُكِ منَ الرَّجلِ؟». قالتْ: فمكثَ أبو بكرٍ أيامًا، ثمَّ استأذنَ فوجدهما قد اصطلحا، فقال لهما: أدخلانى فى سلمِكُما كما أدخلتُمانى فى حربكُما فقال النبىُّ ﷺ: «قدْ فعلنا، قدْ فعلنا». رواه أبوداود. [٤٨٩١]

٤٨٩٢ - * وعن ابن عبَّاسٍ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «لاتُمارِ أخاكَ، ولاتُمازِحْه، ولاتعِدْهُ موعدًا فتُخلفَه». رواه الترمذىُّ، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٤٨٩٢]

[وهذا الباب خالٍ عن **الفصل الثالث**]

حدث فى سجيتها من غضبه عليها، فجعلته كأنه أجنبى؛ إذ فى الأبوة استعطاف. وقوله: «قالت: فمكث» هذا يدل على أن النعمان سمع هذا الحديث من عائشة رضى الله عنها.

الحديث الثامن عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «فتخلفه» إن روى منصوبا كان جوابا للنهى على تقدير «أن» فيكون مسببا عما قبله. فعلى هذا التنكير فى «موعدًا» لنوع من الموعد، وهو ما لايرضاه الله تعالى بأن يعزم عليه قطعا ولايستثنى . فيجعل الله تعالى ذلك سببا للإخلاف. أو هو ينوى فى الوعد الخلف كالمنافق ؛ فإن آية المنافق الخلف فى الوعد كما ورد: «إذا وعد أخلف». ويحتمل أن يكون المنهى مطلق الوعد؛ لأنه كثيرا ما يفضى إلى الخلف. ولو روى مرفوعا كان المنهى الوعد المستعقب للإخلاف، أى لاتعده موعدا فأنت تخلفه، على أنه جملة خبرية معطوفة على إنشائية. وعلى هذا يتفرع عليه مسائل.

«مح»: أجمعوا على أن من وعد إنسانا شيئا ليس بمنهى عنه، فينبغى أن يفى بوعده. وهل ذلك واجب أم مستحب؟ فيه خلاف: ذهب الشافعى وأبو حنيفة والجمهور إلى أنه مستحب . فلو تركه فاته الفضل وارتكب المكروه كراهة شديدة ولايأثم. وذهب جماعة إلى أنه واجب، منهم عمر بن عبدالعزيز. وبعضهم إلى التفضيل. ويؤيد الوجه الأول ما أورده فى الإحياء حيث قال: وكان ﷺ إذا وعد وعدا قال: «عسى». وكان ابن مسعود لايعد وعدا إلا ويقول: إن شاء الله عز وجل وهو الأولى. ثم إذا فهم مع ذلك الجزم فى الوعد، فلابد من الوفاء إلا أن يتعذر. فإن كان عند الوعد عازما على أن لايفى به فهذا هو النفاق . والله أعلم.

[٤٨٩١] انظر سنن أبى داود برقم ٤٩٩٩.

[٤٨٩٢] انظر ضعيف الجامع برقم ٦٢٨٨.

(١٣) باب المفاخرة

الفصل الأول

٤٨٩٣ - * عن أبى هريرةَ، قال: سُئِل رسولُ الله ﷺ: أىُّ النَّاسِ أكرمُ؟ قال: «أكرمُهم عندَ الله أتْقاهُم». قالوا: ليسَ عنْ هذا نسألُكَ. قال: «فأكرَمُ النَّاسِ يوسفُ نبىُّ اللهِ ابنُ نبىٍّ الله ابن نبىٍّ الله ابنِ خليلِ الله». قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ. قال: «فعنْ معادنِ العربِ تسألونى؟»قالوا: نعمْ . قال «فخيارُكم فى الجاهليَّةِ خيارُكم فى الإسلام إِذا فَقُهُوا» متفق عليه.

باب المفاخرة والعصبية

« نه» العصبى هو الذى يغضب لعصبيته ويحامى عنهم. والعصبة الأقارب من جهة الأب؛ لأنهم يعصبونه ويعتصب بهم، أى يحيطون به ويشتد بهم. ومنه: «ليس منا من دعى إلى عصبية أو قاتل عصبية».

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أى الناس أكرم؟»، يحتمل أن يراد به أكرم عند الله تعالى مطلقا من غير نظر إلى النسب، ولو كان عبدًا حبشيا، وأن يراد الحسب مع النسب، وأن يراد به الحسب فحسب، وكان سؤالهم عن هذا لقوله ﷺ: «فعن معادن العرب» أى عن أصولهم التى ينسبون إليها، وكان جوابهم نعم، فسلك ﷺ **الأسلوب الحكيم** على ألطف وجه حيث جمع بين الحسب والنسب. وقال: «إذا فقهوا». قوله: «قالوا: ليس عن هذا نسألك» تقديره: ليس سؤالنا عن هذا على منوال قوله: فقالوا: ما تشاء؟ فقلت: الهوى.

«حس»: يريد أن من كانت له مأثرة وشرف إذا أسلم وفقه فقد حاز إلى ذلك ما استفاده بحق الدين. ومن لم يسلم فقد هدم شرفه وضيع نسبه.. «مح» : قالوا : لما سئل ﷺ : أى الناس أكرم؟ أجاب بأكملهم وأعمهم. وقال: أتقاهم لله»: ؛ لأن أصل الكرم كثرة الخير، ومن كان متقيا كان كثير الخير وكثير الفائدة فى الدنيا، وصاحب الدرجات العلى فى الأخرى. ولما قالوا: ليس عن هذا نسألك. قال: يوسف الذى جمع خيرات الدنيا والآخرة وشرفها؛ حيث جمع مكارم الأخلاق مع شرف النبوة والنسب، وضم مع ذلك شرف علم الرؤيا والرئاسة وتمكنه فيها، وسياسة الرعية بالسيرة الحميدة والصورة الجميلة.

٤٨٩٤ - * وعن ابن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: « الكريمُ ابن الكريمِ ابنِ الكريمِ ابن الكريم، يوسف بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ». رواه البخاري.

٤٨٩٥ - * وعن البراءِ بن عازبٍ، قال: في يومِ حنينٍ كانَ أبو سفيانَ بن الحارثِ آخذا بعنان بغلته يعني بغلة رسول الله ﷺ، فلما غشيه المشركونَ، نزلَ فجعلَ يقول:

«أنا النبيُّ لاكذِبْ أنا ابنُ عبدِ المطلبْ»

قال: فمارُئي من النَّاسِ يومئذٍ أشدُّ منه. متفق عليه.

الحديث الثاني والحديث الثالث عن البراء رضي الله عنه: قوله: «أنا النبي لاكذب»، «تو»: ليس لأحد أن يحمل هذا على المفاخرة. والشيخ لم يصب في إيراد هذا الحديث في هذا الباب، ولاشك أنه اتبع بعض أصحاب الحديث في مصنفاتهم، ولم يصب أولئك أيضا. وقد نفى نبي الله ﷺ عن نفسه أن يذكر الفضائل التي خصه الله بها فخرا بل شكرا لأنعمه. فقال: «أنا سيد ولد آدم ولافخر» الحديث. وذم العصبية في غير موضع. فأني لأحد أن يعد هذا الحديث من أحد القبيلين؟ وكيف يجوز على النبي ﷺ أن يفتخر بمشرك؟ وكان ينهى الناس أن يفتخروا بآبائهم. وإنما وجه ذلك أن نقول: تكلم بذلك على سبيل التعريف ؛ فإن الله تعالى قد أرى قوما قبل ميلاده ما قد كان علمًا على نبوته ودليلا على ظهور أمره. وأظهر علم ذلك على الكهنة حتى شهد به غير واحد منهم. فالنبي ﷺ ذكرهم بذلك، وعرفهم أنه ابن عبدالمطلب الذي روى فيه ماروى وذكر فيه ما ذكر.

أقول: والجواب ما ذكره في شرح السنة من قوله: الافتخار والاعتزاز المنهي عنه ما كان في غير جهاد الكفار. وقد رخص ﷺ الخيلاء في الحرب مع نهيه عنها في غيرها. روى: أن عليا رضي الله عنه بارز مرحبا يوم خيبر فقال: «أنا الذي سمتني أمي حيدرة». انتهى كلامه. كأنه ﷺ يرى الكفار شدة جأشه وشجاعته مع كونه مؤيدًا من عند الله تعالى حين فلت شوكة المسلمين. وهي السكينة التي أنزل الله تعالى عليه يوم حنين وعلى المسلمين.

وتلخيص الجواب أن المفاخرة نوعان: مذمومة ومحمودة، فالمذموم منها ماكان عليه الجاهلية من الفخر بالآباء والأنساب للسمعة والرياء . والمحمود منها ماضم مع النسب الحسب في الدين، لارياء بل إظهارًا لأنعمه تعالى عليه. فقوله: «لا فخر» احتراز عن المذموم منها، وكفى به شاهدا قوله في الحديث السابق قال: «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام إذا فقهوا».

وقوله ﷺ حين جاءه عباس، فكأنه سمع شيئا فقام على المنبر فقال: من أنا ؟ فقالوا: أنت رسول الله. قال: أنا محمد بن عبدالله بن عبد المطلب. إن الله تعالى خلق الخلق فجعلني في

٤٨٩٦ - * وعن أنسٍ، قال: جاءَ رجلٌ إِلى النبىِّ ﷺ، فقال: ياخيرَ البريّة! فقال رسولُ الله ﷺ« ذاكَ إبراهيمُ» رواه مسلم.

٤٨٩٧ - * وعن عمرَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاتُطْرونى كما أطْرَت النصارى ابنَ مريمَ ، فإنما أنا عبدُه، فقولوا: عبدُالله ورسولُه» متفق عليه.

خيرهم فرقة، ثم جعلهم فرقتين فجعلنى فى خيرهم فرقة، ثم جعلهم قبائل فجعلنى فى خيرهم قبيلةً، ثم جعلهم بيوتا فجعلنى فى خيرهم بيتًا. فأنا خيرهم نفسًا وخيرهم بيتًا.

قال فى الإحياء: كان افتخاره ﷺ بالله تعالى وبقربه من الله لابكونه مقدما على ولد آدم، كما أن المقبول عند الملك قبولا عظيما إنما يفتخر بقبوله إياه. وبه يفرح لابتقدمه على بعض رعاياه.

الحديث الرابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ياخير البرية!» «نه»: يقال: برأه الله يبرأه برءًا أى خلقه. ويجمع على البرايا والبريات من البرى وهو التراب إذا لم يهمز. ومن ذهب إلى أن أصله الهمزة أخذه من برأ الله الخلق يبرأهم أى خلقهم، ثم ترك فيها الهمز تخفيفا، ولم تستعمل مهموزة.

«مح»: فيه وجوه: أحدها: أنه قال هذا تواضعا واحتراما لإبراهيم صلوات الله عليه لخلته وأبوته، وإلا فنبينا ﷺ أفضل. كما قال ﷺ : «أنا سيد ولد آدم ولافخر». وثانيها: أنه قال هذا قبل أن يعلم أنه سيد ولد آدم: فإن الفضائل يمنحها الله تعالى لمن يشاء. فأخبر بفضيلة إبراهيم عليه السلام إلى أن علم فضل نفسه فأخبر به.

وثالثها: أن المراد منه أنه أفضل برية عصره، فأطلق العبارة الموهمة للعموم؛ لأنه أبلغ فى التواضع. وفيه جواز التفاضل بين الأنبياء عليهم السلام.

الحديث الخامس عن عمر رضى الله عنه: قوله «لا تطرونى» «نه» : الإطراء مجاوزة الحد فى المدح والكذب فيه. «حس»: وذلك أن النصارى أفرطوا فى مدح عيسى عليه السلام وإطرائه بالباطل وجعلوه ولدًا لله تعالى، فمنعهم النبى ﷺ أن يطروه بالباطل. أقول: وفى العدول عن عيسى والمسيح إلى ابن مريم تبعيد له عن الإلهية، يعنى بالغوا فى المدح والإطراء والكذب بأن جعلوا من حصل من جنس النساء الطوامث إلها وابن إله قال تعالى: « **﴿يا أهل الكتاب لاتغلوا فى دينكم ولاتقولوا على الله إلا الحق، إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته، ألقاها إلى مريم وروح منه﴾**(١).

---

(١) النساء: ١٧١ .

٤٨٩٨ - * وعن عياضٍ بن حمارٍ المجاشعيِّ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: « إنَّ الله أوْحى إلىَّ : أنْ تواضَعوا حتى لايَفخَرَ أحدٌ على أحدٍ، ولايبغىَ أحدٌ على أحد». رواه مسلم.

الفصل الثانى

٤٨٩٩ - * عن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ قال: «ليَنتهيَنَّ أقوامٌ يفتخرونَ بآبائهم الذينَ ماتوا، إنما هم فحمٌ من جهنمَ، أو ليكونُنَّ أهونَ على الله منَ الجُعَلِ الذى

ولما كان الخطاب مع اليهود والنصارى، وغلت اليهود فى حط المسيح عن منزلته حيث جعلته مولودا لغير رشده، عرض لهم بقوله: «إنما المسيح عيسى ابن مريم رسول الله » وغلت النصارى فى رفعه عن مقداره حيث جعلوه إلها، قيل لهم: «وكلمة ألقاها إلى مريم» أى مخلوق بكلمة «كن» أوصلها إلى مريم وحصلها فيها. ثم أرشدهم صلوات الله عليه إلى أن غاية مدحه لايتجاوز عن كونه عبدالله ورسوله تواضعا وهضما لنفسه، وفيه مبالغة فى المدح مع تحرى الصدق بخلاف الإطراء؛ فإنه مبالغة فيه مع توخى الكذب. وإنما كان مبالغة فى المدح؛ لما شرف فى مقام القرب ومجذع الوصل بقوله: ﴿**سبحان الذى أسرى بعبده ليلا**﴾(١).

الحديث السادس عن عياض: قوله: «أن تواضعوا» أمر من التواضع تفاعل من الضعة، وهى الذل والهوان والدناءة ،وقد وضع ضعة فهو وضيع. والفخر إدعاء العظم والكبر والشرف، والبغى الظلم. أقول: «حتى» فيه بمعنى «كى» أى إن الفخر والبغى نتيجتا الكبر؛ لأن المتكبر هو الذى يرفع نفسه فوق منزلته فلا ينقاد لأحد.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إنما هم فحم» حصر آباءهم على كونهم فحمًا من جهنم لا يتعدون ذلك إلى فضيلة يفتخر بها. قوله: «أو ليكونن» «قض»: «أو» ههنا للتخيير والتسوية. والمعنى أن الأمرين سواء فى أن يكون حال آبائهم الذين يفتخرون بهم، وأنت مخير فى توصيفهم بأيهما شئت.

أقول: الظاهر أنه عطف على قوله: «لينتهين» والضمير فيه ضمير القوم لا الآباء؛ لأن اللام فى المعطوف والمعطوف عليه لام الابتداء على نحو قوله تعالى: ﴿ **لنخرجنك يا شعيب والذين**

---

(١) الإسراء: ١.

يُدهْده الخراءَ بأنفه. إنَّ الله قدْ أذهبَ عنكم عُبيَّةَ الجاهليَّة، وفخرَها بالآباءِ، إنما هوَ مؤمنٌ تقيٌّ، أو فاجرٌ شقيٌّ، النَّاس كلهم بنو آدمَ، وآدمُ منْ ترابٍ». رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٨٩٩]

آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا﴾ (١) ،كأنه ﷺ حلف على أن أحد الأمرين كائن لامحالة.

فإن قلت: هب أنه ﷺ عرف أنه تعالى يعذبهم بسبب المفاخرة بآبائهم فأقسم عليهم، فبم عرف انتهاءهم عنها قلت: لما نظمها بأوفى الحكم الذى هو الحلف، آل كلامه إلى قولك: «ليكونن أحد الأمرين» يعنى إن كان الانتهاء لم تكن المذلة، وإن لم تكن كانت. كذا حقق صاحب الكشاف فى النمل. : قيل: أحد الأمرين لابد منه، إما الانتهاء عما هم فيه، أو إنزال الصغار والهوان من الله تعالى عليهم. و«الجُعَل» حيوان معروف كالخنفساء والدهدهة الدحرجة يقال: دهدهت الحجر ودهديته.

قوله: «عبية الجاهلية» «تو»: أى نخوتها يقال: رجل فيه عبية بضم العين وكسرها: أى كبر وتجبر. والمحفوظ عن أهل الحديث بتشديد الباء. وذكر أبو عبيد الهروى: هو من العبء بمعنى الحمل الثقيل. ثم قال: وقال الأزهرى: بل هو مأخوذ من العبء وهو الضوء والنور والضياء. يقال: هذا عبأ الشمس، وأصله عبوء الشمس، وعلى هذا فالتشديد فيه كما فى الذرية من الذرء بالهمز. والجوهرى أدخله فى باب المضاعف.

قوله: «إنما هو مؤمن تقى» فى هذا الضمير وجوه: أحدها: أن فى الكلام تقديما وتأخيرا، فقوله: «الناس كلهم بنو آدم» مقدم ملحوظه؛ لأنه مجمل وذاك تفصيله على نحو قوله:

الناس من جهة التمثال أكـــفاء ... أبـوهم آدم والأم حـــــــواء
فإن يكن لهم فى أصلهم شرف ... يفاخرون به فالطين والمـــــــاء
ما الفخر إلا لأهل العلم إنهـــم ... على الهدى لمـن استهـدى أدلاء

ووحّد الضمير نظرا إلى الجنس ملحوظه على **تأويل الإنسان** . وثانيها: أنه ضمير مبهم يفسره الخبر. كذا قرر صاحب الكشاف فى قوله تعالى: **﴿وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا﴾**(٢). وقولهم: هى العرب تقول: ما شاءت. وثالثها: أن يكون بمعنى اسم الإشارة، ملحوظة إلى المذكور السابق منطوقا ومفهوما.

[٤٨٩٩] حسن،انظر صحيح الترمذى ٣١٠٠.

(١) الأعراف: ٨٨ . (٢) الجاثية: ٢٤. * فى (ط) الدهرمة، والصواب ما أثبتناه

٤٩٠٠ - * وعن مُطرِّفِ بن عبدِالله بن الشخِّير، قال: [قال أبى:] انطلقت فى وفد بنى عامر إلى رسول الله ﷺ، فقلنا: أنتَ سيدنا. فقال: «السيدُ اللهُ» فقلنا وأفضلُنا فضلا، وأعظمُنا طولا. فقال: «قولوا قولَكم، أو بعض قولِكم، ولايستجرينَّكمُ الشيطانُ». رواه أحمد وأبو داود.[٤٩٠٠]

وبيانه أن قوله ﷺ : «أقوام» من باب سوق المعلوم مساق غيره. وهم قوم مخصوصون نكرهم وجعلهم غائبين، **ثم التفت من الغيبة إلى الخطاب** فى قوله: «قد أذهب عنكم» وهذا يشعر بغضب شديد وسخط متتابع، كأن أناسا من المسلمين تفاخروا بأسلافهم الذين ماتوا على الكفر كالعباس بن مرداس وأضرابه، حتى قال قائلهم:

فما كان حصن ولاحابس يفوقان مرداس فى مجمع

فوبخهم وزجرهم وسفه رأيهم . المعنى لينته من شرفه الله وخلع عليه حلل الإسلام. ورفعه من حضيض الكفر إلى يفاع الإيمان عن هذه الشنعاء وإلا فيحطه من تلك المنزلة، ويرده إلى أسفل سافلين الكفر والذل، فإن تشبيههم بأخس الحيوانات فى أخس أحواله يدل عليه. فالمعنى ما ذلك العزيز الكريم عند الله إلا رجل تقى، وما ذلك الذليل الدنيء عنده إلا فاجر شقى. ثم رجع رسول الله ﷺ من ذلك العنف إلى اللطف ومن التوبيخ إلى إسماع الحق قائلا: «الناس كلهم بنو آدم» كقوله تعالى **﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى﴾** (١) **إلى قوله: ﴿ إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾** (٢) وفى ذكر التراب إشارة إلى نقصانهم وأنهم فيه سواء طف الصاع بالصاع.

الحديث الثانى عن مطرف: قوله: «قولوا قولكم» «مظ»: يعنى قولوا هذا القول أو أقل منه، ولاتبالغوا فى مدحى بحيث تمدحوننى بشيء يليق بالخالق ولايليق بالمخلوق. «خط»: أراد النبى ﷺ قولوا بقول أهل دينكم وملتكم، وادعونى نبيا ورسولا كما سمانى الله فى كتابه، ولاتسمونى سيدا كما تسمون رؤساءكم وعظماءكم؛ لأنى لست كأحد منهم إذا كانوا يسودونكم فى أسباب الدنيا، وأنا أسودكم بالرسالة والنبوة فسمونى رسولا ونبيًا.

«تو»: سلك القوم فى الخطاب معه مسلكهم مع رؤساء القبائل؛ فإنهم يخاطبونهم بنحو هذا الخطاب فكره ذلك؛ لأنه كان من حقه أن يخاطبوه بالنبى والرسول؛ فإنها المنزلة التى لامنزلة

[٤٩٠٠] إسناده صحيح - صحيح الجامع ٣٧٠٠.

(١) الحجرات : ١٣.

(٢) الحجرات: ١٣.

٤٩٠١ - * وعن الحسنِ، عن سمُرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ« الحسَبُ المالُ، والكرَمُ التَّقْوى». رواه الترمذى، وابنُ ماجه.[٤٩٠١]

وراءها لأحد من البشر. وحول الأمر فيه إلى الحقيقة فقال: السيد هو الله أى الذى يملك نواصى الخلق ويتولى أمرهم ويسوسهم.

أقول:على هذا نزل صلوات الله عليه قولهم منزلة الإبهام والتورية، وهو لفظ له معنيان : قريب وبعيد، وأراد القوم المعنى القريب وهو المتعارف بينهم، فلما كره صلوات الله عليه ذلك، حمله على المعنى البعيد زجرا وتوبيخا لهم. كما إذا قيل لرجل فاضل متبحر من زمرة العلماء: ملك الصدور، فهو دون منزلته؛ لأنه يستعمل فى العظماء فيكرهه ويحول الأمر فيه إلى الحقيقة قائلا: ملك الصدور هو الله تعالى. وقوله: «وأفضلنا» عطف على قوله: «سيدنا» كأنهم قالوا: أنت سيدنا وأفضلنا فضلا وأعظمنا طولا. فكره رسول الله ﷺ الكل وخص الرد بالسيد، فأدخل الراوى كلامه بين المعطوف والمعطوف عليه. والذى يدل على كراهة الكل قوله: «قولوا قولكم» أى بقول أهل ملتكم وماهو من شعار المسلمين، وذلك قولهم رسول الله ونبى الله.

ويحتمل أن يراد بالقول القول الذى جئتم له وقصدتموه، أى دعوا هذا المدح وأتوا بمقصودكم وحاجتكم، ونظيره قوله ﷺ لجويريات يضربن بالدف، ويندبن من قتل من آبائهن يوم بدر، إذ قالت إحداهن: وفينا نبى يعلم مافى غد: دعى هذه وقولى ما كنت تقولين. وقوله: «فضلا» تمييز والمراد به المزايا من الكرم والعلم والنبوة وغير ذلك. و«بالأفضل» مطلق الزيادة بحسب أهل اللغة. و«الطول» الفضل.

قوله: «**لايستجرينكم الشيطان**» أى: يغلبنكم فيتخذكم جريا أى رسولا ووكيلا. وذلك أنهم كانوا مدحوه ، فكره لهم المبالغة فى المدح فنهاهم عنه يريد: تكلموا بما يحضركم من القول، ولاتتكلفوه كأنكم وكلاء الشيطان ورسله ، تنطقون عن لسانه.

الحديث الثالث عن الحسن: قوله: «الحسب» ما يعد من مآثره ومآثر آبائه. والكرم الجمع بين أنواع الخير والشرف والفضائل. وهذا بحسب اللغة، فردهما ﷺ إلى ماهو المتعارف بين الناس وعند الله تعالى، أى ليس ذو الحسب عند الناس الفقير إذ لا يوقر ولايحتفل به، بل الحسب عندهم من رزق الثروة ووقر فى العيون.

ومنه حديث عمر رضى الله عنه: من حسب الرجل نقاء ثوبيه، أى أنه يوقر لذلك من حيث أنه دليل الثروة وذو الفضل والشرف عند الناس. ولايعد كريما عند الله تعالى، وإنما

[٤٩٠١] انظر صحيح الجامع ٣١٧٨ - الإرواء ١٨٩٧٠.

٤٩٠٢ - * وعن أبي بن كعب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «من تعزَّى بعزاءِ الجاهليَّةِ، فأعضُّوهُ بهَنِ أبيه ولاتكنُوا». رواه في «شرح السنَّة». [٤٩٠٢]

٤٩٠٣ - * وعن عبدِالرَّحمن بنِ أبي عُقبةَ، عن أبي عُقبةَ، وكانَ مولىً من أهلِ فارس، قال : شهِدتُ مع رسول الله ﷺ أُحُدًا، فضربتُ رجلا منَ المشركينَ، فقلتُ: خُذها مني وأنا الغلامُ الفارسيُّ ! فالتفتَ إليَّ فقال: «هلا قلتَ: خذها مني وأنا الغلامُ الأنصاريُّ؟». رواه أبو داود. [٤٩٠٣]

الكريم عنده من ارتدى برداء التقوى؛ قال الله تعالى : ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾ (١) وأنشد:

كانت مودة سلمان له نسبا ولم يكن بين نوح وابنه رحم

الحديث الرابع عن أبي بن كعب رضي الله عنه قوله: «فاعضوه بهن أبيه» «نه»: الهن بالتخفيف والتشديد كناية عن الفرج . «تو»: يقال: عزوته إلى أبيه وعزيته أيضا لغة إذا نسبته إليه فاعتزى وتعزّى . قال أصحاب الغريب : انتسب وانتمى إليها في قوله: بآل فلان فأعضوه. قال أبو عبيد الهروي أي قولوا له: أعضض بأير أبيك، ولاتكنوا عن الأير بالهن تأديبا له وتنكيلا. ومعناه: والله أعلم أن من انتسب وانتمى إلى الجاهلية بإحياء سنة أهلها واتباع سبيلهم في الشتم واللعن والتعبير ومواجهتكم بالفحشاء والمنكر، فاذكروا له ماتعرفون من مثالب أبيه ومساويه. وماكان يعتريه من لؤم ورذالة صريحا لاكناية كي يرتدع به عن التعرض لأعراض الناس، هذا هو توجيه الحديث . والله أعلم.

الحديث الخامس عن عبدالرحمن: قوله: «هلا قلت : خذها مني وأنا الغلام الأنصاري» «شف»: أي إذا افتخرت بشرف النسبة، فانتسب إلى الذين هاجرت إليهم ونصروني وهم الأنصار. أقول: من عادة المحاربين عند إظهار الشجاعة إذا أصابوا في ضربتهم أو طعنتهم، يقولون: هذه الكلمة على سبيل التهكم، نحو قوله:

«تحية بينهم ضرب وجيع»

[٤٩٠٢] شرح السنة وإسناده صحيح ٣٥٤١.

[٤٩٠٣] في إسناده محمد بن إسحاق وقد عنعنه.

(١) الحجرات: ١٣.

٤٩٠٤ - * وعن ابن مسعودٍ ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن نصرَ قومَه على غيرِ الحقِ فهوَ كالبعيرِ الذى رُدِّى، فهو يُنزَعُ بذنَبِه». رواه أبو داود.[٤٩٠٤]

٤٩٠٥ - * وعن واثلةَ بنِ الأسقَعِ ، قال: قلتُ : يارسولَ الله ! ما العصبيَّةُ؟ قال: «أنْ تُعينَ قومكَ على الظلمِ». رواه أبو داود.[٤٩٠٥]

٤٩٠٦ - * وعن سراقةَ بن مالكِ بن جُعْشُم، قال: خطبَنا رسولُ الله ﷺ، فقال: «خيرُكم المدافعُ عن عشيرتِه مالم يأثم». رواه أبو داود.[٤٩٠٦]

٤٩٠٧ - * وعن جُبيرِ بن مُطعمٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «ليسَ منَّا مَنْ دعا إلى عصبيَّة، وليسَ منَّا من قاتلَ عصبيَّةً، وليسَ منَّا من مات على عصبية». رواه أبو داود. [٤٩٠٧]

أى خذ منى هذه العطية. فقوله: «أنا الغلام الفارسى» تنبيه على أن الضارب شديد الساعد متمكن من الضربة. وقوله ﷺ له ذلك القول إرشادا له إلى أبلغ من ذلك، أى قل: أنا من أنصار دين الله تعالى وإن الله هو الذى يؤيدنى بنصره.

الحديث السادس عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله: «ردى» «تو»: ردى فى البئر وتردى إذا سقط فيها. والمعنى أن من أراد أن يرفع نفسه بنصرة قومه على الباطل ، فهو كالبعير الذى سقط فى بئر ، فماذا يجدى عنه أن ينزع بذنبه؟ فإنه وإن اجتهد كل الجهد، لم يتهيأ له أن يخلصه من تلك المهلكة بنزعه إياه بالذنب.

الحديث السابع إلى التاسع عن جبير: قوله: «من دعا إلى عصبية» أى يدعو الناس بأن يجتمعوا إلى عصبية. وفى الحديث: «ما بال دعوى الجاهلية؟» هو قولهم: يا آل فلان! كانوا يدعون بعضهم بعضا عند الأمر الحادث.

الحديث العاشر عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله: «يعمى ويصم» معناه أنك لترى* القبيح منه حسنا، وتسمع منه الخنا قولا جميلا، قال الشاعر:

[٤٩٠٤] إسناده صحيح: انظر صحيح أبى داود - ٤٢٧.

[٤٩٠٥] إسناده ضعيف : قاله الألبانى.

[٤٩٠٦] موضوع: انظر ضعيف الجامع ٢٩١٤ - الضعيفة ١٨٢.

[٤٩٠٧] ضعيف: انظر ضعيف الجامع ٤٩٣٨.

* فى (ط) : لندى، وهو خطأ والصواب ما أثبتناه.

٤٩٠٨ - * وعن أبى الدَّرداءِ، عن النبىِّ ﷺ قال: «حبُّكَ الشىءَ يُعْمى ويُصِمُّ». رواه أبو داود. [٤٩٠٨]

الفصل الثالث

٤٩٠٩ - * عن عُبادةَ بن كثيرٍ الشامىِّ من أهلِ فلَسطينَ، عن امرأة منهم يُقال لها فَسيلة، أنَّها قالت: سمعتُ أبى يقولُ: سألتُ رسولَ الله ﷺ، فقلتُ: يارسول الله! أمِنَ العصبيَّةِ أنْ يُحبَّ الرجلُ قومَه؟ قال: «لا، ولكنْ منَ العصبيَّةِ أنْ ينصرَ الرجلُ قومَه على الظلمِ». رواه أحمد، وابنُ ماجه. [٤٩٠٩]

٤٩١٠ - * وعن عُقبةَ بن عامرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أنسابُكم هذه ليستْ بمسبَّةٍ على أحدٍ، كلكم بنو آدمَ طَفُّ الصَّاعِ بالصَّاعِ لم تملؤه، ليسَ لأحدٍ على أحد

ويقبح من سواك الفعل عنــدى وتفعلــه فيحســن منك ذاكا

وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدى المساويا

وقال الشيخ الأستاذ أبو على: حبك الشىء يعمى عن الغير غيرة وعن المحبوب حبه ومورد الحديث فى محل الذم . وذكر العصبية يستدعى أن يقال: إنه ﷺ قاله فيمن يتعصب لغيره ويحاميه بالباطل، وحبه إياه يعميه عن أن يبصر الحق فى قضيته ويصمه عن أن يسمع الحق فيتبعه(١)، وإلا فالحديث ذو وجهين.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثانى عن عقبة: قوله: «طف الصاع بالصاع» «نه»: أى قريب بعضكم من بعض . يقال: هذا طف المكيال وطفافه أى ما قرب من ملئه. والمعنى أن كلكم فى الانتساب إلى أب واحد بمنزلة واحدة فى النقص والتقاصر عن غاية التمام. وشبههم فى نقصانهم بالمكيال الذى لم يبلغ أن يملأ المكيال، ثم أعلمهم أن التفاضل ليس بالنسب ولكن بالتقوى، انتهى كلامه.

قوله: «طف الصاع» يجوز بالنصب على أنه حال مؤكدة نحو زيد أبوك عطوفا؛ فإن ذكر بنى آدم يدل على النقصان لكونهم من التراب . وبالرفع على أنه بدل أو خبر بعد خبر. والباء فى

[٤٩٠٨] ضعيف: انظر ضعيف الجامع ٢٦٨٧ - الضعيفة ١٨٦٨.

[٤٩٠٩] انظر المجمع ٦:٢٤٤.

(١) كذا فى النسخ كلها، وفى المرقاة نقلا عن الطيبى: ويصمه عن أنه يسمع الحق فى قصته.

فضلٌ إلا بدينٍ وتقوى، كفى بالرجلِ أن يكونَ بذيئا فاحشًا بخيلاً». رواه أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٤٩١٠]

(١٤) باب البر والصلة

الفصل الأول

٤٩١١ - * عن أبى هريرة، قال: قال رجل: يارسول الله! من أحقُّ بحسْنِ صحَابتى؟ قال: «أمُّك» . قال: ثمَّ من؟ قال: «أُمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «أُمُّك». قال: ثمَّ من؟ قال: «أبوك». وفى رواية، قال: «أمَّك، ثمَّ أمكَ، ثمَّ أمَّكَ، ثمَّ أباك، ثم أدناك أدناكَ». متفق عليه.

«بالصاع» للحال أى: طف الصاع مقابلا بمثله من النقصان. والمراد التسوية بينهم فى النقصان. وقوله: «بالرجل» فاعل «كفى» والتمييز محذوف أى نقصا. وقوله: «أن يكون بذيئا» بيان للمميز*؛ لقوله ﷺ: «كفى بالمرء إثما أن يحدث بكل ماسمع»**. والله أعلم بالصواب.

باب البر والصلة

«نه»: البر بالكسر الإحسان، وهو فى حق الأبوين والأقربين ضد العقوق، وهو الإساءة إليهم والتضييع لحقوقهم. يقال: بر يبرّ فهو بارٌّ، وجمعه بررة، وجمع البرّ أبرار. وصلة الرحم كناية عن الإحسان إلى الأقربين من ذوى النسب والأصهار، والتعطف عليهم والرفق بهم والرعاية لأحوالهم، وقطع الرحم ضد ذلك، يقال: وصل رحمه يصلها وصلا وصلة. والهاء فيها عوض عن الواو المحذوفة، فكأنه بالإحسان إليهم قد وصل ما بينه وبينهم من علاقة القرابة والصهر.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «صحابتى» الجوهرى: صحبه يصحبه صحبة بالضم وصحابة بالفتح. «مح»: هو بفتح الصاد هنا بمعنى الصحبة. وفيه الحث على بر الأقارب، وأن الأم أحقهم بذلك، ثم بعدها الأب ثم الأقرب فالأقرب. قالوا: وسبب تقديم الأم كثرة تعبها عليه وشفقتها وخدمتها. وقوله: «أمك» الخ جاء مرفوعا فى رواية وفى أخرى منصوبا. أما الرفع فظاهر، وأما النصب على أن معناه: من أبره، يدل عليه رواية بهز بن حكيم: «من أبر».

[٤٩١٠] قال الألبانى إسناده صحيح.

* فى«ط» للتمييز، وما أثبتناه من«ك».

** حديث صحيح رواه الإمام مسلم فى مقدمة صحيحه.

٤٩١٢ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رَغِمَ أنفُه، رغم أنفه، رغم أنفُه» قيل: من يارسول الله؟ قال: من أدركَ والديه عندَ الكبرِ، أحدُهما أو كلاهما، ثم لم يدخل الجنة». رواه مسلم.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «عند الكبر» بالإضافة وأحدهما أو كلاهما مرفوعان. هكذا هو فى جميع روايات مسلم. وفى كتاب الحميدى،وجامع الأصول، وفى بعض نسخ المصابيح. وقد غيروا فى بعضها إلى قوله: «عنده» بالهاء. وكليهما بالنصب، نعم هو فى الترمذى كذا عن أبى هريرة أنه قال ﷺ: «رغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يدخلاه الجنة.

قال الشيخ محيى الدين: معناه أن يبرهما عند كبرهما وضعفهما بالخدمة والنفقة وغير ذلك سبب لدخول الجنة، فمن فاته قصر فى ذلك فاته دخول الجنة. «مظ»: «عند الكبر» ظرف فى موضع الحال. والظرف إذا كان فى موضع الحال يرفع ما بعده. وكلاهما مرفوع بالظرف وكلاهما معطوف على أحدهما فـ «أحدهما» مرفوع بالظرف، و«كلاهما» معطوف على «أحدهما». «شف»: يجوز أن يكون «أحدهما» خبرا لمبتدأ محذوف، أى مدركه أحدهما أو كلاهما؛ فإن من أدرك شيئا فقد أدركه ذلك الشيء. وهذه الجملة بيان لقوله: «من أدرك والديه».

أقول: «ثم» فى قوله «ثم لم يدخل الجنة» استبعاد، يعنى ذلّ وخاب وخسر من أدرك تلك الفرصة التى هى موجبة للفلاح والفوز بالجنة ثم لم ينتهزها. وانتهازها هو ما اشتمل عليه قوله تعالى: ﴿**وبالوالدين إحسانا إما يبلغن عندك الكبر أحدهما أو كلاهما**﴾ (١) إلى قوله: ﴿**وقل رب ارحمهما كما ربيانى صغيرا**﴾ (٢)؛ فإنه دل على الاجتناب عن جميع الأقوال المحرمة، والإتيان بجميع كرائم الأقوال والأفعال، من التواضع والخدمة والإنفاق عليهما، ثم الدعاء لهما فى العاقبة.

فإن قلت: بين لى الفرق بين قولهﷺ عليه السلام: «عند الكبر» وقوله تعالى: «عندك الكبر» ؟ قلت: معنى «عندك» أن يكبرا ويعجزا وكانا كلا عليك، ولا كافل لهما غيرك فهما عندك وفى بيتك وكنفك . ومعنى «عند الكبر» فى حال حضوره ومكان حصوله، أى تدركهما والحال أنهما عاجزان، والضعف ممكن فيهما وكأنهما لحم على وضم*، فتزاول إنقاذهما من

---

(١) الإسراء: ٢٣

(٢) الإسراء: ٢٤

* الوضَم : كل شيء يوضع عليه اللحم من خشب أو بارية يوقى به من الأرض. أ. هـ. لسان العرب مادة (وضم) ٦/ ٤٨٦١ ط دار المعارف.

٤٩١٣ -* وعن أسماءَ بنتِ أبى بكرٍ [رضى الله عنه]، قالت: قدمَتْ علىَّ أمى وهى مشركةٌ فى عهدِ قريشٍ، فقلت: يارسول الله! إن أمى قدِمَتْ علَىَّ وهى راغبةٌ أفأصِلُها؟ قال: «نعم صِلِيها». متفق عليه.

٤٩١٤ - * وعن عمرو بن العاص، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ آلَ فلانٍ ليسوا لى بأولياءَ ، إنما وليى اللهُ وصالحُ المؤمنين، ولكن لهم رَحِمٌ أَبلُّها ببِلالها». متفق عليه.

تلك الورطة بالإحسان قولا، وخفض الجناح بالذل فعلا، وطلب الرحمة من الله تعالى فإنه يدل على الاعتراف بالعجز والقصور فى أداء حقهما، والإحالة على الله تعالى ورحمته؛ لأنه هو الكافى والحسيب. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿كما ربيانى صغيرا﴾[1] كما يقال: أدركته وهو فى ورطة الهلاك فأنقذته منها.

الحديث الثالث عن أسماء : قوله: «راغبة». «تو»: قد روى بالباء وكذلك هو فى المصابيح،وهو الصواب «راغمة» بالميم بدل الباء. «مح»: فى شرح هذا الحديث: «قدمت على أمى وهى راغبة أو راهبة». وفى الرواية الأخرى: «راغبة» بلا شك وهى مشركة. قال القاضى عياض: الصحيح «راغبة» بلا شك. وفى رواية أبى داود: «راغبة فى عهد قريش وهى راغمة مشركة» قيل: معناه راغبة عن الإسلام أو كارهة له. وقيل: طامعة فيما أعطتها حريصة عليه . ومعنى «راغمة» بالميم كارهة للإسلام ساخطة له. وفيه جواز صلة القريب المشرك.

أقول: تحريره أن قوله: «راغبة» إذا أطلقت من غير تقييد يقدر راغبة عن الإسلام لا غير، وإذا قرنت بقوله: «وهى مشركة أو فى عهد قريش» يقدر راغبة فى صلتى ليطابق مارواه أبو داود: «وهى راغمة».

الحديث الرابع عن عمرو بن العاص: قوله: «إنما وليى الله وصالح المؤمنين» «تو»: المعنى: أنى لا أوالى أحدا بالقرابة، وإنما أحب الله سبحانه لما يحق له على العباد، وأحب صالحى المؤمنين لوجه الله سبحانه، وأوالى من أوالى بالإيمان والصلاح، وأراعى لذوى الرحمن حقهم بصلة الرحم. وقوله: «أبلها ببلالها» أى أنديها بما يجب أن ينديى. ومنه قوله: «بلوا أرحامكم» أى صلوها وندوها. والعرب تقول للقطيعة: اليبس، قال الشاعر:

فلا تيبسوا بينى وبينكم الثرى فإن الذى بينى وبينكم ثرى

شبه قطيعة الرحم بالحرارة تطفأ بالماء ويندى بالصلة.

«قض»: ويقال للوصل: بلل يقتضى الالتصاق والاتصال، والهجر يبس يفضى إلى التفتت والانفصال.

---

(١) الإسراء: ٢٤.

٤٩١٥ - * وعن المغيرة، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله حرَّم عليكم عقوقَ الأمهاتِ، ووأدَ البناتِ، ومنعَ وهاتِ، وكره لكم قيلَ وقال، وكثرةَ السؤالِ، وإضاعه المالِ». متفق عليه.

أقول: قوله: «أبلها ببلاها». فيه مبالغة كقوله تعالى: ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ (١). أى زلزالها الذى يستوجبه فى مشيئة الله سبحانه وتعالى، وهو الزلزال الشديد الذى ليس بعده. فالمعنى أبلها بما عرف واشتهر عندالله وعند الناس ماهو، فلا أترك من ذلك شيئا. شبه الرحم بأرض إذا بلت بالماء حق بلالها، أثمرت ويرى فى ثمرتها أثر النضارة. وإذا تركت يبست وأجدبت، فلم تثمر إلا العداوة والقطيعة. هذا هو الوجه . والبيت ينظر إلى هذا المعنى. وعلى ذلك قول أهل اللغة: سنة جماد لامطر فيها، وناقة جماد لا لبن لها. ولاتجعل السنة والناقة جمادا إلا على معنى أن السنة بخيلة بالمطر والناقة لاتستحق باللبن.

الحديث الخامس عن المغيرة: قوله: «عقوق الأمهات» «نه»: يقال: عق والده يعقه عقوقا فهو عاق إذا آذاه وعصاه وخرج عليه، وأصله العق وهو الشق والقطع. «خط» لم يخص الأمهات بالعقوق ، فإن عقوق الآباء محرم أيضًا ، ولكن نبه بأحدهما على الآخر؛ فإن بر الأم مقدم على بر الأب؛ لأن لعقوق الأمهات مزية فى القبح. وحق الأب مقدم فى الطاعة وحسن المتابعة لرأيه والنفوذ لأمره وقبول الأدب منه.

قوله: «ووأد البنات» أى دفنهن أحياء. قيل: قدم عقوق الأمهات، لأنهن الأصول وعقبه بوأد البنات: لأنهن الفروع. وكان ذلك تنبيها على أن أكبر الكبائر هو قطع النسل الذى هو موجب لخراب العالم. قوله: «ومنع وهات» «نه»: أى حرم عليكم منع ما عليكم إعطاؤه وطلب ماليس لكم أخذه انتهى كلامه. وقيل: نهى عن منع الواجب من ماله وأقواله وأفعاله وأخلاقه من الحقوق اللازمة فيها، ونهى عن استدعاء مالا يجب عليكم من الحقوق. وتكليفه إياهم بالقيام بما لايجب عليهم، وكان ينصف ولاينتصف ، فهذا من أسمج الخلال.

قوله: «قيل وقال» «فا»: نهى عن فضول ما يتحدث به المجالسون من قولهم: قيل كذا وقال كذا، بناؤهما على كونهما فعلين محكمين متضمنين للضمير، والإعراب على إجرائهما مجرى الأسماء خاليين من الضمير. ومنه قوله: «إنما الدنيا قال وقيل» وإدخال حرف التعريف عليهما كذلك فى قولهم: ما يعرف القال من القيل. «نه» : وهذا النهى إنما يصح فى قول لايصح ولايعلم حقيقته. فأما من حكى: ما يصح ويعرف حقيقته، وأسنده إلى ثقة صادق فلا وجه

---

(١) الزلزلة: ١.

٤٩١٦ - * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ : «من الكبائر شتمُ الرجلِ والديه» . قالوا: يارسول الله ! وهل يشتمُ الرجلُ والديه؟ قال: «نعم، يسبُّ أبا الرجل، فيسبُّ أباه ؛ ويسبُّ أُمَّه، فيسبُّ أُمَّه». متفق عليه.

للنهى عنه ولازم. وقال أبو عبيد: فيه تجوز عربية، وذلك أنه جعل القال مصدرا كأنه قال: نهى عن قيل وقال يقال: قلت قولا وقالا وقيلا. وهذا التأويل على أنهما اسمان. وقيل: أراد النهى عن كثرة الكلام مبتدئا ومجيبا. وقيل : هذا الكلام يتضمن لعمومه حرمة النميمة والغيبة؛ فإن تبليغ الكلام من أقبح الخصال، والإصغاء إليها أقبح وأفحش.

قوله: «كثرة السؤال» فيه وجوه: أحدها : «فا» السؤال عن أمور الناس وكثرة البحث عنها، وثانيها: مسألة الناس أموالهم. «تو»: ولا أدرى حمله على هذا؛ فإن ذلك مكروه وإن لم يبلغ حد الكثرة. وثالثها: كثرة السؤال فى العلم للامتحان وإظهار المراء. ورابعها: كثرة سؤال النبى ﷺ . قال الله تعالى: ﴿لا تسألوا عن أشياء إن تبدلكم تسؤكم﴾ (١).

قوله: «وإضاعة المال» «فا»: هو إنفاقه فى غير طاعة الله تعالى والسرف انتهى كلامه. قيل: والتقسيم الحاصر فيه الحاوى لجميع الأقسام أن تقول: إن الذى يصرف إليه المال، إما أن يكون واجبا كالنفقة والزكاة ونحوهما، فهذا لاضياع فيه، وهكذا إن كان مندوبا إليه، وإما أن يكون حراما أو مكروها، وهذا قليله وكثيره إضاعة وسرف. وإما أن يكون مباحا ولا إشكال إلا فى هذا القسم؛ إذ كثير من الأمور يعده بعض الناس من المباحات، وعند التحقيق ليس كذلك كتشييد الأبنية وتزيينها، والإسراف فى النفقة، والتوسع فى لبس الثياب الناعمة، والأطعمة الشهية اللذيذة، وأنت تعلم أن الفسق وغلظة الطبع يتولد من لبس الرقاق وأكل الرقاق. ويدخل فيه تمويه الأوانى والسقوف بالذهب والفضة، وسوء القيام على ما يملكه من الرقيق والدواب، حتى تضيع فتهلك. وقسمة ما لاينتفع الشريك به كاللؤلؤة والسيف يكسران. وكذا احتمال الغبن الفاحش فى البياعات، وإيتاء المال صاحبه، وهو سفيه حقيق بالحجر. وهذا الحديث أصل فى معرفة حسن الخلق الذى هو منبع جميع الأخلاق الحميدة والخلال الجميلة.

الحديث السادس عن عبدالله: قوله: «من الكبائر» قيل: وإنما يصير ذلك من الكبائر، إذا كان الشتم مما يوجب حدا كما إذا شتمه بالزنا والكفر، وقال له: أبوك زان أو كافر أو نحوهما. فقال فى جوابه: بل أبوك كافر أو زان. أما إذا شتمه بما دون ذلك بأن قال له: أبوك أحمق أو جاهل أو نحوهما فلا يكون من الكبائر.

---

(١) المائدة: ١٠١.

٤٩١٧ - * وعن ابن عُمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ من أبرِّ البرِّ صِلةَ الرجلِ أهلَ وُدِّ أبيهِ بعد أن يُولى». رواه مسلم.

٤٩١٨ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ أن يُبسَطَ لهُ في رزقِهِ وينسأ له في أثرِهِ؛ فليصِل رحمَه». متفق عليه.

أقول: ويمكن أن يقال: إنه من الكبائر مطلقا؛ لأن سبب السبب سب، فكأنه واجه أباه بأن قال له: أنت أحمق أو جاهل. ولاشك أن هذا من الكبائر. وقد قال تعالى: ﴿ **ولاتقل لهما أف ولا تنهرهما**﴾ (١)، ونحوه قوله تعالى: ﴿**ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم**﴾ (٢). «مح»: وفيه قطع تحريم الوسائل والذرائع، فيؤخذ منه النهى عن بيع العصير لمن يتخذ الخمر والسلاح ممن يقطع الطريق ونحو ذلك.

الحديث السابع عن ابن عمر رضى الله عنه: قوله: «بعد أن يولى». «تو»: هذه الكلمة مما يتخبط الناس فيها، والذى أعرفه هو أن الفعل مسند إلى «أبيه»، أى بعد أن يغيب أبوه أو يموت من ولى يولى، يؤيده حديث أبى أسيد الساعدى، وإنفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التى لاتوصل إلا بهما وإكرام صديقهما، انتهى كلامه.

وهكذا صحح فى مشارق جامع الأصول ومشارق الأنوار «أن يولى» بضم الياء وفتح الواو وكسر اللام المشددة. المعنى أن من جملة المبرات الفضلى مبرة الرجل مع أحباء أبيه؛ فإن مودة الآباء قرابة الأبناء أى إذا غاب الأب أو مات يحفظ أهل وده ويحسن إليهم؛ فإنه من تمام الإحسان إلى الأب. وإنما كان أبر لأنه إذا حفظ غيبته فهو بحفظ حضوره أولى وأحرى.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه: قوله: «وينسأ له». «مح»: النسأ التأخير يقال: نسأت الشيء نسأ وأنسأته إذا أخرته والنساء الاسم. ويكون فى العمر والدين. و«الأثر» الأجل وسمى به؛ لأنه يتبع العمر. قال زهير:

يسعى الفتى لأمور ليس يدركها   والنفس واحدة والهم منتشر

المرء ما عاش ممدود له أمل   لاينتهى العمر حتى ينتهى الأثر

وأصله من «أثر مشيه فى الأرض»؛ فإن من مات لايبقى له أثر، فلا يرى لأقدامه فى الأرض أثر.

«مح»: فى تأخير الأجل سؤال مشهور، وهو أن الآجال والأرزاق مقدرة لاتزيد ولاتنقص. «**فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون**».

---

(١) الإسراء: ٢٣   (٢) الأنعام: ١٠٨

٤٩١٩ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «خلقَ اللهُ الخلقَ ، فلما

وأجاب العلماء بوجوه: أحدها: أن هذه الزيادة بالبركة فى العمر بسبب التوفيق فى الطاعات وعمارة أوقاته بما ينفعه فى الآخرة، وصيانتها عن الضياع فى غير ذلك.

وثانيها: أنه بالنسبة إلى ما يظهر للملائكة فى اللوح المحفوظ ونحو ذلك، فيظهر لهم فى اللوح المحفوظ أن عمره ستون سنة إلا أن يصل رحمه، فإن وصلها زيد له أربعون. وقد علم الله سبحانه وتعالى بما سيقع له من ذلك، وهو من معنى قوله تعالى: **﴿يمحو الله مايشاء ويثبت﴾**(١).**فبالنسبة إلى ما فى علم الله تعالى وما سبق به قدره لازيادة، بل هى مستحيلة. وبالنسبة إلى ما ظهر للمخلوقين يتصور الزيادة، وهو مراد الحديث.**

وثالثها: أن المراد بقاء ذكره الجميل بعده، فكأنه لم يمت، وهو ضعيف.

أقول: كأن هذا الوجه أظهر؛ فإن أثر الشيء هو حصول ما يدل على وجوده، فمعنى «يؤخر فى أثره» أى يؤخر ذكره الجميل بعد موته، أو يجرى له ثواب عمله الصالح بعد موته. قال الله تعالى : ﴿ونكتب ما قدموا وآثارهم﴾ (٢) وعليه كلام صاحب الفائق حيث قال: ويجوز أن يكون المعنى، أن الله يبقى أثر واصل الرحم فى الدنيا طويلا، فلا يضمحل سريعا كما يضمحل أثر قاطع الرحم. ولما أنشد أبو تمام أبا دلف ما رثى به محمد بن حميد:

توفيت الآمال بعد محمد وأصبح فى شغل مع السنفر

الأبيات المذكورة فى التبيان*. بكى وقال: وددت أنها فى . فقال أبو تمام:

«بل يطيل الله عمر الأمير».

فقال : لم يمت من قيل فيه هذا، وعليه قول الخليل عليه السلام: **﴿واجعل لى لسان صدق فى الآخرين﴾**(٣).

الحديث التاسع عن أبى هريرة رضى اللهعنه: قوله: «فلما فرغ». «تو»: أى قضاه الله وأتمّه، أو نحو ذلك مما يشهد بأنه **مجاز** القول؛ فإنه سبحانه وتعالى لا يشغله شأن عن شأن ، أو يطلق عليه الفراغ الذى هو ضد الشغل . ويقال: مه فلان أى: ماتقول، على الزجر والاستفهام. وههنا إن كان على الزجر فبين، وإن كان على الاستفهام فالمراد منه الأمر بإظهار الحاجة دون الاستعلام؛ فإن الله تعالى يعلم السر وأخفى. وقيل: هو فى الحقيقة ضرب مثل **واستعارة**؛ إذ الرحم معنى، وهو **اتصال** القرب بين أهل النسب.

---

(١) الرعد: ٣٩ . (٢) يس: ١٢ . (٣) الشعراء: ٨٤ .

* يقصد التبيان فى المعاني والبيان للشارح، وقد حققته في مجلدين، ونشرته المكتبة التجارية بمكة المكرمة.

فرَغَ منه قامتِ الرَّحِمُ فأخذت بحقوى الرحمنِ فقال: مه؟ قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعةِ. قال: ألا ترضَيْنَ أن أصِلَ من وصَلَكِ، وأقطَعَ من قطَعَك؟ قالت: بلى يارب! قال: فذاك» متفق عليه.

«قض»: لما كان من عادة المستجير أن يأخذ بذيل المستجار به أو بطرف إزاره، وربما يأخذ بحقو إزاره- وهو مشده- تفظيعا للأمر ومبالغة وتوكيدا في الاستجارة. وكأنه يشير به إلى أن المطلوب أن يحرسه ويذب عنه ما يؤذيه. كما يحرص ما تحت إزاره ويذب عنه، وأنه لاصق به لاينفك عنه، فاستعير ذلك للرحم، واستعاذتها بالله من القطيعة. وإليه أشار بقوله: «هذا مقام العائذبك»، وهي أيضا **مجاز** إدناء للمعنى المعقول، إلى المثال المحسوس المعتاد بينهم؛ ليكون أقرب إلى فهمهم وأمكن في نفوسهم.

«مح»: الرحم التي توصل وتقطع إنما هي معنى من المعاني، والمعاني لايتأتى منها القيام ولا الكلام، فيكون المراد تعظيم شأنها وفضيلة واصلها وعظم إثم قاطعها.

أقول: القول الأول مبني على **الاستعارة التمثيلية** التي الوجه فيها منتزع من أمور متوهمة للمشبه المعقول، فما كانت ثابتة للمشبه به المحسوس؛ وذلك أنه شبهت حال الرحم وماهي عليه من الافتقار إلى الصلة. والذب عنها من القطيعة بحال مستجير يأخذ بذيل المستجاربه وحقو إزاره. ثم أدخل صورة حال المشبه في جنس المشبه به، واستعمل في حال المشبه ما كان مستعملا في حال المشبه به من الألفاظ بدلالة قرائن الأحوال. ويجوز أن تكون **مكنية**، بأن يشبه الرحم بإنسان مستجير بمن يحميه ويجيره ويذب عنه مايؤذيه، ثم أسند على سبيل الاستعارة التخييلية ماهو لازم المشبه به من القيام؛ لتكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، ثم **رشحت الاستعارة** بأخذ الحقو والقول.

وقوله: «**بحقوى الرحمن**»: **استعارة** أخرى مثلها. والقول الثاني على **الكناية الإيمائية**. وهي أخذ الزبدة والخلاصة من مجموع الكلام من غير نظر إلى مفـردات التركيب **حقيقتها ومجازها**.

الكشاف» (١) في قوله تعالى: ﴿**والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه**﴾ (٢) الغرض من هذا الكلام إذا أخذته كما هو بجملته ومجموعه تصوير عظمته والتوقف على كنه جلاله لاغير، من غير ذهاب بالقبضة ولا باليمين إلى جهة حقيقة أوجهة مجاز. ثم قال: ولاترى بابا في علم البيان أدق ولا ألطف من هذا الباب، ولا أنفع ولا أعون على تعاطي تأويل المتشابهات من كلام الله في القرآن وسائر الكتب السماوية وكلام الأنبياء! فإن أكثره وأغلبه تخيلات قد زلت فيها الأقدام قديما وحديثا. والله أعلم بالصواب.

---

(١) الكشاف: ٣/ ٣٥٥.   (٢) الزمر: ٦٧.

٤٩٢٠ - * وعنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: « الرحم شجْنَةٌ من الرحمن. فقال الله: من وصلَك وصَلْتُه، ومن قَطَعَكِ قطَعتُه» رواه البخارى.

«مح»: لاخلاف أن صلة الرحم واجبة فى الجملة، وقطيعتها معصية كبيرة. وللصلة درجات بعضها أرفع من بعض، وأدناها ترك المهاجرة وصلتها بكلام ولو بالسلام. ويختلف ذلك باختلاف القدرة والحاجة، فمنها واجب ومنها مستحب . ولو وصل بعض الصلة ولم يصل غايتها لايسمى قاطعا. ولو قصر عما يقدر عليه - وينبغى له- لايسمى واصلا.

وقوله: «فذلك» مبتدأ خبره محذوف، أى فلك ذاك. قوله: «فقال: مه؟» . قال المالكى: أصله «ما» الاستفهامية حذفت ألفها، ووقف عليها بهاء السكت. والشائع أن لا يفعل ذلك بها إلا وهى مجرورة. ومن استعمالها هكذا غير مجرورة قول الحجاج لليلى الأخيلية : ثم مه: قالت: ثم لم يلبث أن مات، وقول أبى ذؤيب: مه: فقيل له: هلك رسول الله ﷺ . وحكى الكسائى: أن بعض كنانة يقولون: معندك ومصنعت؟ فيحذفون الألف دون جر، ولايصلون الميم بهاء السكت لعدم الوقف. وفى الاقتصار على الميم- فى: «معندك ومصنعت»- دليل على أن الهاء فى قول أبى ذؤيب والحجاج هاء سكت، لا بدل من الألف كما زعم الزمخشرى؛ لأنها عوملت معاملة المتصلة بالمجرورة من السقوط وصلا والثبوت وقفا. ولو كانت بدلا من الألف، لجاز أن يقال فى الوصل: مه عندك، ومه صنعت؟.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «شجنة من الرحمن» «تو»: الشِّجنة بالكسر عروق الشجر المشتبكة. وكذلك الشَّجنة بالفتح، والشجْن بالسكون واحد شجون الأودية وهى طرفها. ويقال: الحديث ذو شجون، أى يدخل بعضه فى بعض. والمراد من الرحمن أى من هذا الاسم يدلك عليه حديثه الآخر. قال الله تعالى: «أنا الله وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمى» المعنى: الرحم أثر من آثار رحمته مشتبكة بها، فالقاطع منها قاطع من رحمة الله.

الحديث الحادى عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «معلقة بالعرش» فى الأحاديث الثلاثة بيان مراتب الرحم بعضها من بعض، كبيان مراتب اللياذ. فالأولى لمن هو أخص الأرحام بوساطة الولادة؛ لأن الأخذ بحقوى الرحمن أبلغ فى القرب، والثانية دونها؛ لأن الاشتقاق اللفظى مستدع للتناسب بين معنييهما، فالقريب دون الأول كالإخوة والأعمام ونحوهما وفرعيهما. والثالثة دونهما؛ لأن التعلق بالعرش دون التعلق بالرحمن وبحقويه. فالقريب منهم أولو الأرحام.

«مح»: للصلة درجات بعضها أرفع من بعض. واختلفوا فى حد الرحم التى يجب صلتها،

٤٩٢١ - * وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «الرحم مُعلَّقةٌ بالعرش تقول: من وصلنى وصَلَهُ الله، ومن قطعنى قطَعَهُ الله». متفق عليه.

٤٩٢٢ - * وعن جبيرِ بنِ مُطْعِمٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لايدخلُ الجنة قاطعٌ». متفق عليه.

٤٩٢٣ - * وعن ابن عمرو ، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الواصِلُ بالمكافئ، ولكنَّ الواصلَ الذى إذا قُطعَتْ رَحِمُهُ وَصَلَها». رواه البخارى.

٤٩٢٤ - * وعن أبى هريرة، أن رجلا قال: يارسول الله! إن لى قَرَابةً أصلهم ويقطعونى، وأُحْسِنُ إليهم ويسيئون إلىَّ، وأَحْلُم عنهم ويجهلون عَلَى. فقال: «لئن

فقيل: فى كل رحم محرم بحيث لو كان أحدهما ذكرا والآخر أنثى، حرمت مناكحتهما. فعلى هذا لايدخل أولاد الأعمام وأولاد الأخوال. واحتج هذا القائل بتحريم الجمع بين المرأة وعمتها وخالتها فى النكاح ونحوه، وجواز ذلك فى بنات الأعمام والأخوال. وقيل: هو عام فى كل رحم من ذوى الأرحام فى الميراث، يستوى المحرم وغيره، ويدل عليه قوله ﷺ : «ثم أدناك ثم أدناك».

الحديث الثانى عشر عن جبير : قوله: «لا يدخل الجنة»، «مح»: قد سبق نظائره، حمل تارة على من يستحل القطيعة بلا سبب ولاشبهة مع علمه بتحريمها، وأخرى لا يدخلها مع السابقين.

الحديث الثالث عشر عن ابن عمرو: قوله: «ليس الواصل بالمكافئ» **التعريف فى «الواصل» للجنس**، أى ليس حقيقة الواصل ومن يعتد وصله من يكافئ صاحبه بمثل فعله. ونظيره : قولك: هو ليس بالرجل بل الرجل من يصدر منه المكارم والفضائل . والرواية «لكن» بالتشديد وإن جاز التخفيف.

الحديث الرابع عشر: عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «قرابة» أى ذوى قرابة، والضمير فى «أصلهم» إلى المقدر. قوله: «فكأنما تسفهم» «نه»: هو من قولهم: سففت الدواء بالكسر أسفه وأسففته غيرى، وهو السفوف بالفتح. والمل والملة الرماد الذى يحمى ليدفن فيه الخبز لينضج. أراد إنما تجعل الملة لهم سفوفا يسفونه، يعنى إذا لم يشكروا، فإن عطاءك إياهم حرام عليهم ونار فى بطونهم.

«تو»: أى إحسانك إليهم إذا كانوا يقابلونه بالإساءة يعود وبالا عليهم، حتى كأنك فى إحسانك إليهم مع إساءتهم إياك أطعمتهم النار.

كنتَ كما قلتَ فكأنما تُسفهم المَلَّ، ولايزالُ مَعَكَ من الله ظهير عليهم مَادُمْتَ على ذلك». رواه مسلم.

الفصل الثانى

٤٩٢٥ - * عن ثوبانَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايرُدّ القدرَ إلا الدعاءُ، ولا يزيدُ فى العمـــر إلا البرُّ، وإن الرجلَ ليُحرمُ الرزقَ بالذنبِ يصيبهُ». رواه ابن ماجه.[٤٩٢٥]

أقول: قوله: «فكأنما» كذا فى المصابيح ومسلم وكتاب الحميدى وجامع الأصول بالفاء والظاهر اللام؛ لأن اللام فى قوله: «لئن كنت» موطئة للقسم، وهذه جوابه سد مسد جواب الشرط، اللهم إلا أن يعكس ويجعل جزاء الشرط سادا مسد جواب القسم. وقد ورد فى شرح السنة: «لكأنما».

وقوله: «يجهلون» متعلقة بمحذوف أى على*، يعنى يغضبون ولعله ﷺ إنما قال ذلك؛ لما عرف أن قومه يبغون عليه، فغضب له عليهم وقال ذلك، ومنه قول الحماسى:

وإن الذى بينى وبين بنـــى أبى ... وبيـــن بنى عمـــى لمختـــلف جـــدا

إذا أكلوا لحمى وفرت لحومهـــم ... وإن هدموا مجدى بنيت لهـــم مجـــدا

وإن ضيعوا غيبى حفظت غيوبهم ... وإن هم هووا غيىً** هويت لهم رشدا

الفصل الثانى

الحديث الأول عن ثوبان: قوله: «لا يرد القدر» «حس» : ذكر أبو حاتم السجستانى فى معنى الحديث: أن دوام المرء على الدعاء يطيب له ورود القضاء. فكأنما رده، والبر يطيب عيشه، فكأنما يزيد فى عمره. والذنب يكدر عليه صفاء رزقه إذا فكر فى عاقبة أمره، فكأنما حرمه.

«تو»: ويحتمل أن يكون المراد من القدر الأمر الذى كان يقدر لولا دعاؤه، ومن العمر العمر الذى كان يقصر لولا بره فيكون الدعاء والبر سببين من أسباب ذلك. وهما مقدران أيضا، كما أن الأعمال حسنها وسيئها سببان من أسباب السعادة والشقاوة، ولاشك أنهما مقدران أيضا.

[٤٩٢٥] حسن انظر صحيح الجامع ٧٦٨٧ ، الصحيحة ١٥٤ بدون لفظ (وإن الرجل ..... شرح السنة ٣٤١٨ .

* فى متن المصابيح «يجهلون علىَّ» بذكر المتعلق. ** فى «ط» «عنى» وهو تصحيف فاحش.

٤٩٢٦ - * وعن عائشة، قالت: قال رسول الله ﷺ: «دخلتُ الجنةَ فَسمعتُ فيها قراءةً، فقلت: من هذا؟ قالوا: حارثةُ بنُ النعمان، كذلكم البرُّ، كذلكم البرُّ». وكان أبرَّ الناس بأمّه رواه فى «شرح السنة» ، والبيهقى فى «شعب الإيمان». وفى رواية: قال : «نِمْتُ فرأيتنى فى الجنة» بدل: «دخلتُ الجنة». [٤٩٢٦]

«مظ»: قوله: «ليحرم الرزق بالذنب» يؤول على تأويلين: أحدهما: أن يراد بالرزق الثواب فى الآخرة. وثانيهما: أن يراد به الرزق الدنيوى من المال والصحة والعافية، وعلى هذا إشكال، فإنا نرى الكفار والفساق أكثر مالا وصحة من الصلحاء. والجواب أن الحديث مخصوص بمسلم يريد الله تعالى أن يرفع درجته فى الآخرة فيعذبه بسبب ذنبه، فيصفيه من الذنوب فى الدنيا.

أقول: ويدل على الاختصاص تقييد هذه القرينة بالرجل دون القرينتين السابقتين، **فالتعريف** فيه: **إما للجنس**، فيكون المعنى: الرجل الكامل الحازم هو الذى يتفكر فى عاقبة أمره، فإذا أذنب تكدر عليه صفاء رزقه، كما قاله السجستانى، **أو للعهد** فيراد منه بعض الجنس من المسلمين على ما عليه كلام المظهر.

الحديث الثانى عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «كذلكم البر» المشار إليه ما سبق والمخاطبون الصحابة؛ فإنه ﷺ رأى هذه الرؤيا، وقصه على أصحابه، فلما بلغ إلى قوله: «حارثة بن النعمان» نبههم على سبب نيل تلك الدرجة، فقال: كذلكم البر، أى مثل تلك الدرجة تنال بسبب البر.

فإن قلت: ما موقع هذه الجملة؟ قلت: موقعها **التذييل** كقوله تعالى: **﴿وجعلوا أعزة أهلها أذلة و كذلك يفعلون﴾** (١)

وفيه من **المبالغة أنه جعل جزاء البر برا، و عرف الخبر بلام الجنس** تنبيها على أن هذه الدرجة القُصْيا* لا تنال إلا ببر الوالدين، و ذلك أنه ورد فى الحديث: «أنه يقال لصاحب القرآن يوم القيامة: اقرأ وارتق، ورتل كما كنت ترتل فى الدنيا؛ فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها» وفى **معنى التكرار أيضا استيعاب وتقرير وتوكيد.**

فإن قلت: فما موقع «وكان أبر الناس»؟ قلت: قوله: «وكان أبر الناس» الواو فيه إن كان

[٤٩٢٦] صحيح انظر شرح السنة «٣٤١٨» وصحيح الجامع «٣٣٧١» ، الصحيحة (٩١٣).

(١) النمل: ٣٤

(*) القصوى والقصيا كلاهما بمعنًى، وهو من البعد.

٤٩٢٧ - * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ، : «رضى الربّ فى رضى الوالدِ، وسخطُ الربِّ فى سخطِ الوالد». رواه الترمذى.[٤٩٢٧]

٤٩٢٨ ـ * وعن أبى الدرداء، أنَّ رجلاً أتاهُ، فقال: إنَّ لى امرأةً وإنَّ أمى تأمرنى بطلاقها فقال له أبو الدرداء: سمعت رسول الله ﷺ يقول:«الوالد أوسط أبواب الجنة، فإن شئتَ فحافظْ على الباب أو ضيّعْ» رواه الترمذى، وابن ماجه.[٤٩٢٨]

٤٩٢٩ ـ * وعن بَهز بن حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قلت: يارسول الله! من أبرُّ قال:«أمَّكَ» قلتُ ثُمَّ من؟قال:«أمك». قلتُ:ثم من؟ قال :«أمَّك». قلت: ثم من؟ قال «أباك، ثم الأقرب فَالأقرب». رواه الترمذى، وأبو داود.[٤٩٢٩]

٤٩٣٠ـ * وعن عبد الرحمن بن عوف، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «قال الله تبارك وتعالى: أنا الله، وأنا الرحمن، خلقت الرحم وشققت لها من اسمى، فمن وصلَها وصلتُهُ، ومن قطعَهَا بتته». رواه أبو داود.[٤٩٣٠]

٤٩٣١ ـ * وعن عبدالله بن أبى أوفى،قال:سمعتُ رسولَ اللهﷺ يقولُ: «لاتَنْزِلُ الرحمةُ على قوم فيهم قَاطعُ الرحم». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان».[٤٩٣١]

للعطف، فيكون من جملة مقول الملائكة. وإن كان لحال فذو الحال الضمير المستتر فى «قال» المقدر، أى قال رسول ﷺ: «ذلكم» والحال أن حارثة كان أبر الناس بأمه.

وإنما قلنا: إنه فى رؤيا رآها؛ لما جاء فى رواية أخرى عن الزهرى: قال: «نمت فرأيتنى فى الجنة». والله أعلم.

الحديث الثالث و الرابع عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله:«أوسط أبواب الجنة» «قض»:أى خير الأبواب وأعلاها. والمعنى: أن أحسن ما يتوسل به إلى دخول الجنة ويتوصل به إلى الوصول إليها، مطاوعة الوالد و مراعاة جانبه.

[٤٩٢٧] صحيح انظر صحيح الجامع «٣٥٠٦» الصحيحة ١٥٦.

[٤٩٢٨] صحيح انظر صحيح الجامع ٧١٤٥ .

[٤٩٢٩] حسن انظر صحيح الجامع ١٣٩٩ - الإرواء ٨٣٧ ، ٢١٦٣.

[٤٩٣٠] صحيح انظر صحيح الترمذى ١٥٥٧ - الصحيحة ٥٢٠.

[٤٩٣١] شرح السنة ٣٤٤٠. وإسناده ضعيف جداً.

٤٩٣٢ ـ * وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من ذنبٍ أحرى أن يعجِّلَ الله لصاحبهِ العقوبةَ في الدنيا، مع ما يدخر له في الآخرة، مِن البغي وقطيعةِ الرحم». رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٩٣٢]

٤٩٣٣- * وعن عبدِ الله بن عمر، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ مَنَّانٌ، ولا عاقٌّ، ولا مدمنُ خمرٍ». رواه النسائي، والدارمي. [٤٩٣٣]

٤٩٣٤- * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعلموا من أنسابكم ما تصلونَ به أرحامكم، فإن صلة الرحم محبةٌ في الأهل، مثْراةٌ في المالِ، منسأةٌ في الأثرِ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب. [٤٩٣٤]

الحديث الخامس إلى السابع عن عبد الله قول: «على قوم فيهم قاطع الرحم» «تو» يحتمل أنه أراد بالقوم الذين يساعدونه على قطيعة الرحم، ولا ينكرون عليه. و يحتمل أنه أراد بالرحمة المطر أى يحبس عنهم المطر بشؤم القاطع

الحديث الثامن عن أبى بكرة: قوله: «أن يعجل الله» صلة أخرى وعلى تقدير الباء و«من» فى قوله: «من البغى» تفصيلية.

الحديث التاسع عن عبد الله: «منان» قبل: هو من المنة أى يمن على الناس بما يعطيهم، وذلك مذموم؛ قال الله تعالى: ﴿**لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى**﴾ (١). أو من المن بمعنى القطع، أى قاطع الرحم؛ قال الله تعالى: ﴿**و إن لك لأجرا غير ممنون**﴾(٢) و منه المنية. وأراد «بالعاق» العاصى للوالدين.

«تو»: محمل هذا أنه لا يدخل مع الفائزين، أو لا يدخل حتى يعاقب بما اجترحه من الإثم بكل واحد من الأعمال الثلاثة.

الحديث العاشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «محبة» مفعلة من الحب كالمظنة من الظن. قوله: «مثراة» «نه»: هى مفعلة من الثرى وهو الكثرة. و«المنسأة» المفعلة من النسأ التأخير.

«قض»: «منسأة فى الأثر» أى تأخير فى الأجل. وقيل: دوام واستمرار في النسل، والمعنى أن يمن الصلة يفضى إلى ذلك.

[٤٩٣٢] صحيح، انظر صحيح الجامع ٥٧٠٤، الصحيحة ٩١٨.

[٤٩٣٣] صحيح. انظر صحيح الجامع ٧٦٧٦.

[٤٩٣٤] صحيح. انظر صحيح الجامع ٢٩٦٥.

(١) البقرة: ٢٦٤ (٢) القلم: ٣

٤٩٣٥- * وعن ابن عمر، أن رجلا أتى النبيَّ ﷺ، فقال: يارسول الله! إني أصبتُ ذَنبًا عظيمًا، فهل لي من توْبة؟ قال: هل لك من أمٍ؟» قال: لا. قال: «وهل لك من خالة؟» قال: نعم. قال: «فبرَّها» . رواه الترمذي.[٤٩٣٥]

٤٩٣٦- * وعن أبي أسيد الساعدي، قال: بينا نحن عندَ رسول الله ﷺ، إذ جاء رجلٌ من بني سلَمة، فقال: يارسول الله! هل بقي من برِّ أبويَّ شيءٌ أبرهما به بعد موتهما؟ قال: «نعم، الصلاة عليهما، والاستغفارُ لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحِم التي لا توصَل إلا بهما، وإكرامُ صديقهما». رواه أبو داود. وابن ماجه.[٤٩٣٦]

٤٩٣٧- * وعن أبي الطفيل، قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ يقسم لحمًا بالجعرانة إذ أقبلتِ امرأةٌ حتى دَنَتْ إلى النبيِّ ﷺ، فبسط لها رِدَاءَهُ، فجلستْ عليه. فقلت: من هي؟ فقالوا: هي أمه التي أرضعَتْه. رواه أبو داود.[٤٩٣٧]

الحديث الحادى عشر عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «ذنبا عظيما» «مظ»: يجوز أنه أراد عظيما عندي؛ لأن عصيان الله تعالى عظيم، وإن كان الذنب صغيرا. ويجوز أن يكون ذنبه كان عظيما من الكبائر، وأن هذا النوع من البر يكون مكفرا له، وكان مخصوصا بذلك الرجل، علمه النبى ﷺ من طريق الوحى.

الحديث الثانى عشر عن أبي أسيد: قوله: «التي لا توصل إلا بهما» ليس بصفة للمضاف إليه بل للمضاف، أي الصلة الموصوفة بأنها خالصة لحقهما ورضاهما لا لأمر آخر، ونحوه. قال الشيخ أبو حامد فى الإحياء: وهو هذا أن العباد أمروا أن لا يعبدوا إلا الله، ولا يريدوا بطاعتهم غيره. وكذلك من يخدم أبويه لا ينبغي أن يخدم لطلب منزلة عندهما إلا من حيث أن رضى الله في رضى الوالدين. ولايجوز أن يرائي بطاعته لينال بها منزلة عند الوالدين؛ فإن ذلك معصية فى الحال، وسيكشف الله رياءه، ويسقط منزلته من قلبهما أيضا.

الحديث الثالث عشر عن أبي الطفيل: قوله: «فبسط لها رداءه» قيل: فيه إشارة إلى وجوب رعاية الحقوق القديمة، ولزوم إكرام من له صحبة قديمة وحقوق سابقة.

[٤٩٣٥] انظر صحيح الترمذى (١٥٥٤).

[٤٩٣٦] إسناده ضعيف كما قال الألبانى فى المشكاة.

[٤٩٣٧] قال الألبانى: إسناده ضعيف انظر السابق.

الفصل الثالث

٤٩٣٨- * عن ابنِ عمر، عن النبيِّ ﷺ، قال: «بينما ثلاثةُ نفرٍ يتماشَوْنَ أخذَهم المطرُ، فمالوا إلى غارٍ فى الجبلِ، فانحطتْ على فمِ غارِهم صخرةٌ منَ الجبلِ، فأطبقتْ عليهم فقال بعضُهم لبعضٍ: انظروا أعمالاً عملتموها لله صالحةً، فادعوا اللهَ بها لعله يفرِّجُها. فقال أحدُهم: اللهُمَّ إنَّه كانَ لي والدانِ شيخان كبيران، ولي صبيةٌ صغارٌ كنتُ أرعى عليهم، فإذا رحتُ عليهم فحلبتُ بدأتُ بوالديَّ أسقيهما قبلَ ولدي، وإنَّه قد نأى بي الشجرُ، فما أتيتُ حتى أمسيتُ، فو جدتُهما قد ناما، فحلبتُ كما كنتُ أحلبُ، فجئتُ بالحِلابِ، فقمتُ عند رءوسهما أكرهُ أنْ أُوقظَهما، وأكرهُ أن أبدأَ بالصبيةِ قبلَهُما والصبيةُ يتضاغونَ عند قدَميَّ، فلم يزلْ ذلكَ دأبي ودأبهم حتى طلعَ الفجرُ، فإنْ كنتَ تعلمُ أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهكَ، فأفرجْ لنا فرجةً نرى منها السَّماءَ. ففرَجَ اللهُ لهم حتى يرَوْنَ السماءَ.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «صالحة» صفة أخرى لـ «أعمالاً» أى خالصة لوجهه لا رياء ولا سمعة فيها؛ يدل عليه قوله: «ابتغاء وجهك» فيما بعد. وضمن «أرعى» معنى الإنفاق، وعداه بـ«على» أي أنفق عليهم راعيا الغنيمات. وكذا ضمن «رُحت» معنى رددت أي إذا رددت الماشية من المرعى إلى موضع مبيتها.

قوله: «فحلبت» عطف على «رحت» و«بدأت» جواب «إذا»، و«أسقيهما» إما حال أو إستئناف بيان للعلة . قوله: «وإنه قد ناء بي الشجر». «مح»: وفي نسخ مسلم: «نأى» بجعل الهمزة قبل الألف، وبه قرأ أكثر القراء السبعة، وهما لغتان.

«نه»: أي بعد بي المرعى فى الشجر. قوله: «**والحلاب**» بكسر الحاء، هو الإناء الذي يحلب فيه. وقيل: قد يراد بالحلاب هنا اللبن المحلوب. و«يتضاغون» أى يضجون ويصيحون من الجوع، والضمير في «دأبهم» للوالدين والصبية. و«الفرجة» بضم الفاء وفتحها. و«يرون» بإثبات النون فى بعض نسخ شرح السنة، فيكون حكاية الحال الماضية، كقولك: شربت الإبل حتى يجيء البعير يجر بطنه، وفى بعضها بإسقاطه. قوله: «إنه كانت لى» ذكر ضمير الشأن والمذكور فى التفسير مؤنث، وهذا يدل على جواز ذلك.

قال الثاني: اللهُمَّ إِنَّه كانتْ لي بنتُ عمٍّ أُحبُّها كأشدِّ ما يُحبَّ الرجالُ النساءَ، فطلبتُ إِليها نفسَها، فأبتْ حتى آتيها بمائةِ دينارٍ، فسعيتُ حتى جمعتُ مائةَ دينارٍ،

قوله: «كأشد» يجوز أن يكون صفة مصدر محذوف. و«ما» مصدرية، أى أحبهاحبًا مثل أشد حب الرجال النساء، أو حالا أى أحبها مشابها حبي أشد حب الرجال النساء. ونظيره قوله تعالى: ﴿**يخشون الناس كخشية الله أو أشد خشية**﴾[1]، فإن قوله تعالى: ﴿ **أو أشد خشية**﴾ حال على تقدير مشبهين أو أشد خشية من أهل خشية الله. ويجوز أن يكون صفة المصدر نحو خشية الله على أن يكون الخشية خاشية. وما نحن فيه لم يحتج إلى هذا التأويل؛ لأنه مضاف كما قدرنا. وفى الآية: «خشية» منصوبة على التمييز. ولو قدر الإضافة بأن يقال: أشد خشية بالجر كان سواء بسواء حذو القذة بالقذة.

قوله: «فطلبت إليها نفسها» «نه»: يقال: طلب إلى فأطلبته أى أسعفته بما طلب. والطلبة الحاجة والإطلاب إنجازها. انتهى كلامه. ويجوز أن يضمن فيه معنى الإرسال، أى أرسلت إليها طالبا نفسها. والخاتم كناية عن البكارة. والفاء فى «فإن كنت» عطف على مقدر، أى اللهم فعلت ذلك فإن كنت تعلم.... إلخ. ويجوز أن يكون «اللّهم» مقحمة بين المعطوف والمعطوف عليه لتأكيد الابتهال والتضرع إلى الله تعالى، فلا يقدر معطوف عليه، وهو الوجه، يدل عليه القرينة السابقة واللاحقة. وإنما كرّر «اللّهم» فى هذه القرينة دون أختيهما؛ لأن هذا المقام أصعب المقامات وأشقها؛ فأنه ردع لهوى النفس خوفا من الله تعالى ومقامه. قال الله تعالى: ﴿**وأما من خاف مقام ربه ونهى النفس عن الهوى فإن الجنة هى المأوى**﴾[2].

قال الشيخ أبو حامد: شهوة الفرج أغلب الشهوات على الإنسان وأعصاها عند الهيجان على العقل. فمن ترك الزنا خوفا من الله تعالى مع القدرة، وارتفاع الموانع وتيسر الأسباب لاسيما عند صدق الشهوة، نال درجة الصديقين. و«الفرق» بفتح الراء مكيال يسع ستة عشر رطلا. وهي اثنا عشر مُدًا، وثلاثة آصع عند أهل الحجاز.

قوله: «ذلك البقر» «ذلك» إشارة إلى البقر باعتبار السواد المرئي. كما يقال: هند ذلك الإنسان أو الشخص فعل كذا. قال الذبياني:

تبيت نعمى على الهجران عاتبةً   سقْيا ورعْيا لذاك العاتب الزارى

وأنث الضمير الراجع إلى البقر باعتبار جمعية الجنس.

«مح»: استدل أصحابنا بهذا على أنه يستحب للإنسان أن يدعو فى حال كربه وفى الاستسقاء

---

(١) النساء: ٧٧   (٢) النازعات: ٤٠: ٤١

فلقيتُها بها، فلمَّا قعدْتُ بينَ رجليها. قالتْ: ياعبدَ اللهِ! اتَّقِ اللهَ ولا تفتح الخاتمَ، فقمتُ عنها. اللهُمَّ فإنْ كنتَ تعلم أني فعلتُ ذلك ابتغاءَ وجهِكَ، فافرجْ لنا منها، ففرجَ لهم فرجةً.

وقال الآخرُ: اللهُمَّ إني كنتُ استأجرتُ أجيرًا بفَرَقِ أرُزٍّ، فلما قضى عمله قال: أعطِني حقي. فعرضتُ عليه حقَّه، فتركه ورغبَ عنه، فلم أزل أزرعُه حتى جمعتُ منه بقرًا وراعيها، فجاءَني فقال: اتَّقِ اللهَ ولا تظلمْني وأعطِني حقي. فقلتُ: اذهبْ إلى ذلكَ البقر وراعيها فقال: اتَّقِ اللهَ ولا تهزَأ بي. فقلتُ: إني لا أهزأ بكَ فخذْ ذلكَ البقرَ وراعيَها، فأخذَه فانطلقَ بها. فإن كنتَ تعلُم أني فعلتُ ذلكَ ابتغاءَ وجهكَ فافرُجْ ما بقى ففرَّجَ اللهُ عنهم». متفق عليه.

٤٩٣٩- * وعن معاويةَ بن جاهمةَ، أنَّ جاهمةَ جاءَ إلى النبيِّ ﷺ، فقال: يا رسولَ اللهِ! أردتُ أنْ أغزوَ وقدْ جئتُ أستشيرُكَ. فقال: «هلْ لكَ منْ أُمٍّ؟» قال:

وغيره. ويتوسل بصالح عمله إلى الله تعالى، فإن هؤلاء فعلوه واستجيب لهم. وذكره النبي ﷺ في معرض الثناء عليهم وجميل فضائلهم. وفيه فضل بر الوالدين وإيثارهما على من سواهما من الأهل والوالد. وفيه فضل العفاف والانكفاف عن المحرمات، لا سيما بعد القدرة عليها. وفيه جواز الإجارة وفضل حسن العهد وأداء الأمانة والسماحة في المعاملة. وفيه إثبات كرامات الأولياء، وهو مذهب أهل الحق.

وتمسك بالحديث أصحاب أبي حنيفة وغيرهم، ممن يجوز بيع الإنسان مال غيره والتصرف فيه بغير إذنه، إذا أجازه المالك بعد ذلك. وأجاب أصحابنا بأن هذا إخبار عن شرع من قبلنا، وفي كونه شرعا لنا خلاف. فإن قلنا: إنا متعبدون به، فهو محمول على أنه استأجره فى الذمة، ولم يسلم إليه بل عرضه عليه، فلم يقبضه، فلم يتعين ولم يصر ملكه. فالمستأجر قد تصرف في ملك نفسه، ثم تبرع بما اجتمع منه من البقر والغنم وغيرهما.

الحديث الثاني عن معاوية : قوله: «عند رجلها» كناية عن غاية الخضوع ونهاية التذلل، كما في قوله تعالى: **﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾**[1]. ولعله ﷺ عرف من حاله وحال أمه حيث ألزمه خدمتها ولزومها أن ذلك أولى به.

---

(١) الإسراء: ٢٤

نعمْ. قال: «فالزمْها، فإنَّ الجنَّةَ عندَ رجلها». رواه أحمدُ، والنسائيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٤٩٣٩]

٤٩٤٠- * وعن ابنِ عمرَ، قال: كانتْ تحتي امرأةٌ أُحبها، وكانَ عمرُ يكرهُها. فقال لي: طلِّقها، فأبيتُ. فأتى عمرُ رسولَ الله ﷺ، فذكرَ ذلكَ له، فقال لي رسولُ اللهِ ﷺ: «طلِّقها». رواه الترمذي، وأبو داود. [٤٩٤٠]

٤٩٤١- * وعن أبي أُمامةَ، أنَّ رجلاً قال: يارسولَ الله! ما حقُّ الوالدَين على ولدهما؟ قال: «هُما جنَّتُكَ ونارُكَ». رواه ابنُ ماجه. [٤٩٤١]

٤٩٤٢- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ العبدَ ليموتُ والداهُ أوأحدُهما وإنَّه لهما لعاقٌّ، فلا يزالُ يدعو لهُما ويستغفرُ لهُما حتى يكتبَه اللهُ بارًا». [٤٩٤٢]

٤٩٤٣- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أصبحَ مُطيعًا لله في والدَيهِ أصبحَ له بابان مفتوحانِ منَ الجنَّةِ، وإن كانَ واحدًا فواحدًا. ومَنْ أمسى عاصيًا في والدَيه أصبحَ له بابان مفتوحان من النَّارِ، إن كانَ واحدًا فواحدًا» قال رجلٌ: وإنْ ظلماهُ؟ قال: «وإنْ ظلماهُ، وإن ظلماهُ، وإنْ ظلماهُ». [٤٩٤٣]

الحديث الثالث والرابع عن أبي أمامة: قوله: «هما جنتك» الجواب من **الأسلوب الحكيم**، أى حقهما البر والإحسان، وترك العقوق، الموجبان لدخول الجنة وعدًا، وترك الإحسان والعقوق الموجبان لدخول النار وعيدا، فأوجز كما ترى. وقوله: «جنتك ونارك» على الخطاب العام؛ لأن سؤاله عام فيدخل فيه السائل دخولا أوليا.

الحديث الخامس والسادس عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «مطيعا لله في والديه». فيه: أن طاعة الوالدين لم تكن طاعة مستقلة، بل هي طاعة الله التي بلغت توصيتها من الله تعالى فحسب طاعتهما كطاعته. وكذلك العصيان والأذى. وهو من باب قوله تعالى: ﴿إن

[٤٩٣٩] إسناده جيد كما قال الألبانى فى المشكاة.

[٤٩٤٠] صحيح انظر صحيح أبى داود (٤٢٨٤).

[٤٩٤١] ضعيف انظر ضعيف الجامع «٦١١١».

[٤٩٤٢] قال الشيخ الألبانى: فى إسناده متهمان بالوضع ،وقد أورده ابن الجوزى فى الموضوعات من طريق أخرى فيه وضاع آخر، وتعقبه السيوطى وابن عراق بما لايجدى، كما بينته فى الأحاديث الضعيفة والموضوعة.

[٤٩٤٣] ضعيف-انظر ضعيف الجامع ٥٤٣٥.

٤٩٤٤- * وعنه، أنَّ رسولَ الله، قال: «ما منْ ولَدِ بارٍ ينظرُ إلى والديه نظرةَ رحمةٍ إلا كتبَ اللهُ له بكلِّ نظرةٍ حجَّةً مبرورةً». قالوا: وإنْ نظرَ كلَّ يومٍ مائةَ مرَّةٍ؟ قال: «نعمْ، اللهُ أكبرُ وأطيبُ». [٤٩٤٤]

٤٩٤٥- * وعن أبي بكرةَ رضى الله عنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كلُّ الذنوبِ يغفرُ اللهُ منها ما شاءَ إلاَّ عقوقَ الوالدَين فإنَّه يُعجِّلُ لصاحبِه في الحياةِ قبلَ المماتِ».

٤٨٤٦- * وعن سعيدِ بن العاص، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «حقُّ كبيرِ الإخوةِ علي صغيرِهم حقُّ الوالدِ على ولدِه». روى البيهقيُّ الأحاديثَ الخمسةَ في «شعب الإيمان». [٤٩٤٦]

الذين يؤذون الله ورسوله﴾[1]. و«من الجنة» يجوز أن يكون صفة أخرى لقوله: «بابان»، وأن يكون حالا من الضمير في «مفتوحان». وقوله: «فواحدًا» أى فكان الباب المفتوح واحدا. «وإن ظلماه» يراد بالظلم ما يتعلق بالأمور الدنيوية لا الأخروية.

الحديث السابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «الله أكبر» رد لاستبعاده من أن يعطى الرجل بسبب النظرة حجة، وإن نظر مائة مرة. يعنى: الله أكبر مما فى اعتقادك من أنه لا يكتب له تلك الأعداد الكثيرة، ولا يثاب عليه ما هو أطيب.

الحديث الثامن عن أبي بكرة: قوله: «منها» «من» تبعيضية منصوب المحل مفعول «يغفر» مجازًا، و«ماشاء» بدل منه. ويجوز أن يتعلق بـ «يغفر» وتكون ابتدائية. ومعنى الشمول فى الكل للاستغراق. يعني: كل فرد من أفراد الذنوب مغفور إذا تعلقت مشيئة الله تعالى به إلا عقوق الوالدين. وهذا وارد على سبيل التغليظ والتشديد. ومفعول «يعجل» محذوف، أى «العقوبة»، يدل عليه سياق الكلام.

باب الشفقة والرحمة على الخلق

الشفقة اسم من الإشفاق . وكذلك الشفق وهو الخوف. قال:

[٤٩٤٤] موضوع . قاله الشيخ الألبانى فى المشكاة.

[٤٩٤٦] ضعيف - ضعيف الجامع ٢٧٣٥

(١) الأحزاب: ٥٧

(١٥) باب الشفقة والرحمة على الخلق

الفصل الأول

٤٩٤٧- * عن جريرِ بن عبدِالله، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لايرحمُ اللهُ مَنْ لا يرحمُ النَّاسَ». متفق عليه.

٤٩٤٨- * وعن عائشةَ، قالتْ: جاءَ أعرابيٌّ إلى النبيِّ ﷺ فقال: أتُقبِّلونَ الصبيانَ؟ فما نُقبِّلهم. فقال النبيُّ ﷺ: «أوَ أملكُ لكَ أنْ نزعَ اللهُ من قلبِكَ الرحمةَ؟». متفق عليه.

تهوى حياتي وأهوى موتها شفقا　　　والموت أكرم نزال على الحرم

والشفقة عناية مختلطة بخوف؛ لأن المشفق يحب المشفق عليه ويخاف ما يلحقه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن جرير: قوله: «لا يرحم الله من لا يرحم» الرحمة الثانية محمولة على الحقيقة، [والأولى على المجاز؛ لأن الرحمة من الخلق التعطف والرقة، وهو لا يجوز على الله تعالى ومن الله تعالى الرضى عمن رحمه]* لأن من رق له القلب فقد رضي عنه، أو الإنعام وإرادة الخير؛ لأن الملك إذا عطف على رعيته ورق لهم، أصابهم بمعروفه وإنعامه.

الحديث الثاني عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «أو أملك» الهمزة الاستفهامية إنكارية. «شف»: يروى «أن» بفتح الهمزة فهي مصدرية، ويقدر مضاف، أى لا أملك لك دفع نزع الله من قلبك الرحمة. ويروى بكسر الهمزة شرطا، وجزاءه محذوف من جنس ما قبله. أى إن نزع الله من قلبك الرحمة لا أملك لك دفعه ومنعه.

أقول: والفاء فى قوله: «فما نقبلهم» استبعادية، أى تفعلون ذلك وهو مستبعد عندنا. ونحو الفاء في قوله تعالى: ﴿ومن أظلم ممن ذكر بآيات ربه فأعرض عنها﴾[1] فإن موقعه موقع «ثم» في مثل هذه الآية، أى إن الإعراض فى مثل آيات الله العظمى فى وضوحها وإرشادها بعد التذكير بها، مستبعد فى العقول.

الحديث الثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «من ابتلى من هذه البنات بشىء» «تو»:

---

(١) الكهف: ٥٧

(*) سبق التنبيه على مثل هذا، وأن هذه الصفات على الحقيقة كما يليق به جل وعلا.

٤٩٤٩- * وعنها، قالتْ: جاءَتني امرأةٌ ومعها ابنتان لها تسألني، فلم تجدْ عندي غيرَ تمْرةٍ واحدةٍ فأعطيتُها إياها، فقسمتْها بينَ ابنتيها، ولم تأكلْ منها، ثمَّ قامتْ فخرجتْ. فدخلَ النبيُّ ﷺ، فحدَّثته، فقال: «مَن ابتليَ من هذه البنات بشيءٍ فأحسنَ إليهنَّ كنَّ له سترًا من النَّار». متفق عليه.

٤٩٥٠- * وعن أنسٍ، قال: رسولُ الله ﷺ: «مَنْ عالَ جاريتينِ حتى تبلغا جاءَ يومَ القيامةِ أنا وهوَ هكذا» وضمَّ أصابعَه. رواه مسلم.

٤٩٥١- * وعن أبي هريرةَ، قال رسولُ الله ﷺ: «السَّاعي على الأرملةِ والمسكينِ كالساعى في سبيلِ الله»، وأحسبه قال: «كالقائمِ لا يفترُ وكالصَّائمِ لا يفطرُ». متفق عليه.

هذه الرواية هى الصواب. والرواية التي اختارها صاحب المصابيح يتخبط الناس فيها لمكان قوله: «شيئا» وروى «يلى» بالياء من الولاية وليس بشيء. والصواب فيه: «من بلى من هذه البنات بشىء».

أقول: الرواية في البخاري والحميدي والبيهقي وشرح السنة: «من ابتلى من هذه البنات بشيء». ولم نقف على ما في المصابيح، وهو «من بلى من هذه البنات شيئا» فى الأصول. وهذه إشارة إلى جنسهن. «مح»: إنما سماهن ابتلاء؛ لأن الناس يكرهونهن في العادة. قال الله تعالى: ﴿وإذا بُشر أحدهم بالأنثى ظلّ وجهه مسودا وهو كظيم﴾[1].

الحديث الرابع عن أنس رضي الله عنه: قوله: «من عال». «نه»: يقال: عال الرجل عياله يعولهم: إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة وغيرهما. وقوله: «أنا وهو هكذا» جملة حالية بغير واو، أي جاء مصاحبا لي.

الحديث الخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «على الأرملة» «مح»: المراد بالساعي الكاسب لهما العامل لمئونتهما. **والأرملة**: من لا زوج لها، سواء تزوجت قبل ذلك أم لا. وقيل: هي التى فارقها زوجها. قال ابن قتيبة: سميت أرملة لما يحصل لها من الإرمال، وهو الفقر وذهاب الزاد بفقد الزوج. يقال: أرمل الرجل إذا فنى زاده. انتهى كلامه.

وإنما كان معنى «الساعي على الأرملة» ما قاله: لأنه ﷺ عداه بـ«على» مضمنا فيه معنى

---

(١) النحل:٥٨

٤٩٥٢- * وعن سهلِ بن سعد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا وكافلُ اليتيمِ له، ولغيرِه، في الجنَّةِ هكذا» وأشار بالسبَّابة والوسطى وفرَّجَ بينهما شيئًا. رواه البخاري.

٤٩٥٣- * وعن النعمانِ بن بشيرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ترى المؤمنينَ في تراحُمِهِم وتوادِّهم وتعاطفِهِم كمثلِ الجسدِ إذا اشتكى عضوًا تداعى له سائرُ الجسدِ بالسَّهرِ والحُمَّى». متفق عليه.

٤٩٥٤- * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المؤمنونَ كرجلٍ واحدٍ، إنِ اشتكي عينه كله، وإنِ اشتكى رأسه اشتكى كله». رواه مسلم.

٤٩٥٥- * وعن أبي موسى، عن النبيِّ ﷺ، قال: «المؤمنُ للمؤمنِ كالبُنيانِ يشدُّ بعضُه بعضًا» ثمَّ شبَّكَ بينَ أصابعِه. متفق عليه.

الإنفاق. «شف»: الألف واللام في «كالقائم» و«كالصائم» غير معرفين؛ ولذلك وصف كل واحد بجملة فعلية بعده كقوله الشاعر:

ولقد أمر على اللئيم يسبني

قوله: «كالقائم لا يفتر وكالصائم لا يفطر» هما عبارتان عن الصوم بالنهار والقيام بالليل. كقولهم: نهاره صائم وليله قائم. يريدون الديمومة.

الحديث السادس عن سهل: قوله: «وكافل اليتيم» «نه» وهو القائم بأمر اليتيم المربي له. وهو من الكفيل الضمين. والضمير في قوله: «ولغيره» راجع إلى «الكافل». أي أن اليتيم سواء كان الكافل من ذوي رحمه وأنسابه، أو كان أجنبيا لغيره يكفل به.

أقول: قوله: «في الجنة» خبر «أنا» و «هكذا» نصب على المصدر من متعلق الخبر، وأشار بالسبابة والوسطى، أي أشار بهما إلى ما في ضميره ﷺ من معنى الانضمام وهو بيان «هكذا».

الحديث السابع عن النعمان: قوله: «تداعى له سائر الجسد» «نه»: كأن بعضه دعا بعضا ومنه قولهم: تداعت الحيطان، أي تساقطت أو كادت. ووجه التشبيه فيه هو التوافق في المشقة والراحة والنفع والضرر.

الحديث الثامن والتاسع عن أبي موسى: قوله: «المؤمن للمؤمن» التعريف فيه للجنس والمراد بعض المؤمن للبعض. وقوله: «يشد بعضه بعضا» بيان لوجه التشبيه.

وقوله: «ثم شبك بين أصابعه» كالبيان للوجه أي شدا مثل هذا الشد. «مح»: فيه تعظيم

٤٩٥٦- * وعنه، عن النبيِّ ﷺ، أنَّه كانَ إذا أتاهُ السَّائلُ أو صاحبُ الحاجةِ قال: «اشفعوا فلْتُؤجَروا ويقضي اللهُ على لسان رسولِه ماشاءَ». متفق عليه.

٤٩٥٧- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «انصُرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا». فقال رجلٌ: يارسولَ الله! أنصرُه مظلومًا، فكيف أنصرُه ظالمًا؟ قال: «تمنعه من الظلم، فذلك نصرُكَ إيّاهُ». متفق عليه.

٤٩٥٨- * وعن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «المسلمُ أخو المسلم، لا يَظلِمه، ولا يُسلِمَهُ، ومن كان في حاجةِ أخيه كان الله في حاجته، ومن فرَّجَ عن

حقوق المسلمين بعضهم لبعض، وحثهم على التراحم والملاطفة والتعاضد، في غير إثم ولا مكروه. وفيه جواز التشبيه وضرب الأمثال لتقريب المعاني إلى الأفهام.

الحديث العاشر عن أبي موسى: قوله: «اشفعوا فلتؤجروا «مظ»: يعني إذا عرض صاحب حاجة عليّ اشفعوا له إليّ: فإنكم إذا شفعتم له إلي، حصل لكم بتلك الشفاعة أجر، سواء قبلت شفاعتكم أو لم تقبل. وقوله: «يقضي الله على لسان رسوله» أي يجرى على لساني ما شاء الله، إن قضيت حاجة من شفاعتكم له، فهو بتقدير الله. وإن لم أقض فهو أيضًا بتقدير الله.

أقول: قوله: «على لسان رسوله» من باب **التجريد**؛ إذا الظاهر أن يقال: «على لساني». كأنه قال: اشفعوا إلى، ولا تقولوا: ما ندري أيقبل رسول الله ﷺ شفاعتنا أم لا؟؛ لأن الله تعالى هو القاضي، فإن قضى لي أن أقبل أقبل، وإلا فلا. وهو من قوله ﷺ: «اعملوا فكل ميسر لما خلق له» والفاء في «فلتؤجروا» واللام مقحمة بل كلاهما مؤكدان؛ لأنه لو قيل: «تؤجروا» جوابا للأمر لصح.

«مح»: أجمعوا على تحريم الشفاعة في الحدود بعد بلوغها إلى الإمام. وأما قبله فقد أجاز الشفاعة فيها أكثر العلماء، إذا لم يكن المشفوع فيه صاحب شرّ وأذى للناس. وأما المعاصى التى لا حد فيها، والواجب التعزير، فيجوز الشفاعة والتشفيع فيها، سواء بلغت الإمام أم لا. ثم الشفاعة فيها مستحبة، إذا لم يكن المشفوع فيه مؤذيا وشريرا.

الحديث الحادي عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «فذلك نصرك إياه» إشارة إلى المنع. أى منعك أخاك عن الظلم نصرك إياه على شيطانه الذي يغويه، وعلى نفسه التى تأمره بالسوء.

الحديث الثاني عشر عن ابن عمر: قوله: «ولا يسلمه» «نه»: يقال: أسلم فلان فلانا إذا

مسلم كربةً فرج الله عنه كربةً من كرُبات يوم القيامة، ومن ستر مسلمًا ستره الله يوم القيامة». متفق عليه.

٤٩٥٩- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «المسلم أخو المسلم، لايظلمه، ولا يَخْذله، ولا يَحْقِرُه، التقوي هاهنا». ويشير إِلى صدره ثلاث مرات «بحسب امرئ من الشر أَن يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حَرامٌ: دمُه ومالهُ وعرضه». رواه مسلم.

ألقاه إلى الهلكة ولم يحمه من عدوه. وهو عام فى كل من أسلمته إلى شيء لكن دخله التخصيص، وغلب عليه الإلقاء فى الهلكة.

الحديث الثالث عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «لا يظلمه» استئناف إما بيان للموجب وإما لوجه التشبيه. والخذلان ترك الإعانة والنصرة. قوله: «ولا يحقره» «مظ»: لا يجوز تحقير المتقي من الشرك والمعاصي. والتقوى محله القلب، وما كان محله القلب يكون مخفيا عن أعين الإنس. وإذا كان مخفيا فلا يجوز لأحد أن يحكم بعدم تقوى مسلم حتى يحقره. ويحتمل أن يكون معناه محل التقوى هو القلب، فمن كان فى قلبه التقوى فلا يحقر مسلما؛ لأن المتقي لا يحقر المسلم.

أقول: والقول الثاني أوجه والنظم له أدعى؛ لأنه ﷺ إنما شبه المسلم بالأخ لينبه على المساواة، وأن لا يرى أحد نفسه على أحد من المسلمين فضلا ومزية، ويحب له ما يحب لنفسه. وتحقيره إياه مما ينافي هذه الحالة وينشأ منه قطع وصلة الأخوة التي أمر الله تعالى بها أن توصل. ومراعاة هذه الشريطة أمر صعب؛ لأنه ينبغي أن يسوي بين السلطان وأدنى العوام، وبين الغنى والفقير، وبين القوى والضعيف والكبير والصغير. ولا يتمكن من هذه الخصلة إلا من امتحن الله قلبه للتقوى، وأخلصه من الكبر والغش والحقد، ونحوها: إخلاصُ الذهب الإبريزَ من خبثه ونقاه منها، فيؤثر لذلك أمر الله تعالى على متابعة الهوى؛ ولذلك جاء قوله ﷺ: «التقوى هاهنا» معترضا بين قوله: « ولا يحقره » وقوله: «بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم» فإن كلا منهما متضمن للنهي عن الاحتقار.

وأنت عرفت أن موقع الاعتراض بين الكلام موقع التأكيد والتقرير. وقوله: «كل المسلم على المسلم. . . . » إلخ. هو الغرض الأصلي والمقصود الأولى، والسابق كالتمهيد والمقدمة له. فجعل مال المسلم وعرضه جزاء منه تلويحا إلى معنى ما روي: «حرمة مال المسلم كحرمة دمه»* والمال يبذل للعرض. قال:

---

* حدث حسن. آخرجه أبونعيم فى الحلية عن ابن مسعود مرفوعا. انظر صحيح الجامع (٣١٤٠).

٤٩٦٠- * وعن عياض بن حمار، قال: قال رسول الله ﷺ: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقْسطٌ متصدِّقٌ موفَّقٌ، ورجلٌ رحيم رقيق القلب لكلِّ ذى قربى ومسلم، وعفيفٌ متعفِّف ذو عيال. وأهلُ النار خمسةٌ، الضعيفُ الذي لا زَبْر له: الذين هم

أصون عرضي بمالي لا أدنسه لا بارك الله بعد العرض في المال

ولما أن التقوى: تشد من عقد هذه الأخوة وتستوثق من عراها. قال الله تعالى: ﴿**إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم واتقوا الله**﴾(١) يعني أنكم إن اتقيتم لم تحملكم التقوى إلا على التواصل والائتلاف والمسارعة إلى إماطة ما يفرط منه، ولأن مستقر التقوى ومكانه المضغة التي إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد. قال الله تعالى: ﴿**أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى**﴾(١).

ولذلك كرر صلوات الله عليه هذه الكلمة، وأشار بيده إلى صدره ثلاثا. وإنما عدل الراوى من الماضي إلى المضارع استحضارا لتلك الحالة في مشاهدة السامع واهتماما بشأنها. ونحوه قوله. تعالى: ﴿ **والله الذي يرسل الرياح فتثير سحابا**﴾(٢) ومن ثمة أشار رسول الله ﷺ بيده إلى صدره. ولم يقل: التقوى في القلب. وهذا الحديث من الجوامع وفصلْ الخطاب الذي خصّ به هذا النبي المكرم صلوات الله وسلامه عليه. قوله: «بحسب امرئ» مبتدأ والباء فيه زائدة. وقوله: «أن يحقر أخاه» خبره، أى حسبه وكافيه من خلال الشرور ورذائل الأخلاق تحقير أخيه المسلم. والله أعلم.

الحديث الرابع عشر عن عياض: قوله: «ذو سلطان» أى سلطان لأنه ذو قهر وغلبة من السلاطة، وهي التمكن من القهر. قال الله تعالى: ﴿**ولو شاء الله لسلَّطهم**﴾(٣) ومنه سمي السلطان. وقيل: ذو حجة لأنه تقام الحجج به. و«المقسط» العادل. يقال: أقسط يقسط فهو مقسط إذا عدل. وقسط يقسط فهو قاسط إذا جار. وكأن الهمزة فيه للسلب، كأن يقال: شكاه إليه فأشكاه. و«الموفق» هو الذي هُيئ له أسباب الخير وفتح له أبواب البر. وقوله: «رقيق القلب» مفسر لقوله: «رحيم» أى يرق قلبه ويترحم لكل من بينه وبينه لحمة القرابة أو صلة الإسلام. و«العفيف» المتعفف المتجنب عن المحارم المتحاشي عن السؤال، المتوكل على الله تعالى فى أمره وأمر عياله. وإذا استقرأت أحوال العباد على اختلافها، فلعلك لم تجد أحدا يستأهل أن يدخل الجنة ويحق له أن يكون من أهلها، إلا وهو مندرج تحت هذه الأقسام غير خارج عنها.

قوله: «لازبر له» «حس»: أى لا عقل له. وفي الغريبين: يقال: ماله زبر أى عقل. «تو»:

---

(١) الحجرات: ١٠، ٣ (٢) فاطر: ٩ .
(٣) النساء: ٩٠

فيكم تَبَعٌ لا يبغون أهلا ولا مالا، والخائن الذي لا يخفى له طمعٌ وإن دَقَّ إلاَّ خانه، ورجلٌ لا يُصبح ولايُمْسي إلا وهو يخادعك عن أهلِك ومالِك»، وذكر البُخل أو الكذب، والشِنظير الفحَّاشُ». رواه مسلم.

المعنى لا يستقيم عليه؛ لأن من لا عقل له لا تكليف عليه. فكيف يحكم بأنه من أهل النار؟ وأرى الوجه فيه أن يفسر بالتماسك؛ فإن أهل اللغة يقولون: لا زبر له أى لا تماسك له، وهو في الأصل مصدر. والمعنى: لا تماسك له عند مجيء الشهوات. فلا يرتدع عن فاحشة ولا يتورع عن حرام.

أقول: لعله ذهب إلى أن قوله: «الذين هم فيكم تبع» قسم آخر من الأقسام الخمسة؛ ولذلك فسره بقوله: «يعني به الخدام الذين يكتنفون* بالشبهات والمحرمات» وعليه كلام القاضي؛ حيث قال: والذين هم فيكم تبع يريد به الخدام الذين لا مطمح لهم، ولا مطمع إلا ما يملأون به بطونهم من أيّ وجه كان، ولاتتخطى هممهم إلى ما وراء ذلك من أمر ديني أو دنيوي.

أقول: والظاهر أن الضعيف وصف باعتبار لفظه تارة بالمفرد وباعتبار الجنس أخرى بالجمع، أو الموصول الثاني بيان أو بدل مما قبله لعدم العاطف، كما في الأصول المشهورة. وعليه كلام الأشراف حيث قال: «الذي» فى قوله: «الذي لازبر له» بمعنى «الذين» للجمع. قال الشاعر:

إن الذى حانت بفلج دماؤهم   هم القوم كل القوم يا أم خالد

وهو الذي جوز جعل قوله: «الذين هم فيكم تبع» بدلا من قوله: «الذي لا زبر له» انتهى كلامه.

وعلى هذا لا يتوجه الإشكال الذي أورده الشيخ التوربشتي، ويتعين تقسيم الأقسام الخمسة: أحدها: الضعيف، وثانيها: الخائن، وثالثها: رجل، ورابعها: البخيل مثلا، وخامسها: الشنظير. قوله: «تبع» فى بعض نسخ المصابيح مرفوعا كما فى صحيح مسلم على أنه فاعل الظرف، أو مبتدأ خبره الظرف، والجملة خبرهم. وفى بعضها منصوب كما فى الحميدي وجامع الأصول، وهو حال عن الضمير المستتر في الخبر.

«مح»: «لا يتبعون» بالعين المهملة يخفف ويشدد من الإتباع. وفي بعض النسخ «لايبغون» بالغين المعجمة: لايطلبون. قوله: «لايخفى له طمع» «قض»: أى لا يخفى عليه شيء مما يمكن أن يطمع فيه، وإن دق، بحيث لا يكاد يدرك إلا وهو يسعى فى التفحص عنه والتطلع عليه حتى يجده فيخونه. وهذا هو الإغراق في الوصف بالخيانة. ويحتمل أن يكون «خفي» من الأضداد. والمعنى لا يظهر له شيء يطمع فيه إلا خانه، وإن كان شيئا يسيرا. والطمع مصدر بمعنى المفعول.

---

* فى«ط» «يكتفون».

٤٩٦١- * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده لايؤمنُ عبدٌ حتىُ يحبَّ لأخيه ما يحبُّ لنفسه». متفق عليه.

٤٩٦٢- * وعن أبي هريرة، قال : قال رسولُ الله ﷺ: « والله لا يؤمن، والله لا

قوله: «يخادعك عن أهلك» «عن» هنا كما فى قوله الشاعر:

يمدح جوادا ويصف أضيافه   ينهون عن أكل وعن شرب

أى يتناهون في السمن بسبب الأكل والشرب. وقوله تعالى **﴿فأزلهما الشيطان عنها﴾** الكشاف: أى حملهما الشيطان على الزلة بسببها وتحقيقه فأصدر الشيطان زلتهما عن الشجرة فالمعنى: يخادعك بسبب أهلك ومالك، أى طمع فى مالك وأهلك، فيظهر عندك الأمانة والعفة ويخون فيهما.

قوله: «البخل أو الكذب» «تو»: أى البخيل والكذاب **أقام المصدر مقام اسم الفاعل**، انتهى كلامه. ولعل الراوي نسي ألفاظا ذكرها ﷺ فى شأن البخيل أو الكذاب فعبر بهذه الصيغة، وإلا كان يقول: والبخيل أو الكذاب. «مح»: في أكثر النسخ: «أو الكذاب» بـ«أو»، وفي بعضها بالواو. والأول هو المشهور فى نسخ بلادنا. قال القاضي عياض: روايتنا عن جميع شيوخنا بالواو، إلا ابن أبي جعفر عن الطبري فبـ«أو». وقال بعض الشيوخ: ولعله الصواب، وبه تكون المذكورات خمسة.

أقول: فعلى هذا قوله: «الشنظير» مرفوع، فيكون عطفا على «رجل» كما سبق. وعلى تأويل الواو ينبغي أن يكون منصوبا من تتمة الكذب أو البخل، أى البخيل السيء الخلق. يقال: رجل شنظير وشنظيرة. و«الفحاش» نعت لـ«الشنظير». وليس بمعنى له، أى يكون مع سوء خلقه فحاشا.

الحديث الخامس عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «لا يؤمن عبد» «مح»: قالوا: لا يؤمن الإيمان التام. وإلا فأصل الإيمان يحصل لمن لم يكن بهذه الصفة. والمراد: يحب لأخيه من الطاعات والمباحات؛ يدل عليه ما جاء فى رواية النسائى فى هذا الحديث « حتى يحب لأخيه من الخير»؛ إذ معناه لا يكمل إيمان أحدكم حتى يحب لأخيه في الإسلام ما يحب لنفسه. والقيام بذلك يحصل بأن يحب له حصول مثل ذلك من جهة لا يزاحمه فيها. وذلك سهل على القلب السليم. وإنما يعسر على القلب الدغل.

الحديث السادس عشر عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «بوائقه» «نه»: أى غوائله وشروره، واحدتها بائقة.

يؤمن، والله لا يؤمن». قيل: مَنْ يارسول الله؟ قال: «الذي لا يأمَنُ جارُه بوائقه» متفق عليه.

٤٩٦٣- * وعن أنس، قال : قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنةَ من لا يأمنُ جارهُ بوائقَهُ». رواه مسلم.

٤٩٦٤- * وعن عائشة وابن عمر رضي الله عنهم عن النبي ﷺقال: «مازال جبريلُ يوصيني بالجار، حتى ظننت أنه سيورّثه». متفق عليه.

٤٩٦٥- * وعن عبدالله بن مسعود: قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون الآخر، حتى تختلطوا بالناس، من أجل أن يحزنه». متفق عليه.

٤٩٦٦- * عن تميم الداري، أن النبيَّ ﷺ قال: «الدين النصيحة» ثلاثًا. قلنا:

الحديث السابع عشر إلى التاسع عشر عن عبدالله: قوله: «من أجل أن يحزنه» يجوز أن يكون علة للنهي، أى لا تتناجوا لئلا يحزن صاحبك، وأن يكون علة للفعل المنهي، أى لا ينبغى أن يصدر منكم تناج هو سبب للحزن. فعلم أن هناك تناجيا غير منهي. «خط»: إنما يحزنه ذلك لأحد معنيين: أحدهما: أنه ربما يتوهم أن نجواهما [التبييت]* رأى فيه، أو دسيس غائلة له. والآخر: أن ذلك من أجل الاختصاص بالكرامة وهو يحزن صاحبه. وقال أبو عبيد: هذا فى السفر، وفى الموضع الذى لا يأمن الرجل فيه صاحبه على نفسه. فأما في الحضر وبين ظهراني العمارة، فلا بأس به.

«حس»: وقد صح عن عائشة رضي الله عنها: «إنا كنا أزواج النبي ﷺ عنده يوما، فأقبلت فاطمة رضي الله عنها فلما رآها رحب ثم سارها». ففيه دليل على أن المسارة فى الجمع حيث لا ريبة جائزة. «مح»: هذا النهي عن تناجي اثنين بحضرة ثالث وكذا بإذنه. وهذا مذهب ابن عمر ومالك وأصحابنا وجماهير العلماء. وهو عام فى كل الأزمان حضرا وسفرا.

الحديث العشرون عن تميم: قوله: «الدين النصيحة» «خط»: «النصيحة» كلمة جامعة يعبر بها عن جملة هي إرادة الخير. وليس يمكن أن يعبر عن هذا المعنى بكلمة وجيزة تحصرها وتجمع معناها غيرها، كما قالوا في «الفلاح»: ليس فى كلامهم كلمة أجمع لخير الدنيا والآخرة منه. فقوله ﷺ: «الدين النصيحة» يريد عماد أمر الدين إنما هو النصيحة. وبها ثباته كقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» أى صحتها وثباتها بالنية.

فمعنى نصيحة الله الإيمان به وصحة الاعتقاد في وحدانية، وترك الإلحاد فى صفاته

---

* فى «ط» «التثبيت» من ثبت، وما أثبتناه من «ك» وهو الأولى.

لمن؟ قال: «للهِ، ولكتابهِ، ولرسولهِ ولأئمةِ المسلمين، وعامتهم». رواه مسلم.

وإخلاص النية في عبادته، وبذل الطاعة فيما أمر به ونهى عنه، والاعتراف بنعمه والشكر له عليها وموالاة من أطاعة، ومعاداة من عصاه. وحقيقة هذه الإضافة راجعة إلى العبد في نصيحة نفسه لله، والله غني عن نصح كل ناصح.

ومعنى نصيحة الكتاب: الإيمان به وبأنه كلام الله ووحبه وتنزيله، لا يقدر على مثله أحد من المخلوقين، وإقامة حروفه فى التلاوة والتصديق بوعده ووعيده، والاعتبار بمواعظه، والتفكير في عجائبه، والعلم بمحكمه والتسليم بمشابهه. وأما النصيحة لرسول الله ﷺ فهي التصديق بنبوته، وقبول ما جاء به ودعا إليه، وبذل الطاعة فيما أمر ونهى، والانقياد له وإيثاره بالمحبة فوق نفسه ووالده وولده والناس أجمعين.

ونصيحة الأئمة أن يطيعهم في الحق، ولا يرى الخروج عليهم إذا جاروا، وتذكيرهم برفق ولطف، وإعلامهم لما غفلوا عنه أو لم يبلغهم من حقوق المسلمين، وتأليف قلوب الناس لطاعتهم. ومن النصيحة لهم: الصلاة خلفهم، والجهاد معهم، وأداء الصدقات إليهم، وأن لا يغرهم بالثناء الكاذب عليهم، وأن يدعو لهم بالصلاح، هذا كله على أن المراد بالأئمة الخلفاء وغيرهم ممن يقوم بأمور المسلمين من أصحاب الولايات.

وقد [يتأول]* ذلك بالأئمة الذين هم علماء الدين، وإن من نصيحتهم قبول مارووه، وتقليدهم في الأحكام وإحسان الظن بهم. ونصيحة عامة المسلمين إرشادهم إلى مصالحهم الدينية والدنيوية، وكف الأذى عنهم، وتعليمهم ما ينفعهم في دينهم ودنياهم، ويعينهم عليه قولا أو فعلا وستر عوراتهم وسد خلاتهم، ودفع المضار عنهم وجلب المنافع لهم، وأمرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر برفق، وتوقير كبيرهم ورحمة صغيرهم، وتخولهم بالموعظة الحسنة وترك غِيبتهم وحسدهم، وأن يحب لهم ما يحب لنفسه من الخير، ويكره لهم ما يكره لنفسه، والذب عن أموالهم وأعراضهم وغير ذلك من أحوالهم.

أقول: وجماع القول فيه أن النصيحة هي خلوص المحبة للمنصوح له، والتحري فيما يستدعى حقه، فلا يبعد أن يدخل فيه نفسه بأن ينصحها بالتوبة النصوح، وأن يأتى بها على طريقتها متداركة للفرطات ماحية للسيئات. ويجعل قلبه محلا للنظر والفكر، وروحه مستقرا للمحبة وسره منصة للمشاهدة. وعلى هذا أعمال كل عضو من العين، بأن يحملها على النظر إلى الآيات الناصة من الآفاقية والأنفسية، والإذن على الإصغاء إلى الآيات النازلة والأحاديث الواردة، واللسان على النطق بالحق وتحرى الصدق والمواظبة على ذكر الله وثنائه. قال الله تعالى: ﴿إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾(١).

---

(١) الإسراء: ٣٦.

* فى «ط» «يتناول».

٤٩٦٧ - * وعن جرير بن عبدالله، قال: بايعت رسول الله ﷺ على إقامِ الصلاة، وإيتاءِ الزكاة، والنصح لكل مسلم. متفق عليه.

الفصل الثانى

٤٩٦٨ - * عن أبى هريرة، قال: سمعتُ أبا القاسم الصادق المصدوق ﷺ يقول: «لاتُنزعُ الرَّحمةُ إلا من شقى». رواه أحمدُ، والترمذى. [٤٩٦٨]

وقوله: «لله ولكتابه» جواب لمن سأل على سبيل التغليب أو **الاستعارة المكنية**، حيث أسند النطق إليه فى قوله تعالى: ﴿هذا كتابنا ينطق عليكم بالحق﴾ (١): وقوله تعالى: ﴿يس والقرآن الحكيم﴾ (٢) إذ كان ينطق بالحكمة لكثرة حكمه. «مح»: هذا حديث عظيم الشأن، وعليه مدار الإسلام والإيمان. وأما ما قيل: إنه أحد أرباع الإسلام، أى أحد الأحاديث الأربعة التى تجمع أمور الإسلام، فليس كما قالوه، بل المدار على هذا وحده.

قال بعضهم فيه: إن النصيحة تسمى دينا وإسلاما، وإن الدين يقع على العمل كما يقع على القول، وقالوا: النصيحة فرض كفاية إذا قام به واحد يسقط عن الباقين. والنصيحة لازمة على قدر الطاقة إذا علم الناصح أنه [تقبل]* نصيحته، ويطاع أمره، وأمن على نفسه المكروه. فإن خشى أذى فهو فى سعة. والله أعلم.

الحديث الحادى والعشرون عن جرير: قوله: «على إقام الصلاة وإيتاء الزكاة». «مح»: إنما اقتصر على الصلاة والزكاة؛ لكونهما أمَّ العبادات المالية والبدنية، وهما أهم أركان الإسلام بعد الشهادتين وأظهرهما. قوله: «والنصح لكل مسلم». «مح»: روى أن جريرا رضى الله عنه اشترى له فرس بثلثمائة درهم، فقال جرير لصاحب الفرس: فرسك خير من ثلثمائة درهم، أتبيعه بأربعمائة؟ قال: ذلك إليك يا أبا عبدالله، فقال: فرسك خير من ذلك، أتبيعه بخسمائة؟ ثم لم يزل يزيده مائة فمائة حتى بلغ ثمانمائة، فاشتراه بها، فقيل له فى ذلك، فقال: بايعت رسول الله ﷺ على النصح لكل مسلم.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «الصادق المصدوق». «مظ»: الصادق من صدق فى قوله وتحراه بفعله. والمصدوق من صدقه غيره. وقوله: «لاتنزع الرحمة إلا من شقى»؛ لأن الرحمة فى الخلق رقة القلب، والرقة فى القلب علامة الإيمان، فمن لا رقة له لا إيمان له، ومن لا إيمان له شقى، فمن لا يرزق الرقة شقى.

[٤٩٦٨] حسن انظر صحيح الجامع ٧٤٦٧.

(١) الأحقاف: ٢٩ (٢) يس: ١: ٢

* فى «ط» «يعمل».

٤٩٦٩ - * وعن عبدِالله بن عمْرو، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الراحِمونَ يرحمُهم الرحمنُ، ارحموا منْ فى الأرض يرحمْكم من فى السَّماءِ». رواه أبو داود. والترمذى.[٤٩٦٩]

٤٩٧٠ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ منَّا من لم يرْحَم صغيرنا، ولم يوَقرْ كبيرنا، ويأمرْ بالمعروفِ، وينهَ عن المنكرِ». رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريب.[٤٩٧٠]

٤٩٧١ - * وعن أنس، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما أكرمَ شابٌّ شيخًا منْ أجلِ سنه إلا قيَّض الله له عندَ سنّه من يُكرمه». رواه الترمذى.[٤٩٧١]

الحديث الثانى عن عبدالله: قوله: «ارحموا من فى الأرض» أتى بصيغة العموم ليشمل جميع أصناف الخلق فيرحم البر والفاجر والناطق والبهم والوحوش والطير. «مظ»: اختلف فى المراد من قوله «من فى السماء» فقيل: هو الله سبحانه وتعالى*، أى ارحموا من فى الأرض شفقة يرحمكم الله تعالى فضلا. وتقدير الكلام: يرحمكم من فى السماء ملكه وقدرته، وإنما نسب إلى السماء لأنها أوسع وأعظم من الأرض، أو لعلوها وارتفاعها، أو لأنها قبلة الدعاء ومكان الأرواح القدسية الطاهرة. وقيل: المراد منه الملائكة، أى تحفظكم الملائكة من الأعداء والمؤذيات بأمر الله تعالى ويستغفروا لكم ويطلبوا لكم الرحمة من الله الكريم.

أقول: ويمكن الجمع بينهما بأن يقال: يرحمكم الله بأمره للملائكة أن تحفظكم. قال الله تعالى: ﴿**له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله**﴾(١) أى جماعات من الله من الملائكة تتعقب فى حفظه وكلاءته، كأنه قيل: له معقبات من أمر الله، أو يحفظونه من أجل أمر الله. أو من أجل أن الله أمرهم بحفظه، أو يحفظونه من بأس الله ونقمته، إذا [أذنب]** بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينيب.

الحديث الثالث والرابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «إلا قيض الله». «نه»: أى سبب الله له وقدر له. قوله: : «من أجل سنه» أى لا لأجل أمر آخر: فإن الشيخوخة فى نفسها

[٤٩٦٩]صحيح انظر صحيح الترمذى ١٥٦٩ - وصحيح أبى داود ٤١٣٢ - وصحيح الجامع ٣٥٢٢.
[٤٩٧٠] انظر ضعيف الجامع ٤٩٤١ -.
[٤٩٧١] انظر ضعيف الجامع ٥٠١٤ - الضعيفة ٣٠٤.
(١) الرعد: ١١
* وهو مذهب أهل الحق. ** من «ك» وفى «ط» «أذنت»، وهو تصحيف.

٤٩٧٢ - * وعن أبى موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ مِن إجلالِ الله إكْرامَ ذى الشَّيبةِ المسلمِ، وحاملِ القرآنِ غيرِ الغالى فيه ولا الجافى عنه، وإكرامَ السُّلطان المقسطِ». رواه أبو داود، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٤٩٧٢]

٤٩٧٣ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «خيرُ بيت فى المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُحسنُ إليه، وشرُّ بيت فى المسلمينَ بيتٌ فيه يتيمٌ يُساءُ إليه». رواه ابنُ ماجه.

٤٩٧٤ - * وعن أبى أُمامةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ مسحَ رأسَ يتيم لم

مكروهة، وما يكرمها من يكرمها إلا لأمر آخر، وهو كونها وقارا من الله، كما ورد: كان إبراهيم أول الناس رأى الشيب، فقال: يارب! ماهذا؟ قال الرب: وقار، قال: رب زدنى وقارا! فإذا لا يكون إكرامها إلا لله تعالى، فمن أكرم لله تعالى وقاره لابد أن يجازيه بمثله بأن يقدر له عمرا يبلغ به إلى الشيخوخة، ويقدر له من يكرمه، يدل على هذا الحصر فى الحديث. والله أعلم.

الحديث الخامس عن أبى موسى: قوله: «إن من إجلال الله» أى من جملة تعظيم الله تعالى وتوقيره أن يكرم موضع وقاره وهو شيبة المسلم؛ ولهذا السر قال الخليل: زدنى وقارا! قال تعالى: ﴿وتعزروه وتوقروه﴾ . «حس»: قال طاوس: من السنة أن توقر أربعة: العالم وذا الشيبة والسلطان والوالد.

قوله: «غير الغالى فيه» . «نه»: إنما قال: «غير الغالى فيه والجافى عنه»؛ لأن من أخلاقه صلوات الله عليه وآدابه التى أمر بها القصد فى الأمور، وخير الأمور أوساطها. وكلا طرفى قصد الأمور ذميم. ومنه الحديث: «اقرءوا القرآن ولا تجفوا عنه»* أى تعاهدوه ولا تبتعدوا عن تلاوته. يريد لا تغلوا فى القرآن بأن تبذلوا جهدكم فى قرائته وتجويده من غير تفكر وتدبر، كما جاء فى حديث عبدالله بن عمرو: «لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاثة»** أو «لا تجفوا عنه» بأن تتركوا قراءته وتشتغلوا بتأويله وتفسيره.

الحديث السادس والسابع عن أبى أمامة رضى الله عنه: قوله: «من مسح رأس يتيم» هو

[٤٩٧٢] حسن - انظر صحيح الجامع ٢١٩٩.

[٤٩٧٣] انظر ضعيف الجامع ٢٩٠٤ - الضعيفة ١٦٣٧.

* صحيح ، وهو بعض حديث رواه أحمد والطبرانى وغيرهما عن عبدالرحمن بن شبل، وانظر صحيح الجامع (١١٦٨).

** رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن ابن عمر، وصححه الشيخ الألبانى عنهم فى صحيح الجامع (٧٧٤٣) بلفظ «لا يفقه من قرأ القرآن من أقل من ثلاث».

يمسحْه إلا لله، كانَ له بكلِّ شعرة تمرُّ عليها يدُه حسناتٌ، ومَن أحسنَ إلى يتيمة أو يتيمٍ عنده كنتُ أنا وهو فى الجنَّة كهاتين» وقرنَ بينَ أصبعَيه. رواه أحمد، والترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٤٩٧٤]

٤٩٧٥ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَنْ آوى يتيمًا إلى طعامه وشرابه أوجبَ اللهُ له الجنَّة البتَّة، إلا أن يعملَ ذنبًا لايُغفرُ. ومَن عالَ ثلاثَ بناتٍ أو مثلَهُنَّ من الأخوات فأدَّبهنَّ ورحِمهُن حتى يغنيَهنَّ اللهُ أوجبَ اللهُ له الجنةَ».

كناية عن الشفقة والتلطف إليه. ولما لم تكن الكناية منافية لإرادة الحقيقة لإمكان الجمع بينهما، كما تقول: فلان طويل النجاد، وتريد طول قامته مع طول علاقة سيفه، رتب عليه قوله: «بكل شعرة تمرُّ عليها يده» وهذا عام فى كل يتيم، سواء كان عنده أو لم يكن. وأما إذا كان عنده وهو كافله فيجب عليه أن يربيه تربية أولاده، ولايقصر فى الشفقة عليه والتلطف به، ويؤدبه أحسن تأديب ويعلمه أحسن تعليم. ويراعى غبطته فى ماله وتزويجه وتزوجه. وهو المراد من قوله: «ومن أحسن إلى يتيمة» وقدم اليتيمة؛ لأنها أحوج.

وقوله: «لم يمسحه» حال من فاعل «مسح» أى يمسحه والحال أنه لايمسحه إلا لله تعالى. وقوله: «فى الجنة» خبر «كان» فيجب أن يقدر متعلقه خاصا يوافق قوله: «كهاتين» أى مقارنين فى الجنة اقترانا مثل هاتين الإصبعين. ويجوز أن يكون «كهاتين» حالا من الضمير المستقر فى الخبر. وأن يكون هو الخبر وفى الجنة ظرفا لـ «كنت».

الحديث الثامن عن ابن عباس رضى الله عنه: قوله: «من آوى يتيما إلى طعامه» أى يضمه إليه ويطعمه. «نه»: فى حديث البيعة: أنه قال للأنصار: «أبايعكم على أن تأوونى وتنصرونى» أى تضمونى إليكم وتحفظونى بينكم، يقال: آوى وأوى بمعنى واحد. والمقصور منهما لازم ومتعد. قوله: «ذنبا لايغفر». المراد منه الشرك؛ لقوله تعالى: ﴿**إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء**﴾(١). «ومن عال» أى تعهد وكفى مئونة ثلاث بنات. قال فى أساس البلاغة: يقال: هذا يتيم عائل ليس له عائل أى فقير ليس له من يمونه.

«مح»: قوله: «أو اثنتين» عطف على قوله: «ثلاث بنات» عطف تلقين، أى: قل: أو اثنتين؛ ولذلك وافقه ﷺ فى قوله: «أو اثنتين»، كما عطف إبراهيم عليه السلام قوله: ﴿**ومن ذرتى**﴾ على الكاف فى قوله تعالى: ﴿**إنى جاعلك**﴾ (٢) وفى قولك لصاحبك: وزيدا، إذا

[٤٩٧٤] شرح السنة ٣٤٥٦ - ضعيف لضعف على بن يزيد

(١) النساء: ٤٨ (٢) البقرة: ١٢٤

فقال رجلٌ: يارسولَ الله ! واثنتَين؟ قال: «أو اثنتَينِ». حتى لو قالوا: أو واحدةً؟ لقال: واحدةً «ومَن أذهبَ اللهُ بكريمتَيه وجبَتْ له الجنَّةُ». قيل: يارسولَ الله! وما كريمتاه؟ قال: «عيناهُ» . رواه في «شرح السنَّة».[٤٩٧٥]

٤٩٧٦ - * وعن جابرِ بن سمُرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: « لأنْ يؤدبَ الرجلُ ولدَه خيرٌ له من أنْ يتصدَّقَ بصاعٍ». رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب، وناصحٌ الراوي ليسَ عند أصحابِ الحديث بالقويِّ.[٤٩٧٦]

٤٩٧٧ - * وعن أيوبَ بن موسى، عن أبيه، عن جده، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مانَحَلَ والدٌ ولدَه من نُحلٍ أفضلَ من أدبٍ». رواه الترمذيُّ، والبيهقي في «شعب الإيمان». وقال الترمذي: هذا عندي حديثٌ مرسل.[٤٩٧٧]

قال: سأكرمك، وحتى غاية الموافقة، أي لم يزل يوافقه في التنزل حتى لو قال: أو واحدة لوافقه. قوله: «بكريمتيه»، «نه»: يريد عينيه أي جارحتيه الكريمتين عليه. وكل شيء يكرم عليك فهو كريمك وكريمتك.

الحديث التاسع والعاشر عن أيوب رضي الله عنه: قوله: «من نحل أفضل» «نه»: النحل العطية والهبة ابتداء من غير عوض ولا استحقاق. يقال: نحله ينحله نحلا بالضم والنحلة بالكسر العطية. انتهى كلامه. جعل الأدب الحسن من جنس المال والعطيات مبالغة، كما جعل الله تعالى القلب السليم من جنس المال والبنين في قوله: ﴿يوم لاينفع مال ولابنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾(١).

قوله: «هذا عندي حديث مرسلٌ» يدل على اختلاف فيه. وذلك أن قوله: «عن أيوب بن موسى عن أبيه عن جده» موهم بالاتصال والإرسال؛ فإن قوله: «جده»، يحتمل أن يكون جد أيوب- وهو عمرو- فيكون مرسلا، وأن يكون جد أبيه موسى وهو سعيد صحابيٌّ فيكون متصلا. قال البيهقي: روى البخاري الحديث في تاريخه، وقال: إنه لم يصح سماع جد أيوب، فوافق الترمذي البخاري، وقال: هذا عندي حديث مرسل. وفي جامع الأصول إشعار بأنه متصل حيث روى عن سعيد بن العاص عن النبي ﷺ.

[٤٩٧٥] شرح السنة ٣٤٥٧ - فيه حنش بن قيس، وهو متروك
[٤٩٧٦] انظر ضعيف الجامع ٤٦٤٥ - الضعيفة ١٨٨٧.
[٤٩٧٧] انظر ضعيف الجامع ٥٢٣١ - الضعيفة ١١٢١.
(١) الشعراء: ٨٨ : ٨٩.

٤٩٧٨ - * وعن عوفِ بن مالكٍ الأشجعى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أنا وامرأةٌ سَفعاءُ الخدَّينِ كهاتين يومَ القيامة». وأوما يزيدُ بن ذريع إلى الوُسطى والسبَّابة «امرأةٌ آمتْ من زوجِها ، ذاتُ منصبٍ وجمالٍ، حبَسَتْ نفسَها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا». رواه أبو داود. [٤٩٧٨]

٤٩٧٩ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن كانت له أنثى فلمْ يئدها ولم يُهِنْها ، ولم يُؤثر ولدَه عليها- يعنى الذكورَ- أدخلَه اللهُ الجنَّةَ» رواه أبو داود[٤٩٧٩]

٤٩٨٠ - * وعن أنسٍ ، عن النبيِّ ﷺ ،قال: «من اغتيبَ عنده أخوه المسلمُ وهو يقدرُ على نصره فنصرَه؛ نصرَه اللهُ فى الدنيا والآخرةِ. فإن لم ينصُرْه وهو يقدرُ على نصره؛ أدركه اللهُ به فى الدنيا والآخرةِ». رواه فى «شرح السنَّة».[٤٩٨٠]

الحديث الحادى عشر عن عوف رضى الله عنه: قوله: «سفعاء الخدين». «قض»: أى متغيرة لون الخدين؛ لما يكابدها من المشقة والضنك. وسفعة الوجه سواد فى خدى المرأة الشاحبة. وهى فى الأصل سواد مشرب حمرة. وقوله: «امرأة آمت». . إلخ بدل يجرى مجرى البيان والتفسير، وآمت المرأة أيمة وأيوما: إذا صارت بلا زوج، وقوله: «حتى بانوا» أى استقلوا بأمرهم وانفصلوا عنها. انتهى كلامه. والتنكير فى«امرأة» للتعظيم. وقوله: «سفعاء الخدين» نصب أو رفع على المدح. وهو معترض بين المبتدأ والخبر. كقوله: «إنا بنى نهشل لا ندعى لأب»، ومن ثم حسن إبدال «امرأة آمت» من قوله: «امرأة سفعاء الخدين».

الحديث الثانى عشر عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «له أنثى» فى وضع «الأنثى» موضع «البنت» تحقيرا لشأنها، كما فى وضع الولد مكان الابن تعظيما له إيذان بمخالفة عظيمة لهوى النفس وإيثار رضى الله تعالى على رضاه، ولذلك رتب عليه دخول الجنة. وهو من باب الإدماج ، كقوله تعالى: ﴿وعلى المولود له رزقهن وكسوتهن﴾[1] حيث وضع موضع «الوالد» «المولود له»؛ ليشعر بأن الولد للوالد وإليه نسب. والأم كالوعاء له. وقوله: «فلم يئدها» هو من الوأد وهو دفن البنات حيا.

الحديث الثالث عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «أدركه الله» أى خذله لمقابلته النص،

[٤٩٧٨] ضعيف ، انظر الضعيفة (١١٢٢).

[٤٩٧٩]ضعيف انظر ضعيف الجامع (٥٨١٩).

[٤٩٨٠] ضعيف جدًا انظر ضعيف الجامع بنحوه (٥٤٦٧).

(١) البقرة: ٢٣٣

٤٩٨١ - * وعن أسماءَ بنت زيد، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «من ذَبَّ عن لحم أخيهِ بالمغيبَة كانَ حقًّا على اللهِ أنْ يُعتقَه منَ النَّارِ». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٤٩٨١]

٤٩٨٢ - * وعن أبى الدَّرداء، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقولُ: «ما من مسلمٍ يردّ عن عِرض أخيه إلا كان حقًّا على الله أن يرد عنه نارَ جهنم يوم القيامة». ثم تلا هذه الآية: ﴿ **وكان حقًّا علينا نصر المؤمنين** ﴾ (١). رواه فى «شرح السنة».

٤٩٨٣ - * وعن جابر، أن النبى ﷺ قال: «ما منْ امرئٍ مسلم يخذل امرأً مسلمًا فى موضعٍ يُنتهك فيه حرمتهُ وينتقص فيه من عرضه إلا خذله الله تعالى فى موطنٍ

وخذلانه أن يدركه بسخطه. والضمير فى «به» راجع إلى عدم النصر عند القدرة. والباء للسببية.

الحديث الرابع عشر عن أسماء: قوله: «عن لحم أخيه» هو كناية عن الغيبة لاستعمال التنزيل فيها، كأنه قيل: من ذب عن غيبة أخيه فى غيبته، وعلى هذا «بالمغيبة» ظرف ، ويجوز أن يكون حالا . وفى هذه الكناية من المبالغة أنه جعل الغيبة كأكل لحم الإنسان ولم يقتصر ، بل جعلها كأكل لحم أخيه؛ لأنه أشد نفارا من لحم الأجانب. وزاد فى المبالغة حيث جعل الأخ ميتا.

الحديث الخامس عشر عن أبى الدرداء: قوله: ﴿ **وكان حقا علينا نصر المؤمنين** ﴾ (١) استشهاد لقوله: «إلا كان حقا على الله أن يرد عنه» والضمير فى «عنه» راجع إلى المسلم الذاب عن عرض أخيه. أتى بالعام فيدخل فيه من سيق له الكلام دخولا أوليا، كما فى قوله تعالى: ﴿**فلما جاءهم ماعرفوا كفروا به فلعنة الله على الكافرين**﴾(٢) وهو أبلغ من لو قيل عليهم لموقف الكناية، وفيه أن مفهوم المسلم والمؤمن واحد، كما فى قوله تعالى : ﴿ **فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين**﴾(٣).

الحديث السادس عشر عن جابر رضى الله عنه: قوله: «ينتهك» الجوهرى: انتهك عرضه أى بالغ فى شتمه. ويقال أيضا: نهكته الحمى إذا جهدته ونقصت لحمه.

[٤٩٨١] شعب الإيمان ٧٦٤٣ - شرح السنة ٣٥٢٩.

[٤٩٨٢] رواه البغوى فى شرح السنة ح(٣٥٢٨) وفى إسناده ليث بن أبى سليم عن شهر بن جوشب.وقال المحققان: ليث وشهر ضعيفان، وقد ذكره ابن كثير فى تفسيره (٦/ ٤٤١) من رواية ابن أبى حاتم، وزاد السيوطى فى «الدر المنثور» (٥/ ١٥٧) نسبته إلى الطبرانى وابن مردويه.

(١) الروم: ٤٧ (٢) البقرة: ٨٩. (٣) الذاريات: ٣٥، ٣٦.

يُحب فيه نصرته وما من امرىءٍ مسلم ينصر مسلمًا فى موضعٍ يُنتقص فيه من عرضه ويُنتهك فيه من حرمته إلا نصره الله فى موطن يحبُّ فيه نصرته». رواه أبو داود. [٤٩٨٣]

٤٩٨٤ - * وعن عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى عورةً فسترها كان كمن أحيا موءودة». رواه أحمد، والترمذى وصححه. [٤٩٨٤]

٤٩٨٥ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن أحدكم مرآة

الحديث السابع عشر عن عقبة: قوله: «عورة» أى خللا من هتك ستر أو وقع فى عرض ونحوهما؛ لأن الناس يختل حالهم عندها، ومنها أعور الفارس وأعور المكان «مظ»: يعنى من رأى شيئا قبيحا أو عيبا فى مسلم فستره عليه، كان ثوابه كثواب من أحيا موءودة، أى من رأى حيا مدفونا فى قبره، فأخرج ذلك المدفون من القبر كيلا يموت ووجه تشبيه الستر على عيوب الناس بإحياء الموءودة، أن من انتهك ستره يكون من الخجالة كميت، ويحب الموت منها. فإذا ستر أحد على غيبه ، فقد دفع عنه الخحالة التى هى عنده بمنزلة الموت.

أقول: يمكن أن يقال: إن وجه التشبيه الأمر العظيم، يعنى من ستر على مسلم فقد ارتكب أمرا عظيما كمن أحيا موءودة؛ فإنه أمر عظيم فيدل على فخامة تلك الشنعاء، نحو قوله تعالى: ﴿ ومن أحياها فكأنما أحيا الناس جميعا﴾(١) الكشاف: (٢) فيه تعظيم قتل النفس وإحيائها فى القلوب ليشمئز الناس عن الجسارة عليها، ويتراغبوا فى المحاماة على حرمتها؛ لأن المعرض لقتل النفس إذا تصور قتلها بصورة قتل جميع الناس عظم ذلك عليه فثبطه. وكذلك الذى أراد إحياءها، انتهى كلامه. فكذلك من أراد أن يستر عيب مؤمن وعرضه، إذا تصور أنه أحيا الموءودة عظم عنده ستر عورة المؤمن، فيتحرى فيه ويبذل جهده.

الحديث الثامن عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إن أحدكم مرآة أخيه». قيل: أى المؤمن فى إراءة عيب أخيه إليه، كالمرآة المجلوة التى تحكى كل ما ارتسم فيها من الصور

[٤٩٨٣] رواه أبو داود (٤٨٨٣) وأحمد (٣٠٤) وفيه يحيى بن سليم لم يوثقه غير ابن حبان، وكذا الراوىُ عنه.

[٤٩٨٤]قال الشيخ الألبانى: إسناد الحديث ضعيف.

(١) المائدة: ٣٢

(٢) الكشاف: (١/ ٣٣٥).

أخيه، فإن رأى به أذى فليُمطْ عنه». رواه الترمذى وضعفه . وفى رواية له ولأبى داود: «المؤمنُ مرآة المؤمنِ، والمؤمن أخو المؤمن، يكف عنه ضيعته، ويحوطه من ورائه».[٤٩٨٥]

٤٩٨٦ - * وعن معاذ بن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ : «من حمى مؤمنًا من منافق بعثَ اللهُ ملكًا يحمى لحمه يوم القيامة من نار جهنم. ومن رمى مسلمًا بشيءٍ يريد به شينه حبسه الله على جسر جهنم حتى يخرُجَ مما قال». رواه أبو داود.[٤٩٨٦]

٤٩٨٧ - * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره».. رواه الترمذى، والدارمى، وقال الترمذى: هذا حديث حسن غريب.[٤٩٨٧]

ولو كان أدنى شيء، فالمؤمن إذا نظر إلى أخيه ، يستشف من وراء أقواله وأفعاله وأحواله تعريفات وتلويحات من الله الكريم، فأى وقت ظهر من أحد المؤمنين المجتمعين فى عقد الأخوة عيب قادح فى أخوته نافروه؛ لأن ذلك يظهر بظهور النفس، وظهور النفس من تضييع حق الوقت، فعلموا منه خروجه بذلك من دائرة الجمعية وعقد الأخوة فنافروه ليعود إلى دائرة الجمعية. قال رويم: لايزال الصوفية بخير ما تنافروا، فإذا اصطلحوا هلكوا. وهذه إشارة منه إلى حسن تفقد بعضهم أحوال البعض إشفاقا من ظهور النفس. يقول: إذا اصطلحوا ورفعوا التنافر من بينهم، يخاف أن يخامر البواطن المساهلة والمراءاة ومسامحة البعض فى إهمال دقيق آدابهم، وبذلك تظهر النفوس وتستولى وتصدأ مرآة القلب فلا يرى فيها الخلل والعيب.

قال عمر رضى الله عنه فى مجلس فيه المهاجرون والأنصار: أرأيتم لو ترخصتُ فى بعض الأمور ماذا كنتم فاعلين، مرتين أوثلاثًا؟ فلم يجيبوا. قال بشر بن سعد: لو فعلت ذلك قومناك تقويم القدح. قال عمر رضى الله عنه: أنتم إذًا أنتم. هكذا فى كتاب العوارف.

قوله: «ضيعته»، «انه»: فى الحديث: «إنى أخاف على [الأعناب]* الضيعة» أى إنها تضيع

[٤٩٨٥] وفيه يحيى بن عبيد الله مو ابن عبد الله بن موهب التيمى المدنى متروك، وأبوه لم يوثقه غير ابن حبان، ويغنى عنه اللفظ الآخر «المؤمن مرآة المؤمن ...» أخرجه البخارى فى «الأدب المفرد».
[٤٩٨٦] ضعيف انظر ضعيف الجامع برقم (٥٥٧٤).
[٤٩٨٧] صحيح انظر صحيح الجامع (٣٢٧٠).

* فى «ط» و«ك»: «الأغياب» بالمعجمة والمثناة التحتية، وهو تصحيف، والصواب ما أثبتناه بالمهملة بعدها نون ولم أجده فى النهاية، وهذا الأثر أورده النسائى فى الأشربة باب الكراهية فى بيع العصير، وفيه أن أمين ضيعة سعد كتب إلى سعد: إنى أخاف على الأعناب الضيعة؛ فإن رأيت أن أعصره عصرته.. الحديث. وقال الشيخ الألبانى فى صحيح النسائى :صحيح الإسناد موقوف.

٤٩٨٨ - * وعن ابن مسعود، قال: قال رجل للنبى ﷺ : يا رسول الله! كيف لى أن أعلم إذا أحسنتُ أو إذا أسأتُ؟ فقال النبى ﷺ: «إذا سمعت جيرانك يقولون: قد أحسنت؛ فقد أحسنت. وإذا سمعتهم يقولون: قد أسأتَ؛ فقد أسأتَ. رواه ابن ماجه. [٤٩٨٨]

٤٩٨٩ - * وعن عائشة ، أن النبى ﷺ قال: «أنزِلوا الناس منازلَهم». رواه أبو داود. [٤٩٨٩]

الفصل الثالث

٤٩٩٠ - * عن عبدالرحمن بن أبى قُراد، أن النبىﷺ توضأ يومًا ، فجعل أصحابُهُ يتمسَّحون بوَضوئه . فقال لهم النبى ﷺ: «ما يحملُكم على هذا؟ » قالوا: حبُّ الله ورسوله فقال النبى ﷺ : «من سرَّهُ أن يحبَّ الله ورسوله أو يحبَّهُ اللهُ

وتتلف. والضيعة فى الأصل المرة من الضياع. «مظ»: يعنى ليدفع عنه ما فيه ضرر عليه. «ويحوطه»، أى يحفظه فى غَيبته ويدفع عنه من يغتابه ويلحقه ضررا.

الحديث التاسع عشر إلى الحادى والعشرين عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «كيف لى؟» أى كيف يحصل لى العلم بإحسانى إذا صدر منى؟.

الحديث الثانى والعشرون عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «أنزلوا الناس منازلهم» قيل: أى مقاماتهم المعينة المعلومة لهم. قال الله تعالى: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾[1] فلكل أحد مرتبة ومنزلة لا يتخطاها إلى غيرها. فالوضيع لا يكون فى منزل الشرف، فاحفظوا على كل أحد مزلته، ولاتسوّوا بين الخادم والمخدوم والسائد والمسود، وأكرموا كلا على حسب فضله وشرفه. وقد قال الله تعالى: ﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات﴾[2] والله الموفق للصواب.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عبدالرحمن : قوله: «من سره أن يحب الله» يريد أن ادعاءكم محبة الله ومحبة رسوله لايتم ولا يستتب بمسح الوضوء فقط ، بل بالصدق فى المقال وبأداء الأمانة والإحسان إلى الجار.

[٤٩٨٨]صحيح انظر صحيح الجامع (٦١٠) .

[٤٩٨٩] ضعيف انظر ضعيف الجامع(١٣٤٤).

(١) الصافات: ١٦٤ (٢) الزخرف: ٣٢

ورسولهُ فليَصْدُقْ حديثهُ إِذا حدَّث، وليؤدِّ أمانته إذا ائتمن، وليحسن جوار من جاوره. [٤٩٩٠]

٤٩٩١ - * وعن ابن عباس، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ليس المؤمن بالذى يشبع وجاره جائع إلى جنبه» رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٤٩٩١]

٤٩٩٢ - * وعن أبى هريرة، قال : قال رجلٌ : يارسول الله ! إن فلانةَ تُذْكرُ من كثرةِ صلاتها وصيامها وصدقتها ، غير أنَّها تؤذى جيرانها بلسانها. قال: «هى فى النار». قال يارسول الله ! فإن فلانة تذكر قلةَ صيامها وصدقتها وصلاتها، وإنها تصدَّقُ بالأثوار من الإقطِ ، ولا تؤذى بلسانها جيرانها. قال: «هى فى الجنة». رواه أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان».

٤٩٩٣ - * وعنه، قال: إن رسول الله ﷺ وقف على ناسٍ جلوسٍ فقال: «ألا أخبركم بخيركم من شركم؟» قال: فسكتوا فقال ذلك ثلاث مرات فقال رجلٌ: بلى يارسول الله ! أخبرنا بخيرنا من شرنا فقال: «خيركم من يُرجى خيرهُ ويؤمن شرهُ،

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «ليس المؤمن» التعريف فيه للجنس ، أى ليس المؤمن الذى عرفته أنه مؤمن كامل بالذى يشبع.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «تذكر» على بناء المفعول مسند إلى ضمير «فلانة». و«من» فى «من كثرة صلاتها» لابتداء الغاية، أى تذكر من أجل هذه. والقرينة الثانية ليست فيها «من» فالفعل مسند إلى ضمير «فلانة» و «قلة» نصب على نزع الخافض . و«غير أنها» منصوب على أنه استثناء منقطع بمعنى لكن، و«الأثوار» جمع ثور. الجوهرى: الثور القطعة من الأقط.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «من شركم» حال أى أخبركم بخيركم مميزا من شركم. ولما توهموا من معنى التميز، فتخوفوا من الفضيحة سكتوا، حتى كرر ثلاثا،

[٤٩٩٠] قال الشيخ الألبانى: حديث حسن.

[٤٩٩١] صحيح انظر صحيح الجامع (٥٣٨٢). والصحيحة ١٤٩.

وشرُّكم منْ لايرجى خيرهُ ولايؤمن شرُّه». رواه الترمذى ، والبيهقى فى «شعب الإيمان»، وقال الترمذى: هذا حديث حسن صحيح.[٤٩٩٣]

٤٩٩٤ -* وعن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله تعالى قسم بينكم أخلاقكم كما قسم بينكم أرزاقكم، إن الله تعالى يعطى الدنيا من يحب ومن لايحب، ولا يعطى الدينَ إلا من أحب فمن أعطاه الله الدين فقد أحبَّه، والذى نفسى بيده لايُسْلم عبدٌ حتى يسلم قلبُه ولسانه، ولايؤمنُ حتى يأمنَ جارهُ بوائقَه».[٤٩٩٤]

٤٩٩٥ - * وعن أبى هريرة، أنَّ رسول الله ، قال: «المؤمن مألفٌ ولاخير فيمن لا يألف ولايؤلف» رواهما أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان».[٤٩٩٥]

ثم أبرز البيان فى معرض العموم لئلا يفتضحوا. قوله: «خيركم من يرجى.. »إلخ. التقسيم العقلى يقتضى أربعة أقسام. ذكر منها قسمين ترغيبا وترهيبا، وترك القسمين الباقيين؛ إذ لا ترغيب فيهما ولاترهيب.

الحديث الخامس عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «إن الله يعطى الدنيا» كالنشر لمالف قبله. وأشار بـ «الدنيا» إلى الأرزاق و بـ «الدين» إلى الأخلاق؛ ليشعر بأن الرزق الذى يقابل الخلق هو الدنيا، وليس من الدين فى شىء. وأن الأخلاق الحميدة ليست غير الدين؛ قال الله تعالى: ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ (١) ثم أتى بما يفصل الدين من الأعمال الخارجة والداخلة من الانقياد والتصديق. كما فى حديث جبريل عليه السلام: «أتاكم يعلمكم أمر دينكم» بعد ذكر الإسلام والإيمان. وفسرهما بما ينبئ عن الأخلاق. وخص القلب واللسان بالذكر؛ لأن مدار الإنسان عليهما، كما ورد فى المثل: المرء بأصغريه. فإسلام اللسان كفه عما فيه آفاته، وهى لاتكاد تنحصر. وإسلام القلب تطهيره عن العقائد الباطلة والآراء الزائغة والأخلاق الذميمة، ثم تحليتهما بما يخالفهما.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «مألف» يحتمل أن يكون مصدرا على سبيل المبالغة كرجل عدل، يعنى إذا لم يألف صاحبه، ألف معه، وإذا ائتلف ائتلف، أو اسم

[٤٩٩٣] انظر صحيح الترمذى ١٨٤٥ ، صحيح الجامع ٢٦٠٣.

[٤٩٩٤] انظر ضعيف الجامع بنحوه ١٦٢٥ ، الضعيفة ٢٨٢٢.

[٤٩٩٥] صحيح الجامع ٦٦٦٢ بنحوه ، الصحيحة ٤٢٦.

(١) القلم: ٥.

٤٩٩٦ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «من قضى لأحدٍ من أمَّتى حاجة يريد أن يَسرَّه بها فقد سرَّنى، ومن سرَّنى فقد سرَّ الله، ومن سرَّ الله أدخلهُ اللهُ الجنةَ». [٤٩٩٦]

٤٩٩٧ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أغاث ملهوفًا كتب الله له ثلاثًا وسبعين مغفرةً، واحدةٌ فيها صلاحُ أمره كلِه، وثنتان وسبعون له درجاتٌ يوم القيامة». [٤٩٩٧]

٤٩٩٨ - * ٤٩٩٩ - * وعنه، وعن عبدالله، قالا: قال رسول الله ﷺ: «الخلق عيالُ الله، فأحب الخلق إلى الله من أحسن إلى عياله». روى البيهقى الأحاديث الثلاثة فى «شعب الإيمان». [٤٩٩٨]،[٤٩٩٩]

مكان أى يكون مكان الألفة ومنشأها. ومنه إنشاؤها وإليه مرجعها. والتألف سبب الاعتصام بالله وبحبله. وبه يحصل الاجتماع بين المسلمين وبضده تحصل الفرقة بينهم. وهو بتوفيق الله وتأليفه. وإليه أشار تعالى بقوله: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا**﴾ (١) الى قوله: ﴿ **فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا**﴾ (٢).

الحديث السابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ومن سر الله» مسرة الله تعالى **مجاز*** عن رضاه وإيصال الخير إلى المرضي عنه. أو **تمثيل*** شبه معاملة الله تعالى معه بمعاملة من يسره بوصول ما يحبه إليه.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ملهوفا»، «نه» هو المكروب، يقال: لهف لهفا فهو لهفان ولهف فهو ملهوف. قوله: «واحدة فيها» فيه أن غفران الذنوب مقدمة فتح باب رحمة الله تعالى فى الدنيا والعقبى؛ ومن ثمة قدمها فى قوله تعالى: ﴿ **ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر**﴾ (٣) على قوله ﴿ **ويتم نعمته عليك ويهديك**﴾ (٤)؛ لأن التحلية بعد التخلية.

[٤٩٩٦] هذا الحديث إسناده ضعيف.

[٤٩٩٧] انظر ضعيف الجامع ٥٤٦٥، الضعيفة ٦٢١، ٧٥٠.

[٤٩٩٨] [٤٩٩٩] انظر ضعيف الجامع ٢٩٤٥، الضعيفة ٣٥٩٠.

(١) آل عمران: ١٠٣. (٢) آل عمران: ١٠٣.

(٣) الفتح: ٢. (٤) الفتح: ٢.

* سبق أن علقنا على مثل ذلك مرارًا، بأن نسبة تلك الصفات التى وصف الله تعالى بها نفسه أو وصفه بها رسوله ﷺ غير مستحيل عليه سبحانه، إذا انصرف الذهن عن تشبيهه بخلقه في ذلك، واعتقد اتصافه بتلك الصفات على الوجه اللائق به سبحانه، ﴿ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير﴾.

٥٠٠٠ - * وعن عقبةَ بنِ عامرٍ، قال: قال رسول الله ﷺ : «أولُ خصمين يوم القيامة جاران». رواه أحمد.

٥٠٠١ - * وعن أبى هريرة، أن رجلاً شكا إلى النبى ﷺ قَسْوة قلبه فقال: «امسح رأس اليتيم، وأطعم المسكين» رواه أحمد.

٥٠٠٢ - * وعن سراقة بن مالك، أن النبى ﷺ قال: «ألا أدلُّكم على أفضلِ الصدقة؟ ابنتُك مردودةً إليك ليس لها كاسب غيرك». رواه ابن ماجه.[٥٠٠٢]

(١٦) باب الحب فى الله ومن الله

الفصل الأول

٥٠٠٣ - * عن عائشة ، قالت: قال رسول الله ﷺ : « الأرواح جنودٌ مجندة، فما تعارف منها ائتلفَ، وما تناكر منها اختلف». رواه البخارى.

الحديث التاسع إلى الحادى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه : قوله: «امسح رأس اليتيم» خص اليتيم والمسكين بالذكر؛ تلميحا إلى قوله تعالى: ﴿**أو إطعام فى يوم ذى مسغبة، يتيما ذا مقربة أو مسكينا ذا متربة**﴾ (١)ومراعاتهما من اقتحام العقبة الشاقة؛ لما فى ذلك من معاناة المشقة ومجاهدة النفس. فمن اقتحم تلك العقبة رق قلبه وسمح نفسه فى تعاطى كل خير، وفيه أن من ابتلى بداء من الأخلاق الذميمة، يكون تداركه بما يضاده من الدواء. فالمتكبر يداوى بالتواضع، والبخيل بالسماحة، وقاسى القلب بالتعطف والرقة .. والله أعلم.

الحديث الثانى عشر عن سراقة: قوله: «مردودة» «نه» هى التى تطلق وترد إلى بيت أبيها، وأراد ألا أدلك على أفضل أهل الصدقة؟ فحذف المضاف، ومنه حديث الزبير فى وصيته بدار وقفها، «وللمردودة من بناته» أى تسكنها، لأن المطلقة لامسكن لها على زوجها.

أقول: ويمكن أن يقدر : صدقة تستحقها ابنتك فى حال ردها إليك، وليس لها كاسب غيرك. وهما حالان إما مترادفتان أو متداخلتان.

باب الحب فى الله ومن الله

أى فى ذات الله وجهته لايشوبه الرياء والهوى «ومن الله »، أى من جهة الله أى إذا أحب

[٥٠٠٢] إسناده ضعيف.

(١) البلد: ١٤- ١٦.

٥٠٠٤ - * ورواه مسلم عن أبى هريرة.

عبدًا احبه لأجل الله وبسببه. و«من» ها هنا كما فى قوله تعالى: ﴿ **ترى أعينهم تفيض من الدمع**﴾(١) و «فى» كما فى قوله تعالى: ﴿ **والذين جاهدوا فينا**﴾(٢) وهذا أبلغ حيث جعل المحبة مظروفا.

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «جنود مجندة»: أى مجموعة كما يقال: ألوف مؤلفة وقناطير مقنطرة. ومعناه الإخبار عن مبدأ كون الأرواح وتقدمها الأجساد، أى أنها خلقت أول خلقها على قسمين: من ائتلاف واختلاف كالجنود المجموعة إذا تقابلت وتواجهت. ومعنى تقابل الأرواح ماجعلها الله عليها من السعادة والشقاوة والأخلاق فى مبدأ الخلق. يقول: إن الأجساد التى فيها الأرواح، تلتقى فى الدنيا فتأتلف وتختلف على حسب ما خلقت عليه، ولهذا ترى الخير يحب الأخيار ويميل إليهم والشرير يحب الأشرار ويميل إليهم.

«حس» : فيه دليل على أن الأرواح ليست بأعراض، وعلى أنها كانت موجودة قبل الأجساد فى الخلقة.

أقول: الفاء فى قوله: «فما تعارف» للتعقيب أتبعت المجمل بالتفصيل، فدل قوله: «ما تعارف» على تقدم اشتباك واختلاط فى الأزل، ثم تفرق بعد ذلك فى ما لايزال أزمنة متطاولة، ثم ائتلاف بعد التعارف، كمن فقد أنيسه وأليفه ثم اتصل به، فلزمه وأنس به. ودل قوله: «وما تناكر» على أن ذلك الفقيد لحق لمن* لم يكن له سبق اختلاط معه، فاشمأز منه وفارقه ، إلى من كان معه فى السابق.

ودل تشبيه الأرواح بالجنود المجندة على أن ذلك الاجتماع فى الأزل كان لأمر عظيم وخطب جسيم من فتح بلاد وقهر أعداء . ودل ذلك على أن أحد الحزبين حزب الله والآخر حزب الشيطان. فمن تألف فى الأزل بحزب الله فاز وأفلح. ﴿**أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون**﴾ (٣)، ومن تألف بحزب الشيطان خاب وخسر . ﴿**أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون**﴾(٤) ومن عادة الأجناد المتحزبة أن يسوم كل واحد من أحد الحزبين بعلامة ترفع التناكر من البين، فمتى شاهدوها ائتلفوا.

---

(١) التوبة: ٩٢ . (٢) العنكبوت: ٦٩.

(٣) المجادلة: ٢٢ . (٤) المجادلة: ١٩ .

* هكذا فى (ط) و(ك) والأوجه [بمن].

٥٠٠٥ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : «إن الله إذا أحبَّ عبداً دعا جبريل فقال: إنى أحب فلانا فأحبَّهُ، قال: فيحبُّه جبريلُ ، ثم ينادى فى السماء فيقولُ: إن الله يحبُّ فلانًا فأحبُّوه، فيحبُّه أهلُ السماء، ثمَّ يوضعُ له القبولُ فى الأرض، وإذا أبغض عبدًا دعا جبريلَ فيقولُ: إنى أبغضُ فلانًا فأبغضهُ. فيبغضهُ جبريلُ، ثمَّ ينادى فى أهل السماءِ: إنَّ الله يبغضُ فلانًا فأبغضوه. قال: فيبغضونَه. ثمَّ يوضعُ له البغضاءُ فى الأرض». رواه مسلم.

فعلى هذا بنى قوله: «فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف» فهى تفريع على التشبيه بمنزلة ترشيح الاستعارة. وهذا التعارف إلهامات يقذفها الله فى قلوب العباد من غير إشعار منهم بالسابقة. ولايمنع من هذا التعارف فصله بالأباعد والأجانب، ولاتضمه شجنة الأرحام والأواصر؛ قال الشاعر:

كانت مودة سـلمان له نسبا ولم يكن بين نـوح وابنه رحـم

ولم يحظ آل قصى به وحظيت به أم معبد، قال:

فيا لقصى ما زوى الله عنكم به من فعال لا تجارى وســؤود

ليهن بنى كعب مقام فتاتهـا ومقعدهـا للمـؤمنين بمرصـد

ولا يدفعه بعد الدار ولايجمعه قربها

مناسبة الأرواح بينى وبينهـا وإلا فأين الترك من ساكنى نجـد

قال الحكيم: أقرب القرب مودة القلوب وإن تباعدت الأجسام. وأبعد البعد تنافر التدانى، والله أعلم بالصواب.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «إذا أحب عبدًا». «مح»: محبة الله سبحانه وتعالى العبد هى إرادة الخير له وهدايته وإنعامه عليه ورحمته. وبغضه إرادة عقابه وشقاوته ونحو ذلك. وحب جبريل والملائكة يحتمل وجهين: أحدهما: استغفارهم له وثناؤهم عليه ودعاؤهم. وثانيهما: أن محبتهم على ظاهرها المعروف من المخلوقين. وهو ميل القلب إليه واشتياقه إلى لقائه. وسبب حبهم إياه كونه مطيعًا لله محبوبًا له. ومعنى «يوضع له القبول فى الأرض» الحب فى قلوب الناس ورضاهم عنه. فتميل إليه القلوب وترضى عنه. وقد جاء فى رواية «فتوضع له المحبة » انتهى كلامه. والكلام فى المحبة وبيان اشتقاقها مضى مستوفى فى باب أسماء الله الحسنى.

٥٠٠٦ - * وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يقولُ يوم القيامةَ: أينَ المتحابُّونَ بجلالى؟ اليومَ أُظلُّهم فى ظلى يومَ لاظلَّ إلا ظلى» رواه مسلم.

٥٠٠٧ - * وعنه، عن النبىِّ ﷺ: «أنَّ رجلا زار أخًا له فى قريةٍ أخرى، فأرصدَ الله له على مَدْرجتِه ملكا قال: أينَ تُريدُ؟ قال: أريدُ أخا لى فى هذِه القرية.

قال: هلْ لك عليه من نعمة تَرُبُّها؟ قال: لا، غيرَ أني أحببْتُه في اللهِ. قال: فإني رسولُ الله إليكَ بأنَّ الله قدْ أحبَّك كما أحببتَه فيه» رواه مسلم.

الحديث الثالث عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بجلالى» الباء فيه بمعنى «فى» لقوله بعد: «المتحابون فى جلالى لهم» خص الجلال بالذكر لدلالته على الهيبة والسطوة أى المنزهون عن شائبة الهوى والنفس والشيطان فى المحبة، فلا يتحابون إلا لأجلى ولوجهى. «مح»: قال القاضى: الظاهر أنه فى ظل الله من الحر ووهج الموقف. وقال عيسى بن دينار: هو كناية عن كونه فى كنفه وستره. ومنه قولهم: السلطان ظل الله فى الأرض. ويحتمل أن يكون عبارة عن الراحة والتنعم. يقال: هو فى عيش ظليل أى طيب. وقوله: «يوم لا ظل إلا ظلى» بدل من «اليوم» المتقدم.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «فأرصد الله له على مدرجته». «نه»: أى وكله بحفظ المدرجة. يقال: رصدته إذا قعدت له على طريقه تترقبه. والمدرجة بفتح الميم والراء هي الطريق سمي بذلك؛ لأن الناس يدرجون عليها أى يمضون ويمشون.

قوله: أريد أخا لي» فإن قلت: كيف طابق هذا سؤاله بقوله: «أين تريد؟» قلت: من حيث أن السؤال متضمن لقوله: أين تتوجه ومن تقصد؟ ولما كان قصده الأولى الزيارة ذكره وترك ما لايهم. ونظيره: قوله تعالى: ﴿ **وما أعجلك عن قومك يا موسى قال هم أولاء على أثري وعجلت إليك رب لترضى**﴾[1] لما كان الغرض من السؤال في استعجاله إنكار تركه القوم وراءه وتقدمه عليهم، قدّمه في الجواب وأخر ما وقع السؤال عنه.

وقوله: «هل لك عليه من نعمة؟» أى هل أوجبت عليه حقا من النعم الدنيوية تذهب إليه لتربها، أى تملكها منه وتستوفيها. ومنه قول صفوان لأبي سفيان: لأن يربني رجل من قريش أحب إلى من أن يربني رجل من هوازن، أى يملكني. تقول: ربه يربه فهو رب هذا إذا حمل الرب على المالكية، وإذا حمل على التربية والإصلاح فمعنى «تربها» تقوم بها وتسعى في

---

(١) طه: ٨٣

٥٠٠٨ - * وعن ابنِ مسعودٍ، قال: جاءَ رجل إلى النبي ﷺ فقال: يارسولَ الله! كيفَ تقولُ في رجلٍ أحبَّ قومًا ولم يَلحق بهم؟ فقال: «المرءُ معَ مَنْ أحبَّ» متفق عليه.

٥٠٠٩ -* وعن أنسٍ، أنَّ رجلاً قال. يارسولَ الله! متى السَّاعةُ ، قال: «ويلكَ وما أعدَدْتَ لها؟». قال: ما أعدَدتُ لها إلا أني أحبُّ الله ورسولَه. قال: «أنتَ معَ مَن أحبَبتَ». قال أنسٌ : فما رأيتُ المسلمينَ فرحوا بشيءٍ بعدَ الإسلام فرحَهم بها. متفق عليه.

٥٠١٠ - * وعن أبي موسى، قال: قال رسولُ الله ﷺ: مثلُ الجليس الصالحِ والسَّوءِ، كحامل المسكِ ونافخ الكير؛ فحاملُ المسكِ إمَّا أن يُحذيكَ وإمَّا أن تبتاعَ

تنميتها وإصلاحها. «مح»: وفيه فضل المحبة في الله ، وأنها سبب لحب الله، وفضيلة زيارة الصالحين. وأن الإنسان قد يرى الملائكة.

الحديث الخامس والسادس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «ما أعددت لها» سلك مع السائل طريق **الأسلوب الحكيم**؛ لأنه سأل عن وقت الساعة وإبان إرسائها، فقيل له: فيم أنت من ذكراها؟ وإنما يهمك أن تهتم بأهبتها، وتعتني بما ينفعك عند إرسائها من العقائد الحقة والأعمال الصالحة. فأجاب بقوله « ما أعددت لها إلا أني أحب الله ورسوله». وقوله: «أنت مع من أحببت» أى ملحق بهم وداخل في زمرتهم. قال الله تعالى: ﴿**فأولئك مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا**﴾[1] . «خط»: ألحقه ﷺ بحسن النية من غير زيادة عمل بأصحاب الأعمال الصالحة.

الحديث السابع عن أبي موسى رضي الله عنه: قوله: «إما أن يحذيك». «نه»: أى أن يعطيك. يقال: أحذيته أحذيه إحذاء وهي الحذياء والحذية، انتهى كلامه. قيل: فيه إرشاد إلى الرغبة في صحبة الصلحاء والعلماء ومجالستهم؛ فإنها تنفع في الدنيا والآخرة، وإلى الاجتناب عن صحبة الأشرار والفساق؛ فإنه تضر دينا ودنيا. قيل: مصاحبة الأخيار تورث الخير، ومصاحبة الأشرار تورث الشر، كالريح إن هبت على الطيب عقبت طيبا، وإن مرت على النتن

---

(١) النساء: ٦٩.

منه، وإمَّا أن تجدَ منه ريحًا طيبةً؛ ونافخُ الكيرِ إمَّا أن يُحرقَ ثيابَكَ، وإمَّا أنْ تجدَ منه ريحًا خبيثةً» متفق عليه.

الفصل الثاني

٥٠١١ - * عن معاذ بن جبلٍ، قال سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «قال الله تعالى: وجبَتْ محبَّتي للمتحابّينَ فيَّ، والمتجالسينَ فيَّ، والمتزاورينَ فيَّ، والمتباذِلينَ فيَّ». رواه مالك. وفي رواية الترمذي، قال: «يقولُ اللهُ تعالى: المتحابُّون في جلالي لهم منابرُ من نورٍ يغبِطهم النبيُّونَ والشهداءُ».[٥٠١١]

٥٠١٢ - * وعن عُمَرَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ منْ عبادِ الله لأُناسًا ماهُم بأنبياءَ ولاشهداءَ، يغبطُهم الأنبياءُ والشهداءُ يومَ القيامةِ بمكانهم من اللهِ».

حملت نتنا. وقيل: إذا جالست الحمقى علق بك من حماقتهم مالا يعلق بك من العقل إذا جالست العقلاء؛ لأن الفساد أسرع إلى الناس وأشد اقتحاما في الطبائع.

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن عمر رضي الله عنه: قوله: «يغبطهم»، «قض»: كل ما يتحلى به الإنسان ويتعاطاه من علم وعمل؛ فإن له عند الله تعالى منزلة لايشارك فيها صاحبه من لم يتصف بذلك، وإن كان له من نوع آخر ما هو أقدر وأعز ذخرا، فيغبطه بأن يتمنى ويحب أن يكون له مثل ذلك مضموما إلى ماله من المراتب الرفيعة والمنازل الشريفة. وذلك معنى قوله: ويغبطهم النبيون والشهداء؛ فإن الأنبياء قد استغرقوا فيما هو أعلى من ذلك من دعوة الخلق وإظهار الحق، وإعلاء الدين وإرشاد العامة، وتكميل الخاصة، إلى غير ذلك من كليات، أشغلتهم عن العكوف على مثل هذه الجزئيات والقيام بحقوقها. والشهداء وإن نالوا رتبة الشهادة وفازوا بالفوز الأكبر، فلعلهم لم يعاملوا مع الله معاملة هؤلاء، فإذا رأوهم يوم القيامة في منازلهم وشاهدوا قربهم وكرامتهم عند الله تعالى، ودوا لو كانوا ضامين خصالهم إلى خصالهم، فيكونوا جامعين بين الحسنيين فائزين بالمرتبتين.

هذا، والظاهر أنه لم يقصد في ذلك إثبات الغبطة لهم على حال هؤلاء، بل بيان فضلهم وعلو شأنهم وارتفاع مكانتهم وتقريرها على أكمل وجه وأبلغه، والمعنى أن حالهم عند الله

[٥٠١١] إسناده صحيح، صحيح الجامع ٤٣٣١.

قالوا: يارسولَ الله! تخبرُنا من هُم؟ قال: «هُم قومٌ تحابَّوا بروحِ الله، على غيرِ أرحامٍ بينهم، ولا أموالٍ يتعاطَونَها، فوَالله إنَّ وُجوهَهم لنورٌ، وإنَّهم لعلى نورٍ، لا يخافونَ إذا خافَ النَّاسُ، ولايحزنونَ إذا حزنَ النَّاسُ» وقرأ هذه الآية ﴿ألا إنَّ أوْلياء الله لاخوفٌ عليهم ولاهُم يحزنونَ﴾(١) .رواه أبو داود.[٥٠١٢]

تعالى يوم القيامة بمثابة، لو غبط النبيون والشهداء يومئذ، مع جلالة قدرهم ونباهة أمرهم حال غيرهم، لغبطوهم.

أقول: يمكن أن تحمل الغبطة هنا على استحسان الأمر المرضي المحمود فعله؛ لأنه لايغبط إلا في الأمر المحمود المرضي؛ فإن الأنبياء والشهداء صلوات الله عليهم يحمدون إليهم فعلهم، ويرضون عليهم فيما تحروا من المحبة في الله.

ويعضده ما روينا في صحيح مسلم عن المغيرة بن شعبة: أنه غزا مع رسول الله ﷺ بتبوك. قال: فتبرز رسول الله ﷺ قبل صلاة الفجر للوضوء، وحملت معه إداوة، ثم أقبلنا حتى نجد الناس قدموا عبدالرحمن بن عوف فصلى بهم، فأدرك رسول الله ﷺ إحدى الركعتين، فصلى مع الناس الركعة الأخيرة، فلما سلم عبد الرحمن قام رسول الله ﷺ يتم صلاته، فأفزع ذلك المسلمين، فأكثروا التسبيح. فلما قضى رسول الله ﷺ أقبل عليهم، ثم قال «أحسنتم» أو قال: «قد أصبتم» يغبطهم أن صلوا الصلاة لوقتها. فقوله: «يغبطهم».. إلخ. كلام الراوي تفسيرا وبيانا لقوله ﷺ: «أحسنتم» أو قال: «قد أصبتم». وأيضا لايبعد أن هذه الحالة في المحشر قبل دخول الناس الجنة أو النار لقوله: «لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس» والتعريف للاستغراق، فيحصل لهؤلاء الأمن والفراغ في بعض الأوقات ما لايحصل لغيرهم لاشتغالهم بحال أنفسهم أو حال أمتهم، فيغبطونهم لذلك.

«قض»: «الروح»، بضم الراء. قيل: أراد به هنا القرآن لقوله تعالى: ﴿وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا﴾(٢) سمي بذلك؛ لأنه يحيي به القلب كما يحيي بالروح البدن. والمعنى أنهم كانوا يتحابون بداعية الإسلام، ومتابعة القرآن فيما حثهم عليه من موالاة المسلمين ومصادقتهم.

أقول: ويمكن أن يراد بالروح المحبة وما يتعاطون به من التواد والتحاب، أى تحابوا بما أوقع الله في قلوبهم من المحبة الخالصة لله تعالى. ومنه قوله تعالى: ﴿فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويًا﴾(٣) قيل: سماه الله روحه على المجاز محبة له وتقريبا، كما تقول لحبيبك: أنت روحي.

[٥٠١٢] انظر صحيح أبي داود ٣٠١٢

(١) يونس: ٦٢ (٢) الشورى: ٥٢. (٣) مريم: ١٧.

٥٠١٣ - * ورواه في «شرح السنة» عن أبي مالك بلفظ «المصابيح» مع زوائد وكذا في «شعب الإيمان». [٥٠١٣]

٥٠١٤ - * وعن ابنِ عباس، قال: قال رسولُ الله ﷺ لأبي ذر: «يا أبا ذر ! أيُّ عُرى الإيمانِ أوثقُ ؟» قال: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «الموالاةُ في اللهِ، والحبُّ في اللهِ، والبغضُ في اللهِ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». [٥٠١٤]

٥٠١٥ - * وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إذا عادَ المسلمُ أخاهُ أوْ زارَه قال اللهُ تعالى: طبتَ وطاب مَمشاكَ، وتبوأْتَ من الجنَّةِ منزِلاً». رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥٠١٥]

قوله: «إن وجوههم لنور» أى منورة أو ذوات نور أو هي نفس النور فهم على نور.

وقوله: «وإنهم لعلى نور» أى على منابر من نور يشهد له الحديث السابق: «المتحابون في جلالي لهم منابر من نور، يغبطهم النبيون والشهداء». «قض»: هو تمثيل لمنزلتهم ومحلهم، مثلها بما هو أعلى ما يجلس عليه في المجالس والمحافل على أعز الأوضاع وأشرفها، من جنس ماهو أبهى وأحسن ما يشاهد؛ ليدل على أن رتبتهم في الغاية القصوى من العلاء والشرف والبهاء.

الحديث الثالث عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «أى عرى الإيمان أوثق؟» هي جمع «عروة» وهي ما يجعل في الأحمال والرواحل، ويجعل بين كل من العروتين شظاظ فيحمل على البعير. وهو يجوز أن يكون استعارة مصرحة بحقيقة شبه الموالاة والمحبة في الله والبغض في الله بعروة الراحلة في استيثاقها وإحكامها. فحذف المشبه به وأتى بالمشبه مضافا إلى الإيمان؛ ليكون قرينة مانعة من إرادة الحقيقة، وأن تكون مكنية بأن يكون المشبه الإيمان والمشبه به الأعمال، ويتوهم للإيمان على سبيل التخييلية من لوازم المشبه به. وقرينتها الإضافة إليه. ويجوز أن تكون تمثيلية مثل المعلوم بالنظر والاستدلال بالشاهد المحسوس حتى يتصوره السامع، كأنه ينظر إليه بعينه، فيحكم اعتقاده والتيقن به.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «وطاب ممشاك» القرائن الثلاث يجوز أن تحمل على الدعاء وعلى الإخبار، وقوله: «طبت» دعاء لنفسه. و«طاب ممشاك» دعاء له.

[٥٠١٣] شرح السنة ٣٤٦٤، إسناده صحيح (١٣/ ٥٠).

[٥٠١٤] شرح السنة ٣٤٦٨ حسن بشواهده (١٣/ ٥٣).

[٥٠١٥] شرح السنة ٣٤٧٢ وصححه ابن حبان.

٥٠١٦ - * وعن المقدامِ بن معد يكرب، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا أحبَّ الرجلُ أخاهُ فليُخبرْهُ أنَّه يحبُّه». رواه أبو داود، والترمذي.[٥٠١٦]

٥٠١٧ - * وعن أنسٍ، قال: مرَّ رجلٌ بالنبيِّ ﷺ وعندَه ناسٌ. فقال رجلٌ ممَّنْ عنده: إني لأحبُّ هذا لله. فقال النبيُّ ﷺ: «أَعْلمته؟». قال لا. قال«قُم إليه فأعلمْه؟. فقام إليه فأعلمَه فقال: أحبَّكَ الذي أحببتَني له. قال: ثمَّ رجعَ. فسألَه النبيُّ ﷺ، فأخبرَه بما قال. فقال النبيُّ ﷺ: «أنتَ معَ من أحببتَ، ولك ما احتسبت». رواه البيهقي في «شعب الإيمان». وفي رواية الترمذي: «المرءُ معَ من أحبَّ ولَه ما اكتسبَ».[٥٠١٧]

٥٠١٨ - وعن أبي سعيد، أنه سمع النبي ﷺ يقول: «لاتصاحبْ إلا مؤمنًا ولايأكل طعامَك إلا تقيٌ». رواه الترمذي، وأبو داود، والدارمي.[٥٠١٨]

وأن كل خطوة خطاها يحط بها سيئة، ويكتب له بها حسنة، هذا في الدنيا، وفي الآخرة تبوأت من الجنة منزلا. والتنكير في «منزلا» للتفخيم أى منزلا أى منزل.

الحديث الخامس عن المقدام رضى الله عنه: قوله: «فليخبره أنه يحبه»، «خط» معناه: الحث على التودد والتألف. وذلك أنه إذا أخبر أنه يحبه استمال قلبه بذلك واجتلب به وده وفيه أنه إذا علم أنه محب له واد، قبل نصحه، ولم يرد عليه قوله في عيب إن أخبره به.

الحديث السادس عن أنس رضي الله عنه: قوله: «أحبك الذي أحببتني له» دعاء له أخرجه مخرج الماضي تحقيقا له وحرصا على وقوعه قوله: «ولك ما احتسبت» وفي رواية: «وله ما اكتسب»، «تو»، كلا اللفظين قريب من الآخر في المعنى المراد منه.

أقول: وذلك لأن معنى «اكتسب»: كسب كسبا يعتد به، ولايرد عليه بسبب الرياء والسمعة. وهذا هو معنى الاحتساب؛ لأن الافتعال للاعتمال. «نه»: الاحتساب من الحسب كالاعتداد من العد. وإنما قيل لمن ينوي بعمله وجه الله: احتسبه؛ لأن له حينئذ أن يعتد عمله فجعل في حال مباشرة الفعل كأنه معتد به. و«الحسبة» اسم من الاحتساب كالعدة من الاعتداد.

الحديث السابع عن أبي سعيد رضي الله عنه: قوله: «ولا يأكل طعامك إلا تقي»

[٥٠١٦] صحيح الإسناد،صحيح الجامع بنحوه ٢٨١، الصحيحة ٤١٨، ٧٩٧.

[٥٠١٧] سنده حسن.

[٥٠١٨] سنده حسن.وانظر صحيح الجامع (٧٣٤١).

٥٠١٩ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المرء على دين خليله، فلينظر أحدكم من يُخالل». رواه أحمد، والترمذي، وأبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان» وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب. وقال النووي: إسناده صحيح.

٥٠٢٠ -* وعن يزيد بن نَعامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا آخى الرجلُ الرجلَ فليسأله عن اسمه واسم أبيه، وممَّن هو؟ فإنه أوصـلُ للمودَّة». رواه الترمذي. [٥٠٢٠]

«خط»: هذا إنما جاء في طعام الدعوة دون طعام الحاجة. وذلك أن الله تعالى قال: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيراً﴾ (١) ومعلوم أن أسراءهم كانوا كفارا غير مؤمنين، وإنما حذر من صحبة من ليس بتقي وزجر عن مخالطته ومؤاكلته؛ لأن المطاعمة توقع الألفة والمودة في القلوب، انتهى كلامه.

فإن قلت: مامعنى القرينتين؟ قلت: المؤمن، يجوز أن يراد به العام، وأن يراد به الخاص الذي يقابله الفاسق، كقوله تعالى: ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقًا﴾ (٢) فيكون المعنى: لاتصاحب إلا صالحا. وقوله: «ولا يأكل» نهي لغير التقي أن يأكل طعامه، فالمراد نهيه عن أن يتعرض لما لايأكل التقي طعامه من كسب الحرام، وتعاطي ما ينفر عنه التقي. والمعنى لاتصاحب إلا مطيعا ولاتخالل إلا تقيا.

الحديث الثامن والتاسع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «خليله»، «نه»: الخليل الصديق فعيل بمعنى مفاعل. وقد يكون بمعنى مفعول، والخلة - بالضم- الصداقة والمحبة التي تخللت القلب فصارت خلاله، أى في باطنه. قال الشيخ أبو حامد؛ مجالسة الحريص ومخالطته تحرك الحرص، ومجالسة الزاهد ومخالطته تزهد في الدنيا؛ لأن الطباع مجبولة على التشبه والاقتداء، بل الطبع يسرق من الطبع من حيث لايدري.

قوله: «إسناده صحيح» ذكره في كتاب رياض الصالحين، وغرض المؤلف من إيراده والإطناب فيه دفع الطعن في هذا الحديث ، ودفع توهم من توهم أنه موضوع.

[٥٠٢٠] إسناده ضعيف.

(١) الإنسان: ٨.

(٢) السجدة: ١٨.

الفصل الثالث

٥٠٢١ - * عن أبي ذر، قال: خرج علينا رسول الله ﷺ قال: «أتدرون أيُّ الأعمال أحبُّ إلى الله تعالى؟» قال قائل؛ الصَّلاةُ والزكاةُ. وقال قائل؛ الجهاد. قال النبي ﷺ: «إن أحبَّ الأعمال إلى الله تعالى الحبُّ في الله والبغض في الله». رواه أحمد، وروى أبو داود الفصل الأخير. [٥٠٢١]

٥٠٢٢ - * وعن أبي أمامة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أحبَّ عبدٌ عبدًا لله إلا أكرم ربَّه عزَّ وجلَّ». رواه أحمد. [٥٠٢٢]

٥٠٢٣ - * وعن أسماء بنت يزيد، أنها سمعت رسول الله ﷺ يقول: «ألا أنبئكم بخياركم؟» قالوا: بلى يارسول الله! قال: «خياركم الذين إذا رؤوا ذُكر الله». رواه ابن ماجه. [٥٠٢٣]

٥٠٢٤ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لو أنَّ عبدَين تحابَّا في الله عز وجل، واحدٌ في المشرق وآخرُ في المغرب؛ لجمع الله بينهما يوم القيامة. يقول: هذا الذي كنت تحبُّه فيَّ». [٥٠٢٤]

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: «إن أحب الأعمال إلى الله تعالى» فإن قلت: كيف يكون الحب في الله أحب إلى الله تعالى من الصلاة والزكاة والجهاد؟ قلت: من أحب في الله يحب أنبياءه وأولياءه، ومن شرط محبته إياهم: أن يقفو أثرهم ويطيع أمرهم. قال الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه — هذا لعمري في القياس بديع

لو كان حبك صادقا لأطعته — إن المحب لمن يحب مطيع

[٥٠٢١] أحمد في مسنده ٥/١٤٦ والمجمع ١/ ٩٠.

[٥٠٢٢] شعب الإيمان بنحوه ٩٠١٦ (٦ / ٤٩٠).

[٥٠٢٣] انظر ضعيف الجامع ٢١٧٣.

[٥٠٢٤] انظر ضعيف الجامع ٤٨١١.

٥٠٢٥ - * وعن أبي رزينٍ، أنه قال له رسولُ الله ﷺ: «ألا أدلك على مِلاك هذا الأمر الذي تصيب به خير الدنيا والآخرة؟ عليك بمجالس أهل الذكر، وإذا خلوتَ فحركْ لسانك ما استطعت بذكر الله، وأحبَّ في الله وأبغضْ في الله، يا أبا رزين! هل شعرت أن الرجل إذا خرج من بيته زائرًا أخاه، شيَّعه سبعون ألف ملك، كلهم يصلّون عليه ويقولون: ربَّنا إنَّه وصل فيك فَصِلْهُ؟ فإن استطعت أن تُعمِلَ جسدك في ذلك فافعل». [٥٠٢٥]

٥٠٢٦ - * وعن أبي هريرة، قال: كنتُ مع رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: « إن في الجنة لعُمُدًا من ياقوت عليها غُرفٌ من زبرجد، لها أبواب مفتحة تضيء كما يضيء الكوكب الدريُّ». فقالوا: يارسول الله ! من يسكنها؟ قال: «المتحابُّون في الله، والمتجالسون في الله، والمتلاقون في الله» روى البيهقي الأحاديث الثلاثة في «شعب الإيمان». [٥٠٢٦]

(١٧) باب ما ينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

الفصل الأول

٥٠٢٧ - * عن أبي أيُّوب الأنصاري، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايحل للرجل

وكذلك من أبغض في الله أبغض أعداءه وبذل جهده في المجاهدة معهم بالسنان واللسان.

والفصل الأخير هو قوله: «إن أحب الأعمال إلى الله تعالى. . .» الحديث.

الحديث الثاني إلى الحديث الخامس عن أبي رزين: قوله: «هذا الأمر» المشار إليه مافي الذهن وهو مبهم، فبينه ووصفه بقوله: «الذي تصيب به خير الدنيا وخير الآخرة».

والملاك ما يتقوم به الشيء. وقوله: « أن تعمل جسدك» عبارة عن بذل الجهد واستفراغ الطاقة فيه.

الحديث السادس ظاهر.

[٥٠٢٥] شعب الإيمان ٩٠٢٤.

[٥٠٢٦] شعب الإيمان ٩٠٠٢ ، ضعيف الجامع ١٨٩٥.

أن يهجر أخاه فوق ثلاثِ ليالٍ، يلتقيان فيُعرض هذا ويعرض هذا، وخيرهما الذي يبدأ بالسلام» متفق عليه.

٥٠٢٨ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ : «إياكم والظنَّ، فإنَّ الظنَ أكذبُ الحديث، ولاتحسسوا ولاتجسسوا ولاتناجشوا ولاتحاسدوا، ولاتباغضوا، ولاتدابروا، وكونوا عباد الله إخوانًا». وفي رواية: «ولاتنافسوا». متفق عليه.

باب ماينهى عنه من التهاجر والتقاطع واتباع العورات

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي أيوب رضي الله عنه: قوله: «أخاه» تخصيصه بالذكر إشعار بالعلية. والمراد به أخوة الإسلام. ويفهم منه أنه إن خالف هذه الشريطة وقطع هذه الرابطة جاز هجرانه فوق ثلاثة. «نه»: يريد به أن الهجر ضد الوصل. يعني فيما يكون بين المسلمين من عتب وموجدة أو تقصير يقع في حقوق العشرة والصحبة دون ماكان من ذلك في جانب الدين؛ فإن هجرة أهل الأهواء والبدع دائمة على مرِّ الأوقات مالم يظهر منه التوبة والرجوع إلى الحق؛ فإنه ﷺ لما خاف على كعب بن مالك وأصحابه النفاق، حين تخلفوا عن غزوة تبوك أمر بهجرانهم خمسين يومًا. وقد هجر نساءه شهرا وهجرت عائشة ابن الزبير مدة. وهجر جماعة من الصحابة جماعة منهم. وماتوا متهاجرين. ولعل أحد الأمرين منسوخ بالآخر. انتهى كلامه.

فإن قلت: ماموقع قوله: «يلتقيان» وموقع قوله: «خيرهما»؟ قلت: الأولى بيانية استئنافية، بيان لكيفية الهجران. والثانية عطف على الأولى من حيث المعنى لما يفهم منها أن ذلك الفعل ليس بخير ويجوز أن يكون الأول حالا من فاعل «يهجر» ومفعوله معا، نحو قول الشاعر:

متى ما نلتقي* فردين ترجف روانف أليتيك وتستطارا

وعلى هذا الثانية معطوفة على قوله: «لايحل».

الحديث الثاني عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «إياكم والظن»، «قض»: التحذير عن الظن فيما يجب فيه القطع أو التحدث به مع الاستغناء عنه أو عما يظن كذبه. والتجسس بالجيم تعرف الخبر بتلطف، ومنه الجاسوس، وبالحاء تطلب الشئ بحاسة كاستراق السمع وإبصار الشيء خفية. وقيل: الأول التفحص عن عورات الناس وبواطن أمورهم بنفسه أو بغيره. والثاني أن يتولى ذلك بنفسه. وقيل: الأول مخصوص بالشر والثاني يعم الخير والشر.

والتناجش أن يزيد هذا على ذاك وذلك على هذا في البيع، والنجش دفع الثمن، وقيل: المراد في الحديث: النهي عن إغراء بعضهم بعضا على الشر والخصومة. والتدابر والتقاطع ،

---

* فى «ط» (تلقنى) وهو خطأ، والتصويب من لسان العرب، مادّة (رنف) قال: وأنشد أبو عُبيدة، فذكره. اللسان ٣/ ١٧٤٤. دار المعارف.

٥٠٢٩ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تفتحُ أبوابُ الجنة يوم الاثنين ويوم الخميس، يُغفر لكلِّ عبد لايشرك بالله شيئًا إلا رجلا كانت بينه وبين أخيه شحناءُ فيقال: أَنظروا هذين حتى يصطلحا» رواه مسلم.

٥٠٣٠ - * وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «تُعْرض أعمال الناس في كل جمعة

مأخوذ من الدبر؛ فإن كل واحد من المتقاطعين يولي دبره صاحبه. والتحاسد والتنافس واحد في المعنى وإن اختلفا في الأصل.

أقول: قوله: «إخوانا» يجوز أن يكون خبرا بعد خبر، وأن يكون بدلا، أوهو الخبر. وقوله: «عباد الله» منصوب على الاختصاص بالنداء، وهذا الوجه أوقع، يعني أنكم مستوون في كونكم عباد الله تعالى، وملتكم ملة واحدة، فالتحاسد والتباغض والتقاطع منافية لحالكم. فالواجب عليكم أن تكونوا إخوانا متواصلين متآلفين، كقوله تعالى: ﴿**واعتصموا بحبل الله جميعا ولاتفرقوا**﴾ [١]ونظيره قوله تعالى: ﴿ **إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون، وتقطعوا أمرهم بينهم**﴾[٢].

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «لايشرك بالله» صفة «عبد» وقوله: «إلا رجلاً الظاهر فيه النصب؛ لأنه استثناء من كلام موجب، ويمكن أن يقال: إن الكلام محمول على المعنى أي لايبقى ذنب أحد إلا ذنب رجل. ونحوه قول الفرزدق:

.... لم يدع من المال إلا مسحتًا أو مجلف [٣]

كأنه قال: لم يبق من المال إلا مسحت أو مجلف. وقوله تعالى: ﴿**فشربوا منه إلا قليلا منهم**﴾ [٤] أي فلم يطيعوه إلا قليل . «مح»: قال القاضي عياض: معنى فتح باب من أبواب الجنة كثرة الصفح والغفران ورفع المنازل وإعطاء الثواب الجزيل . ويحتمل أن يكون على ظاهره، وأن فتح أبوابها علامة لذلك. و«الشحناء» العداوة كأنه يشحن قلبه بغضا له، أي يملأ. وقوله: «أنظروا هذين» بقطع الهمزة أي أخروهما وأمهلوهما، انتهى كلامه. وأتى باسم الإشارة بدل الضمير لمزيد التعيين والتمييز.

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «في كل جمعة مرتين».

«قض»: أراد بالجمعة الأسبوع، عبر عن الشئ بآخره وما يتم به ويوجد عنده. والمعروض

---

(١) آل عمران: ١٠٣.	(٢) المؤمنون: ٥٢،٥٣

(٣) ذكر ابن منظور الإفريقي هذا البيت كاملا في لسان العرب مادة (سحت) ونصُّه:

وعض زمان يابن مروان لم يدع	من المال إلا مسحتًا أو مجلف

(٤) البقرة: ٢٤٩

مرتين يوم الاثنين ويوم الخميس، فيغفر لكلِّ عبد مؤمن إلا عبدًا بينه وبين أخيه شحناءُ، فيقال: اتركوا هذين حتى يفيئا». رواه مسلم.

٥٠٣١ -* وعن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي مُعيط، قالت: سمعت رسول الله، ﷺ يقول: «ليس الكذابُ الذي يُصلح بين الناس ويقول خيرًا وينمي خيرًا».

متفق عليه. وزاد مسلم قالت: ولم أسمعْه - تعني النبي ﷺ - يرخص في شئ ممَّا يقول النَّاسُ كذبٌ إلا في ثلاث: الحرب، والإصلاح بين الناس، وحديث الرجل امرأتَه وحديث المرأة زوجها.

٥٠٣٢ * وذكر حديث جابر: «إن الشيطان قد أيس» في «باب الوسوسة».

عليه هو الله تعالى أو ملك وكله الله تعالى على جمع صحف الأعمال وضبطها. قوله: «إلا عبدًا»، «تو»: وجدناه في كتاب المصابيح «إلا عبد» بالرفع. وهو في كتاب مسلم بالنصب وهو الأوجه؛ فإنه استثناء من كلام موجب، وبه وردت الرواية الصحيحة.

الحديث الخامس عن أم كلثوم رضى الله عنها: قوله: «كذب» مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف مقول للقول. و«مما يقول» بيان لقوله: «في شيء» أى في شيء من أقوال الناس هو كذب. وإن روي منصوبا كان مفعولا مطلقا، أى يقول قولا كذبا. وإن روي مجرورا كان صفة أخرى لشيء. والرواية في جامع الأصول وفي أكثر نسخ المصابيح هي الأولى.

قوله: «وينمي خيرا»، «قض»: أى يبلغ خير ما سمعه ويدع شره. يقال: نميت الحديث مخففا في الإصلاح، ونميته مثقلا في الإفساد. وكان الأول من النماء لأنه رفع لما يبلغه، والثاني من النميمة، وإنما نفى عن المصلح كونه كذابا باعتبار قصده دون قوله؛ ولذلك نفى النعت دون الفعل.

«خط»: هذه أمور قد يضطر الإنسان فيها إلى زيادة القول ومجاوزة الصدق طلبا للسلامة ودفعا للضرر. وقد رخص في بعض الأحوال في اليسير من الفساد لما يؤمل فيه من الصلاح. فالكذب في الإصلاح بين اثنين هو أن ينمي من أحدهما إلى صاحبه خيرًا ويبلغه جميلاً وإن لم يكن سمعه منه، يريد بذلك الإصلاح. والكذب فى الحرب أن يظهر من نفسه قوة، ويتحدث بما يقوي به أصحابه ويكيد به عدوه. وقد روي أن النبي ﷺ : أنه قال: «الحرب خدعة» وأما كذب الرجل على زوجته هو أن يعدها ويمنيها ويظهر لها من المحبة أكثر مما في نفسه، يستديم بذلك صحبتها ويستصلح به خلقها. قال سفيان بن عيينة: لو أن رجلا اعتذر إلى رجل يحرف الكلام ويحسنه ليرضيه بذلك لم يكن كاذبا. وقوله: «حديث الرجل امرأته، وحديث المرأة زوجها» في معنى حديث أحد الزوجين الآخر؛ ليستقيم مع قوله: «إلا في ثلاث».

الفصل الثاني

٥٠٣٣ - * عن أسماء بنت يزيد، قالت: قال رسول الله ﷺ: «لايحلُّ الكذب إلا في ثلاث: كذب الرجلِ امرأته ليُرضيها، والكذب في الحرب، والكذب ليصلح بين الناس» رواه أحمد، والترمذي. [٥٠٣٣]

٥٠٣٤ - * وعن عائشة، أن رسول الله ﷺ قال: «لايكون لمسلم أن يهجر مسلمًا فوق ثلاثة؛ فإذا لقيه سلَّم عليه ثلاث مرَّات كل ذلك لايردُّ عليه فقد باء بإثمه» رواه أبو داود. [٥٠٣٤]

٥٠٣٥ - * وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «لايحلّ لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث. فمن هجر فوق ثلاث فمات دخل النار» رواه أحمد، وأبو داود. [٥٠٣٥]

٥٠٣٦ - * وعن أبي خراش السُّلَميِّ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «مَن هَجَر

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن عائشة رضي الله عنها: قوله: «سلم عليه» حال من فاعل «لقيه» أو بدل منه. ويؤيد الأول قوله في حديث أبي خراش: «فليلقه فليسلم عليه». وقوله: «كل ذلك»، الجملة وقعت صفة لقوله: «ثلاث مرات» وقوله: «فقد باء بإثمه» جواب «إذا» أى إذا سلم عليه ثلاث مرات غير مردود فيها جوابه، فقد باء أى رجع بإثمه، والضمير في «بإثمه» يحتمل أن يكون للبائي. فيكون المعنى أن المسلم خرج من الهجرة ونقي من الوزر، بقي الإثم على الذي لم يرد السلام. ويحتمل أن يكون لـ «المسلم». والمعنى أنه ضم إثم هجران المسلم إلى إثم هجرانه وباء بهما؛ لأن التهاجر يعد منه وبسببه.

الحديث الثالث عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «فمات دخل النار» «تو»: أى استوجب دخول النار. والواقع فى الإثم كالواقع في العقوبة إن شاء عذبه وإن شاء غفر له.

الحديث الرابع عن أبي خراش: قوله: «كسفك دمه» «مظ»: أى مهاجرة الأخ المسلم سنة

[٥٠٣٣] انظر صحيح الترمذى (١٥٨٢)- الصحيحة (٥٤٥).

[٥٠٣٤] إسناده جيد.

[٥٠٣٥] إسناده صحيح.

أخاه سنةً فهو كسَفْك دمه» رواه أبو داود. [٥٠٣٦]

٥٠٣٧ - * وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «لايحلُّ لمؤمنٍ أن يهجر مؤمنًا فوق ثلاث، فإن مرَّت به ثلاثٌ فلْيلقَه فليسلم عليه، فإن ردَّ عليه السلامَ فقد اشتركا في الأجر، وإن لم يَرُدَّ عليه فقد باء بالإثم وخرج المُسَلِّمُ من الهجرة» رواه أبو داود. [٥٠٣٧]

٥٠٣٨ - * وعن أبي الدرداء، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بأفضل من درجةِ الصيامِ والصدقةِ والصلاة؟». قال: قلنا: بلى قال: «إصلاح ذاتِ البينِ، وفسادُ ذات البين هي الحالقة» رواه أبو داود، والترمذي وقال: هذا حديث صَحيح. [٥٠٣٨]

توجب العقوبة كما أن سفك دمه يوجبها. فهي شبيهة بالسفك من حيث حصول العقوبة بسببها لا أنها مثله في العقوبة؛ لأن القتل عقوبة عظيمة لايكون بعد الشرك أعظم منه. فشبه الهجران به تأكيدا في المنع عنه وفي المشابهة يكفي المساواة في بعض الصفات.

أقول: التشبيه إنما يصار إليه للمبالغة، كما يقال: زيد كالأسد؛ إلحاقا له بالأسد في الجرأة؛ وأنه نظيره فيها ولم يقصد به أنه دونه، كذلك ههنا؛ لأن قوله ﷺ: «لايحل لمؤمن أن يهجر مؤمنا فوق ثلاث» دل على أن التهاجر فوق الثلاث حرام، وراكبه راكب الإثم، فإذا امتد إلى مدة يهجر فيها الغائب والمسافر عن أهله غالبا، بلغ التهاجر والتقاطع إلى الغاية، فيبلغ إثمه أيضا إلى الغاية، وهذا معنى تخصيص ذكر السنة. والله أعلم.

الحديث الخامس والسادس عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قوله: «من درجة الصيام» «شف»: المراد بهذه المذكورات النوافل منها دون الفرائض. قوله: «ذات البين» أي أحوال بينكم، يعني ما بينكم من الأحوال حتى تكون أحوال ألفة ومحبة واتفاق، كقوله تعالى: ﴿بذات الصدور﴾(١) وهي مضمراتها، لما كانت الأحوال ملابسة للبين، قيل لها ذات البين كقولهم: اسقني ذا إناءك، يريدون ما في الإناء من الشراب. كذا في الكشاف في قوله تعالى: ﴿وأصلحوا ذات بينكم﴾(٢).

قوله: «هي الحالقة» «نه»: هي الخصلة التي من شأنها أن تحلق أو تهلك وتستأصل الدين

[٥٠٣٦] إسناده لين.

[٥٠٣٧] إسناده ضعيف.

[٥٠٣٨] صحيح الجامع (٢٠٣٧).

(١) هود: ٥ . (٢) الأنفال: ١ .

٥٠٣٩ - * وعن الزُّبير، قال: قال رسول الله ﷺ: «دَبَّ إليكم داءُ الأممِ قبلَكم الحسَدُ، والبغضاءُ هي الحالقةُ، لاأقولُ: تحلقُ الشَّعرَ، ولكنْ تحلقُ الدينَ» رواه أحمد، والترمذي. [٥٠٣٩]

٥٠٤٠ - * وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إيَّاكم والحسد؛ فإنَّ الحسدَ يأكلُ الحسناتِ كما تأكل النارُ الحطبَ» رواه أبو داود. [٥٠٤٠]

كما يستأصل الموسي الشعر. وقيل: هي قطيعة الرحم والتظالم.

أقول: فيه حث وترغيب على إصلاح ذات البين واجتناب عن الفساد فيها؛ لأن الإصلاح سبب للاعتصام بحبل الله، وعدم التفريق بين المسلمين. وفساد ذات البين ثلمة في الدين، فمن تعاطى إصلاحها ورفع فسادها نال درجة عند الله سبحانه وتعالى فوق ماينالها الصائم القائم المشتغل بخويصة نفسه. فعلى هذا ينبغي أن تحمل الصلاة والصيام على الإطلاق والحالقة على ما يحتاج أمر الدين.

الحديث السابع عن الزبير رضي الله عنه: قوله: «دب إليكم» «نه»: نقل الداء من الأجسام إلى المعاني، ومن أمر الدنيا إلى أمر الآخرة.

أقول: وكذا الدب يستعمل في الأجسام، فاستعير للسراية على سبيل التبعية، وكذا قوله: «الحالقة» فإنها تستعمل في حلق الشعر، فاستعمل فيما يستأصل الدين. **وهي ليست باستعارة لذكر المشبه والمشبه به**، أي البغضاء تذهب بالدين كالموسي يذهب بالشعر. وضمير المؤنث راجع إلى «البغضاء» كما في قوله تعالى: ﴿ **والذين يكنزون الذهب والفضة ولاينفقونها**﴾(١) وقوله تعالى: ﴿**واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة**﴾(٢)؛ لأن البغضاء أكثر تأثيرا في ثلمة الدين، وإن كانت نتيجة الحسد. وقوله: «لا أقول: تحلق الشعر» تأكيد لإرادة غير المتعارف من قوله: «الحالقة» كما سبق أنها محمولة على ضمير «البغضاء» نحو قوله تعالى: ﴿**فإنها لاتعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور**﴾(٣).

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «يأكل الحسنات». «قض»: تمسك به من يرى إحباط الطاعات بالمعاصي كالمعتزلة، وأجيب عنه: بأن المعنى أن الحسد يذهب حسناته ويتلفها عليه، بأن يحمله على أن يفعل بالمحسود، من إتلاف مال وهتك عرض، وقصد

[٥٠٣٩] صحيح الترمذي (٢٠٣٨) بدون لفظ (والذى نفسي).

[٥٠٤٠] ضعيف الجامع (٢١٩٦) - الضعيفة (١٩٠٢).

(١) التوبة: ٣٤. (٢) البقرة: ٤٥.

(٣) الحج: ٤٦.

٥٠٤١- * وعنه، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إياكم وسوءَ ذاتِ البَين؛ فإنَّها الحالقةُ» رواه الترمذي. [٥٠٤١]

٥٠٤٢- * وعن أبي صرمةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَنْ ضارَّ ضارَّ اللهُ به، ومَن شاقَّ شاقَّ اللهُ عليه» رواه ابنُ ماجه، والترمذي وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥٠٤٢]

نفس ما يقتضي صرف تلك الحسنات بأسرها في عوضه، كما روي في صحاح باب الظلم عن أبي هريرة رضى الله عنه، أنه ﷺ قال: «إن المفلس من أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وزكاة وصيام وقيام، ويأتي قد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته. فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح فى النار» لإحباط الطاعات بالمعاصي، وإلا لم يكن يبقى لهذا الآتى المتعاطي لتلك الكبائر حسنة يقضي بها حق خصمه، انتهى كلامه.

وهذا أحد الوجهين مما ذكره الشيخ التوربشتي. والوجه الآخر أن يقال: إن التضعيف فى الحسنات يوجد على حسب استعداد العبد وصلاحه فى دينه. فمهما. كان مرتكبا للخطايا نقص من ثواب عمله فيما يتعلق بالتضعيف ما يوازي انحطاطه فى المرتبة بما اجترحه من الخطايا، من مثل أن يقدر أن ذا رهق وعمل حسنة، فأثيب عليها عشرا، ولو لم يكن رهقة لأثيب أضعاف ذلك، فهذا الذى نقص من التضعيف بسببْ ما ارتكبه من الذنب، هو المراد من الإحباط.

أقول: ويمكن أن يقال: إن الأكل هنا استعارة لعدم القبول، وأن تلك الحسنات الصادرة عنه مردودة عليه. وليست بثابتة فى ديوان أعماله الصالحة حتى تحبط، كمن صلى فى دار مغصوبة. وبهذا يحسن وجه التشبيه بالنار؛ فإن النار عند اشتعالها والتهابها لا تترك من الوقود شيئا إلا أفنته. فشبهت الأعمال الصادرة عنه عند ارتكابه الحسد بالحطب الجزل، الذى يشتغل فيه النار فى الإفناء والإعدام، مبالغة وزجرا للحاسد، فالأكل فى النار أيضا استعارة أو مشاكلة لوقوعه فى صحبة قوله: «يأكل الحسنات» ونظيره قوله ﷺ: «من أتى عرافا فسأله عن شئ لم تقبل له صلاة أربعين ليلة» ونظائره كثيرة، فإذا لم يثبت فى ديوانه، كيف يحبط. «ذات البين» أحوال بينكم وهى مضمراتها.

الحديث التاسع والعاشر عن أبي صرمة: قوله: «من ضار» فى جامع الأصول: المضارة المضرة والمشاقة، النزاع، فمن أضر بغيره تعديا أو شاقه ظلما بغير حق، فإن الله يجازيه على فعله

[٥٠٤١] انظر صحيح الترمذى (٢٠٣٦).

[٥٠٤٢] إسناده حسن.

٥٠٤٣- * وعن أبي بكرٍ الصديقِ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «ملعونٌ منْ ضارَّ مؤمنًا أو مكرَ بهِ» رواه الترمذيُّ وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥٠٤٣]

٥٠٤٤- * وعن ابنِ عمرَ، قال: صعِدَ رسولُ الله ﷺ المنبرَ، فنادى بصوتٍ رفيعٍ فقال: «يامعشرَ منْ أسلمَ بلسانِه ولم يُفضِ الإيمانُ إلى قلبِه! لا تُؤْذوا المسلمينَ ولا تُعيِّروهُم، ولا تتَّبعوا عَوراتهم؛ فإنَّه مَن يتَّبع عَورةَ أخيهِ المسلمِ يتَّبعِ اللهُ عَورته، ومَن يتَّبعِ اللهُ عورتَه يَفضحْه ولو في جَوفِ رَحْله» رواه الترمذي. [٥٠٤٤]

بمثله. وفي النهاية: قوله: «ومن شاق» يجوز أن يكون من «الشق» بالكسر، وهي المشقة. يقال: هم بشق من العيش، إذا كانوا في جهد، وأصله من الشق نصف الشيء، كأنه قد ذهب نصف أنفسهم، ومن الشق- بالفتح- الفصل في الشيء.

أقول: فإذن معنى المشاقة بين المتنازعين أن أحدهما أخذ بشق والآخر بشق آخر، قال الله تعالى: ﴿ومن يشاقِّ الله فإن الله شديد العقاب﴾(١). ويجوز أن يحمل على المشقة أيضا، بأن كلف صاحبه فوق طاقته؛ فيقع في التعب والمشقة.

الحديث الحادي عشر والثاني عشر عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «من أسلم بلسانه» هو من قوله تعالى: ﴿قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا﴾(٢) وقوله: «ولم يفض الإيمان إلى قلبه» من قوله تعالى: ﴿ ولما يدخل الإيمان في قلوبكم﴾(٣). وقوله: «لا تؤذوا المسلمين» صريح في أن الإسلام عبارة عن مجموع التصديق والأعمال الصالحة، كأنه قيل: يا من أفرد الإسلام ولم يضم إليه التصديق! لا تؤذ من جمع بينهما. والمعنى لا تؤذوهم فيما ظهر من المسلمين مما ترونه عيبا عليهم بالقول والفعل، فلا تغتابوهم ولا تشتموهم ولا تضربوهم، ولا تعيروهم على ما تابوا عنه وندموا عليه. «ولا تتبعوا عوراتهم» فيما يظن أي لا تجسسوا ماستروا عنكم من الأفعال والأقوال وما ستر الله عليهم. والمراد بقوله: «يتبع الله عورته» كشف ستره، ذكره على سبيل المشاكلة.

[٥٠٤٣] ضعيف الجامع (٥٢٨٠).

[٥٠٤٤] انظر صحيح الترمذي(١٦٥٥).

(١) الحشر: ٤.

(٢) (٣) الحجرات: ١٤.

٥٠٤٥- * وعن سعيدِ بن زيدٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إنَّ من أرْبى الرِّبا الاستطالةُ في عرضِ المسلمِ بغيرِ حقٍّ» رواه أبو داود، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٥٠٤٥]

قال الشيخ أبو حامد: التجسس والتتبع ثمرة سوء الظن بالمسلم، والقلب لايقنع بالظن ويطلب التحقيق، فهو يؤدي إلى هتك الستر. وحد الاستتار أن يغلق باب داره ويستتر بحيطانه. فلا يجوز استراق السمع على داره؛ ليسمع صوت الأوتار، ولا الدخول عليه لرؤية المعصية، إلا أن يظهر ظهورا يعرفه من هو خارج الدار، كأصوات المزامير والسكارى بالكلمات المألوفة بينهم. وكذلك إذا ستروا أواني الخمر وظروفها وآلات الملاهي في الكم وتحت الذيل، فإذا رأى ذلك لم يجز أن يكشف عنه. وكذلك لايجوز أن يستنشق ليدرك رائحة الخمر ولا أن يستخبر من جيرانه ليخبروه بما يجرى فى داره. وأنشد فى معناه:

لا تلتمس من مساوي الناس ما ستروا ... فيهتك الله سترا عن مساويكا

واذكر محاسن ما فيهم إذا ذكـــــروا ... ولا تعب أحدًا منهم بما فيــكا

وفى قوله: «ولم يفض الإيمان إلى قلبه» إشارة إلى أنه ما لم يصل الإيمان إلى القلب لم يحصل له المعرفة بالله ولم يؤد حقوقه، فإذًا علاج جميع أمراض القلب المعرفة بالله تعالى؛ ليؤدي إلى أداء حقوق الله تعالى وحقوق المسلمين، فلا يؤذي ولا يضر ولا يعير ولا يجسس أحوالهم. انتهى كلامه.

فإن قلت: ما النكتة فى ذكر «أخيه» فى قوله: «عورة أخيه المسلم»؟ فإن الكلام مع المنافقين، وهم ليسوا بإخوة المسلمين. قلت: ومن تتبع... إلى آخره، **كالتتميم** للكلام السابق **والمبالغة** فيه، كأنه قيل: ومن يتبع من المسلمين عورة أخيه المسلم يتبع الله عورته، ولو فى جوف رحله. فكيف بالمنافق؟!

الحديث الثالث عشر عن سعيد رضى الله عنه: قوله: «من أربى الربا» هو من باب قوله: **﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾**[1] أدخل العرض فى جنس المال على سبيل المبالغة، وجعل الربا نوعين: متعارفا: وهو ما يؤخذ من الزيادة على ماله من المديون. وغير متعارف: وهو استطالة الرجل باللسان فى عرض صاحبه، ثم فضل أحد النوعين على الآخر. ولما بين العرض والمال من المناسبة قال الحماسي:

أصون عرضي بمالي لا أدنسه ... لا بارك الله بعد العرض فى المال

[٥٠٤٥] انظر صحيح أبى داود (٤٠٨١) - الصحيحة (١٤٣٣) و(١٨٧١).

(١) الشعراء: ٨٨-٨٩.

٥٠٤٦- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «لما عرجَ بي ربِّي مررتُ بقومٍ لهم أظفارٌ من نحاسٍ يخمشونَ وجوهَهم وصدورهم، فقلتُ: مَن هؤلاء يا جبريلُ؟ قال: هؤلاءِ الذينَ يأكلونَ لُحوم الناسِ ويقَعونَ في أعراضهم» رواه أبو داود. [٥٠٤٦]

٥٠٤٧- * وعن المستورد، عن النبيِّ ﷺ، قال: «مَن أكلَ برجُلٍ مسلمٍ أُكْلَةً؛ فإنَّ اللهَ يُطعِمُه مثلَها منْ جهنَّمَ، ومَن كَسا ثوبًا برجُلٍ مسلمٍ؛ فإنَّ اللهَ يكسوهُ مثلَه من

«قض»: الاستطالة في عرض المسلم، أن يتناول منه أكثر مما يستحقه على ما قيل له، أو أكثر مما رخص له فيه؛ ولذلك مثله بالربا، وعده من عداده، ثم فضله على سائر أفراده؛ لأنه أكثر مضرة وأشد فسادا؛ فإن العرض شرعا وعقلا أعز على النفس من المال وأعظم منه خطرا؛ ولذلك أوجب الشارع بالمجاهرة بهتك الأعراض ما لم يوجب بنهب الأموال.

«تو»: في قوله: «بغير حق» تنبيه على أن العرض ربما يجوز استباحته في بعض الأحوال. وذلك مثل قوله ﷺ: «لي الواجد يحل عرضه» فيجوز لصاحب الحق أن يقول فيه: إنه ظالم وإنه متعد ونحو ذلك، ومثله الكلام في جرح الشاهد على الخائن ونحو ذلك.

الحديث الرابع عشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «يخمشون» أي يخدشون، ولما كان خمش الوجه والصدر من صفات النساء النائحات، جعلهما جزاء من يغتاب ويفري من أعراض المسلمين؛ إشعارًا بأنهما ليسا من صفات الرجال، بل هما من صفات النساء في أقبح حالة وأشوه صورة .

الحديث الخامس عشر عن المستورد: قوله: «برجل مسلم أكلة» «نه»: معناه: الرجل يكون صديقا لرجل ثم يذهب إلى عدوه، فيتكلم فيه بغير الجميل ليجيزه عليه بجائزة، فلا يبارك الله له فيها! والأكلة - بالضم - اللقمة، و- بالفتح- المرة. انتهى كلامه. وعلى هذا الباء في «برجل» للسببية. والجائزة عامة في المطعوم والملبوس كما عليه أكثر كلام الشارحين. قوله: «ومن قام برجل» «تو»: أي قام بنسبه إلى ذلك، ويشهره به فيما بين الناس، فضحه الله وشهره بذلك على رؤوس الأشهاد يوم القيامة، وعذبه عذاب المرائين.

«مظ»: الباء في «برجل» يحتمل أن تكون للتعدية وللسببية، فإن كانت للتعدية يكون معناه: من أقام رجلا مقام سمعة ورياء، يعني من أظهر رجلا بالصلاح والتقوى ليعتقد الناس فيه اعتقادا حسنا، ويعزونه ويخدمونه ويجعله حبالا ومصيدة كما ترى في زماننا؛ لينال بسببه المال

[٥٠٤٦] انظر صحيح الجامع (٥٢١٣) - الصحيحة (٥٣٣).

جهنَم، ومنْ قامَ برجلٍ مقامَ سُمعةٍ ورياءٍ؛ فانَّ اللهَ يقومُ له مقامَ سمعَةٍ ورِياءٍ يومَ القيامةِ» رواه أبو داود. [٥٠٤٧]

٥٠٤٨- * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهﷺ: «حسنُ الظنِّ منْ حسْنِ العِبادةِ» رواه أحمد، وأبو داود. [٥٠٤٨]

٥٠٤٩- * وعن عائشةَ، قالت: اعتلَّ بعيرٌ لصفيَّةَ وعند زينبَ فضلُ ظهرٍ، فقال

والجاه، فإن الله تعالى يقوم له مقام سمعة ورياء، بأن يأمر ملائكته أن يفعلوا معه مثل فعله ويظهروا أنه كذاب.

وإن كانت للسببية فمعناه: أن من قام وأظهر من نفسه الصلاح والتقوى لأجل أن يعتقد فيه رجل عظيم القدر كثير المال؛ ليحصل له مال وجاه، كما يقول الناس فى العرف: هذا زاهد الأمير.

أقول: وأولى الوجوه الوجه الثاني؛ لأنه ﷺ وصف الرجل بالإسلام فى القرينتين السابقتين. وأطلقه فى هذه القرينة ذما له. ومعنى الكناية عن التهديد فى قوله: «فإن الله يقوم له» كما فى قوله تعالى: ﴿سنفرغ لكم أيها الثقلان﴾[1] الكشاف: «سنفرغ» مستعار من قول الرجل لمن يهدده: سأفرغ لك، يريد سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلني عنه، حتى لا يكون لى شغل سواه. والمراد: التوفر على النكاية فيه والانتقام منه.

«شف»: معنى السببية لا يستقيم فى قوله: «ومن كسا ثوبا برجل مسلم» فالباء فيه صلة، ولعله أراد أن «كسا» يتعدى إلى مفعولين وليس هنا إلا مفعول واحد، فيجب أن يكون «برجل» ثاني مفعوليه، وفيه نظر: لما يؤدى إلى فساد المعنى على ما لا يخفى، فالواجب أن يقدر: من كسا نفسه ثوبا بسبب رجل.

الحديث السادس عشر والسابع عشر عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «حسن الظن»، «مظ»: يعني اعتقاد الخير والصلاح فى حق المسلمين عبادة. انتهى كلامه. فعلى هذا «من» للتبعض، أى من جملة عبادة الله تعالى والإخلاص فيها حسن المعاشرة مع عباده. ويجوز أن

[٥٠٤٧] انظر صحيح أبى داود (٤٠٨٤) - الصحيحة (٩٣٤).

[٥٠٤٨] ضعيف الجامع (٢٧١٨)- الضعيفة - (٣١٥).

(١) الرحمن: ٣١.

رسولُ الله ﷺ لزينبَ: «أعطِيها بعيرًا». فقالتْ: أنا أُعطي تلك اليهوديَّةَ؟! فغضبَ رسولُ الله ﷺ، فهجرها ذا الحجةِ والمحرمَ وبعضَ صفر. رواه أبو داود.[٥٠٤٩]

وذُكر حديثُ معاذ بن أنسٍ: «مَنْ حَمى مؤمنًا» في «باب الشفقة والرحمة».

الفصل الثالث

٥٠٥٠- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «رأى عيسى بنُ مريمَ رجلاً يسرقُ، فقال له عيسى: سرقتَ؟ قال: كلا، والذي لا إلهَ إلا هوَ. فقال عيسى: آمنتُ باللهِ وكذَّبتُ نفْسي» رواه مسلم.

٥٠٥١- * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «كادَ الفقرُ أنْ يكونَ كفرًا، وكادَ الحسدُ أنْ يغلبَ القدَرَ» [٥٠٥١]

٥٠٥٢- * وعن جابرٍ، عن رسول الله ﷺ قال: «مَن اعتذَرَ إلى أخيه فلمْ يعذُرْهُ،

تكون للابتداء، أي حسن الظن بعباد الله تعالى ناشيء عن حسن عبادة الله تعالى. وينصره قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده» الحديث.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «آمنت بالله» أي صدقتك في حلفك بقولك: «والذي لا إله إلا الله» وببرائتك، ورجعت عما ظننت بك وكذبت نفسي؛ قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم﴾[1].

الحديث الثاني والثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: «أن يكون كفرا» أي الفقر يحمل الإنسان على ركوب كل صعب وذلول، فيما لا ينبغي طالبا إزالته عنه بالقتل والنهب والسرقة وغير ذلك. وربما يؤديه إلى الاعتراض على الله تعالى والتصرف في ملكه، كما فعل ابن الراوندي في قوله:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه   وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا

[٥٠٤٩] سنن أبي داود (٤٦٠٢).

وحديث معاذ بن أنس في ضعيف الجامع برقم (٥٥٧٤).

[٥٠٥١] ضعيف الإسناد.

(١) الحجرات: ١٢.

أو لم يقبلْ عذرَه؛ كانَ عليه مثلُ خطيئةِ صاحب مكْسٍ» رواهُما البيهقيُّ في «شعب الإيمان»، وقال: المكاَّسُ: العشَّارُ.[٢٥٠٢]

(١٨) باب الحذر والتأني في الأمور

الفصل الأول

٥٠٥٣- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لايُلدَغُ المؤمنُ منْ جُحْرٍ واحدٍ مرَّتينِ» متفق عليه.

هذا الذي ترك الأوهام حائرة   وصير العالم النحـــرير زنديقا

قوله: «وكاد الحسد أن يغلب القدر» سبق معناه.

باب الحذر والتأني في الأمور

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «لايلدغ المؤمن» هذا يروى على وجهين: أحدها: على الخبر. وهو أن المؤمن الممدوح هو المتيقظ الحازم الذي لا يؤتى من ناحية الغفلة، فيخدع مرة بعد أخرى ولا يفطن هو به. وقد قيل: إنه الخداع في أمر الآخرة دون أمر الدنيا. وثانيها: على النهي أي لا يخدعن المؤمن، ولا يؤتين من ناحية الغفلة فيقع في مكروه، وهذا يصلح أن يكون في أمر الدنيا والأخرة.

«تو»: وأرى أن الحديث لم يبلغ الخطابي على ما كان عليه، وهو مشهور عند أهل السير. وذلك أن النبيَّ ﷺ مر على بعض أهل مكة، وهو أبو عزَّة الشاعر الجمحي، وشرط عليه أن لا يجلب عليه، فلما بلغ مأمنه عاد إلى ما كان عليه، فأسر تارة أخرى فأمر بضرب عنقه، وكلمه بعض الناس في المن عليه فقال: «لا يلدغ المؤمن. . . » الحديث.

أقول: وروى الشيخ محيي الدين عن القاضي عياض هذه القصة. وقال: سبب هذا الحديث معروف، وهو أن النبي ﷺ أسر أبا عزّة الشاعر يوم بدر ، فمن عليه وعاهده أن لا يحرض عليه ولا يهجوه، فأطلقه فلحق بقومه ثم رجع إلى التحريض والهجاء، ثم أسر يوم أحد فسأله المن، فقال النبي ﷺ: «لا يلدغ المؤمن. . . » الحديث. وهذا السبب يضعف الوجه الثاني.

أقول: إذا ذهب إلى النهي خيل أنه صلوات الله عليه لما رأى من نفسه الزكية الميل إلى

[٥٠٥٢] ضعيف الإسناد.

٥٠٥٤- * وعن ابن عبَّاسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأشجِّ عبدِ القيسِ: «إنَّ فيكَ لخصلتَينِ يُحبُّهما اللهُ: الحلمُ والأناةُ» رواه مسلم.

الحلم والعفو عنه، جرد منها مؤمنا كاملاً حازما ذا شهامة، ونهاه عن ذلك تأنيبا، يعني ليس من شيمة المؤمن الحازم الذي يغضب لله ويذب عن دين الله أن ينخدع من مثل هذا الغادر المتمرد مرة بعد أخرى، فاتته عن حديث الحلم، وأمضى لسانك فى الانتقام منه والانتصار من عدو الله؛ فإن مقام التجربة والغضب لله يأبى الحلم والعفو. وإلى هذا المقام ينظر قوله ﷺ: «الحليم ذو عثرة، والحكيم ذو تجربة» وأنشد النابغة فى هذا المعنى:

ولا خير فى حلم إذا لم يكن له بوادر تحمي صفوه أن يكدرا

ولا خير في أمر إذا لم يكن له حكيم إذا ما أورد الأمر أصدرا

ومن أوصافه صلوات الله عليه ما روت أم المؤمنين الصديقة بنت الصديق: «ما انتقم رسول الله ﷺ لنفسه فى شئ قط إلا أن تنتهك حرمة الله فينتقم لله بها» فظهر من هذا أن الحلم مطلقا غير محمود كما أن الجود كذلك. قال أبو الطيب:

فوضع الندى فى موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف فى موضع الندى

وفهم منه أن هناك مقاما، التحلم والتساهل فيه محمود بل مندوب إليه. وذلك مع المؤمنين من استعمال العفو والحلم وخفض الجناح؛ قال الله تعالى: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾[1] فيجتمع لهم لين الجانب مع الأولياء والغلظة مع الأعداء، قال الله تعالى: ﴿أشداء على الكفار رحماء بينهم﴾[2] ﴿إذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين﴾[3]. قال:

حليم إذا ما الحلم زين أهله مع الحلم فى عين العدو مهيب

وإذا ذهب إلى مجرد الإخبار لم يكن هذا التأنيب والتعيير، فلم يفهم منه أن التحلم والتساهل فى بعض المواضع مندوب إليه، وأن الانتقام والانتصار من أعداء الدين مأمور به، فظهر من هذا أن القول بالنهي أولى والمقام له أدعى وسلوك ما ذهب إليه الإمام أبو سليمان الخطابي رحمه الله أوضح، وأهدى وأحق أن يتبع وأحرى. والله أعلم.

الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «والأناة» الجوهري: أنى يأني فى الأمر أى ترفق، والاسم الأناة مثل قناة، ورجل آنٍ، على فاعل أى كثير الأناة والحلم. «حس»: روى المنذر الأشج: قال: يا رسول الله! أنا أتخلق بهما أم الله جبلني عليهما؟ قال: «بل الله جبلك عليهما» قال: الحمد لله الذي جبلني على خلقين، يحبهما الله ورسوله.

---

(١) الشورى: ٣٧. (٢) المائدة: ٥٤.

(٣) الفتح: ٢٩.

الفصل الثاني

٥٠٥٥- * عن سهلِ بن سعد الساعدىِّ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الأناةُ من الله والعَجَلَةُ منَ الشيطان» رواه الترمذيُّ، وقال : هذا حديثٌ غريبٌ. وقد تكلمَ بعضُ أهلِ الحديث في عبدِ المهيمن بن عبَّاسٍ الرَّاوي من قِبَلِ حفظه. [٥٠٥٥]

٥٠٥٦- * وعن أبي سعيدٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لاحليمَ إلاذو عثرة، ولاحكيمَ إلا ذو تجربة» رواه أحمد، والترمذي، وقال: هذا حديثٌ حسن غريب. [٥٠٥٦]

٥٠٥٧- * وعن أنس، أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوْصِني. فقال: «خُذِ الأمرَ بالتَّدبيرِ، فإنْ رأيتَ فى عاقبتِه خيرًا فأمضِه، وإنْ خفتَ غيًا فأمسِك» رواه فى «شرح السنة». [٥٠٥٧]

الفصل الثاني

الحديث الأول والثاني عن أبي سعيد: قوله: «لا حليم إلا ذو عثرة» «نه»: أى لايحصل له الحلم ويوصف به حتى يركب الأمور وينحرف عليها ويعثر فيها، فيعتبر بها ويستبين مواضع الخطأ فيجتنبها. ويدل عليه قوله: «ولا حكيم إلا ذو تجربة». «مظ»: أى لا حليم كاملا إلا من وقع فى زلة وحصل منه خطأ، فحينئذ يخجل فيجب لذلك أن يستر من رآه على عيبه فيعفو عنه، فإذا أحب ذلك علم أن العفو عن الناس والستر على عيوبهم محبوب للناس ومرضى لله تعالى. وكذلك من جرب الأمور علم نفعها وضرها والمصالح والمفاسد، فإذا علم مصالح الأمور ومفاسدها لا يفعل ما يفعل إلا عن الحكمة.

أقول : ويمكن أن تخصيص الحكيم بذى تجربة يدل على خلافه فى الحليم؛ فإن الحليم الذي ليس له تجربة قد يعثر فى مواضع لا ينبغى فيها له الحلم، بخلاف الحكيم المجرب على ما مرّ بيانه فى أول الفصل الأول.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: «وإن خفت غيا» الخوف هنا بمعنى الظن كما فى قوله تعالى: ﴿إلا أن يخافا أن لا يقيما حدود الله﴾[1] ويجوز أن يكون بمعنى العلم

[٥٠٥٥] انظر ضعيف الجامع (٢٣٠٠).

[٥٠٥٦] ضعيف الجامع (٦٢٩٧).

[٥٠٥٧] انظر ضعيف الجامع (٢٨١٤) - الضعيفة (٢٣٧٨).

(١) البقرة: ٢٢٩.

٥٠٥٨- * وعن مصعب بن سعد، عن أبيه، قال الأعمشُ: لا أعلمُه إلا عن النبيِّ ﷺ قال: «التؤدَةُ في كلِّ شيءٍ خيرٌ إلاَّ في عملِ الآخرةِ» رواه أبوداود.[٥٠٥٨]

٥٠٥٩- * وعن عبدِالله بن سَرْجِس، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «السَّمْتُ الحسَنُ والتُّؤَدَةُ والاقتصادُ جزءٌ من أربعٍ وعشرينَ جزءًا من النُّبوةِ» رواه الترمذي.[٥٠٥٩]

٥٠٦٠- * وعن ابنِ عبَّاسٍ، أنَّ نبيَّ الله ﷺ قال: «إنَّ الهَدْيَ الصالحَ والسَّمتَ الصالحَ والاقتصادَ جزءٌ منْ خمسٍ وعشرينَ جزءًا منَ النبوَّةِ» رواه أبو داود.[٥٠٦٠]

واليقين؛ لأن من خاف شيئًا احترز عنه وتحرى حقيقته. وهذا أنسب بالمقام؛ لأنه وقع في مقابلة «رأيت» وهو بمعنى العلم وهما نتيجتا التفكير والتدبر. وفي معناه أنشد أبو الطيب:

الرأى قبل شجاعة الشجعان   هو أول وهي المحل الثاني

الحديث الرابع عن مصعب رضي الله عنه: قوله: «التؤدة»، «قض»: التؤدة التأني والسكون فعلة من الوئيد وهو المشي بثقل. والمعنى أن التأني في كل شئ مستحسن إلا في أمر الآخرة. انتهى كلامه. وذلك أن الأمور الدنيوية لا يعلم عواقبها في ابتداءها، وأنها محمودة العواقب حتى يتعجل فيها، أو مذمومة فيتأخر عنها، بخلاف الأمور الأخروية لقوله تعالى: ﴿**فاستبقوا الخيرات**﴾[(١)] و﴿**سارعوا إلى مغفرة من ربكم**﴾[(٢)]. قال الشيخ أبو حامد في قوله تعالى: ﴿**الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء**﴾[(٣)] ينبغي للمؤمن أنه إذا تحركت داعية البذل أن لا يتوقف، لأن الشيطان يعده الفقر ويخوفه ويصده عنه. كان أبو الحسن الفرشخي في الخلاء، فدعا تلميذا له فقال: انزع عني القميص وادفعه إلى فلان، فقال: هلا صبرت حتى تخرج؛ قال: خطر لي بذله ولم آمن على نفسي أن تتغير.

الحديث الخامس والسادس عن عبد الله : قوله: «والسمت الصالح» «فا»: السمت أخذ المنهج ولزوم الحجة «تو»: الاقتصاد على ضربين: أحدهما: ما كان متوسطا بين محمود ومذموم كالمتوسط بين الجور والعدل والبخل والجود، وهذا الضرب أريد بقوله سبحانه: ﴿**ومنهم مقتصد**﴾[(٤)]. والثاني محمود على الإطلاق، وذلك فيما له طرفان إفراط وتفريط

[٥٠٥٨ انظر صحيح أبي داود (٤٠٢٥) - صحيح الجامع (٣٠٠٩).

[٥٠٥٩] انظر ضعيف الجامع بنحوه (٣٣٥٤).

[٥٠٦٠] انظر سنن أبي داود ح (٤٧٧٦) في الأدب، ورواه البغوى في شرح السنة وقال المحقق: وأخرجه أحمد (٢٦٩٨) و (٢٦٩٩) والبخاري في «الأدب المفرد»(٤٦٨)، وله شاهد من حديث عبدالله بن سرجس المزني، وإسناده قوي، وحسنه الترمذي (٢٠١١). انظر شرح السنة ح (٣٥٩٩/١٣/ ١٧٧).

(١) البقرة:١٤٨.   (٢) آل عمران:
(٣) البقرة:٢٦٨.   (٤) فاطر: ٣٢.

٥٠٦١- * وعن جابرِ بن عبدِ الله، عن النبيِّ ﷺ، قال: «إذا حدَّثَ الرجلُ الحديث ثمَّ التفتَ؛ فهي أمانةٌ» رواه الترمذي، وأبو داود. [٥٠٦١]

٥٠٦٢- * وعن أبي هريرةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال لأبي الهيثم بن التَّيِّهان: «هلْ لكَ خادمٌ؟» فقال: لا. قال: «فإذا أتانا سَبيٌ فأتِنا» فأتيَ النبيُّ ﷺ برأسَينِ، فأتاهُ أبو الهيثمِ، فقال النبيُّ ﷺ: «اخترْ منهما». فقال: يا نبيَّ اللهِ! اخترْ لي. فقال النبيُّ ﷺ:

كالجود، فإنه بين الإسراف والبخل، والشجاعة فإنها بين التهور والجبن. وهذا الذي فى الحديث، هو الاقتصاد المحمود على الإطلاق.

قوله: «من أربع وعشرين جزءا» «قض»: كان الصواب أن يقول: «أربعة» على التذكير فلعله أنث على تأويل الخصلة أو القطعة؛ أو لإجراء الجزء مجرى الكل في التذكير والتأنيث. «خط»: الهدى والسمت حالة الرجل ومذهبه. والاقتصاد: سلوك القصد فى الأمور والدخول فيها برفق، وعلى سبيل تمكن الدوام عليها. يريد أن هذه الخصال من شمائل الأنبياء صلوات الله تعالى عليهم. وأنها جزء من أجزاء فضائلهم فاقتدوا بهم فيها وتابعوهم عليها. وليس معناه أن النبوة تتجزى، ولا أن من جمع هذه الخصال كان نبيا؛ فإن النبوة غير مكتسبة، وإنما هى كرامة يخص الله بها من يشاء من عباده، والله أعلم حيث يجعل رسالته.

ويحتمل أن يكون معناه أن هذه الخلال جز من خمس وعشرين جزءا مما جاءت به النبوة، ودعا إليها الأنبياء. وقيل: معناه أن من جمع هذه الخصال لقيه الناس بالتوقير والتعظيم، وألبسه الله لباس التقوي الذي ألبس أنبياءه عليهم السلام، فكأنها جزء من النبوة. «تو»: والطريق إلى معرفة حقيقة ذلك العدد ووجهه بالاختصاص من قبل الرأى والاستنباط مسدود؛ فإنه من علوم النبوة. وقد سبق القول فى هذا المعنى فى كتاب الرؤيا.

الحديث السابع عن جابر رضى الله عنه: قوله: «ثم التفت» «مظ»*: يعني إذا حدث أحد عندك حديثا ثم غاب صار حديثه أمانة عندك ولا يجوز إضاعتها. أقول: الظاهر أن «التفت» هنا عبارة عن التفات خاطره إلى ما تكلم فالتفت يمينا وشمالا احتياطا. «فثم» هنا للتراخي في الرتبة يدل على هذا ترتب الفاء وأن الثاني مسبب عن الأول.

الحديث الثامن عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «المستشار مؤتمن» معناه أن المستشار أمين فيما يسأل من الأمور، فلا ينبغى أن يخون المستشير بكتمان مصلحته قوله: «واستوص به»

[٥٠٦١] انظر صحيح الجامع (٤٨٦) - الصحيحة (١٠٩٠).

* فى «ك» «خط».

«إنَّ المستشارَ مُؤتمنٌ. خُذْ هذا فإني رأيتُه يُصلي، واستَوْصِ به معروفًا» رواه الترمذي.[٥٠٦٢]

٥٠٦٣- * وعن جابرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «المجالسُ بالأمانة إلا ثلاثةَ مجالسَ: سفكُ دمٍ حرامٍ، أو فرج حرام، أوِ اقتِطاع مال بغير حق» رواه أبو داود[٥٠٦٣]

وذُكرَ حديثُ أبي سعيدٍ: «إِنَّ أعظمَ الأمانةِ» في «باب المباشرةِ» في «الفصل الأول». [٥٠٦٣]

الفصل الثالث

٥٠٦٤- * عن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «لمَّا خلقَ اللهُ العقلَ قالَ له: قُمْ، فقامَ، ثمَّ قال له: أدبِرْ، فأدبرَ، ثمَّ قال له: أقبِلْ، فأقبلَ، ثمَّ قال له: اقعُدْ، فقعدَ،

أى اقبل وصيتي فى حقه وأحسن ملكيته بالمعروف، وفى حديث الظهار: «استوصى ابن عمك خيرا» أى اقبلى وصيتى فيه، وانتصاب «خيرا» على المصدرية أى استيصاء خير.

الحديث التاسع عن جابر رضى الله عنه: قوله : «إلا ثلاثة مجالس» «مظ»: كما إذا سمع من قال فى مجلس: أريد قتل فلان أو الزنا بفلانة، أو أخذ مال فلان فإنه لا يجوز ستر ذلك حتى يكونوا على حذر منه. قوله: «فى الفصل الأول» تنبيه على أن هذا الحديث جاء مكررا فى المصابيح، وعلى أن إيراده فى الصحاح أولى منه فى الحسان.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: قال له: «قم»... إلخ كناية عن أن العقل هو محل التكليف، وإليه تنتهي الأوامر والنواهي، وبه يتم غرض خلق المكلفين من العبادة التي ما خلقت السموات والأرض إلا لأجلها؛ ولذلك قال: «ما خلقت خلقا هو خير منك...» إلخ. قال بعض العارفين: العقل خواض تيار الجود فى لجج بحار الوجود لأجل جواهر السجود. ووجه ذكر هذا الحديث فى باب الحذر والتأني فى الأمور لأنهما من نتائج العقل؛ ولأجل ذلك سمى العقل عقلا.

[٥٠٦٢] «شعب الإيمان» (٤٦٠٤)

[٥٠٦٣] انظر ضعيف الجامع (٥٩٢٦) - الضعيفة (١٩٠٩).

ثمَّ قال: ما خلقتُ خلقًا هوَ خيرٌ منكَ ولا أفضلُ منكَ ولا أحسنُ منكَ، بك آخذ، وبك أعطي، وبك أُعرف، وبك أعاتب، وبك الثَّواب، وعليكَ العقابُ» وقد تكلم فيه بعض العلماء. [٥٠٦٤]

٥٠٦٥- * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ الرجلَ ليكونُ منْ أهل الصلاة والصوم والزكاة والحج والعمرة» حتى ذكر سهامَ الخير كلها: «وما يُجزى يومَ القيامة إلا بقدر عقله». [٥٠٦٥]

«غب»: أصل العقل الإمساك والاستمساك كعقل البعير بالعقال، وعقل الدواء البطن، وعقل المرأة شعرها، ومنه قيل للحصن معقل، والعقل يقال للقوة المتهيئة لقبول العلم. ويقال للعلم الذى يستفيده الإنسان بتلك القوة: عقل؛ ولهذا قيل:

العقل عقلان * مطبوع ومسموع * ولا ينفع مسموع * إذا لم يكن مطبوع * كما لا ينفع الشمس * وضوء العين ممنوع*.

وإلى الأول أشار بقوله ﷺ: «ما خلق الله خلقا أكرم عليه من العقل». وإلى الثاني أشار بقوله: «ما كسب أحد شيئا أفضل من عقل يهديه إلى هدى أو يرده عن ردى» وهذا العقل هو المعني بقوله تعالى: ﴿وما يعقلها إلا العالمون﴾(١).

قوله: «وقد تكلم فيه العلماء» **قال الشيخ تقى الدين بن تيمية***: الحديث الذى ذكروه كذب موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، كما ذكر ذلك أبو جعفر العقيلى وأبو حاتم البستي وأبو الحسن الدارقطني وابن الجوزي وغيرهم.

الحديث الثاني عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «إلا بقدر عقله» إشارة إلى أن العقل المسموع لا ينفع كل النفع إلا بالعقل المطبوع؛ لأنه هو المميز الذي يضع كل شئ فى موضعه، وبه تتفاوت صلاة عن صلاة وصدقة عن صدقة وصوم عن صوم؛ لأنه ربما يركع ركعة فى مقام تفضل ألف ركعة فى غيره، وكذلك الصدقة وغير ذلك من أعمال البر، وربما يعمل ويظن به خيرا، فيرجع وبالاً عليه.

[٥٠٦٤] حديث موضوع. [٥٠٦٥]« شعب الإيمان» (٤٦٣٦).

(١)العنكبوت:٤٣.

* هذا من المواضع النادرة التى نقل فيه الطيبى عن شيخ الإسلام بن تيمية -رحمه الله- حتى تعجبت لذلك عجبًا شديدًا، فقد وقع ذلك في نفسي، لولا ما وجدت له من هذا النقل، وإن كان نادراً.

٥٠٦٦- * وعن أبي ذر، قال: قال لي رسول الله ﷺ: «يا أبا ذر؛ لا عقلَ كالتدبيرِ، ولا ورع كالكفِّ، ولا حسَب كحسن الخلق». [٥٠٦٦]

٥٠٦٧- * وعن ابن عمر، قال: قال رسول الله ﷺ: «الاقتصاد في النَّفقة نصفُ المعيشة، والتودُّد إلى الناس نصفُ العقل، وحسنُ السؤال نصفُ العلم» روى البيهقيُّ الأحاديث الأربعةَ في «شعب الإيمان». [٥٠٦٧]

الحديث الثالث عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: «لا عقل كالتدبير» أراد بالتدبير العقل المطبوع. كما سبق أن العقل المسموع لا يعتد به ولا يحتسب لصاحبه إلا بالعقل المطبوع. قوله: «ولا ورع» «نه»: الورع في الأصل الكف عن المحارم والتحرج منه، يقال: ورع الرجل يرع - بالكسر فيهما- ورعا ورعة فهو ورع، وتورع من كذا. ثم استعير للكف عن المباح والحلال.

فإن قلت: فعلى هذا: الورع هو الكف، فكيف قيل: «ولا ورع كالكف»؟.

قلت: الكف إذا أطلق، فُهِمَ منه الكف عن الأذى أو كف اللسان، كما قال ﷺ: «كف عليك هذا» وأخذ بلسانه كأنه قيل: ولا ورع كالصمت أو كالكف عن أذى المسلمين. «ولا حسب كحسن الخلق». أي لا مكارم مكتسبة كحسن الخلق مع الخلق، فالأول عام والثاني خاص.

الحديث الرابع عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «نصف المعيشة» وذلك أن كلا طرفي التبذير والتقتير ينغص كل العيش والتوسط فيه هو العيش، والعيش نوعان: عيش الدنيا، وعيش الآخرة، كما أن العقل صنفان: مطبوع ومسموع، والمسموع نوعان: معاملة مع الله ومعاملة مع الخَلق. وقوله: «وحسن السؤال نصف العلم» فإن السائل الفطن يسأل عما يهمه وما هو بشأنه أعنى، وهذا يحتاج إلى فضل تمييز بين مسئول ومسئول. فإذا ظفر بمبتغاه وفار به كمل علمه، وعلى هذا يمكن أن يحمل قوله: «لا أدري نصف العلم». والله أعلم.

[٥٠٦٦] شعب الإيمان برقم ٨٠٣١.

[٥٠٦٧] وانظر ضعيف الجامع (٢٢٨٦).

(١٩) باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الفصل الأول

٥٠٦٨- * عن عائشة [رضى الله عنها] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى رفيقٌ يُحبُّ الرِّفقَ، ويعطي على الرفق ما لا يعطي على العُنف، ومالا يعطى على ماسواه». رواه مسلم. وفى رواية له: قال لعائشة: «عليك بالرفق، وإيَّاك والعُنْفَ والفحشَ، إنَّ الرِّفقَ لا يكونُ فى شيءٍ إلا زانه، ولا يُنزع من شيءٍ إلا شانه».

باب الرفق والحياء وحسن الخلق

الفصل الأول

الحديث الأول عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «إن الله رفيق» «قض»: الرفق ضد العنف وهو اللطف وأخذ الأمر بأحسن الوجوه وأيسرها. ومعنى «إن الله تعالى رفيق» أنه لطيف بعباده يريد بهم اليسر ولا يريد بهم العسر، والظاهر أنه لا يجوز إطلاقه على الله تعالى اسما؛ لأنه لم يتواتر ولم يستعمل هاهنا أيضا على قصد الاسمية. وإنما أخبر به عنه تمهيدا للحكم الذي بعده، وكأنه قال: إن الله يرفق بعباده فى أمورهم فيعطيهم بالرفق ما لا يعطيهم على ما سواه. وإنما ذكر قوله: «وما لا يعطي على ما سواه» بعد قوله: «ما لايعطى على العنف» ليدل على أن الرفق أنجح الأسباب كلها وأنفعها بأسرها، انتهى كلامه. وفى معناه قول الشاعر:

يا طالب الرزق الهني بقـــوة	هيهات أنت بباطـــل مشغوف
أكل العقاب بقوة جيف الفلا	ورعى الذباب الشهد وهو ضعيف

المعنى: لا ينبغى للمرء أن يحرص في رزقه، بل يكله إلى الله تعالى الذي تولى القسمة فى خلقه؛ فالنسر يأكل الجيفة بعنفه، والنحل يرعى الشهد برفقه.

«تو»: فإن قيل: فما معنى قوله: «أنت الرفيق والله الطبيب»؟ قلت: الطبيب الحاذق بالشىء الموصوف، ولم يرد بهذا القول نفي هذا الاسم عمن يتعاطى ذلك، وإنما حول المعنى من الطبيعة إلى الشريعة، وبين لهم أن الذي يرجون من الطبيب فالله فاعله، والمنان به على عباده، وهذا كقوله: «فإن الله هو الدهر» وليس الطبيب بموجود فى أسماء الله سبحانه ولا رفيق فلا يجوز أن يقال فى الدعاء: ياطبيب! ولا يارفيق!.

«مح» : **قال المازري**: لا يوصف الله سبحانه إلا بما سمى به نفسه أو سماه به رسوله

٥٠٦٩- * وعن جرير، عن النبي ﷺ قال: «من يُحْرَمِ الرفقَ يُحرَم الخيرَ» رواه مسلم.

٥٠٧٠- * وعن ابن عمر، أنَّ رسول الله ﷺ مرَّ على رجل من الأنصار وهو يَعِظ أخاه في الحياء، فقال رسول الله ﷺ: «دَعْهُ فإنَّ الحياء من الإيمان» متفق عليه.

٥٠٧١- * وعن عمران بن حصين، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياء لا يأتي إلاَّ بخيرٍ». وفي روايةٍ: «الحياءُ خيرٌ كلُّه» متفق عليه.

ﷺ، وأجمعت الأمة عليه. وأما ما لم يرد إذن في إطلاقه ولا ورد منع فيه، ففيه خلاف: منه من قال يبقى على ما كان قبل ورود الشرع فلا يوصف به ولا يمنع منه، ومنهم من منعه.

وبين الأصوليين خلاف في تسمية الله تعالى بما يثبت بخبر الآحاد، فقال بعضهم: يجوز؛ لأن خبر الواحد عنه يقتضي العمل به. وبعضهم لا يجوز ذلك؛ لأنه من باب العلميات، فلا يثبت بالأقيسة، وإن كانت يعمل بها في المسائل الفقهية العملية. قال الشيخ محيي الدين: والصحيح جواز تسمية الله تعالى رفيقا وغيره مما يثبت بخبر الواحد. وفيه فضل الرفق والحث على التخلق به وذم العنف، وأن الرفق سبب كل خير.

أقول: قوله: «يكون» يحتمل أن تكون تامة، و«في شيء» متعلق به، وأن تكون ناقصة، و«في شيء» خبره، والاستثناء مفرغ من أعم عام وصف الشيء أي لا يكون الرفق مستقر في شيء يتصف بوصف من الأوصاف إلا بصفة الزينة. والشيء عام في الأعراض والذوات.

الحديث الثاني والثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «يعظ أخاه» أي ينذره. «غب»: الوعظ زجر مقترن بتخويف، وقال الخليل: هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب. انتهى كلامه. والوعظ هاهنا بمعنى العتاب؛ لما جاء في شرح السنة: «مرّ رسول الله ﷺ برجل وهو يعاتب أخاه في الحياء، يقول: إنه ليستحيي، يعني كأنه يقول: قد أضربك، فقال ﷺ: «دعه! فإن الحياء من الإيمان». «مح»: يعظه في الحياء، أي ينهاه عنه ويقبح له فعله ويزجره عن كثرته فنهاه النبي ﷺ عن ذلك. أي دعه على فعل الحياء وكف عن نهيه. ووقعت لفظة «دعه» في البخاري، ولم تقع في مسلم.

الحديث الرابع عن عمران: قوله: «لا يأتي إلا بخير» أي لا يعتري الإنسان إلا بخير. والحياء تغير وانكسار يعتري الإنسان من تخوف ما يعاب به ويذم. «مح» قد يشكل على بعض

٥٠٧٢ - * وعن ابن مسعود قال: قال رسَولُ الله ﷺ: «إن مما أدركَ النّاسُ مِنْ كلام النّبوةِ الأولى: إِذا لم تَستَحي فاصنعْ ما شئْتَ» رواه البخاري.

الناس هذا الحديث من حيث أن صاحب الحياء قد يستحيي أن يواجه بالحق من يجله ويعظمه، فيترك أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر، وقد يحمله الحياء على الإخلال ببعض الحقوق وغير ذلك مما هو معروف في العادة.

والجواب ما أجاب به جماعة من العلماء، منهم الشيخ أبو عمرو بن الصلاح: أن هذا المانع الذي ذكرناه ليس بحياء حقيقةً، بل هو عجز، وجوزوا تسميته حياء بحسب اللغة، وإنما حقيقة الحياء عند اصطلاح أهل الشرع: خلق يبعث على ترك القبيح، ويمنع من التقصير في حق ذي الحق. يدل عليه ما روى الإمام أبو القاسم القشيرى عن السيد الجليل أبى القاسم الجنيد رحمهما الله تعالى قال: الحياء رؤية الآلاء ورؤية التقصير، فيتولد بينهما حالة تسمى الحياء.

قال القاضي عياض وغيره: إنما جعل الحياء من الإيمان؛ لأنه قد يكون تخلقا واكتسابا كسائر أعمال البر، وقد يكون غريزة، ولكن استعماله على قانون الشرع يحتاج إلى اكتساب ونية وعلم، وهذا هو المعنى بقوله ﷺ: «الحياء من الإيمان».

أقول: ويمكن أن يحمل التعريف فيه على العهد، ويكون إشارة إلى ما ورد في قوله ﷺ: «الاستحياء من الله أن تحفظ الرأس وما وعى والبطن وما حوى» الحديث.

الحديث الخامس عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «إن مما أدرك الناس» «من» في «مما» ابتدائية، وهو خبر «إن» واسمه قوله: «إذا لم تستحي» على تأويل أن هذا القول حاصل مما أدرك الناس، والراجع إلى «ما» محذوف، و«الناس» فاعل «أدرك» وعليه كلام الشيخ التوربشتي، حيث قال المعنى أن مما بقي بين الناس فأدركوه من كلام الأنبياء. ويجوز أن يكون فاعل «أدرك» ضميرا راجعا إلى «ما» و«الناس» مفعوله، وعليه كلام القاضي : أي مما بلغ الناس من كلام الأنبياء المتقدمين أن الحياء هو المانع عن اقتراف القبائح، والاشتغال بمنهيات الشرع ومستهجنات العقل. وقوله: «إذا لم تستحي» الجملة الشرطية اسم «إن» على الحكاية.

قوله: «من كلام النبوة الأولى» «خط»: معناه: اتفاق كلام الأنبياء عليهم السلام على استحسان الحياء، فما من نبي إلا وقد ندب إليه وبعث عليه، ولم ينسخ فيما نسخ من شرائعهم، ولم يبدل منها؛ وذلك أنه أمر قد علم صوابه، وبان فضله، واتفقت العقول على حسنه. وما كان هذا صفته لم يجر عليه النسخ والتبديل، وقيد النبوة بـ«الأولى» للإرشاد إلى اتفاق كلمة الأنبياء عليهم السلام على استحسانه من أولهم إلى آخرهم.

قوله: «فاصنع ما شئت» «حس»: فيه أقاويل : أحدها : أن معناه الخبر، وإن كان لفظه

٥٠٧٣- * وعن النَّواس بن سمعان، قال: سألتُ رسول الله ﷺ عن البرِّ والإثم. فقال: «البِرُّ حُسْنُ الخلقِ، والإثمُ ما حاكَ في صدرِك وكرهتَ أن يطلع عليهِ الناسُ» رواه مسلم.

لفظ الأمر، كأنه يقوله: إذا لم يمنعك الحياء فعلت ما شئت مما تدعوك إليه نفسك من القبيح، وإلى هذا المعنى ذهب أبو عبيد. وثانيها: أن معناه الوعيد، كقوله تعالى: ﴿اعملوا ما شئتم﴾[1] أى اصنع ما شئت فإن الله مجازيك، وإليه ذهب أبو العباس. وثالثها: معناه: أن تنظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان ذلك مما لا يستحيى منه فافعله، وإن كان مما تستحيى منه فلا تفعله. وإليه ذهب أبو إسحاق المروزى.

وروى هذا الحديث جرير عن منصور بإسناده، ثم قال جرير: معناه: أن يريد الرجل أن يفعل الخير فيدعه حياء من الناس، كأنه يخاف مذهب الرياء يقول: فلا يمنعك الحياء من المضىّ لما أردت. قال أبو عبيد: هو شبيه بالحديث الآخر: «إذا جاءك الشيطان وأنت تصلى فقال: إنك ترائى: فزدها طولا».

أقول: قد مرّ فى الحديث السابق عن الشيخ محيي الدين النواوى: أن قانون الشرع فى معنى الحياء يحتاج إلى اكتساب ونية، فينبغي أن يحمل الحديث على هذا المعنى. فالقانون فيه أنك إذا أردت أمرا أو اكتسبت فعلا، وأنت بين الإقدام والإحجام فيه، فانظر إلى ما تريد أن تفعله، فإن كان ذلك مما لا يستحيى فيه من الله تعالى ولا من رسله وأنبيائه قديما وحديثا فافعله، ولا تبال من الخلق، وإن استحييت من الخلق. وإن كان مما يستحيى فيه من الله تعالى ومنهم فدعه، وإن لم يستحيي من الخلق فيه؛ ومن ثم صرح ﷺ بقوله: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى» فدخل الحديث إذًا فى جملة جوامع الكلم التي استأثر الله بها رسوله ﷺ.

الحديث السادس إلى الثامن عن النواس: قوله: «البر حسن الخلق». قيل: فسر البر فى الحديث بمعان شتى: ففسره فى موضع بما اطمأنت إليه النفس واطمأن إليه القلب، وفسره فى موضع بالإيمان، وفى موضع بما يقربك إلى الله تعالى، وهنا بحسن الخلق، وفسر حسن الخلق باحتمال الأذى وقلة الغضب وبسط الوجه وطيب الكلام، وكلها متقاربة فى المعنى.

«تو»: حاك أثر من الحيك وهو أخذ القول فى القلب، يقال: ما تحيك فيه الملامة إذا لمْ تؤثر فيه، يريد أن الإثم ما كان فى القلب منه شيء فلا ينشرح له الصدر، والأقرب أن ذلك أمر يتهيأ لمن شرح الله صدره للإسلام دون عموم المكلفين، ومثله قوله ﷺ لوابصة بن معبد: «وإن أفتاك المفتون».

---

(١) فصلت: ٤٠.

٥٠٧٤- * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ أحبِّكم إليَّ أحسنكم أخلاقـًا»رواه البخاري.

٥٠٧٥-* وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ مِنْ خيارِكم أحسنكم أخلاقـًا» متفق عليه.

الفصل الثانى

٥٠٧٦ ـ * عن عائشة، [رضى الله عنها] قالت: قال النبى ﷺ: «منْ أُعطى حَظَّهُ من الرفق أُعطى حظَّه من خيرِ الدنيا والآخرة، ومنْ حُرِم حظَّه من الرفق حُرِم حظَّه منْ خيرِ الدنيا والآخرة» رواه فى «شرح السّنة»[٥٠٧٦]

٥٠٧٧ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «الحياءُ من الإيمان، والإيمان فى الجنة. والبَذاء مِنَ الجفاء، والجفاء فى النار» رواه أحمد، والترمذى. [٥٠٧٧]

أقول: مراعاة المطابقة تقتضى أن يفسر حسن الخلق بما يقابل ما حاك فى الصدر، وهو قوله: «ما اطمأنت إليه النفس والقلب» كما فى حديث وابصة، فوضع موضعه حسن الخلق ليوذن أن حسن الخلق هو ما اطمأنت إليه النفوس الشريفة الطاهرة من أوضار الذنوب ومساوىء الأخلاق المتحلية بمكارم الأخلاق، من الصدق فى المقال واللطف فى الأحوال والأفعال، وحسن معاملته مع الرحمن، ومعاشرته مع الإخوان وصلة الرحم والسخاء والشجاعة.

الفصل الثانى

الحديث الأول والثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «والإيمان فى الجنة» جعل أهل الإيمان عين الإيمان دلالة على أنهم تمحضوا منه وتمكنوا من بعض شعبه الذى هو أعلى فرع منه، كما جعل الإيمان مقرا ومبوأ لأهله فى قوله تعالى: ﴿والذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم﴾[1] لتمكنهم من الإيمان واستقامتهم عليه.

[٥٠٧٦] شرح السنة ٣٤٩١ وهو صحيح الإسناد.

[٥٠٧٧] انظر صحيح الجامع ٣١٩٩، الصحيحة ٤٩٥.

(١) الحشر: ٩.

٥٠٧٨ ـ * وعن أبي رجل من مزينةَ، قال: قالوا: يا رسول الله! ما خيرُ ما أُعطى الإنسانُ؟ قال: «الخلق الحَسَنُ» رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان». [٥٠٧٨]

٥٠٧٩ ـ * وفى «شرح السنة» عن أسامة بن شريك[٥٠٨٩]

٥٠٨٠ ـ وعن حارثةَ بن وهب، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ الجوَّاظ ولا الجَعْظَرىُّ» قال: والجوَّاظُ: الغليظُ الفظُّ رواه أبو داود فى «سننه». والبيهقى فى «شعب الإيمان» وصاحب «جامع الأصول» فيه عن حارثة وكذا فى «شرح السنة» عنه، ولفظه: قال: «لا يدخل الجنَّة الجوَّاظُ الجعظرىُّ» يقال: الجعظرىُّ: الفظ الغليظ. [٥٠٨٠]

وفى نسخ «المصابيح» عن عكرمة بن وهب ولفظه قال: والجوَّاظ: الذى جَمَعَ ومَنَعَ. والجعظرىُّ: الغليظ الفَظُّ.

الحديث الثالث إلى الخامس عن حارثة رضى الله عنه: قوله: «الجواظ الغليظ الفظ» كذا فى سنن أبى داود والبيهقى. وفى «نه» و«تو» و«قض»: الجواظ المختال من جاظ جوظا إذا اختال. وقيل: الجموع المنوع من جاظ إذا جمع ومنع. وقيل: هو السمين. وقيل: الصياح المهذار. والجعظرى: الفظ الغليظ. وقيل القصير المتنفخ بما ليس عنده. وقيل: العظيم الجسيم الأكول، والمانع لمن شأنه هذا أن يدخل الجنة حيثما يدخلها الآخرون عجبهم وسوء خلقهم وشرههم على الطعام، وإفراطهم فى الكلام.

قوله: «وفى نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب ولفظه: «قال: والجواظ: الذى جمع ومنع» أشار المؤلف بهذا أن راوى الحديث فى الأصول المذكورة هو حارثة بن وهب، وهو صحابى، وفى نسخ المصابيح عن عكرمة بن وهب. وقد قال الشيخ التوربشتى: لم يذكره أحد فى الصحابة، فالحديث مرسل حينئذ، وكذا قوله: «الذى جمع ومنع» ليس فى الأصول، وقد أثبت فى حواشى المصابيح فألحق بالمتن. وكذا قوله: «الغليظ الفظ» فى المصابيح تفسير للجعظرى، وفى الأصول تفسير للجواظ. وحارثة بن وهب الخزاعى أخو عبدالله بن عمر بن الخطاب لأمه، وعداده فى الكوفيين، روى عنه هذا الحديث معبد بن خالد الجهنى.

[٥٠٧٨] إسناده صحيح.

[٥٠٧٩] إسناده صحيح.

[٥٠٨٠] إسناده صحيح.

٥٠٨١ - * وعن أبى الدرداءِ، عن النبى ﷺ قال: «إن أثقلَ شىء يوضَعُ فى ميزان المؤمن يومَ القيامة خُلُقٌ حسنٌ، وإنَّ اللهَ يُبغضُ الفاحشَ البذىء» رواه الترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح. وروى أبو داود الفصلَ الأول. [٥٠٨١]

٥٠٨٢ - * وعن عائشة [رضى الله عنها] قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنّ المؤمن ليدرك بحُسْن خُلقه درجة قائمِ الليل وصائم النهار» رواه أبو داود. [٥٠٨٢]

٥٠٨٣ - * وعن أبى ذرّ، قال: قال لى رسول الله ﷺ: «اتق اللهَ حيثُما كنت، وأتبع السَّيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه أحمد، والترمذى والدارمى. [٥٠٨٣]

الحديث السادس عن أبي الدرداء رضى الله عنه: قوله: «البذىء» فى الغريبين: رجل بذىء أى فاحش سىء الخلق وقد بذأ يبذأ بذاءة. انتهى كلامه. أوقع قوله: «وإن الله يبغض الفاحش البذىء» مقابلا لقوله: «إن أثقل شىء يوضع فى الميزان» دلالة على أن أخف ما يوضع فى الميزان هو سوء الخلق، وأن حسن الخلق أحب الأشياء عند الله تعالى، والخلق السىء أبغضها، وأن الفحش والبذاءة أسوأ شىء فى مساوىء الأخلاق.

الحديث السابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «بحسن خلقه» قال الحسن: حسن الخلق بسط الوجه، وبذل الندى وكف الأذى. وقال الواسطى: هو أن لا يخاصم ولا يخاصم من شدة معرفته بالله تعالى. وقال أيضا: هو إرضاء الخلق فى السراء والضراء. وقال سهل: أدنى حسن الخلق، الاحتمال وترك المكافأة، والرحمة للظالم والاستغفار له والشفقة عليه.

الحديث الثامن عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «وأتبع السيئة الحسنة تمحها» قيل: يعلم منه أن العبد لا يستغنى فى حال من الأحوال عن محو آثار السيئات عن قلبه بمباشرة حسنات تضاد آثار تلك السيئات. فسماع الملاهى يكفر بسماع القرآن وبمجالس الذكر، وشرب الخمر يكفر بالتصدق بكل شراب حلال. وعلى هذا فقس؛ لأن المرض يعالج بضده والمتضادات هى المتناسبات! فلذلك ينبغى أن يمحو كل سيئة بحسنة من جنسها لكى تضادها، فالبياض يزال

[٥٠٨١] وأخرجه البيهقى فى السنن الكبرى ١٠ / ١٩٣.

[٥٠٨٢] إسناده صحيح.

[٥٠٨٣] حديث حسن.

٥٠٨٤ ـ * وعن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «ألا أخبركم بمن يَحْرُمُ عَلَى النار وبمن تحرمُ النارُ عليه! على كلِّ هينٍ لينٍ قريبٍ سهل». رواه أحمد، والترمذى وقال: هذا حديث حسن غريب.[٥٠٨٤]

٥٠٨٥ ـ * وعن أبى هريرةَ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «المؤمنُ غِرٌّ كريمٌ، والفاجرُ خَبٌّ لئيمٌ». رواه أحمد، والترمذى، وأبو داود.[٥٠٨٥]

بالسواد لا بغيره، وحب الدنيا أثر السرور بها فى القلب، فلا جرم كفارته كل أذى يصيب المسلم من الهم والغم.

الحديث التاسع عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «على كل هين لين» هذا جواب عن السؤالين، والجواب الظاهر عنهما: كل هين لين، ثم فى الدرجة الثانية أن يقال عن الأول: يحرم على النار كل هين لين، وعلى الثانى: تحرم النار على كل هين لين. فأتى بجواب موجز يدل عليهما بالتفصيل، ولو أتى به كما يقتضيه الظاهر وهو قوله: «كل هين لين» لم يدل على التفصيل.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «غِرّ»«نه»: أى ليس بذى مكر فهو ينخدع لانقياده ولينه وهو ضد الخبّ. يقال: فتى غر وفتاة غر وقد غررت تغر غرارة، يريد أن المؤمن المحمود من طبعه الغرارة، وقلة الفطنة للشر، وترك البحث عنه. وليس ذلك منه جهلا ولكنه كرم وحسن خلق. انتهى كلامه. قال الفرزدق:

واستمطروا من قريش كل منخدع   إن الكريم إذا خادعته انخدعا

وقيل: هم الذين لم يجربوا الأمور فهم قليلو الشر منقادون! فإن من آثر الخمول وإصلاح نفسه والتزود لمعاده ونبذ أمور الدنيا، فليس غرًا فيما قصده ولا مذموما بنوع من الذم، والأول هو الوجه لما سبق فى قوله ﷺ: «المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين» لأن المؤمن قد ينخدع تارة فى مقام اللين والعطف مع الأحباب وقد لا ينخدع مع الأغيار.

وروى: أن ابن عمر رضى الله عنهما كلما صلى عبد له أعتقه. فقيل له فقال: من خادعنا بالله ننخدع. ولفظ الحديث أيضا يساعده: لأنه ﷺ لما وصفه بالغرر أى الوصف غير كامل، فكمله بقوله: «كريم»! لئلا يتوهم فيه ذلك نقصا، و«الخب» ـ بالفتح ـ الخداع، وهو الجربز الذى يسعى بين الناس بالفساد. يقال: رجل خب وامرأة خبة، وقد تكسر خاؤه. وأما المصدر فبالكسر لا غير.

[٥٠٨٤] انظر صحيح الجامع ٢٦٠٩ ، الصحيحة ٩٣٨.

[٥٠٨٥] انظر صحيح الجامع ٦٦٥٣، الصحيحة ٩٣٥.

٥٠٨٦ ـ *وعن مكحول، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «المؤمنونَ هيّنونَ ليّنونَ كالجملِ الآنفِ إنْ قِيدَ انقادَ، وإنْ أُنيخَ على صخرة استناخَ». رواه الترمذى مرسلاً[٥٠٨٦]

٥٠٨٧ ـ *وعن ابنِ عمرَ، عن النبى ﷺ قال: «المسلمُ الذى يُخالطُ النَّاسَ ويصبِرُ على أذاهُم أفضلُ منَ الذى لا يُخالطُهم ولا يصبرُ على أذاهُم». رواه الترمذىُّ، وابنُ ماجه.[٥٠٨٧]

الحديث الحادى عشر عن مكحول رضى الله عنه: قوله: «هينون لينون». «نه»: هما تخفيف الهين واللين. قال ابن الأعرابى: العرب تمدح بـ«الهين واللين» مخففين وتذم بهما مثقلين. وهين فيعل من الهون، وهو السكينة والوقار والسهولة، فعينه واو، وشىء هين أى سهل.

وقوله: «كالجمل الآنف» أى المأنوف، وهو الذى عقر الخشاش أنفه فهو لا يمتنع على قائده للوجع الذى به. وقيل: الآنف الذلول، يقال: أنف البعير يأنف أنفا فهو آنف إذا اشتكى أنفه من الخشاش. والخشاش بالكسر خشب يدخل فى أنف البعير. وكان الأصل أن يقال: مأنوف! لأنه مفعول به، كما يقال: مصدور ومبطون للذى يشتكى صدره وبطنه، وإنما جاء هذا شاذا. ويروى: «كالجمل الأنف» بالمد وهو بمعناه.

«فا»: والمحذوفة من يائى «هين ولين» الأولى، وقيل: الثانية. والكاف مرفوعة المحل على أنها خبر ثالث، والمعنى أن كل واحد منهم كالجمل الآنف ويجوز أن ينتصب محلها على أنها صفة لمصدر محذوف، تقديره: لينون لينا مثل لين الجمل الآنف.

«حس»: معنى الحديث أن المؤمن شديد الانقياد للشارع فى أوامره ونواهيه. وفى قوله: «وإن أنيخ على صخرة استناخ» إيذان بكثرة تحمل المشاق؛ لأن الإناخة على الصخرة شاقة. أقول: أشار إلى أنه من باب التتميم كقول امرىء القيس:

حملت ردينيا كأن سنانه   سنا لهب لم يتصل بدخان

فإن النار الشاعلة إذا لم يتصل بها دخان، كانت أشد تقويا، ولعمرى هذا غاية فى التواضع وخفض الجناح المعني بقوله تعالى: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾(١) والذلة فى قوله: ﴿أذلة على المؤمنين﴾(٢)

الحديث الثانى عشر عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «أفضل من الذى لا يخالطهم»

[٥٠٨٦]صحيح الجامع ٦٦٦٩، وانظر الصحيحة ٩٣٦.

[٥٠٨٧] صحيح الإسناد.

(١) الشعراء: ٢١٥ .   (٢) المائدة: ٥٤.

٥٠٨٨ ـ * وعن سهلِ بن معاذ، عن أبيهِ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن كظمَ غيظًا

قال الشيخ أبو حامد فى الإحياء: اختلفوا فى المخالطة والعزلة وتفضيل إحداهما على الأخرى: فقال أكثر التابعين باستحباب المخالطة واستكثار المعارف والأحوال: للتألف والتحبب إلى المؤمنين، والاستعانة بهم فى الدين تعاونا على البر والتقوى. روى عن على رضى الله عنه قال: عليكم بالإخوان فإنهم عدة فى الدنيا والآخرة، ألا تسمع إلى قول أهل النار: ﴿**فما لنا من شافعين، ولا صديق حميم**﴾[1] وهذا الحديث أدل شىء على استحباب المخالطة.

وما أكثر العباد والزهاد إلى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة: قال عمر رضى الله عنه: خذوا بحظكم من العزلة. وقال فضيل: كفى بالله محبا وبالقرآن مؤنسا وبالموت واعظا، اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا. وأوصى داود الطائى أبا الربيع فقال: صم عن الدنيا واجعل فطرك الآخرة، وفر من الناس فرارك من الأسد. وقال وهب بن الورد: بلغنا أن الحكمة عشرة أجزاء: تسعة منها فى الصمت، والعاشرة فى عزلة الناس. ودخل على حاتم الأصم بعض الأمراء فقال: ألك حاجة؟ قال: نعم! قال: ما هى؟ قال: أن لا ترانى وقال ابن عباس: أفضل المجالس مجلس فى قعر بيتك لا ترى ولا تُرى، وأنشد

شيخ الإسلام أبو حفص السهروردى قدس الله سره:

إن مدحت الخمول نبهت أقواما ... نياما يضايقونى إليـــه
هو قد دلنى على لذة العـــيش ... فما لى أدل غيرى عليه

وقال أيضا:

خمولك يرفع عنـــك الأذى ... فكن قانعا أبدا بالخمـــول
فكم من علىٍّ فى ذرى شاهق ... من العز يرحم عند النزول

وقال أيضا:

من أخمل النفس أحياها وأنعشها ... ولم يتب قط من أمر على خطـــر
إن الرياح إذا هاجت عواصفـــها ... فليس يرمى سوى العالى من الشجر

وقيل: آداب العزلة أربعة: أن ينوى بها كف شره أولا، ثم السلامة من الشر ثانيا، ثم الخلاص من الإخلال بالحقوق ثالثا، ثم التجرد بكنه الهمة للعبادة رابعًا.

الحديث الثالث عشر عن سهل رضى الله عنه: قوله: «كظم» «نه»: كظم الغيظ تجرعه واحتمال سببه والصبر عليه. انتهى كلامه. وإنما حمد الكظم لأنه قهر للنفس الأمارة بالسوء!

---

(١) الشعراء: ١٠٠،١٠١.

وهوَ يقدِرُ على أن يُنفِذَه دعاهُ اللهُ على رءوسِ الخلائقِ يومَ القيامةِ حتى يُخيِّرَه فى أيِّ الحُورِ شاءَ». رواه الترمذيُّ، وأبو داود، وقال الترمذى: هذا حديثٌ غريب. [٥٠٨٨]

٥٠٨٩ ـ * وفى رواية لأبى داود، عن سُوَيدِ بن وهبٍ، عن رجلٍ من أبناءِ أصحاب النبيِّ ﷺ، عن أبيه، قال: «ملأ اللهُ قلبَه أمنًا وإيمانًا». [٥٠٨٩]

وذُكرَ حديثُ سوَيدٍ: «مَن تركَ لُبسَ ثوبِ جمالٍ» فى «كتاب اللباس».

الفصل الثالث

٥٠٩٠ ـ * عن زيدِ بن طلحةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ لكلِّ دينٍ خُلقًا وخُلقُ الإسلامِ الحياءُ». رواه مالك مرسلاً. [٥٠٩٠]

٥٠٩١ ـ * و٥٠٩٢ ـ * ورواه ابنُ ماجه، والبيهقى فى «شعب الإيمان» عن أنسٍ، وابنِ عبّاسٍ. [٥٠٩١]، [٥٠٩٢]

٥٠٩٣ ـ * وعن ابنِ عمرَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الحياءَ والإيمانَ قرناء جميعًا، فإذا رُفعَ أحدُهما رُفعَ الآخرُ». [٥٠٩٣]

ولذلك مدحهم الله تعالى بقوله: ﴿والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس﴾(١) ومن نهى النفس عن هواه فإن الجنة مثواه، والحور العين جزاءه، والمعني بقوله: «على رءوس الخلائق» أنه يشتهر بين الناس ويباهي به، ويقال فى حقه: هذا الذى صدرت منه هذه الخصلة العظيمة.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن زيد رضى الله عنه: قوله: «إن لكل دين خلقًا»، «نه»: الخلق: الدين والطبع والسجية. انتهى كلامه. والمعنى أن الغالب على أهل كل دين سجية سوى الحياء، والغالب على أهل ديننا الحياء! لأنه متمم لمكارم الأخلاق، وإنما بعث ﷺ لإتمامها. وقال يوما لأصحابه: «استحيوا من الله حق الحياء» الحديث.

الحديث الثانى عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «قرناء» فيه دليل لمن يقول: إن أقل

[٥٠٨٨] انظر صحيح الترمذى ٢٠٢٦، وصحيح الجامع ٦٥٢٢.
[٥٠٨٩] انظر ضعيف الجامع ٥٨٣٥، الضعيفة ١٩١٢.
[٥٠٩٠] انظر صحيح الجامع ٢١٤٩، الصحيحة ٩٤٠.
[٥٠٩١ - ٥٠٩٢] صحيح ابن ماجه ٣٣٧٠، شعب الإيمان للبيهقى ٧٧١٦.
[٥٠٩٣] وإسناده حسن الحاكم (١/ ٢٢) وانظر شعب الإيمان ٧٧٢٧.
(١) آل عمران: ١٣٤.

٥٠٩٤ ـ * وفى روايةِ ابنِ عبَّاسٍ: «فإذا سُلب أحدُهما تبعَه الآخرُ» رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٠٩٤]

٥٠٩٥ ـ * وعن مُعاذ، قال: كانَ آخرُ ما وصَّانى به رسولُ الله ﷺ حينَ وضعتُ رجلى فى الغَرْزِ أن قال: «يا معاذ! أحسِنْ خُلُقَكَ للنّاس». رواه مالك. [٥٠٩٥]

٥٠٩٦ ـ * وعن مالكٍ، بلَغه أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «بُعثتُ لأتَمِّمَ حُسنَ الأخلاقِ» رواه فى «الموطأ». [٥٠٩٦]

٥٠٩٧ ـ * ورواه أحمد عن أبى هريرة. [٥٠٩٧]

الجمع اثنان. وفيه رائحة من **التجريد!** حيث جرد من الإيمان شعبة منه، وجعلها قرينا له على سبيل **الاستعارة**، كأنهما رضيعا لبان ثدى أم تقاسما أن لا يتفرقا.

الحديث الثالث عن معاذ رضى الله عنه: قوله: «فى الغرز» «نه»: الغرز: ركاب كور الجمل إذا كان من جلد أو خشب. وقيل: هو الكور مطلقا مثل الركاب للسرج، انتهى كلامه. قوله: «أن قال» خبر «كان» و«حين وضعت» ظرف. قاله حين بعثه إلى اليمن للقضاء وصاه ليجامل الناس بحسن الخلق.

الحديث الرابع عن مالك: قوله: «بلغه» هذا يحتمل أن يكون متصلا، وراوى مالك لم يذكر الاتصال وأن يكون مرسلا، وإن لم يذكر مالك التابعى ولا الصحابى. وقيل: إنه منقطع. وقوله: «لأتمم حسن الأخلاق» يحتمل أن يراد به أنه كملها بعد النقصان، وأنه جمعها بعد التفرقة، وعليه قوله تعالى: ﴿**أولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده**﴾(١).

قال الإمام فخر الدين: الآية دالة على فضله صلوات الله عليه على سائر الأنبياء! لأنه تعالى أمره بالاقتداء بهم، ولابد من امتثاله لذلك الأمر، فوجب أن يجتمع فيه جميع خصائلهم وأخلاقهم المتفرقة، وإلى المعنى الأول أشار ﷺ بقوله: «مثلى ومثل الأنبياء كمثل قصر أحسن بنيانه ترك منه موضع لبنة» إلى قوله: «فكنت أنا سددت موضع تلك اللبنة، ختم بى البنيان».

[٥٠٩٤] انظر ضعيف الجامع ١٤٣٥.

[٥٠٩٥] بدون إسناد وهو حديث من أربع أحاديث وردت فى الموطأ بدون سند، وقال العلماء فيها لم توجد موصولة فى كتاب. كذا قال الشيخ الألبانى حفظه الله.

[٥٠٩٦] صحيح الجامع بنحوه ٢٨٣٣.

[٥٠٩٧] إسناده حسن.

(١) الأنعام: ٩٠.

٥٠٩٨ - * وعن جعفر بن محمَّد، عن أبيه، قال: كانَ رسولُ الله ﷺ إذا نظرَ فى المرآةِ قال: «الحمدُ للهِ الذى حسَّنَ خَلقى وخُلقى، وزانَ منى ماشانَ منْ غيرى». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان» مرسلاً.[٥٠٩٨]

٥٠٩٩ - * وعن عائشةَ، قالتْ: كانَ رسولُ الله ﷺ يقولُ: «اللهُمَّ حسَّنتَ خَلقى فأحسِنْ خُلقى». رواه أحمد.[٥٠٩٩]

٥١٠٠ - وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «ألاَ أُنَبِّئُكم بخيارِكم؟» قالوا: بَلى قال: «خيارُكم أطولُكم أعمارًا، وأحسنُكم أخلاقًا» رواه أحمد.[٥١٠٠]

٥١٠١ - * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «أكملُ المؤمنينَ إيمانًا أحسنُهم خُلقًا». رواه أبو داود، والدارمى.[٥١٠١]

الحديث الخامس عن جعفر رضى الله عنه: قوله: «وزان منى ما شان من غيرى» فيه معنى قوله: «بعثت لأتمم حسن الأخلاق» فجعل النقصان شيئا! كما قال أبو الطيب:

ولم أر من عيوب الناس شيئا   كنقص القادرين على التمام

وعلى نحو هذا الحمد حمد داود وسليمان عليهما السلام فى قوله تعالى: ﴿**ولقد آتينا داود وسليمان علما وقالا الحمد لله الذى فضلنا على كثير من عباده المؤمنين**﴾(١) وفيه استحباب النظر فى المرآة، والحمد على حسن الخلقة والخلق؛ لأنهما نعمتان موهوبتان من الله تعالى، يجب الشكر عليهما.

الحديث السادس عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «فأحسن خلقى» يحتمل أن يراد به طلب الكمال، وإتمام النعمة عليه بإكمال دينه. قال تعالىٰ: ﴿**اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتى**﴾(٢) وفيه إشارة إلى قول عائشة رضى الله عنها: «كان خلقه القرآن» وأن يكون قد طلب المزيد والثبات على ما كان.

الحديث السابع إلى العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أطولكم أعمارا» إشارة

[٥٠٩٨] إسناده مرسل.

[٥٠٩٩] إسناده صحيح.

[٥١٠٠] أحمد فى مسنده (٢/ ٤٠٣)

[٥١٠١] إسناده حسن.

(١) النمل: ١٥ .   (٢) المائدة: ٣.

٥١٠٢ ـ * وعنه، أنَّ رجلاً شتمَ أبا بكرٍ، والنبيُّ ﷺ جالسٌ يتعجَّبُ ويتبسَّمُ، فلمَّا أكثرَ ردَّ عليه بعضَ قوله، فغضبَ النبيُّ ﷺ. وقامَ، فلحقَه أبو بكرٍ، وقال: يا رسولَ الله! كانَ يشتمُني وأنتَ جالسٌ، فلمَّا ردَدْت عليه بعضَ قوله غضبتَ وقمتَ. قال: «كانَ معكَ ملكٌ يردُّ عليه، فلمَّا رددتَ عليه وقعَ الشَّيطانُ». ثمَّ قال: «يا أبا بكرٍ! ثلاثٌ كلُّهنَّ حقٌّ: ما منْ عبدٍ ظُلمَ بمظلَمةٍ فيُغضى عنها لله عزَّ وجلَّ إلاَّ أعزَّ اللهُ بها نصرَه، وما فتحَ رجلٌ بابَ عطيَّةٍ يريدُ بها صلَةً إلا زادَ اللهُ بها كثرةً، وما فتحَ رجلٌ بابَ مسألة يريدُ بها كثرةً إلا زادَه اللهُ بها قلَّةً». رواه أحمد. [٥١٠٢]

٥١٠٣ ـ * وعن عائشةَ، قالتْ: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يُريدُ اللهُ بأهلِ بيتٍ رفقًا إلاَّ نفَعَهمْ، ولا يَحْرِمَهم إياه إلا ضَرَّهمْ». رواه البيهقيُّ في «شعب الإيمان». [٥١٠٣]

(٢٠) باب الغضب والكبر

الفصل الأول

٥١٠٤ ـ * عن أبي هريرةَ، أنَّ رجلاً قال للنبيِّ ﷺ: أوْصِني. قال: «لا تغضبْ» فردَّ ذلكَ مراراً قال: «لا تغضبْ». رواه البخاري

إلى ما قال ﷺ في جواب من سأله: أيّ الناس خير؟ قال: «من طال عمره وحسن عمله»، فقوله: «وأحسنكم أخلاقا» كقوله: «وحسن عمله» في إرادة الجمع بين طول العمر وحسن الخلق والله أعلم.

باب الغضب والكبر

«غب»: الكبر الحالة التي يتخصص بها الإنسان من إعجاب نفسه بأن يرى نفسه أكبر من غيره، وأعظمه الامتناع عن قبول الحق عن الله تعالى والإذعان له بالعبادة. والاستكبار على وجهين: أحدهما: أن يتحرى الإنسان أن يصير كبيرا وذلك متى كان على ما يحب فهو المحمود. والثاني: أن يتشبع فيظهر من نفسه ما ليس له فهو المذموم: لقوله تعالى: ﴿أبى واستكبر﴾(١). والمتكبر أيضا على وجهين: إما محمود وهو أن تكون أفعاله الحسنة كثيرة زائدة في الحقيقة على محاسن غيره، وعلى هذا وصف الله تعالى بالمتكبر في قوله: ﴿العزيز الجبار

[٥١٠٢] أحمد في مسنده ٢/ ٤٣٦ شعب الإيمان ٨٠٧٢ للبيهقي.

[٥١٠٣] السلسلة الصحيحة ٩٤٢.

(١) البقرة: ٣٤.

٥١٠٥ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ليسَ الشديدُ بالصُّرَعةِ، إنما الشديدُ الذى يملِكُ نفسَه عندَ الغضبِ» متفق عليه.

المتكبر﴾(١)، ومذموم: وذلك إذا كان متكلفا متشبعا لذلك، وهذا وصف عامة الناس نحو قوله تعالى: ﴿فبئس مثوى المتكبرين﴾(٢).

قال الشيخ أبو حامد: الكبر ينقسم إلى ظاهر وباطن، فإذا ظهر على الجوارح يقال: تكبر، وإذا لم يظهر، يقال فى نفسه كبر. فالأصل هو الخلق الذى فى النفس وهو الاسترواح والركون إلى رؤية النفس فوق المتكبر عليه! فإن الكبر يستدعى متكبرا عليه، ليرى نفسه فوقه فى صفات الكمال ومتكبرا به. وبه ينفصل الكبر عن العجب! فإن العجب لا يستدعى غير المعجب بل لو لم يخلق إلا وحده يتصور أن يكون معجبا ولا يتصور أن يكون متكبرا.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لا تغضب» «تو»: قد كان ﷺ مكاشفا بأوضاع الخلق عارفا بأدواتهم يضع الهناء موضع النقب*، يأمرهم بما هو أولى بهم. فلما استوصاه الرجل، وقد رآه مملوءً بالقوة الغضبية لم ير له خيرا من أن يتجنب عن دواعى الغضب، ويزحزح نفسه عنه.

«قض»: لعله ﷺ لما رأى أن جميع المفاسد التى تعرض للإنسان وتعتريه إنما تعرض له من فرط شهوته واستيلاء غضبه، والشهوة مكثورة بالنسبة إلى ما يقتضيه الغضب غير ملتفت إليها. فلما سأله الرجل أن يشير إليه بما يتوصل به إلى التجنب عن القبائح والتحرز عن مظانها، نهاه عن الغضب الداعى إلى ما هو أعظم ضررا وأكثر وزرا! فإن ارتفاع السبب يوجب ارتفاع مسبباته لا محالة. أقول: ويؤيد ما ذهب إليه القاضى الحديث الآتى.

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «بالصرعة» «نه»: الصرعة: بضم الصاد وفتح الراء المبالغ فى الصرع الذى لا يغلب، فنقله إلى الذى يملك نفسه عند الغضب! فإنه إذا ملكها كان قد قهر أقوى أعدائه وشر خصومه! ولذلك قال: «أعدى عدوك** نفسك التى بين جنبيك» وهذا من الألفاظ التى نقلها عن وضعها اللغوى بضرب من التوسع والمجاز، وهو من فصيح الكلام؛ لأنه لما كان الغضبان بحالة شديدة من الغيظ، وقد ثارت عليه شهوة الغضب فقهرها بحلمه وصرعها بثباته، كان كالصُّرَعة الذى يصرع الرجال ولا يصرعونه.

---

(١) الحشر: ٢٣. (٢) غافر: ٧٦.

* فى «ط» (التعب) وهو خطأ.

** فى (ك) (عدو لك).

٥١٠٦ ـ * وعن حارثة بن وهبٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ألا أُخبرُكم بأهلِ الجنَّةِ؟ كلُّ ضعيفٍ متضعّفٍ لو أقسمَ على اللهِ لأبرَّه. ألا أُخبرُكم بأهلِ النَّار؟ كلُّ عُتُلٍ جوَّاظٍ مستكبرٍ» متفق عليه. وفى رواية لمسلم: «كلُّ جوَّاظٍ زنيمٍ متكبِّرٍ».

٥١٠٧ ـ * وعن ابنِ مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله: «لا يدخلُ النَّارَ أحدٌ فى قلبهِ مثقالُ حبَّةٍ منْ خردل منْ إيمان. ولا يدخلُ الجنة أحدٌ فى قلبه مثقالُ حبةٍ من خردل من كِبرٍ» رواه مسلم.

الحديث الثالث عن حارثة: قوله: «متضعف» «مح»: ضبطوه بفتح العين وكسرها، و«المشهور الفتح، ومعناه يستضعفه الناس ويحتقرونه ويتجرءون عليه لضعف حاله فى الدنيا، يقال: تضعفه واستضعفه. وأما على الكسر فمعناه متواضع متذلل خامل واضع من نفسه، والمراد أن أغلب أهل الجنة هؤلاء، كما أن معظم أهل النار القسم الآخر.

و«العتل»: بضم العين والتاء الجافى الشديد الخصومة بالباطل. وقيل: «الجافى»: الفظ الغليظ و«الجواظ»: الجموع المنوع. وقيل: كثير اللحم المختال فى مشيه. وقيل القصير البطين. وقيل: «الفاخر» بالخاء. و«الزنيم»: الدعي فى النسب الملصق بالقوم، وليس منهم تشبيها له بالزنمة وهى شىء يقطع من أذن الشاة ويترك معلقا بها. وقوله: «لو أقسم على الله» معناه: لو حلف يمينا طمعا فى كرم الله تعالى بإبراره لأبره.

الحديث الرابع عن ابنِ مسعود رضى الله عنه: قوله: «مثقال» هو مأخوذ من الثقل. والمراد وزن حبة، وهذا تمثيل للقلة. وفيه إشعار بأن الإيمان قابل للزيادة والنقصان، وله شعب كما ورد فى قوله ﷺ: «الإيمان بضع وسبعون شعبة». قوله: «ولا يدخل الجنة» «خط»: للحديث تأويلان: أحدهما: أن يراد بالكبر الكفر والشرك. ألا ترى أنه قد قابله فى نقيضه بالإيمان؟ وثانيهما: أن الله تعالى إذا أراد أن يدخله الجنة، نزع ما كان فى قلبه من الكبر حتى يدخلها بلا كبر ولا غل فى قلبه. وقوله: «لا يدخل النار» يعنى به دخول تأبيد وتخليد.

أقول: الوجه الأول من باب **المقابلة المعنوية** وهو من أنفسها وأغربها؛ فإنه بالإيمان أشار إلى أن الكبر من صفات الكافرين المتمردين، فيجب أن يجتنب عنه، وبالكبر لمح إلى أن التواضع من سمات المؤمنين المحسنين، فينبغى أن يرغب فيه وهو الوجه؛ لأن القصد الأولى فى سياق الكلام وإيراده إلى معنى الوصفين فى الترغيب فى أحدهما والتنفير عن الآخر لا إلى حكم الموصوفين، وإن لزمه تبعا، ومن **الأسلوب** قوله تعالى: **﴿و إن يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يردك بخير فلا راد لفضله﴾**[1].

---

(١) يونس : ١٠٧ .

٥١٠٨ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لا يدخلُ الجنَّةَ مَن كانَ فى قلبِه مثقالُ ذرَّةٍ من كبْرٍ» فقال رجلٌ: إنَّ الرجلَ يُحبُّ أنْ يكونَ ثوبُه حسنًا ونعلُه حسنًا. قال: «إنَّ اللهَ تعالى جميلٌ يحبُّ الجمالَ. الكِبْرُ بطرُ الحقِّ وغمْطُ الناس» رواه مسلم.

٥١٠٩ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال: رسولُ الله ﷺ: «ثلاثةٌ لا يكلمُهم اللهُ يومَ القيامةِ ولا يُزكيهم». وفى روايةٍ: «ولا ينظرُ إليهم ولهم عذابٌ أليمٌ: شيخٌ زانٍ، وملِكٌ كذَّابٌ، وعائلٌ مستكبِرٌ» رواه مسلم.

الكشاف: فإن قلت: لِمَ ذكر المس فى أحدهما، والإرادة فى الثانى؟ قلت: كأنه أراد أن يذكر الأمرين جميعا الإرادة والإصابة فى كل واحد من الضر والخير، وأنه لا رادَّ لما يريده منهما ولا مزيل لما يصيبه منهما، فأوجز الكلام بأن ذكر المس وهو الإصابة فى أحدهما والإرادة فى الأخير: ليدل بذلك على ما ترك. وهو **فن عجيب وأسلوب غريب**.

الحديث الخامس عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «إن الرجل يحب» لما رأى الرجل العادة فى المتكبرين لبس الثياب الفاخرة وجر الإزار، وغير ذلك مما يتعاطونه، سأل ما سأل. «نه»: «بطر الحق» هو أن يجعل ما جعله الله حقا من توحيده وعبادته باطلا. وقيل: هو أن يتحير عند الحق فلا يراه حقا. وقيل: هو أن يتكبر عن الحق فلا يقبله. «تو»: وتفسيره على الباطل أشبه؛ لما ورد فى غير هذه الرواية: «إنما ذلكَ من سفه الحق وغمط الناس، أى رأى الحق سفها».

أقول: والمقام أيضاً يقتضيه؛ لأن تحرير الجواب إن كان أخذ الرجل الزينة لأجل أن يرى الله تعالى نعمته عليه، وأن يعظم شعائره؛ لقوله تعالى: **﴿أنزلنا عليكم لباسا يوارى سوآتكم وريشا﴾**(١) أى زينة، وقوله: **﴿خذوا زينتكم عند كل مسجد﴾**(٢) فهو جمال والله جميل يحب أن يرى أثر نعمه على عبده. وإن كان للبطر والأشر المؤدى إلى تسفيه الحق والصد عن سبيل الله وإلى تحقير الناس، فهو اختيال وافتخار، والله لا يحب كل مختال فخور. ولمثل هذا البطر نهى الله تعالى المؤمنين فى قوله: **﴿ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم بطرا ورئاء الناس ويصدون عن سبيل الله﴾**(٣).

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لا يكلمهم الله» سبق بيان هذه الألفاظ فى باب المساهلة فى المعاملة. قوله: «شيخ زان» يعنى الزنا قبيح ومن الشيخ أقبح، والكذب سمج ومن الملك أسمج، والتكبر مذموم ومن الفقير أذم.

---

(١) الأعراف: ٢٦ . (٢) الأعراف: ٣١.

(٣) الأنفال: ٤٧.

٥١١٠ - * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يقولُ اللهُ تعالى: «الكبرياءُ ردائي، والعظمةُ إزاري؛ فمن نازعني واحدًا منهما أدخلته النَّارَ». وفي رواية «قذفتُه في النَّار» . رواه مسلم.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «الكبرياء ردائى». «نه»: الكبرياء العظمة والملك. وقيل: هى عبارة عن كمال الذات وكمال الوجود، ولا يوصف بها إلا الله تعالى وهو من الكبر - بالكسر - وهو العظمة. ويقال: كبر - بالضم - يكبر أى عظم فهو كبير، انتهى كلامه. قيل: إن الكبرياء والكبر والعظمة ألفاظ مترادفة متحدة المعنى، ولم يتعرض معظمهم للفرق، ولابد من الفرق؛ إذ الأصل عدم الترادف.

قال الإمام فخر الدين الرازى: جعل الله الكبرياء قائما مقام الرداء، والعظمة قائمة مقام الإزار، ومعلوم أن الرداء أرفع درجة من الإزار، فوجب أن يكون صفة الكبرياء أرفع حالا من صفة العظمة. ثم قال: يشبه أن يكون متكبرا فى ذاته سواء يستكبره غيره أم لا، وسواء عرف هذه الصفة أحد أم لا. وأما العظمة فهى عبارة عن كونه بحيث يستعظمه غيره. وإذا كان كذلك كانت الصفة الأولى ذاتية والثانية إضافية، والذاتى أعلى من الإضافى.

أقول: الأصل فى الكبرياء والعظمة ما قاله أئمة اللغة، ثم استعمل فى الحديث على حسب أهل العرف والعادة؛ يقال: فلان متكبر إذا أنزل نفسه فوق منزلتها فلا ينقاد لأحد، وفلان له عظمة إذا كثر ما يتعلق به من الخدم والحشم. ويقال: ركب الأمير فى عظمته، أى فى كثير من حواشيه وأجناده، فإذًا التكبر صفة ذاتية والعظمة إضافية. فالله تعالى إذا وصف بالتكبر يكون معناه الترفع عن أن ينقاد لأحد لا المعنى الأول؛ لأنه تعالى إذا وصف بصفة وتكون تلك الصفة مختصة بالأجسام، تكون محمولة على نهايات أغراضها لا على بداياتها. وإذا وصف بالعظمة يكون ذا ملك عظيم، كما قال تعالى: ﴿رب العرش العظيم﴾(١)

ثم إنه سبحانه وتعالى شبه صفة الكبرياء بالرداء، والرداء ما يُلبس الرجل رأسه وكتفيه، وهذه الأعضاء مختصة بالترفع والتكبر والظهور، فناسب الرداء. وشبه صفة العظمة بالإزار، والإزار ما يلبس الرجل من وسطه إلى قدميه. وهذه الأعضاء مختصة بالنزول والانحطاط والخفاء، فناسب الإزار. ومعنى الاختصاص فى قوله: «الكبرياء ردائى والعظمة إزارى» من وجهين: أحدهما: أنه من التشبيه كما أن رداء الرجل وإزاره مختصان به لا يشاركه فيهما غيره، كذلك الكبرياء والعظمة مختصان بالله تعالى لا يوصف بهما غيره. وثانيهما: تعريف المسند إليه باللام والمسند بالإضافة يدل على القصر، كما إذا قلت: المنطلق زيد أو زيد المنطلق، يدل على انحصار الانطلاق فى زيد.

---

(١) النمل: ٢٦.

الفصل الثانی

٥١١١ - * عن سلَمةَ بن الأكوعِ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يزالُ الرجلُ يذهبُ بنفسه حتى يكتب فی الجبارين، فيصيبهُ ما أصابهم» رواه الترمذی.[٥١١١]

٥١١٢ - * وعن عمرو بن شعيبٍ، عن أبيه، عن جدّه، عن رسول الله ﷺ قال: «يُحشر المتكبّرون أمثالَ الذّر يومَ القيامة، فی صورِ الرجال يغشاهم الذلُّ من كل مكان، يُساقونَ إلى سجنٍ فی جهنّم يسمّى: بَولَسَ، تعلوهم نار الأنيار، يسقون من عُصارة أهل النار طينة الخَبَال». رواه الترمذی [٥١١٢]

ومن ثمة فرع على التشبيه قوله: «نازعنی» دلالة على أن ذلك ليس من حقه، ثم عقبه بالوعيد وحقر شأنه بلفظ القذف أی يقذف به قذف الحجارة والمدر فی النار والسقر. وقد عرفت مما قيل أن الكبر هو الإعراض عن الحق وتحقير الناس. فالتواضع هو الإذعان للحق وتوقير الناس، وهو المعنى بقوله: «التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله» فالمعنى: من تكبر على الله وعلى الخلق ابتلاه الله تعالى فی الدنيا بالذل والهوان، وفی الآخرة بقذفه فی أقصى دركات النيران. ومن تواضع لله مع الخلق رفع الله درجته فی الدنيا والآخرة، فالحديث إذن من جوامع الكلم وكنوز الحكم التی خص بها النبی ﷺ على قائله.

الفصل الثانی

الحديث الأول عن سلمة رضی الله عنه: قوله: «يذهب بنفسه» «مظ»: الباء يحتمل أن تكون للتعدية، أی يرفع نفسه ويبعدها عن الناس فی المرتبة، ويعتقدها عظيمة القدر.

وللمصاحبة أی يرافق نفسه ويعززها ويكرمها كما يكرم الخليل الخليل حتى تصير متكبرة. وفی أساس البلاغة: يقال: ذهب به: مرّبه مع نفسه، ومن المجاز ذهبت به الخيلاء.

الحديث الثانی عن عمرو: قوله: «أمثال الذر». «نه»: الذر النمل الأحمر الصغير واحدتها ذرة. وقيل: الذرة يراد بها ما يُرى فی شعاع الشمس الداخل فی النافذة. «تو»: يحمل ذلك على المجاز دون الحقيقة أی أذلاء مهانين يطأهم الناس بأرجلهم. وإنما منعنا عن القول بظاهره ما أخبرنا به الصادق المصدوق ﷺ: «إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء، حتى أنهم يحشرون غرلا، يعاد منهم ما انفصل عنهم من القلفة»، وإلى هذا المعنى أشار بقوله ﷺ: «يغشاهم الذل من كل مكان».

[٥١١١] انظر ضعيف الجامع بنحوه ٦٣٥٩ ، الضعيفة ١٩١٤.

[٥١١٢] انظر صحيح الترمذی ٢٠٢٥.

٥١١٣ ـ * وعن عطية بن عروة السعدىّ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإِن الشيطان خُلق من النَّار، وإِنما يُطفأ النارُ بالماءِ، فإِذا غضب أحدكم فلْيتوضأ». رواه أبو داود. [٥١١٣]

٥١١٤ ـ * وعن أبى ذر [رضى الله عنه] أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا غضب

«شف»: إنما قال: «فى صور الرجال» بعد قوله: «أمثال الذر» قطعا منه حمل قوله: «أمثال الذر» على الحقيقة؛ والتعيينات لجريه على المجاز؛ ودفعا لوهم من يتوهم أن المتكبر لا يحشر فى صورة الإنسان؛ وتحقيقا لإعادة الأجساد المعدومة على ما كانت عليه من الأجزاء. «مظ»: يعنى صورهم صور الإنسان وجثتهم كجثة الذر فى الصغر.

أقول: لفظ الحديث يساعد هذا؛ لأن قوله: «أمثال الذر» تشبيه لهم بالذر ولابد من بيان وجه التشبيه؛ لأنه يحتمل أن يكون وجه التشبيه الصغر فى الجثة، وأن يكون الحقارة والصغار. فقوله: «فى صور الرجال» بيان للوجه ودفع وهم من يتوهم خلافه. وأما قوله: «إن الأجساد تعاد على ما كانت عليه من الأجزاء» فليس فيه أنه لا تعاد تلك الأجزاء الأصلية فى مثل الذر؛ لأن الله تعالى قادر عليه. وفيه الخلاف المشهور بين الأصوليين. وعلى هذا الحقارة ملزوم هذا التركيب، فلا ينافى إرادة الجثة مع الحقارة.

قوله: «بولس». «نه»: هكذا جاء فى الحديث مسمى.

قوله: «نار الأنيار». «قض»: لم أجده مشروحا ولكن هكذا يروى، فإن صحت الرواية، فيحتمل أن يكون معناه نار النيران، فجمع «النار» على «أنيار»، وأصلها أنوار؛ لأنها من الواو، كما جاء فى ريح وعيد: أرياح وأعياد، وهما من الواو. والله أعلم.

«قض»: وإضافة النار إليها للمبالغة، كأن هذه النار لإفراط إحراقها وشدة حرها تفعل بسائر النيران ما تفعل النار بغيرها. و«طينة الخبال» سبق شرحها فى باب حد الخمر.

الحديث الثالث عن عطية: قوله: «فإذا غضب أحدكم فليتوضأ» أراد أن يقول: إذا غضب أحدكم فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم؛ فإن الغضب من الشيطان، فصور حالة الغضب ومنشأه ثم الإرشاد إلى تسكينه، فأخرج الكلام هذا المخرج ليكون أجمع وأنفع وللموانع أزجر وأردع. وهذا التصوير لا يمنع من إجرائه على الحقيقة؛ لأنه من باب الكناية.

الحديث الرابع عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «وإلا فليضطجع». «حس»: إنما أمره

[٥١١٣] إسناده ضعيف.

أحدُكم وهو قائمٌ فليجلس، فإن ذهب عنهُ الغضب وإلا فليضطجعْ» رواه أحمد، والترمذى. [٥١١٤]

٥١١٥ - * وعن أسماء بنت عميس، قالت: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «بئس العبد عبدٌ تخيَّل واختال، ونسى الكبير المتعال، بئس العبد عبدٌ تجبَّر واعتدى، ونسى الجبَّارَ الأعلى، بئس العبد عبدٌ سهى ولهى، ونسى المقابرَ والبلى، بئس العبد عبدٌ عَتَىَ وطغَى، ونسى المبتدأ والمنتهى، بئس العبدُ عبدٌ يختل الدنيا بالدين. بئس العبد عبدٌ يختل الدين بالشبهات، بئس العبدُ عبدٌ طمع يقودهُ، بئس العبد عبدٌ هَوى يُضلُّه،

بالقعود والاضطجاع لئلا يحصل منه فى حال غضبه ما يندم عليه؛ فإن المضطجع أبعد من الحركة والبطش من القاعد، والقاعد من القائم.

أقول: لعله أراد به التواضع والخفض؛ لأن الغضب منشأه التكبر والترفع.

الحديث الخامس عن أسماء رضى الله عنها: قوله: «تخيل واختال» «تو»: أى تخيل له أنه خير من غيره. «واختال» أى تكبر. «نه»: الكبير: العظيم ذو الكبرياء. وقيل: المتعالى عن صفات الخلق. وقيل: المتكبر على عتاة خلقه و«المتعالى» الذى جل عن إفك المفترين وعلا شأنه. وقيل: جل عن كل وصف وثناء وهو متفاعل من العلو، وقد يكون بمعنى العالى. «مظ»: «سهى» أى فى أمور الدين و«لهى» أى اشتغل بغيرها مما لا يعنيه. «نه»: «العتو»: التجبر والتكبر. و«طغى»: جاوز القدر فى الشر. قوله: «ونسى المبتدأ والمنتهى». «شف»: أى نسى ابتداء خلقه، وهو كونه نطفة، وانتهاء حاله الذى يؤول إليه، وهو صيرورته ترابا، أى من كان ذلك ابتداؤه ويكون انتهاؤه هذا، جدير بأن يطيع الله تعالى فى وسط الحالين وهو صار عليه فى الأحوال الثلاث التى هى المبتدأ والمنتهى والوسط، ولا يعتو ولا يطغى عليه.

قوله: «يختل الدنيا» «نه»: أى يطلب الدنيا بعمل الآخرة. يقال: ختله يختله إذا خدعه وراوغه، وختل الذئب الصيد إذا تخفى له. «مح»: ختل الصائد إذا مشى للصيد قليلا قليلا لئلا يحس به. شبه فعل من يرى ورعا ودينًا ليتوسل به إلى المطالب الدنيوية بختل الذئب للصائد. قوله: «عبد طمع يقوده» «شف»: كأنه من كثرة الطمع والهوى اللازمين للعبد وشدة اتصالهما به أطلق نفس الطمع والهوى عليه وإن كانا قائمين به. وتقديره: ذو طمع يقوده، وذو هوى يضله، ويمكن أن يجعل قوله: «طمع» فاعل «يقوده» و«هوى» فاعل «يضله» مقدمين على فعلهما على مذهب الكوفيين. قال الشاعر:

[٥١١٤] صحيح الإسناد.

بئس العبد عبدٌ رُغبٌ يذلُّه» رواه الترمذى، والبيهقى فى «شعب الإيمان». وقالا: ليس إسناده بالقوى، وقال الترمذىُّ أيضًا: هذا حديث غريب.[٥١١٥]

الفصل الثالث

٥١١٦ ـ * عن ابن عمر، قال: قال رسول الله : «ما تجرَّعَ عبدٌ أفضل عند اللهِ عزَّ وجلَّ من جرعَةِ غيظٍ يكظمها ابتغاءَ وجهِ الله تعالى». رواه أحمد.[٥١١٦]

صددت فأطولت الصدود وقلما　　　وصال على طول الصدود يدوم

أى قلما يدوم وصال على طول الصدود.

أقول الوجه الثانى أقرب من الأول لما يلزم منه وصف الوصف؛ لأن قوله: «يقوده» على هذا صفة «طمع» وهو صفة «عبد». والأشبه أن يكون «طمع» مبتدأ و«يقوده» خبره، أى طمع عظيم يقوده نحو: شر أهر ذا ناب، والجملة صفة «عبد».

قوله: «رُغب يذله» «نه»: أى الشره والحرص على الدنيا. وقيل: سعة الأمل وطلب الكثير. «قض»: وإضافة «العبد» إليه للإهانة، كقولهم: عبدالبطن؛ ولأن مجامع همته واجتهاده مقصور عليه وعائد إليه.

أقول: والظاهر أنه مرفوع مبتدأ وما بعده خبره، والجملة صفة «عبد» كما فى القرينتين الأولتين؛ وليوافق قوله: «يختل الدنيا بالدين» وقوله: «يختل الدين بالشبهات» إذ هو متعين للوصفية لا غير.

قوله: «ليس إسناده بالقوى». «تو»: روى الترمذى بإسناد له عن هاشم بن سعيد الكوفى، وقد ذكره ابن أبى عدى فى كتابه. وقال: عامة ما يرويه لا يتابع عليه.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «يكظمها»، فى أساس البلاغة:

كظم القربة ملأها وشد رأسها. وكظم الباب شده، ومن **المجاز** كظم الغيظ وعلى الغيظ. انتهى كلامه. يريد أنه **استعارة** من «كظم القربة». وقوله: «من جرعة غيظ» **استعارة** أخرى كالترشيح لها.

[٥١١٥] انظر ضعيف الجامع ٢٣٤٩ – الضعيفة ٢٠٢٦.

[٥١١٦] انظر صحيح ابن ماجه بنحوه ٣٣٧٧.

٥١١٧ ـ * وعن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾(٢) قال: الصبرُ عند الغضب، والعفو عن الإساءة، فإذا فعلوا عَصَمهم الله وخضع لهم عدُوُّهم كأنَّه وليٌّ حميم قريب. رواه البخاري تعليقًا.

٥١١٨ ـ * وعن بَهْزِ بنِ حكيم، عن أبيه، عن جدِّه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن الغضبَ ليفسد الإيمانَ كما يُفسدُ الصبرُ العسلَ». [٥١١٨]

٥١١٩ ـ * وعن عمر، قال وهو على المنبر: يأيُّها الناسُ! تواضَعُوا فإنِّي سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من تواضعَ لله رَفَعهُ اللهُ، فهو في نفسه صغيرٌ، وفي أعين الناس عظيم، ومن تكبَّر وضعه الله، فهو في أعينِ الناس صغير، وفي نفسه كبير، حتى لهوَ أهونُ عليهم من كلبٍ أو خنزيرٍ». [٥١١٩]

الحديث الثاني عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «العفو عند الإساءة» هذا التفسير على أن يكون «لا» في قوله تعالى: ﴿ولا السيئة﴾(٢) مزيدة، المعنى لا تستوي الحسنة والسيئة. فعلى هذا يراد «بالتي هي أحسن» بالتي هي حسنة، فوضع «الأحسن» موضع «الحسنة» ليكون أبلغ في الدفع بالحسنة. وإذا لم يجعل «لا» مزيدة يكون المعنى: أن الحسنة والسيئة متفاوتتان في أنفسهما، فخذ بالحسنة التي هي أحسن من أختها. إذا اعترضتك حسنات فادفع بها السيئة التي ترد عليك من بعض أعدائك. ومثاله: رجل أساء إليك إساءة، فالحسنة أن تعفو عنه والتي هي أحسن أن تحسن إليه مكان إساءته إليك. مثل أن يذمك فتمدحه؛ فإنك إذا فعلت ذلك انقلب عدوك المشاق مثل الولي الحميم مصافاة لك.

الحديث الثالث والربع عن عمر رضي الله عنه: قوله: «فهو في نفسه صغير» الفاء فيه جزاء شرط محذوف، يعني من تواضع لله هضم حقه من نفسه فجعل نفسه دون منزلته. وهو المراد من قوله: «فهو في نفسه صغير» ثم إن الله تعالى يرفعه من تلك المنزلة التي هي حقه إلى ما هي أرفع منها ويعظمه عند الناس وبعكسه في القرينة الأخرى. «حس»: قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: إن الرجل إذا تواضع. رفع الله حكمته. وقال: انتعشْ نَعَشك الله، فهو في

[٥١١٨] شعب الإيمان ٨٢٩٤ وفيه مخيس بن تميم وهو مجهول وبقية رجاله ثقات.

[٥١١٩] شعب الإيمان ٨١٤٠.

(٢) فصلت: ٣٤ .

٥١٢٠ ـ * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «قال موسى بن عمران عليه السلام: ياربِّ! من أعزُّ عبادِك عندك؟ قال: من إذا قَدَر غَفَر». [٥١٢٠]

٥١٢١ ـ * وعن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «منْ خَزَنَ لسانَهُ سَتَر الله عورتَه، ومن كَفَّ غضبَهُ كَفَّ الله عنه عذابَهُ يومَ القيامةِ، ومن اعتذَر إلى الله قَبِلَ اللهُ عذره». [٥١٢١]

٥١٢٢ ـ * وعن أبى هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «ثلاثٌ مُنجياتٌ، وثلاثٌ مُهلكاتٌ؛ فأمّا المنجياتُ: فتقوى الله فى السرِّ والعلانية، والقولُ بالحقِّ فى الرضى والسخط، والقصدُ فى الغنى والفقر، وأمَّا المهلكات: فهوى مُتبعٌ، وشحٌّ مطاعٌ، وإعجابُ المرء بنفسه، وهى أشدُّهن». روى البيهقى الأحاديث الخمسة فى «شعب الإيمان». [٥١٢٢]

نفسه صغير، وفى أعين الناس كبير. وإذا بَطِر وعدا طوره وهَصَه الله إلى الأرض، وقال: اخسأ أخسأك الله، فهو فى نفسه كبير وفى أعين الناس صغير، حتى يكون أهون على الله من الخنزير.

الحديث الخامس والسادس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «من خزن لسانه» أى من ستر عيوب الناس وكتمها ستر الله عورته، قال فى أساس البلاغة: خزن المال فى الخزانة أحرزه، ومن **المجاز**: اخزن لسانك وسرَّك؛ قال امرؤ القيس:

إذ المرء لم يخزن عليه لسانه ... فليس على شىء سواه بخازن

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وهى أشدهن» لأن المعجب بنفسه متبع هواه، ومن هوى النفس: الشح المطاع. قال تعالى: ﴿ومن يوق شح نفسه﴾(١) حيث أضاف الشح إلى النفس.

[٥١٢٠] شعب الإيمان ٨٣٢٧.

[٥١٢١] شعب الإيمان ٨٣١١.

[٥١٢٢] الأخير حسن بطرقه.

(١) الحشر: ٩.

(٢١) باب الظلم

الفصل الأول

٥١٢٣ ـ * عن ابن عمر، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «الظلم ظُلماتٌ يوم القيامة» متفق عليه.

٥١٢٤ ـ * وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلِته» ثم قرأ ﴿**وكذلك أخذُ ربِّك إذا أخذَ القرى وهي ظالمة**﴾(١) الآية متفق عليه.

٥١٢٥ ـ * وعن ابن عمر، أنَّ النبي ﷺ لما مرَّ بالحِجْرِ قال: «لا تدخلوا مساكن

باب الظلم

«غب»: الظلم عند أهل اللغة: وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه. والظلم يقال في مجاوزة الحق الذي يجري مجرى نقطة الدائرة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «الظلم ظلمات». «مح»: قال القاضي عياض: هو على ظاهره فيكون ظلمات على صاحبه، لا يهتدي يوم القيامة بسبب ظلمه في الدنيا، كما أن المؤمن يسعى بنور هو مسبب عن إيمانه في الدنيا؛ قال تعالى: ﴿**يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم**﴾(٢) ويحتمل أن الظلمات هنا الشدائد، وبه فسروا قوله تعالى: ﴿**قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر**﴾(٣) أي شدائدها، ويحتمل أنها عبارة عن الأنكال والعقوبات.

أقول: قوله: «على ظاهره» يوهم أن قوله: «ظلمات» هنا ليس مجازا بل حقيقة لكنه مجاز؛ لأنه حمل المسبب على السبب، فالمراد ظلمات حقيقية مسببة عن الظلم. والفرق بين الشدائد والأنكال: أن الشدائد كائنة في العرصات قبل دخول النار والأنكال بعد الدخول

الحديث الثاني عن أبي موسى رضي الله عنه: قوله: «ليملي»، «نه»: أي يمهل ويطول عمره و«لم يفلته»، أي لم ينفلت منه. ويجوز أن يكون بمعنى: «لم يفلته منه أحد أي لم يخلصه.

الحديث الثالث عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «لما مرّ بالحجر» «تو» الحجر منازل

---

(١) هود: ١٠٢.　(٢) الحديد: ١٢.　(٣) الأنعام: ٦٣.

الذينَ ظلموا أنفسهم إلا أن تكونوا باكينَ، أن يصيبكم ما أصابهم» ثم قنع رأسه وأسرع السَّير حتى اجتاز الوادى. متفق عليه.

٥١٢٦ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من كانت له مظلمةٌ لأخيه من عرضه أو شيءٌ فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهم، إن كان له عملٌ صالحٌ أُخِذَ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخِذَ من سيئات صاحبه فحمل عليه». رواه البخارى.

٥١٢٧ ـ * وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «أتدرون ما المفلس؟». قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع. فقال: «إنَّ المفلسَ منْ أُمتى من يأتى يوم

ثمود وذلك فى مسيره إلى تبوك، خشى على أصحابه أن يجتازوا على تلك الديار ساهين غير متعظين بما أصاب أهل تلك الديار، وقد أمرهم الله بالانتباه والاعتبار فى مثل تلك المواطن.

«قض»: ولذلك استثنى عن النهى. و«أن يصيبكم» نصب على المفعول لأجله أى مخافة أن يصيبكم، انتهى كلامه. والمعنى لا تدخلوا مساكنهم فى حال من الأحوال إلا فى حال كونكم باكين. «خط»: معناه أن الداخل فى دار قوم أهلكوا بخسف أو عذاب إذا لم يكن باكيا، إما شفقة عليهم وإما خوفا من حلول مثلها به، كان قاسى القلب قليل الخشوع، فلا يأمن إذا كان هكذا أن يصيبه ما أصابهم.

«تو»: «قنع رأسه». يحتمل وجهين: أحدهما: أنه أخذ قناعا على رأسه شبه الطيلسان، وهو الأظهر. والآخر أن يكون مبالغة من الإقناع أى أطرق فلم يلتفت يمينا ولا شمالا لئلا يقع بصره عليها. وقد حلت بأهلها المثلات وهم فيها، فصارت معلمة بمقت الله وغضبه. وفى الحديث: أنه نهاهم أن يشربوا ماءها وكانوا قد خمروا به عجينهم، فأمرهم أن يعلفوها دوابهم. ولم يرخص لهم فى الأكل منها. «حس»: فيه دليل على أن منازل هؤلاء لا تتخذ مسكنا ووطنا؛ لأنه ﷺ قد نهى عن دخولها إلا مع البكاء؛ فالمتوطن يكون دهره باكيا.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «مظلمة» المغرب: المظلمة الظلم واسم للمأخوذ. يقال: عند فلان مظلمتى وظلامتى، أى حقى الذى أخذ منى ظلما. انتهى كلامه. والمراد من «اليوم» أيام الدنيا لمقابلته بقوله: «قبل أن لا يكون دينار ولا درهم» وهو معبر عن يوم القيامة. «نه»: يقال: تحللته واستحللته إذا سألته أن يجعلك فى حل من قبلك. أقول: قوله: «إن كان» استئناف كأنه لما قيل: فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ويؤخذ منه بدل مظلمته، توجه لسائل أن يسأل فما يؤخذ منه بدل مظلمته؟ قيل«إن كان......» إلخ.

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أتدرون ما المفلس؟» كذا فى صحيح

القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاةٍ، ويأتى قد شتم هذا، وقذفَ هذا. وأكلَ مالَ هذا، وسفكَ دم هذا، وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناتُه قبل أن يُقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطُرحت عليه، ثم طُرح فى النَّار» رواه مسلم.

٥١٢٨ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «لتُؤدُّنَ الحقوق إلى أهلها يومَ القيامةِ، حتى يُقاد للشاة الجلحاء من الشاة القرناء». رواه مسلم.

وذُكِرَ حديثُ جابرٍ: «اتَّقوا الظلم». فى «باب الإنفاق».

مسلم وجامع الترمذى وكتاب الحميدى وجامع الأصول وشرح السنة، فعلى هذا السؤال عن وصف المفلس لا عن حقيقته؛ ومن ثم أجاب ﷺ بوصفه بقوله: «شتم وأكل وقذف». وفى مشارق الأنوار وبعض نسخ المصابيح: «من المفلس؟» وهذا سؤال إرشاد لا استعلام؛ ولذلك قال: «إن المفلس كذا وكذا....».

«مح»: يعنى حقيقة المفلس هذا الذى ذكرت، وأما من ليس له مال، ومن قل ماله، فالناس يسمونه مفلسا، وليس هو حقيقة المفلس؛ لأن هذا أمر يزول وينقطع بموته، وربما انقطع بيسار يحصل له بعد ذلك فى حياته، بخلاف ذلك المفلس فإنه يهلك الهلاك التام.

قال المازرى: زعم بعض المبتدعة أن هذا الحديث معارض لقوله تعالى: ﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾(١) وهو باطل وجهالة بينة؛ لأنه إنما عوقب بفعله ووزره، فتوجهت عليه حقوق لغرماته فدفعت إليهم من حسناته، فلما فرغت حسناته أخذت من سيئات خصومه فوضعت عليه. فحقيقة العقوبة مسببة عن ظلمه ولم يعاقب بغير جناية منه.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «لتؤدن الحقوق» «تو»: هو على بناء المجهول، و«الحقوق» مرفوع، هذه هى الرواية المعتد بها. ويزعم بعضهم ضم الدال ونصب «الحقوق». والفعل مسند إلى الجماعة الذين خوطبوا به، والصحيح ما قدمناه.

أقول: إن كان الرد لأجل الرواية فلا مقال، وإن كان بحسب الدراية، فإن باب التغليب واسع فيكون قد غلب العقلاء على غيرهم. وجعل «حتى» غاية بحسب التغليب، كما فى قوله تعالى: ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجا ومن الأنعام أزواجا يذرؤكم فيه﴾(٢) فالضمير فى «يذرؤكم» راجع إلى الأناسي والأنعام، على تغليب المخاطبين العقلاء على الغيب والأنعام.

---

(١) الإسراء: ١٥ . (٢) الشورى: ١١.

الفصل الثانى

٥١٢٩ ـ * عن حُذيفةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تكونوا إِمَّعَةً، تقولون: إن أحسن الناس أحسنًّا، وإِن ظلموا ظلمنا، ولكن وطِّنوا أنفسكم إِن أحسنَ النَّاسُ أن تُحسنوا، وإِن أساءوا فلا تظلموا». رواه الترمذى.[٥١٢٩]

«مح»: «الجلحاء» ـ بالمد ـ هى الجماء التى لا قرن لها، والقرناء ضده. وهذا تصريح بحشر البهائم يوم القيامة وإعادتها كما يعاد أهل التكليف من الآدميين والأطفال والمجانين، ومن لم تبلغه دعوة، وعلى هذا تظاهرت دلائل القرآن والسنة. قال الله تعالى: ﴿وإذا الوحوش حشرت﴾(١) وإذا ورد لفظ الشرع ولم يمنع من إجرائه على ظاهره شرع ولا عقل وجب حمله على ظاهره. قالوا: وليس من شرط الحشر والإعادة فى القيامة المجازاة والعقاب والثواب. وأما القصاص فى القرناء والجلحاء فليس هو من قصاص التكليف؛ إذ لا تكليف عليها بل هو قصاص مقابلة.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «لا تكونوا إمَّعَة». «نه»: هو بكسر الهمزة وتشديد الميم، والهاء للمبالغة، وهمزته أصلية، ولا يستعمل ذلك فى النساء، فلا يقال: امرأة إمعة. «فا»: هو الذى يتابع كل ناعق، ويقول لكل أحد: أنا معك؛ لأنه لا رأى له يرجع إليه، ووزنه فعلة كـ«ديمة»، ولا يجوز الحكم عليه بزيادة الهمزة؛ لأنه ليست فى الصفات «أفعلة»، وهى فى الأسماء أيضا قليلة. ومعناه المقلد الذى يجعل دينه تابعا لدين غيره بلا رؤية وتحصيل برهان. انتهى كلامه.

قوله: «تقولون: إن أحسن الناس....» إلخ بيان وتفسير لـ«إمعة» على نحو قول الشاعر:

الألمعى* الذى يظن بك الظنَّ ... كأن قد رأى وقد سمعا

لأن معنى قوله: «إن أحسن الناس» «وإن ظلموا» إنا نقلد الناس فى إحسانهم وظلمهم ونقتفى أثرهم.

قوله: «ولكن وطنوا أنفسكم». قال فى أساس البلاغة: أوطن الأرض ووطنها واستوطنها. ومن المجاز: وطنت نفسى على كذا فتوطنت قال الشاعر:

ولا خير فى من لا يوطن نفسه ... على نائبات الدهر حين تنوب

[٥١٢٩] إسناده ضعيف.

(١) التكوير: ٥.

* فى (ط) (الامعى)، وفى (ك) (الإمعى) وهو تصحيف فاحش يوهم أنه من الإمعة المذكورة في الحديث، وليس كذلك، والبيت ذكره ابن منظور بلفظه المذكور. مادة: لمع، ٥/٤٠٧٦. دار المعارف.

٥١٣٠ - * وعن معاوية، أنَّه كتبَ إلى عائشةَ [رضى الله عنها] أن اكتبى إليَّ كتابًا توصينى فيه ولا تكثرى. فكتَبَتْ: سلامٌ عليكَ؛ أما بعد: فإنى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «من التمَس رضى الله بسخط الناس كفاهُ اللهُ مؤونة الناس، ومن التمس رضى الناس بسخط الله وكلهُ الله إلى الناس» والسلام عليك. رواه الترمذى. [٥١٣٠]

الفصل الثالث

٥١٣١ - * عن ابن مسعود، قال لما نزلت: ﴿**الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم**﴾(١) شق ذلك على أصحاب رسولِ الله ﷺ وقالوا: يا رسول الله: أيُّنا لم يظلم نفسه؟ فقال رسول الله ﷺ: «ليس ذاك؛ إنما هو الشركُ، ألم تسمعوا قول لقمان لابنه: ﴿**يا بنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم**﴾(٢)». وفى روايةٍ: «ليس هو كما تظنُّون إنما هو كما قال لقمان لابنه» متفق عليه.

ومعنى الحديث: أوجبوا على أنفسكم الإحسان بأن تجعلوها وطنا للإحسان. فعلى هذا «أن تحسنوا» متعلق بقوله: «وطنوا» وجواب الشرط محذوف، يدل عليه «أن تحسنوا» والتقدير: وطنوا أنفسكم على الإحسان، إن أحسن الناس تحسنوا، وإن أساءوا فلا تظلموا؛ لأن عدم الظلم إحسان.

الحديث الثانى عن معاوية رضى الله عنه: قوله: «وكله الله» «مظ»: يعنى إذا عرض له أمر فى فعله رضى الله عنه وغضب الناس أو عكسه. فإن فعل الأول رضى الله عنه ودفع عنه شر الناس، وإن فعل الثانى وكله إلى الناس، يعنى سلط الله الناس عليه حتى يؤذوه ويظلموا عليه ولم يدفع عنه شرهم. «نه»: يقال: وكلت أمرى إلى فلان أى ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «أينا لم يظلم نفسه؟» فهموا من معنى اللبس أن المراد من الظلم المعصية؛ لأن لفظ اللبس يأبى أن يراد به الشرك، فالمعنى لم يخلطوا إيمانهم بمعصية تفسقهم، كذا فى الكشاف. وقول رسول الله ﷺ: «ليس ذاك» معناه: ليس كما تعتقدون أن اللبس يقتضى الخلط، ولا يتصور خلط الشرك بالإيمان، بل هو واقع كمن يؤمن بالله ويشرك فى عبادته غيره. وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿**وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون**﴾(٣).

[٥١٣٠] انظر صحيح الجامع ٦٠٩٧ - الصحيحة ٢٣١١.

(١) الأنعام: ٨٢. (٢) لقمان: ١٣.

(٣) يوسف: ١٠٦.

٥١٣٢ ـ * وعن أبى أمامةَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «مِنْ شرِّ الناسِ منزلةَ عندَ اللهِ يوم القيامةِ، عبدٌ أذهبَ آخرتَه بدُنيا غيرِه» رواه ابن ماجه. [٥١٣٢]

٥١٣٣ ـ * وعن عائشةَ، قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «الدَّواوينُ ثلاثةٌ: ديوانٌ لا يغفرُهُ اللهُ: الإشراكُ بالله. يقولُ الله عزَّ وجلَّ ﴿إنَّ اللهَ لا يغفرُ أنْ يشركَ به﴾(١)، وديوانٌ لا يتركه اللهُ: ظلمُ العباد فيما بينهم حتى يقتصَّ بعضُهم من بعضٍ، وديوانٌ لا يعبأ اللهُ به: ظلمُ العباد فيما بينَهم وبينَ الله، فذاكَ إلى الله: إنْ شاءَ عذَّبَه وإن شاءَ تجاوزَ عنه». [٥١٣٣]

٥١٣٤ ـ * وعن على، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إياك ودعوةَ المظلوم، فإنما يسألُ اللهَ تعالى حقَّه، وإنَّ اللهَ لا يمنعُ ذا حق حقَّه». [٥١٣٤]

٥١٣٥ ـ * وعن أوْسِ بن شرَحبيل، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «مَن مشى معَ ظالمٍ ليُقويه وهو يعلمُ أنه ظالمٌ، فقدْ خرجَ من الإسلامِ». [٥١٣٥]

قال الحسن: هم أهل الكتاب معهم شرك وإيمان به. وقيل: النفاق لبس الإيمان الظاهر بالكفر الباطن. وفى الآية دلائل شاهدة على أن المراد بالظلم فيها الشرك. ومن أراد زيادة اطلاع عليه فلينظر فى «فتوح الغيب».

الحديث الثانى والثالث عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «الدواوين ثلاثة»، يراد به ها هنا صحائف الأعمال. المغرب: الديوان: الجريدة من دون الكتب إذا جمعها؛ لأنها قطع من القراطيس مجموعة. قوله: «لا يعبأ الله». «غب»: يقال: ما عبأت به، أى لم أبال به، وأصله من العبء أى الثقل كأنه قال: ما أرى له وزنا وقدرا. قال الله تعالى: **﴿قل ما يعبأ بكم ربى لولا دعاؤكم﴾**(٢) انتهى كلامه.

وإنما قال فى القرينة الأولى: «لا يغفر» ليدل على أن الشرك لا يغفر أصلا. وفى الثانية:

[٥١٣٢] انظر ضعيف الجامع ٣٥١١، الضعيفة ١٩١٥.

[٥١٣٣] سنده ضعيف.

[٥١٣٤] شعب الإيمان ٧٤٦٤ الديلمى فى الفردوس (١٥٦٨)

[٥١٣٥] انظر ضعيف الجامع بنحوه ٥٨٧١، الضعيفة ٧٥٩.

(١) النساء: ٤٨.　　(٢) الفرقان: ٧٧.

٥١٣٦ - * وعن أبى هريرةَ، أنه سمعَ رجلاً يقولُ: إنَّ الظالمَ لا يضرُّ إلا نفسَه. فقال أبو هريرةَ: بَلى والله، حتى الحبارى لتَموتُ فى وكْرها هُزلاً لظلم الظالمِ. روى البيهقىُّ الأحاديثَ الأربعةِ فى «شعب الإيمان». [٥١٣٦]

(٢٢) باب الأمر بالمعروف

الفصل الأول

٥١٣٧ - * عن أبى سعيدٍ الخدرىِّ، عن رسول الله ﷺ، قال: «مَنْ رأى منكم مُنكرًا فلْيُغيّره بيدِه، فإنْ لم يستطعْ فبلِسانِه، فإن لم يستطع فبقلبِه، وذلكَ أضعفُ الإيمانِ» رواه مسلم.

«لا يترك» ليؤذن بأن حق الغير لا يهمل قطعا، إما بأن يقتص من خصمه أو يرضيه الله تعالى. وفى الثالثة «لا يعبأ»: ليشعر بأن حق الله تعالى على المساهلة فيترك حقه كرما ولطفا.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «حتى الحبارى» «نه»: يعنى أن الله تعالى يحبس عن الحبارى القطر بشؤم ذنوب الظالم. وإنما خصها بالذكر؛ لأنها أبعد الطير نجعة، فربما تذبح بالبصرة ويوجد فى حوصلتها الحبة الخضراء، وبين البصرة وبين منابتها مسيرة أيام. ووكر الطائر عشه، والجمع وكور وأوكار.

قوله: «بلى والله» إيجاب لما نفى قبله وها هنا وقعت جوابا للمثبت. فالوجه أن يقال: إن مفهوم قوله: «لا يضر إلا نفسه» لا يضر غيره. فقال: بلى يضر غيره حتى يضر الحبارى. والله أعلم بالصواب.

باب الأمر بالمعروف

المعروف اسم جامع لكل ما عرف من طاعة الله والتقرب إليه والإحسان إلى الناس. وكل ما ندب إليه الشرع ونهى عنه من المحسنات والمقبحات. وهو من الصفات الغالبة، أى أمر معروف بين الناس إذا رأوه لا ينكرونه. والمعروف النصفة وحسن الصحبة مع الأهل وغيرهم من الناس. والمنكر ضد ذلك جميعه.

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «فليغيره بيده». «مح»: هو أمر إيجاب، وقد تطابق على وجوبه الكتاب والسنة وإجماع الأمة. وهو أيضا من النصيحة التى هى الدين.

[٥١٣٦] شعب الإيمان ٧٤٧٩.

ولم يخالف فى ذلك إلا بعض الروافض، ولا يعتد بخلافهم، قال إمام الحرمين أبو المعالى: لا يكترث بخلافهم، ووجوبه بالشرع لا بالعقل، خلافا للمعتزلة. فمن وجب عليه وفعله ولم يمتثل المخاطب، فلا عتب بعد ذلك عليه؛ لكونه أدى ما عليه، وما عليه أن يقبل منه وهو فرض كفاية، ومن تمكن منه وتركه بلا عذر أثم.

وقد يتعين كما إذا كان فى موضع لا يعلم به إلا هو، أو لا يتمكن من إزالته إلا هو. وكمن يرى زوجته أو ولده أو غلامه على منكر، قالوا: ولا يسقط عن** المكلف لظنه أنه لا يفيد بل يجب عليه فعله؛ فإن الذكرى تنفع المؤمنين، وما على الرسول إلا البلاغ المبين. ولا يشترط فى الآمر والناهى أن يكون كامل الحال ممتثلا ما يأمر به، ومجتنبا ما ينهى عنه، بل يجب عليه مطلقا؛ لأن الواجب عليه شيئان: أن يأمر نفسه وينهاها، ويأمر غيره وينهاه، فإذا أخل بأحدهما كيف يباح له الإخلال بالآخر؟

قالوا: ولا يختص ذلك بأصحاب الولايات بل هو ثابت على آحاد المسلمين؛ فإن السلف الصالح كانوا يأمرون الولاة بالمعروف وينهونهم عن المنكر، مع توقير المسلمين إياهم وترك توبيخهم على التشاغل به. ثم إنه يأمر وينهى من كان عالما بما يأمر به وينهى عنه، وذلك يختلف باختلاف الشيء، فإن كان من الواجبات الظاهرة أو المحرمات المشهورة، كالصلاة والصيام والزنا والخمر ونحوهما، فكل المسلمين عالم بها وإن كان من دقائق الأفعال والأقوال، وما يتعلق بالاجتهاد لم يكن للعوام مدخل فيه ولا لهم إنكاره، بل ذلك للعلماء.

ثم العلماء إنما ينكرون ما أجمع عليه الأئمة، أما المختلف فيه فلا إنكار فيه؛ لأن على أحد المذهبين كل مجتهد مصيب. وينبغى للآمر والناهى أن يرفق ليكون أقرب إلى تحصيل المطلوب، فقد قال الإمام الشافعى رضى الله عنه: من وعظ أخاه سرا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. وأما قوله: «فبقلبه» فمعناه: فليكرهه بقلبه، وليس ذلك بإزالة وتغيير، بل هى كراهة له؛ إذ ليس فى وسعه التغيير إلا فى هذا القدر. ومعنى «أضعف الإيمان»: أقله ثمرة.

قال القاضى عياض: هذا الحديث أصل فى مراتب التغيير، فحق المغير أن يغيره بكل وجه أمكنه قولا كان أو فعلا، فيكسر آلات الملاهى ويريق المسكر بنفسه، أو يأمر غيره به ويرفق فى التغيير.

اعلم أن باب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر باب عظيم فى الدين، به قوام الأمر وملاكه، وإذا [سدّ]*، عمَّ العقاب الصالح والظالم؛ قال الله تعالى: ﴿واتقُوا فتنةً لا تصيبنَّ الذينَ ظلمُوا منكُمْ خاصةً﴾(١)

---

(١) الأنفال :٢٥

* كذا فى «ط» ، «ك». ولعلها «فسد» وهو الأشبه بالصواب

** فى (ط): (من)، وفى (ك) : (على).

٥١٣٨ - * وعن النعمانِ بن بشير، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مثلُ المدهنِ فى حدودِ الله والواقعِ فيها، مثلُ قومٍ استَهموا سفينةً، فصارَ بعضُهم فى أسفلها، وصارَ بعضُهم فى أعْلاها، فكانَ الذى فى أسفلها يمرُّ بالماء على الذينَ فى أعلاها، فتأذَّوا به، فأخذَ فأسًا، فجعل ينقرُ أسفلَ السفينةِ، فأتوهُ فقالوا: مالكَ؟ قال: تأذَّيتُم بى ولا بُدَّ لى منَ الماءِ. فإن أخذوا على يديه أنجَوهُ ونجُّوا أنفسَهم، وإن تركوه أهلَكوهُ وأهلكوا أنفسَهم». رواه البخارى.

٥١٣٩ - * وعن أسامةَ بن زيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «يُجاءُ بالرجل يومَ القيامةِ، فيُلقى فى النارِ، فتندَلقُ أقتابُه فى النارِ، فيَطحنُ فيها كطحنِ الحمارِ برحاه،

الحديث الثانى عن النعمان رضى الله عنه: قوله: «مثل المدهن». «حس»: المداهنة والإدهان المقاربة فى الكلام والتليين؛ قال الله تعالى: ﴿وَدُّوا لَوْ تدهنُ فيدْهنُونَ﴾(١) والاستهام الاقتراع وفيه إثبات القرعة فى سكنى السفينة ونحوها من المنازل التى يسكنها أبناء السبيل إذا جاءوا معا، فإن سبق أحد فهو أحق به. قوله: «فإن أخذوا على يديه» «نه»: يقال: أخذت على يد فلان إذا منعته عما يريد أن يفعله كأنك أمسكت يده. ويقال: نجا من الأمر إذا خلص وأنجاه غيره، والتنجية التخليص، قال تعالى: ﴿وَكَذلكَ نُنْجى المؤْمنين﴾(٢).

«شف»: شبه النبى ﷺ المداهن فى حدود الله بالذى فى أعلى السفينة، وشبه الواقع فى تلك الحدود بالذى فى أسفلها، وشبه انهماكه فى تلك الحدود، وعدم تركه إياها بنقره أسفل السفينة، وعبر عن نهى الناهى الواقع فى تلك الحدود بالأخذ على يديه، وبمنعه إياه عن النقر، وعبر عن فائدة ذلك المنع بنجاة الناهى والمنهى، وعبر عن عدم نهى النهاة بالترك، وعبر عن الذنب الخاص للمداهنين الذين ما نهوا الواقع فى حدود الله بإهلاكهم إياه وأنفسهم. وكأن السفينة عبارة عن الإسلام المحيط بالفريقين. وإنما جمع فرقة النهاة إرشادا إلى أن المسلمين لابد وأن يتعاونوا على أمثال هذا النهى، أو إلى أن من يصدر عنه هذا النهى فهو كالجمع. قال تعالى: ﴿إنَّ إبراهيمَ كَانَ أمةً....﴾(٣) وأفرد الواقع فى حدود الله تعالى لأدائه إلى ضد الكمال.

الحديث الثالث عن أسامة رضى الله عنه: قوله: «فتندلق» «تو»: أى تخرج خروجا سريعا، والاندلاق التقدم، يقال: اندلق السيف: إذا خرج من غمده من غير سل. و«الأقتاب» الأمعاء

---

(١) القلم: ٩ (٢) الأنبياء : ٨٨
(٣) النحل : ١٢٠

فيجتمعُ أهل النارِ عليه فيقولونَ: أىْ فلانُ! ما شأنُك؟ أليسَ كنتَ تأمرُنا بالمعروف وتنهانا عن المنكرِ؟ قال: كنتُ آمرُكم بالمعروف ولا آتيه، وأنهاكم عن المنكرِ وآتيه». متفق عليه.

الفصل الثانى

٥١٤٠ ـ * عن حُذيفةَ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «والذى نفْسى بيدِه لتأمرُنَّ بالمعروف ولتَنهَوُنْ عن المنكرِ أو ليُوشكَنَّ اللهُ أن يبعثَ عليكم عذابًا منْ عندِه ثمَّ لتَدْعُنَّه ولا يُستجابُ لكم». رواه الترمذى. [٥١٤٠]

واحدها «قِتب» بالكسر. وقال أبو عبيدة: «القتب» ما يحوى من البطن وهى الحوايا، وأما الأمعاء فهى الأقصاب. قوله: «فيطحن فيها» هو على بناء الفاعل والضمير لـ«الرجل»، وفى «فيها» لـ«الأمعاء» وفى بعض نسخ المصابيح هو على بناء المفعول. وهو خطأ: لما ورد فى رواية أخرى: «فيدور كما يدور الحمار برحاه».

«مظ»: أى يدور فى أقتابه يعنى يدور حول أقتابه ويضربها برجله. أقول: قوله: «كطحن الحمار» من إضافة المصدر إلى الفاعل، والمفعول محذوف. والباء للاستعانة. والتقدير: كطحن الحمار الدقيق باستعانة الرحى، فالمشبه مركب من أمور متعددة، فيجب أن يتوهم للمشبه به تلك الأمور؛ فإن التشبيه التمثيلى يستدعى ذلك، فالمشبه فى الدنيا، الرجل يدور حول رحى الأمر بالمعروف، ويتعب فيه ويكد كالحمار، وماله نصيب مما يحصل منه إلا الكد والتعب كالحمار، نحو قوله تعالى: ﴿كَمثل الحِمَارِ يحْملُ أَسْفَارا﴾(١) وكذا فى الآخرة يدور حول أقتابه التى شبهت بكلامه الذى خرج منه. فيدوسها برحى رجله، ويطحنها كطحن الحمار الدقيق جزاءً بما كانوا يعملون.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن حذيفة رضي الله عنه: قوله: «لتأمرن بالمعروف» أى: والله إن أحد الأمرين كائن، إما ليكن منكم الأمر بالمعروف ونهيكم عن المنكر، أو إنزال عذاب عظيم من عند الله، ثم بعد ذلك لم يكن منكم الدعاء ومن الله الإجابة.

[٥١٤٠] انظر صحيح الجامع ٧٠٧٠ – حسن.

(١) الجمعة: ٥

٥١٤١ ـ * وعن العُرس بن عميرةَ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا عُملت الخطيئة فى الأرضِ مَن شهِدَها فكرهَها كان كمن غابَ عنها، ومَن غابَ عنها فرضِيَها كان كمن شهدَها». رواه أبو داود. [٥١٤١]

٥١٤٢ ـ * وعن أبى بكرٍ الصديق [رضى اللهُ عنه]، قال: يأيُّها الناسُ! إنكم تقرءونَ هذهِ الآية: ﴿يأيُّهَا الذين آمنوُا عليكُمْ أنفُسَكُم لا يضُرُّكمْ منْ ضَلَّ إذا اهتديتُم﴾ فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الناسَ إذا رأوْا منكرًا فلم يُغَيِّروه يوشِكُ أن يعمَّهم الله بعقابه». رواه ابن ماجه، والترمذى وصححه. وفى رواية أبى داود: «إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه أوشك أن يعمَّهم الله بعقابٍ». وفى أخرى [له]: «ما من قومٍ يُعمل فيهم بالمعاصى هم أكثر ممَّن يعمله». [٥١٤٢]

الحديث الثانى عن العرس قوله: «من شهدها» جواب الشرط والفاء محذوفة، كما فى قوله تعالى: ﴿وَإنْ أَطَعتُموهُم إنكُمْ لمشرِكُون﴾[(١)]

الحديث الثالث عن أبى بكر رضى الله عنه: قوله: «فإني سمعت» الفاء فيه فصيحة تدل على محذوف، كأنه قال: إنكم تقرءون هذه الآية وتجرون على عمومها وتمتنعون عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وليس كذلك؛ «فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول....» إلخ. وإنما قلت: ليس كذلك؛ لأن الآية نزلت فى أقوام أُمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر فأبوا القبول كل الإباء، فذهبت أنفس المؤمنين حسرة عليهم. فقيل لهم: عليكم أنفسكم وما كلفتم من إصلاحها، والمشى بها فى طرق الهدى، لا يضركم الضُلال عن دينكم إذا كنتم مهتدين. ويشهد لذلك ما قبل هذه الآية: ﴿وَإذَا قِيلَ لهُمْ تعالَوا إلَى مَا أَنزلَ اللهُ وَإلى الرَّسُول﴾[(٢)]. هذا تخصيص بحسب الأشخاص وأما بحسب الأزمان فيدل عليه الحديث الآتى لأبى ثعلبة؛ فإن العام قد يخص مرة أخرى.

«مح»: وأما قوله تعالى: ﴿يأيها الذين آمنوا﴾[(٣)] الآية، فليست مخالفة لوجوب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر؛ لأن المذهب الصحيح عند المحققين فى معنى الآية: أنكم إذا فعلتم ما كلفتم به فلا يضركم تقصير غيركم، مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَزِرُ وازرَةٌ وزرَ أُخرى﴾[(٤)] فإذا كان كذلك مما كلف به الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، إذا فعله ـ ولم يمتثل المخاطب ـ فلا عتب بعد ذلك عليه؛ لكونه أدى ما عليه.

[٥١٤١] إسناده حسن.

[٥١٤٢] إسناده صحيح.

(١) الأنعام: ١٢١. (٢) المائدة: ١٠٤. (٣) المائدة: ١٠٥. (٤) الإسراء: ١٥.

٥١٤٣ - * وعن جَرير بن عبدالله، قال سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «ما من رجلٍ يكونُ فى قومٍ يَعملُ فيهم بالمعاصي، يَقدرونَ على أن يُغيِّروا عليه ولا يغيرون، إِلا أصابَهم اللهُ منه بعقابٍ قبلَ أن يموتوا». رواه أبو داود، وابن ماجه.[٥١٤٣]

٥١٤٤ - * وعن أبى ثعلبةَ فى قوله تعالى: ﴿عليكم أنفسكم لا يضرُّكم من ضلَّ إذا اهتدَيتُم﴾. فقال: أما والله لقد سألتُ عنها رسول الله ﷺ فقال: «بل ائتمروا بالمعروفِ، وتَناهَوا عنِ المنكر، حتى إِذا رأيتَ شُحًّا مُطاعًا، وهوى مُتَّبَعًا، ودنيا مُؤثَرةً، وإِعجابَ كل ذى رأى برأيه، ورأيت أمرًا لابدَّ لك منه؛ فعليك نفسكَ، ودعْ

أقول: وهذا الوجه أعم من الأول؛ لأن الأول كان له صورة مخصوصة فتعدى الحكم منه إلى ما يشابهه من الصور فعم. قوله: «هم أكثر ممن يعمله» يزاد بعده قوله: «ثم لا يغيرون إلا يوشك أن يعمهم الله بعقاب» وهو صفة «قوم» و«إلا يوشك» خبر «ما».

الحديث الرابع عن جرير: قوله: «إلا أصابهم الله منه» الضمير فيه يجوز أن يعود إلى «الرجل» وإلى «عدم التغيير» وتكون «من» ابتدائية، أى بسبب شؤمه، وأن يعود إلى الله تعالى، أى عذابا من عنده. وهذا أبلغ كقوله تعالى: ﴿إِنِّى أَخَاْفُ أَنْ يمسَّكَ عذابٌ منَ الرحْمنِ فَتَكونَ للشيطَان وليًا﴾(١) وهذا الحديث مخالف للحديث الذى فى المصابيح بحسب اللفظ. وكان موضعه الفصل الثالث، إلا أنه ذكره هنا؛ تنبيها على أن المؤلف ما وجد فى الأصول كما فى المصابيح.

الحديث الخامس عن أبى ثعلبة رضي الله عنه: قوله: «فى قوله تعالى» يقول الراوى: سأل أبو ثعلبة فى شأن قوله تعالى: ﴿عَلَيْكُمْ أَنْفسكُمْ﴾(٢) «فقال...» إلخ. وقوله: «بل ائتمروا» إضراب عن مقدر، أى: سألت عنها رسول الله ﷺ وقلت: أما نترك الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر بناء على ظاهر الآية؟ فقال ﷺ: لا تتركوا «بل ائتمروا بالمعروف». قوله: «ودنيا مؤثرة» «مظ»: مفعول من الإيثار وهو الاختيار، يعنى يختار الناس الدنيا على الآخرة ويحرصون على جمع المال. وإعجاب كل ذى رأى، أى يجد كل أحد فعل نفسه حسنا وإن كان قبيحا، ولا يراجع العلماء فيما فعل، بل يكون مفتى نفسه.

قوله: «ورأيت أمرًا لابد لك منه» يحتمل أن يكون بالباء الموحدة بمعنى لا فراق لك منه، المعنى رأيت أمرا يميل إليه هواك ونفسك من الصفات الذميمة، فإن أقمت بين الناس لا محالة

[٥١٤٣] انظر صحيح أبى داود ٣٦٤٦.

(١) مريم : ٤٥ (٢) المائدة: ١٠٥

أمرَ العوامِّ، فإنَّ وراءكم أيامَ الصَّبرِ، فمنْ صبرَ فيهنَّ قَبَضَ على الجمرِ، للعاملِ فيهنَّ أجرُ خمسين رجلاً يعملونَ مثلَ عملِه». قالوا: يا رسولَ الله! أجرُ خمسينَ منهم؟ قال: «أجرُ خمسين منكم». رواه الترمذى، وابنُ ماجه.[٥١٤٤]

٥١٤٥ ـ * وعن أبى سعيدٍ الخدرى، قال: قام فينا رسولُ الله ﷺ خطيبًا بعدَ العصرِ، فلم يدعْ شيئا يكونُ إلى قيام السَّاعة إلا ذكرَه، حفظه مَن حفظه، ونسيَه مَن نسيَه، وكانَ فيما قال: «إنَّ الدُّنيا حُلْوَةٌ خَضِرةٌ، وإنَّ اللهَ مستخلفُكم فيها، فناظرٌ كيفَ تعملونَ، ألا فاتقوا الدنيا واتقو النساءَ» وذكرَ: «إنَّ لكلِّ غادرٍ لواءً يومَ القيامة بقدرِ غدرتِه فى الدنيا، ولا غدْرَ أكبرُ من غدْرِ أميرِ العامَّة، يُغرَزُ لواؤه عند استه». قال: «ولا يمنعنَّ أحدًا منكم هيبةُ الناسِ أنْ يقولَ بحقٍ إذا علمَه» وفى رواية: «إنْ رأى مُنكرًا أنْ يُغيرَه» فبكى أبو سعيدٍ وقال: قدْ رأيناهُ فمنعتْنا هيبةُ النَّاسِ أنْ نتكلمَ فيه. ثمَّ قال: «ألا إنَّ بنى آدمَ خُلقوا على طبَقاتٍ شتَّى، فمنهم مَن يولَدُ مؤمنًا، ويحيى

أن تقع فيها، فعليك نفسك واعتزل عن الناس حذرا من الوقوع. وأن يكون بالياء المثناة، كما فى بعض نسخ المصابيح. فالمعنى رأيت أمرا لا طاقة لك من دفعه، فعليك نفسك. ومنه حديث يأجوج: «قد أخرجت عباداً لى ولا يدان لأحد بقتالهم» أى لا قدرة ولا طاقة.

قوله: «ودع أمر العوام» أى اشتغل بأمر خاصتك ودع أمر من سواك. وقوله: «فإن وراءكم أيام الصبر» أى أياما يحمد فيها الصبر ويفضل. ومعنى قوله: «فمن صبر فيهن» أى مشقة الصابر على القبائح والمحارم فى تلك الأيام والصبر عليها، مثل مشقة الصابر على قبض الجمر. قوله: «أجر خمسين منهم؟». فيه تأويلان: أحدهما: أن يكون أجر كل واحد منهم على تقدير أنه غير مبتلى ولم يضاعف أجره. وثانيهما: أن يراد أجر خمسين منهم أجمعين لم يبتلوا ببلائه.

الحديث السادس عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «فلم يدع شيئا» أى ما يتعلق بأمور الدين أي مما لابد منه قوله: «خضرة» «فا»: أى خضراء ناعمة، يقال: أخضر وخضر، كقولهم: أعور وعور.

أقول: قوله: «حلوة خضرة» كناية عن كونها غرارة يفتتن الناس بلونها وطعمها وليس تحتها طائل. «تو»: أراد بـ«أمير العامة» المتغلب الذى يستولى على أمور المسلمين وبلادهم، بتأمير

[٥١٤٤] إسناده ضعيف.

مؤمنًا، ويموت مؤمنًا؛ ومنهم من يولدُ كافرًا، ويحيى كافرًا، ويموت كافرًا، ومنهم من يولدُ مؤمنا، ويحيى مؤمنا، ويموت كافرًا؛ ومنهم مَن يولدُ كافرًا، ويحيى كافرًا، ويموتُ مؤمنًا» قال وذكر الغضبَ «فمنهم مَن يكون سريع الغضبِ، سريعَ الفيء، فإحداهُما بالأخرى؛ ومنهم مَن يكونُ بطيءَ الغضب، بطيءَ الفيء، فإحداهُما بالأخرى، وخيارُكمَ من يكونُ بطيءَ الغضبِ سريع الفيءِ، وشرارُكم مَن يكونُ سريعَ الغضبِ بطيءَ الفيءِ». قال: «اتقوا الغضبَ؛ فإنَّه جمرةٌ على قلبِ ابن آدمَ، ألا ترَونَ إلى انتفاخ أو داجه! وحُمرة عينَيه! فمن أحسَّ بشيء من ذلكَ فليضطجعْ وليتلَبَّدْ بالأرض» قال: وذكرَ الدَّينَ فقال: «منكم مَن يكونُ حسنَ القضاء، وإذا كانَ له أفحشَ في الطلبِ، فإحداهُما بالأخرى؛ ومنهم من يكونُ سيءَ القضاء، وإن كانَ له أجملَ فى الطلبِ، فإحداهُما بالأخرى. وخياركم من إذا كانَ عليه الدَّينُ أحسَنَ القضاءَ، وإن كانَ له أجملَ فى الطلبِ؛ وشرارُكم مَن إذا كانَ عليه الدَّينُ أساءَ القضاء، وإنْ كانَ له أفحشَ فى الطلبِ». حتى إذا كانتِ الشَّمسُ على رءوسِ النَّخلِ وأطرافِ الحيطانِ فقال: «أما إنَّه لم يبقَ من الدنيا فيما مضى منها إلا كما بقَى من يومِكُم هذا فيما مضى منه». رواه الترمذى. [٥١٤٥]

العامة ومعاضدتهم إياه من غير مؤامرة من الخاصة وأهل العقد من أولى العلم، ومن ينضم إليهم من ذوى السابقة ووجوه الناس. وقوله: «يغرز لواؤه عند استه» من شأن الأمراء أن يكون لواؤهم خلفهم ليعرفوا به، ويوم القيامة يكون لكل من دعا إلى حق أو باطل لواء يعرف به. وذكر «عند استه» استهانة وتنبيها على أنه يُلْصَقُ به ويَدْنَى منه دنوًا لا يكون معه اشتباه.

قوله: «أن يقول بحق» أى يتكلم به أو يأمر به. قال فى النهاية: تجعل العرب القول عبارة عن جميع الأفعال وتطلقه على غير الكلام، فتقول: قال بيده أى أخذ، وقال برجله أى مشى. قوله: «وليتلبد بالأرض» أى ليلتزق بها حتى يسكن غضبه. وقوله: «حتى إذا كانت الشمس» غاية قوله: «قام فينا خطيبا» أى قام فلم يدع شيئا إلا ذكره حتى إذا كانت الشمس... إلخ. وقوله: «إذا» هى للمستقبل و«كانت» ماض، **وفائدته استحضار الحال الماضية فى مشاهدة السامع، كقوله تعالى: ﴿قَالُوا لإخْوانهمْ إذَا ضَرَبُوا فى الأرْض﴾**[1]. الكشاف[2]: هو على حكاية الماضية لقوله: «حين يضربون فى الأرض» وقوله: «فيما مضى منها» أى فى جملة ما مضى منها، يعنى نسبة ما بقى من أيام الدنيا إلى جملة ما مضى، كنسبة ما بقى من يومكم هذا

[٥١٤٥] لبعض شواهد تصححه.

(١) آل عمران: ١٥٦ (٢) الكشاف: ج١/ ٣٥٥.

٥١٤٦ - * وعن أبى البخترى، عن رجلٍ من أصحاب رسولِ الله ﷺ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لنْ يَهلكَ النَّاسُ حتى يُعذروا من أنفسِهم». رواه أبوداود. [٥١٤٦]

٥١٤٧ - * وعن عدىٍّ بنِ عدىٍّ الكندىِّ، قال: حدَّثنا مولى لنا أنه سمعَ جدِّى [رضى الله عنه] يقول: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ الله تعالى لا يعذِّبُ العامَّةَ بعملِ الخاصَّةِ حتى يروا المنكرَ بينَ ظَهرانيهم وهُم قادرونَ على أن ينكروه فلا ينكِروا؛ فإذا فعَلوا ذلكَ عذَّبَ اللهُ العامَّةَ والخاصَّة». رواه فى «شرح السنَّة»[٥١٤٧]

٥١٤٨ - * وعن عبدِالله بن مسعودٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لما وقعت بنو إسرائيلَ فى المعاصي نهتهم علماؤهم فلم ينتهوا، فجالسوهم فى مجالسهم، وآكلوهم

إلى ما مضى منه. وقوله: «إلا كما بقى» مستثنى من فاعل «لم يبق»، أى لم يبق شىء من الدنيا إلا مثل ما بقى.

الحديث السابع عن أبى البخترى رضى الله عنه: قوله: «حتى يعذروا». «قض»: قيل إنه من «أعذر فلان» إذا كثر ذنبه فكأنه سلب عذره بكثرة اقتراف الذنوب، أو من «أعذر غيره» إذا جعله معذورا. فكأنهم أعذروا من يعاقبهم بكثرة ذنوبهم، أو من «أعذر» أى: صار ذا عذر. والمعنى حتى يذنبوا فيعذرون أنفسهم بتأويلات زائغة وأعذار فاسدة من قبل أنفسهم ويحسبون أنهم يحسنون صنعا.

أقول: والوجه الثالث أنسب بباب الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، كأن الناهى ينكر عليه ذنبه وهو يتبرأ من الذنب ويعذر لنفسه ولإقدامه عليه.

الحديث الثامن عن عدى رضي الله عنه: قوله: «العامة بعمل الخاصة» أراد بـ«العامة» أكثر القوم وبـ«الخاصة» أقلهم، نحوه قوله تعالى: ﴿وَاتقُوا فتنةً لا تصيبنَّ الذينَ ظَلَمُوا منكُمْ خَاصةً﴾(١) وقوله: «فلا ينكروا» عطف على قوله: «يروا المنكر».

الحديث التاسع عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «فضرب الله قلوب بعضهم» أى خلط. «غب»: ضرب اللبن بعضه ببعض أى خلط. قوله: «حتى تأطروهم» «فا»: الأطر العطف، ومنه إطار المنخل؛ قال طرفة:

وأطرُ قسيّ تحتَ صلبٍ مؤيدِ

و«حتى» متعلقة بـ«لا» كأن قائلا قال له عند ذكر مظالم بنى إسرائيل: هل تعذر فى تخلية

[٥١٤٦] انظر صحيح أبى داود ٣٦٥٣

[٥١٤٧] شرح السنة ٤١٥٥ (١٤ : ٣٤٦)

(١) الأنفال : ٢٥

وشاربوهم، فضربَ اللهُ قلوبَ بعضهم ببعض، فلعنهم على لسان داود وعيسى بن مريمَ ذلكَ بما عصَوْا وكانوا يعتدونَ». قال: فجلسَ رسولُ الله ﷺ وكانَ متكئًا فقال: «لا والذى نفْسى بيده حتى تأطِروهُم أطْرًا». رواه الترمذى، وأبو داود وفى روايته قال: «كلاَّ واللهِ لتأمرُنَّ بالمعروفِ ولتنهوُنَّ عن المنكرِ، ولتأخذُنَّ على يدى الظالمِ، ولتأطرُنَّه على الحقِّ أطْرًا، ولتُقصرنَّه على الحقِّ قصرًا أو ليضربَنَّ اللهُ بقُلوبِ بعضكم على بعضٍ ثمَّ ليلعننَّكُم كما لعنهم». [٥١٤٨]

٥١٤٩ - * وعن أنسٍ أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «رأيتُ ليلةَ أُسرىَ بى رجالاً تُقرضُ شفاهُهم بمقاريضَ من نارٍ، قلتُ: مَن هؤلاءِ يا جبريلُ؟ قال: هؤلاء خُطباءُ أُمتكَ يأمرونَ النَّاس بالبرِّ وينسونَ أنفسَهم». رواه فى «شرح السنة»، والبيهقى فى «شعب الإيمان» وفى روايته قال: «خُطباء من أمتكَ الذينَ يقولون مالا يفعلونَ، ويقرءون كتابَ الله ولا يعملونَ». [٥١٤٩]

٥١٥٠ - * وعن عمَّار بن ياسرٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أُنزلتِ المائدةُ منَ

الظالمين وشانهم؟ فقال: لا حتى تأطروهم وتأخذوا على أيديهم، أى لا تعذرون حتى تجبروا الظالم على الإذعان للحق وإعطاء النصفة للمظلوم، واليمين معترضة بين «لا» و«حتى» وليست إلا هذه بتلك التى يجىء بها المقسم تأكيدًا لقسمه. قوله: «لتقصرنه» «نه»: القصر: الحبس، يقال: قصرت نفسى على الشىء إذا حبستها عليه وألزمتها.

الحديث العاشر عن أنس رضى الله عنه قوله: «الذين يقولون» بدل من قوله: «خطباء» ويجوز أن يكون صفة له؛ لأنه لا توقيت فيه على عكس قوله:

ولَقدْ أمرُ علَى اللئيمِ يسبنى

ويجوز أن يكون منصوبا على الذم، وهو الأوجه يتفطن لذلك من رزق الذهن السليم والطبع المستقيم.

الحديث الحادى عشر عن عمار رضى الله عنه: قوله: «المائدة من السماء». «غب»: المائدة الطبق الذى عليه الطعام، ويقال لكل واحد منها مائدة. انتهى كلامه. وقوله: «خبزا ولحما»

[٥١٤٨] إسناده ضعيف.

[٥١٤٩] رواه أحمد بإسناد ضعيف.

السَّماء خُبزًا ولحمًا، وأمروا أن لا يخونوا ولايدَّخروا لغدٍ، فخانوا وادَّخروا ورفعوا لغَدٍ، فُمسخوا قِرَدةً وخنازيرَ». رواه الترمذى. [٥١٥٠]

الفصل الثالث

٥١٥١ ـ * عن عمرَ بن الخطاب، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّه تصيبُ أُمَّتى فى آخرِ الزمانِ من سلطانهم شدائدُ، لا ينجو منه إلا رجلٌ عرفَ دينَ الله، فجاهدَ عليه بلسانه ويده وقلبه، فذلكَ الذى سبقت له السَّوابقُ؛ ورجلٌ عرفَ دينَ الله، فصدَّقَ به، ورجلٌ عرفَ دينَ الله فسكتَ عليه، فإنْ رأى مَن يعملُ الخيرَ أحبَّه عليه، وإنْ رأى من يعملُ بباطلٍ أبغضَه عليه، فذلك ينجو على إبطانِه كله».

تمييز نحو قوله: [راقُودٌ خلا]*. وقوله: «قردة وخنايز» حالان مقدرتان. كقوله تعالى: ﴿وتَنْحتُونَ منَ الجبالِ بيوتًا﴾(١)

الفصل الثالث

الحديث الأول عن عمر رضي الله عنه: قوله: «لا ينجو منه» الضمير يجوز أن يعود إلى «السلطان» أو يحمل على أنه واقع موقع اسم الإشارة، ويعود إلى «شدائد» باعتبار المذكور، أو المنكر وهو الشدائد. وقوله: «لا ينجو» على الأول استئناف، وعلى الثانى صفة قوله: «شدائد». «السوابق» جمع سابقة وهى الخصلة المفضلة إما السعادة وإما البشرى بالثواب من عند الله، وإما التوفيق للطاعة كقوله تعالى: ﴿إنَّ الذينَ سبقتْ لهُمْ منَّا الحُسْنى﴾(٢).

وقوله: «عرف دين الله فجاهد عليه...» إلى آخر الحديث هو من باب التقسيم الحاصر؛ لأن الناهى عن المنكر إما سابق وإما مقتصد أو دونهما. فالفاءات فى قوله: «فجاهد، فصدق، فسكت» مسببات عن العرفان، فمعنى الأول: من عرف دين الله حق معرفته وتصلب فى دينه فبذل جهده فى المجاهدة بلسانه ويده وقلبه. ومعنى الثالث: من عرف دين الله أدنى معرفة سكت، فلم يجهد فيه إلا على قدر إيمانه. وذلك بالكراهة بالقلب. وهو المراد من قوله فى الحديث الآخر: «وذلك أضعف الإيمان» فيبقى قوله: «فصدق به» فى درجة المقتصد فينبغى أن يفسر بما هو دون الأولى وفوق الثالثة، وهو أن يجاهد بلسانه وقلبه. والتصديق يستعمل حقيقة فى اللسان مجازا فى العمل، فتصديقه هنا معبر عن دفع المنكر بلسانه وقلبه. وقوله: «على إبطانه كله» أى إبطان محبة الخير فى قلبه. وإبطان بغض الباطل فى قلبه.

[٥١٥٠] انظر سنن الترمذي ح (٣٠٦١).

(١) الشعراء: ١٤٩ (٢) الأنبياء: ١٠١.

(*) الراقود: إناء خزفٍ مستطيل مُقيَّر.

٥١٥٢ ـ * وعن جابرٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «أوْحى اللهُ عزَّ وجلَّ إلى جبريلَ عليه السلام: أن اقلبْ مدينةَ كذا وكذا بأهلها قال: يارب! إنَّ فيهم عبدكَ فلانًا لم يعصكَ طرفةَ عينٍ». قال: «فقال: اقلِبها عليه وعليهم، فإنَّ وجهَه لم يتمعَّر فى ساعة قطُّ». [٥١٥٢]

٥١٥٣ ـ * وعن أبى سعيد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ عزَّ وجلَّ يسألُ العبد يومَ القيامةِ، فيقول: ما لَكَ إذا رأيت المنكرَ فلم تنكرْه؟» قال رسولُ الله ﷺ: «فيُلقَّى حجتَّه، فيقول: يارب! خِفتُ النَّاسَ ورجَوتُكَ» روى البيهقى الأحاديث الثلاثةَ فى «شعب الإيمان». [٥١٥٣]

٥١٥٤ ـ * وعن أبى موسى الأشعري، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «والذى نفْسُ محمَّد بيدِه إنَّ المعروفَ والمنكرَ خليقتانِ، تُنصبانِ للنَّاس يومَ القيامةِ، فأمَّا المعروفُ فيبشِّرُ أصحابه ويوعِدهم الخيرَ، وأمَّا المنكرُ فيقول: إِليكم إِليكم؛ وما يستطيعونَ له إلا لزومًا». رواه أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان».

الحديث الثانى عن جابر رضى الله عنه: قوله: «اقلب» أمر و«أن» مفسرة لما فى «أوحى» من معنى القول. قوله: «لم يتمعر» «نه» أى لم يتغير، وأصله قلة النضارة وعدم إشراق اللون، من قولهم: مكان أمعر وهو الجدب الذى لا خصب فيه.

الحديث الثالث عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «فيلقى حجتّه». «نه»: أى يتعلم ويتواصى بها ويتنبه عليها، كقوله تعالى: ﴿وما يلقاها إلا الصابرون﴾(١). قوله: «خفت الناس». قال البيهقى: يحتمل أن يكون هذا فيمن يخاف سطوتهم وهو لا يستطيع دفعها عن نفسه.

الحديث الرابع عن أبى موسى رضى الله عنه: قوله: «خليقتان» أى مخلوقتان. قوله: «وما يستطيعون له» يعنى يبعدهم المنكر عن نفسه وهم لا يقدرون أن يفارقوه والله أعلم بالصواب.

[٥١٥٢] شعب الإيمان ح ٧٥٩٥ (٦/ ٩٧).

[٥١٥٣] وأخرجه أحمد (٣/ ٢٧) وفي سنن ابن ماجه (٤٠١٧)، وقال في الزوائد: إسناده صحيح رجاله ثقات. انظر شعب الإيمان (٦/ ٩١) ح (٧٥٧٥).

(١) القصص: ٨٠

كتـــاب الرقـــاق

الفصـل الأول

٥١٥٥ ـ * عن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «نعمتانِ مغبونٌ فيهما كثيرٌ مِنَ النَّاسِ: الصِّحةُ والفَراغُ». رواه البخاري.

كتاب الرقاق

«غب: الرقة كالدقة لكن الدقة تقال اعتبارا لمراعاة جوانبه، والرقة اعتبارا بعمقه، يقال فلان رقيق القلب وقاسى القلب. «مظ»: الرقاق جمع رقيق، وهو الذى فيه رقة. سميت هذه الأحاديث رقاقا؛ لأن فى كل حديث من الوعظ والتنبيه ما يجعل القلب رقيقا، ويحدث فى القلب رقة.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «نعمتان». «غب»: النعمة الحالة الحسنة. وبناء النعمة بناء الحالة التى يكون عليها الإنسان كالجلسة. قال الإمام فخر الدين الرازى: النعمة عبارة عن المنفعة المفعولة على جهة الإحسان إلى الغير. «غب»: الغبن أن تبخس صاحبك فى معاملة بينك وبينه من الإخفاء. فإن كان ذلك فى مال يقال: غبن فلان، وإن كان فى رأى يقال: غبن. الجوهرى: الغبن بالتسكين فى البيع والتحريك فى الرأى. يقال: غبنته فى البيع بالفتح أى خدعته، وقد غبن فهو مغبون، وغبن رأيه بالكسر إذا نقضته، فهو غبين الرأى أى ضعيف الرأى.

أقول: إن رسول الله ﷺ ضرب مثلا للمكلف بالتاجر الذى له رأس مال، وهو يبيع ويشترى ويطلب من تجارته سلامة رأس المال والربح، فالواجب عليه أن يتحرى فيها من يعامله، ويكون صدوقا غير مخادع لئلا يغبنه فى معاملته. فنعمتا الفراغ والصحة رأس مال المكلف، فينبغى له أن يعامل الله تعالى بالإيمان بالله ورسوله، والمجاهدة مع النفس وأعداء الدين؛ لئلا يغبن ويربح فى الدنيا والآخرة. قال الله تعالى: **﴿هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم﴾**[1] ويجتنب معاملة الشيطان لئلا يغبن فيضيع رأس ماله مع الربح.

---

(١) الصف: ١٠،١١

٥١٥٦ ـ * وعن المستوردِ بن شدَّاد، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «واللهِ ما الدُّنيا في الآخرةِ إلاَّ مثلُ ما يجعلُ أحدُكم أصبعَه في اليمِّ؛ فلْينظُرْ بِمَ يرجع؟». رواه مسلم.

٥١٥٧ ـ * وعن جابرٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ مرَّ بجَدْيٍ أسكَّ ميِّت. قال: «أيكم يُحبُّ أنَّ هذا له بدرهمٍ؟» فقالوا: ما نحب أنَّه لنا بشيءٍ. قال: «فوَاللهِ لَلدُّنيا أهونُ على اللهِ من هذا عليكم». رواه مسلم.

٥١٥٨ ـ * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «الدنيا سجنُ المؤمنِ وجنَّةُ الكافرِ». رواه مسلم.

فالكثير في الحديث في مقابلة القليل في قوله تعالى: ﴿وقليل من عبادي الشكور﴾(١) والشكر كما علمت في إزاء النعمة. وشكر العباد لله تعالى عبارة عن آداب الجوارح في طاعته وتحري مراضيه بقلبه. والنداء على التحميد بلسانه وبناء المبالغة في الشكور ينبيء عن هذه الأقسام. والله أعلم.

الحديث الثاني عن المستورد رضي الله عنه: قوله: «ما الدنيا في الآخرة» أي مثل الدنيا في جنب الآخرة. قوله «فلينظر بم يرجع» وضع موضع قوله: فلا يرجع بشيء، كأنه ﷺ يستحضر تلك الحالة في مشاهدة السامع ثم يأمره بالتأمل والتفكر هل يرجع بشيءٍ أم لا؟ هذا تمثيل على سبيل التقريب، وإلا فأين المناسبة بين المتناهي وغير المتناهي؟

الحديث الثالث عن جابر رضي الله عنه: قوله: «الأسك» الأسك الصغير الأذن، ويقال للذي لا أذن له. قوله: «أيكم يحب؟» في هذا الاستفهام إرشاد منه ﷺ وتنبيه، ينبههم ﷺ على إلقاء السمع للخطاب الخطير، وشهود القلب لما يعنى به من الخطب الجليل؛ وهو هوان الدنيا ليوطن ذلك في قلوبهم مزيد توطين، ويقرره تقريرا بعد تقرير وهو على منوال قوله تعالى: ﴿أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه﴾(٢)

الحديث الرابع عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «الدنيا سجن المؤمن». «فا»: أراد أن الدنيا للمؤمن كالسجن في جنب ما أعد له من المثوبة، وللكافر كالجنة في جنب ما أعدله من العقوبة. وقيل: إن المؤمن غرب نفسه عن الملاذ وأخذها بالشدائد، فكأنه في السجن، والكافر [روحها]* في الشهوات فهي له كالجنة، انتهى كلامه. ولما مات داود الطائي، سمع هاتفا يهتف: أطلق داود من السجن.

---

(١) سبأ: ١٣ (٢) الحجرات: ١٢

(*) كذا في «ط» وفي «ك» «مرحها».

٥١٥٩ ـ * وعن أنسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ اللهَ لا يظلمُ مؤمنًا حسنةً، يُعطَى بها فى الدنيا ويُجزى بها فى الآخرة، وأما الكافر فيُطْعَمُ بحسناتِ ما عمل بها لله فى الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكنْ له حسنةٌ يُجزى بها». رواه مسلم.

٥١٦٠ ـ * وعن أبى هُريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُجبتِ النارُ بالشهواتِ، وحجبت الجنَّةُ بالمكاره». متفق عليه. إلاَّ أنَّ عند مسلم: «حُفَّت». بدل: «حجبت».

قال شيخنا شيخ الإسلام أبو حفص السهروردى: إن السجن والخروج منه يتعاقبان على قلب العبد المؤمن على توالى الساعات ومرور الأوقات؛ لأن النفس كلما ظهرت بصفاتها أظلم الوقت على القلب حتى ضاق وانكمد، وهل السجن إلا تضييق وحجر من الخروج والولوج. فكلما هم القلب بالتبرز عن مشائم الأهواء الدنيوية والتخلص عن قيود الشهوات العاجلة؛ تسببًا إلى الآجلة، وتنزها فى فضاء الملكوت ومشاهدة للجمال الأزلى، حجزه الشيطان المردود عن هذا الباب المطرود بالاحتجاب، فتدلى بحبل النفس الأمارة إليه فكدر صفو العيش عليه، وحال بينه وبين محبوب طبعه. وهذا من أعظم السجون وأضيقها؛ فإن من حيل بينه وبين محبوبه ضاقت عليه الأرض بما رحبت وضاقت عليه نفسه؛ ولهذا المعنى أخبر الله تعالى عن جماعة من الصحابة، حيث تخلفوا عن رسول الله ﷺ فى بعض الغزوات، فقال تعالى: **﴿وعلى الثلاثة الذين خلفوا حتى إذا ضاقت عليهم الأرض بما رحبت﴾** الآية(١).

الحديث الخامس عن أنس رضى الله عنه: قوله: «لا يظلم مؤمنا حسنة» «حس»: لا يظلم ولا ينقص، وهو متعدى إلى مفعولين: أحدهما «مؤمنا» والآخر «حسنة». ومعناه: أن المؤمن إذا اكتسب حسنة، يكافئه الله تعالى بأن يوسع عليه رزقه ويرغد عيشه فى الدنيا، وبأن يجزى ويثيب فى الآخرة. والكافر إذا اكتسب حسنة في الدنيا، بأن يفك أسيرا أو ينقذ غريقًا، يكافئه الله تعالى فى الدنيا ولا يجزيه فى الآخرة.

أقول: الباء فى قوله: «يعطى بها» إن حملت على السببية فتحتاج إلى مقدر، أى يعطى بسببها حسنة، وإن حملت على البدل فلا. وأما الباء فى «يجزى بها» فهى للسببية.

واعلم أن «أما» التفصيلية تقتضي التعدد لفظا أو تقديرا. وقرينتها هاهنا الكلام السابق، والقرينتان واردتان على التقابل، فيقدر فى كل من القرينتين ما يقابل الأخرى، ذكر فى القرينة الثانية أن الكافر إذا صدرت منه حسنة يستوفى أجرها بكمالها فى الدنيا، حتى لا يكون له نصيب فى الآخرة قط. والمؤمن بخلافه إنما يجزى الجزاء الأوفى فى الآخرة؛ ولذلك قيل:

---

(١) التوبة :١١٨.

٥١٦١ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «تعسَ عبدُالدينارِ وعبدُ الدرهمِ وعبدُ الخميصة، إن أُعطيَ رضيَ، وإن لم يُعطَ سخط، تَعِسَ وانتكسَ، وإذا شيكَ فلا انتُقِش. طوبى لعبدٍ آخذٍ بعنان فرسه فى سبيل الله، أشعثَ رأسُه، مغبرةٍ قدماه، إن

«يجزى بها فى الآخرة» مصرحا، وما يناله فى الدنيا من رغد العيش المشار إليه بقوله تعالى: ﴿**فلنحيينه حياة طيبة**﴾[1] فهو فضل وحسان من الله تعالى؛ ولذلك قيل: «يعطى بها» ولم يقل: «يجزى بها». وتحرير المعنى أن الله تعالى لا يظلم أحدا عمل حسنة، فأما المؤمن فيجزيه فى الآخرة الجزاء الأوفى، ويفضل عليه فى الدنيا. وأما الكافر فيجزيه فى الدنيا الجزاء الأوفى وماله فى الآخرة من نصيب. وإليه ينظر قوله تعالى: ﴿**من كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه، ومن كان يريد حرث الدنيا نؤته منها، وما له فى الآخرة من نصيب**﴾[2].

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «حجبت النار» «مح»: معناه لا يوصل إلى الجنة إلا بارتكاب المكاره، والنار إلا بارتكاب الشهوات؛ ولذلك هما محجوبتان بهما، فمن هتك الحجاب وصل إلى المحجوب، فهتك حجاب الجنة باقتحام المكاره، وهتك حجاب النار بارتكاب الشهوات. وأما المكاره فيدخل فيها الاجتهاد فى العبادات والمواظبة عليها، والصبر عن الشهوات ونحو ذلك. وأما الشهوات التى النار محفوفة بها، فالظاهر أنها الشهوات المحرمة كالخمر والزنا والغيبة ونحو ذلك، وأما الشهوات المباحة فلا تدخل فى هذا.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «تعس» «نه» تعس يتعس إذا عثر وانكب بوجهه، وقد تفتح العين وهو دعاء عليه بالهلاك «وانتكس» أى انقلب على رأسه وهو دعاء عليه بالخيبة، لأن من انتكس فى أمره فقد خاب وخسر. وإذا شيك أى إذا شاكته شوكة فلا يقدر على انتقاشها وهو إخراجها بالمنقاش. و«الخميصة» ثوب خز أو ثوب صوف معلم.

وقيل: لا يسمى خميصة إلا أن تكون سوداء معلمة، وكانت من لباس الناس قديما، وجمعها الخمائص، انتهى كلامه. قيل: خص العبد بالذكر ليؤذن بانغماسه فى محبة الدنيا وشهواتها، كالأسير الذى لا خلاص له عن أسره. ولم يقل: مالك الدينار أو جامع الدينار؛ لأن المذموم من الدنيا الزيادة على قدر الحاجة لا قدر الحاجة.

وقوله: «إن أعطى رضي، وإن لم يعط سخط» يؤذن بشدة حرصه فى جمع الدنيا، وطمعه فيما فى أيدى الناس. وفى قوله: «تعس وانتكس» **صيغة الترديد مع الترقى**. أعاد «تعس» الذى هو الانكباب على الوجه، ليضم معه الانتكاس الذى هو الانقلاب على الرأس؛ ليترقى فى الدعاء عليه من الأهون إلى الأغلظ. ثم ترقى منه إلى قوله: «وإذا شيك فلا انتقش» على معنى

(١) النحل: ٩٧.

(٢) الشورى: ٢٠.

كان فى الحراسة كان فى الحراسة، وإن كان فى السَّاقة كان فى السَّاقة، إنِ استأذنَ لم يُؤذنْ له، وإن شُفِّعَ لم يُشَفَّعْ». رواه البخارى.

٥١٦٢ - * وعن أبى سعيد الخدرى، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إنَّ مما أخافُ عليكم من بعدى ما يفتحُ عليكم من زَهْرةِ الدنيا وزينتها». فقال رجلٌ: يا رسول الله!

أنه إذا وقع فى البلاء فلا يترحم عليه، فإن من وقع فى البلاء إذا ترحم له الناس ربما هان الخطب عليه ويتسلى بعض التسلى، وهؤلاء بخلافه بل يزيد غيظهم بفرح الأعداء وشماتتهم. وإنما خص انتقاش الشوك بالذكر؛ لأن الانتقاش أسهل ما يتصور من المعاونة لمن أصابه مكروه، فإذا نفى ذلك الأهون.فيكون ما فوق ذلك منفيا بالطريق الأولى. وقوله: «أشعث» و«مغبرة» حالان من الضمير فى «آخذ» لاعتماده على الموصوف، ويجوز أن يكونا حالين من «العبد» لأنه موصوف.

قوله: «إن كان فى الحراسة» «تو»: أراد بالحراسة حراسة من العدو أن يهجم عليهم. وذلك يكون فى مقدمة الجيش. و«الساقة» مؤخرة الجيش. والمعنى ائتماره لما أمر وإقامته حيث أقيم لا يفقد من مكانه بحال، وإنما ذكر الحراسة والساقة لأنهما أشد مشقة وأكبر آفة، الأول عند دخولهم دار الحرب والآخر عند خروجهم منها. قيل: قوله: «إن استأذن لم يؤذن له» إشارة إلى عدم التفاته إلى الدنيا وأنهابها بحيث يعنى بكليته فى نفسه لا يبتغى مالا ولا جاها عن الناس، بل يكون عند الله وجيها ولم يقبل الناس شفاعته- وعند الله يكون شفيعا مشفعا.

أقول: قد تقرر فى علم المعانى: أن الشرط والجزاء إذا اتحدا دل على فخامة الجزاء وكماله، والشريطتان مؤكدتان للمعنى السابق؛ فإن قوله: «آخذ بعنان فرسه» يدل على اهتمامه بشأن ما هو فيه من المجاهدة فى سبيل الله، وليس له هم سواه لا الدرهم والدينار بله نفسه، فتراه أشعث رأسه مغبرة قدماه. فإذا كان فى الحراسة يبذل جهده فيها لا يفتر عنها بالنوم والغفلة ونحوهما؛ لأنه ترك نصيبه من الراحة والدعة. وإن كان فى ساقة الجيش لا يخاف الانقطاع ولا يهتم إلى السبق، بل يلازم ما هو لأجله.

فعلى هذا هذه القرينة إلى آخرها جاءت مقابلة للقرينة الأولى، فدلت الأولى على اهتمام صاحبها بعيش العاجلة، والثانية على اهتمام صاحبها بعيش الآجلة؛ ولذلك صح فى الحديث السابق فى كتاب الجهاد: «من خير معاش الناس لهم رجل ممسك عنان فرسه فى سبيل الله، يطير على (متنه)*» الحديث.

الحديث الثامن عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «من زهرة الدنيا»، «فا»: أى حسنها وبهجتها وكثرة خيرها و«الرحضاء» هى عرق الحمى، كأنها ترحض الجسد أى تغسله. «نه»: الحبط بالتحريك الهلاك، يقال: حبطت الدابة تحبط حبطا بالتحريك إذا أصابت مرعى طيبا،

---

* فى«ك»«استه».

أوَ يأتى الخيرُ بالشَّرِ؟ فسكت، حتى ظننا أنه يُنْزَلُ عليه. قال: فمسح عنه الرُحَضاء وقال: «أين السائلُ؟». وكأنه حمده فقال: «إنه لا يأتى الخيرُ بالشَّر، وإن مما ينبتُ الربيعُ ما يقتُلُ حَبَطًا أو يُلم، إلا آكلة الخَضِر أكلت حتى امتدت خاصرتاها، استقبلت

فأفرطت فى الأكل حتى تنتفخ فتموت. وذلك أن الربيع ينبت أحرار العشب فتستكثر منها الماشية. و«يلم» أى تقرب وتدنو من الهلاك. و«الخضر» بكسر الضاد نوع من البقول، ليس من أحرارها وجيدها، وإنما يرعاها المواشى إذا لم تجد سواها، فلا تكثر من أكلها ولا تستمرىء بها. و«الثلط» الرجيع الرقيق. وأكثر ما يقال للإبل والبقر والفيلة.

«قض»: و«آكلة» نصب على أنه مفعول «يقتل» والاستثناء مفرغ، والأصل أن مما ينبت الربيع ما يقتل آكله إلا آكل الخضر على هذا الوجه. وإنما صح الاستثناء المفرغ من المثبت لقصد التعميم فيه، ونظيره قرأت إلا يوم كذا.

أقول: وعليه ظاهر كلام المظهر، والأظهر أن الاستثناء منقطع لوقوعه فى الكلام المثبت وهو غير جائز عند صاحب الكشاف إلا بالتأويل؛ ولأن ما يقتل حبطا بعض ما ينبت الربيع لدلالة «من» التبعيضية عليه، والتقسيم فى قوله: «إلا آكلة الخضر» لأن الخضر غير ما يقتل حبطا، يشهد له ما فى شرح السنة.

قال الأزهرى: فيه مثلان: ضرب أحدهما للمفرط فى جمع الدنيا ومنعها من حقها، وضرب الآخر للمقتصد فى أخذها والانتفاع بها، وأما قوله: «وإن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطا» فهو مثل للمفرط الذى يأخذها بغير حق. وذلك أن الربيع مما ينبت أحرار الشعب فتستكثر منه الماشية حتى تنتفخ بطونها، لما قد جاوزت حد الاحتمال فتنشق أمعاؤها فتهلك، كذلك الذى يجمع الدنيا من غير حلها ويمنع ذا الحق حقه، يهلك فى الآخرة بدخول النار. وأما مثل المقتصد فقوله ﷺ: «إلا آكلة الخضر» وذلك أن الخضر ليست من أحرار البقول التى ينبتها الربيع فتستكثر منها الماشية، ولكنها من كلأ الصيف التى ترعاها المواشى بعد هيج البقول شيئًا فشيئا من غير استكثار. فضرب مثلا لمن يقتصد فى أخذ الدنيا ولا يحمله الحرص على أخذها بغير حقها، فهو ينجو من وبالها.

«شف»: فى قوله: «حتى امتدت خاصرتاها، استقبلت عين الشمس» أن المقتصد المحمود العاقبة، وإن جاوز حد الاقتصاد فى بعض الأحيان، وقرب من السرف المذموم لغلبة الشهوة المركوزة في الإنسان. وهو المعنى بقوله: «أكلت حتى امتدت خاصرتاها» لكنه يرجع عن قريب عن ذلك الحد المذموم، ولا يثبت عليه بل يلتجىء إلى الدلائل النيرة والبراهين الواضحة الدافعة للحرص المهلك القامعة له، وهو المدلول عليه بقوله: «استقبلت عين الشمس وثلطت

عينَ الشمس فثلَطَت وبالت ثم عادت فأكلت وإن هذا المالَ خَضِرةٌ حُلوةٌ، فمن أخذهُ بحقِّه، ووضعه في حقِّه فنعم المعونة هو، ومن أخذه بغير حقِّه كان كالذى يأكلُ ولا يشبَعُ، ويكون شهيدًا عليه يومَ القيامة». متفق عليه.

وبالت» فحذف ما حذف فى المرة الثانية لدلالة ما قبلها عليه. وفيه إرشاد إلى أن المحمود العاقبة وإن تكرر منه الخروج عن حد الاقتصاد والقرب من حد الإسراف مرة بعد أولى وثانية بعد أخرى لغلبة الشهوة عليه وقوتها فيه، لكنه يمكن أن يبعد بمشيئة الله تعالى عن الحد المذموم الذى هو الإسراف، ويقرب من الاقتصاد الذى هو الحد المحمود.

أقول: فعلى هذا الاستثناء متصل، لكن يجب التأويل فى المستثنى، المعنى أن من جملة ما ينبت الربيع شيئًا يقتل آكله إلا الخضر منه، إذا اقتصد فيه آكله ودفع ما يؤديه إلى الهلاك.

قوله: «إن هذا المال خضرة حلوة»، «تو»: كذلك ترويه من كتاب البخارى على التأنيث، وقد روى أيضا «خضر حلو» والوجه فيه أن يقال: إنما أنث على معنى تأنيث المشبه به، أى إن هذا المال شيء كالخضرة. وقيل: معناه كالبقلة الخضرة، أو يكون على معنى فائدة المال، أى إن الحياة به أو العيشة[(١)] خضرة.

أقول: ويمكن أن يعبر عن المال بالدنيا؛ لأنه أعظم زينتى الحياة الدنيا. لقوله تعالى: ﴿المالُ والبنونَ زينةُ الحياةِ الدنيَا﴾[(٢)] فيوافق حديث أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه: «الدنيا حلوة خضرة، وإن الله مستخلفكم» على ما مر فى الباب السابق.

ثم الحديث يستدعى فضل تقرير وتحرير، فالاستفهام فى قولهم «أوَ يأتي الخيرُ بالشرِ» استرشاد منهم؛ ومن ثم حمد ﷺ السائل. والباء فى «بالشر» صلة «يأتى» يعنى هل يستجلب الخير الشر؟. وجوابه ﷺ: «لا يأتى الخير بالشر» معناه: لا يأتى الخير بالشر، لكن قديكون سببا له ومؤديا إليه؛ فإن الربيع قد ينبت أحرار العشب والكلاء فهى كلها خير فى نفسها، وإنما يأتى الشر من قبل الآكل، فمن آكل مستلذ مفرط منهمك فيها. بحيث تنتفخ فيه أضلاعه وتمتلىء خاصرتاه ولا يقلع عنه فيهلكه سريعا. ومن آكل كذا فيشرفه إلى الهلاك، ومن آكل مسرف حتى تنتفخ خاصرتاه، لكنه يتوخى إزالة ذلك ويتحيل فى دفع مضرتها حتى ينهضم ما أكل، ومن آكل غير مفرط ولا مسرف يأكل منها ما يسد جوعته، ولا يسرف فيه حتى يحتاج إلى دفعه.

الأول مثال الكافر؛ ومن ثمة أكد القتل بالحبط أى يقتل قتلا حبطا، والكافر هو الذى يحبط

---

(١) كذا فى النسخ كلها وفى المرقاة: «المعيشة»

(٢) الكهف : ٤٦

٥١٦٣ ـ * وعن عمرو بن عوفٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «فو الله لا الفقرَ أخشى عليكم، ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بُسطت على من كان قبلكم، فتنافسوها كما تنافسوها، وتهلككم كما أهلكتهم» متفق عليه.

أعماله. والثانى مثال المؤمن الظالم لنفسه المنهمك فى المعاصى. والثالث مثال المقتصد. والرابع مثال السابق الزاهد فى الدنيا الراغب فى الآخرة، كما قال: «من أراد الآخرة ترك زينة الدنيا» وهذا الوجه يفهم من الحديث وإن لم يصرح به، وفى كلام الشيخ محيى الدين إشعار بهذا التقسيم.

قوله: «فمن أخذه بحقه» أى باحتياجه وحله ووضعه فى حقه بأن أخرج منه حقه الواجب فيه شرعا كالزكاة، فنعم المعين هو لصاحبه، يبلغ به الخير وينجو به من الشر. قال الشيخ أبو حامد: مثال المال مثال الحية التى فيها ترياق نافع وسم يافع، فإن أصابها المغرم الذى يعرف وجه الاحتراز عن شرها وطريق استخراج ترياقها النافع، كانت نعمة. وإن أصابها السوادى الغبى فهى عليه بلاء مهلك، انتهى كلامه .

وقوله: «كالذى يأكل ولا يشبع» ذكر فى مقابلة قوله: «فنعم المعونة» ومعناه: أن أخذ المال بغير حقه بأن جمعه من الحرام ومن غير احتياج إليه، ولم يخرج منه حقه الواجب فيه، فيكون ذلك وبالا عليه لا معونة له، فيصير كالداء العضال الذى يهلك صاحبه وهو الحرص الباعث على من به جوع الكلب، فإن مصيره إلى الهلاك. وقوله: «ويكون شهيدا عليه» أى حجة عليه يوم القيامة يشهد على حرصه وإسرافه، وأنه أنفقه فيما لا يرضاه الله تعالى ولم يؤد حقوقه.

الحديث التاسع عن عمرو رضى الله عنه: قوله: «ولكن أخشى عليكم». فإن قلت: ما الفائدة فى تقديم المفعول فى القرينة الأولى دون الثانية؟ قلت: فائدته الاهتمام بشأن الفقر؛ لأن الأب المشفق إذا احتضر إنما يكون اهتمامه بشأن الولد ضياعه، وإعدامه المال، كأنه ﷺ يقول: حالى معكم خلاف حال الوالد؛ فإنى لا أخشى الفقر كما يخشاه الوالد، ولكن خوفى من الغنى الذى هو مطلوب الوالد للولد.

ثم التعريف فى الفقر إما أن يكون للعهد، فهو الفقر الذي كانت الصحابة عليه من الإعدام والقلة، والبسط وهو ما يبسط الله تعالى عليهم من فتح البلاد. وإما للجنس وهو الفقر الذى يعرفه كل أحد ما هو، والبسط الذى يعرفه كل أحد، ونظيره ما فسر به قوله تعالى: ﴿فإن معَ العسرِ يسراً، إنَّ مع العسرِ يسراً﴾(١).

---

(١) الشرح: ٥-٦

٥١٦٤ ـ * وعن أبي هريرة، أنَّ رسولُ الله ﷺ قال: «اللهمَّ اجعل رزق آلِ محمدٍ قوتًا». وفي روايةٍ: «كفافًا». متفق عليه.

٥١٦٥ ـ * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «قد أفلح من أسلم، ورُزق كفافًا، وقنَّعه الله بما آتاه». رواه مسلم.

«نه»: التنافس من المنافسة وهى الرغبة فى الشىء والانفراد به، وهو من الشىء النفيس الجيد فى نوعه. ونافست فى الشىء منافسة ونفاسا إذا رغبت فيه، ونفس بالضم نفاسة أى صار مرغوبا فيه، ونفست به بالكسر أى بخلت به. انتهى كلامه

وحذف إحدى التائين من قوله: «فتنافسوها» تخفيفا والضمير فى «تنافسوها» منصوب بنزع الخافض، وأصله تنافسوا فيها، ومعناه: ترغبون فيها فتشتغلون بجمعها أو تحرصون على إمساكها فتطغون فيها فتهلكون؛ قال الله تعالى: ﴿إنَّ الإنسانَ ليطغَى أنْ رآه استغنَى﴾[1] ويحتمل أن يكون هلاكهم من أجل أن المال مرغوب فيه فيطمع الناس فيه، ويتوقعون منه فمنعه منهم، فتقع العداوة بينهم ويفضى ذلك إلى المقاتلة.

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «كفافا»، «نه»: الكفاف هو الذى لا يفضل عن الشىء ويكون بقدر الحاجة إليه.

أقول: هذه الرواية مفسرة للرواية الأولى؛ لأن القوت ما يسد به الرمق. قيل: سمى قوتا لحصول القوة منه، سلك ﷺ طريق الاقتصاد المحمود، فإن كثرة المال تلهى وقلته تنسى، فما قل منه وكفى خير مما كثر وألهى.

وفى دعاء النبى ﷺ إرشاد لأمته كل الإرشاد إلى أن الزيادة على الكفاف، لا ينبغى أن يتعب الرجل فى طلبه؛ لأنه لا خير فيه. وحكم الكفاف يختلف باختلاف الأشخاص والأحوال، فمنهم من يعتاد قلة الأكل، حتى إنه يأكل فى كل أسبوع مرة، فكفافه وقوته تلك المرة فى كل أسبوع. ومنهم من يعتاد الأكل فى كل يوم مرة أو مرتين فكفافه ذلك أيضا؛ لأنه إن ترك أضره ذلك ولم يقو على الطاعة. ومنهم من يكون كثير العيال فكفافه ما يسد رمق عياله. ومنهم من يقل عياله فلا يحتاج إلى طلب الزيادة وكثرة الاشتغال. فإذن قدر الكفاف غير مقدر ومقداره غير معين، إلا أن المحمود ما به القوة على الطاعة والاشتغال به على قدر الحاجة.

الحديث الحادى عشر عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «قنَّعه الله» قيل: أى جعله قانعا بما أعطاه إياه ولم يطلب الزيادة لمعرفته، بأن رزقه مقسوم لن يعدو ما قدر له.

---

(١) العلق: ٦ـ٥

٥١٦٦ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «يقول العبد: مالى مالى. وإنَّ ما له من ماله ثلاثٌ: ما أكل فأفنى، أو لبس فأبلى. أو أعطى فاقتنى وما سوى ذلك فهو ذاهبٌ وتاركهُ للناسِ». رواه مسلم.

٥١٦٧ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يتبعُ الميِّتَ ثلاثةٌ: فيرجع أثنان، ويبقى معه واحد، يتبعه أهله ومالهُ وعملُه، فيرجعُ أهلُه ومالهُ، ويبقى عمله». متفق عليه.

أقول: الفلاح هو الفوز بالبغية فى الدارين والحديث قد جمع بينهما. والمراد بالرزق الحلال منه؛ لأنه ﷺ مدح المرزوق وأثبت له الفلاح. وذكر أمرين وقيد الثانى بـ«قنع» أى رزق كفافا وقنعه الله بالكفاف فلم يطلب الزيادة، وأطلق الأول: ليشتمل جميع ما هو الإسلام متناول له، كما قال الله تعالى لإبراهيم عليه السلام: ﴿أسلمْ قالَ أسلمتُ لربِّ العالمين﴾(١)

«غب»: والإسلام فى الشرع على ضربين: أحدهما: دون الإيمان وهو الاعتراف باللسان، وبه يحقن الدم حصل معه الاعتقاد أو لم يحصل. والثانى: فوق الإيمان وهو أن يكون مع الاعتراف اعتقاد بالقلب ووفاء بالفعل، واستسلام لله تعالى فى جميع ما قضى وقدر كما ذكر عن إبراهيم عليه السلام فى قوله تعالى: ﴿إذْ قالَ لهُ ربهُ أسلمْ قال أسلَمتُ لِربِّ العَالمين﴾(١) انتهى كلامه. والحديث كما ترى جامع للحسنيين حاو لنعمة الدارين، فحقيق بأن يقال: إنه من الجوامع.

الحديث الثانى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وإن ما له من ماله» «ما» الأولى موصولة و«له» صلته و«من ماله» متعلق بالصلة، و«ثلاث» خبرْ، وإنما أنثه على تأويل المنافع. و«اقتنى» أى أعطى الله تعالى وتصدق به فيكون ذخيرة له ليوم القيامة؛ قال تعالى: ﴿مَا عندكُمْ ينفَدُ ومَا عندَ الله باقٍ﴾(٣).

الحديث الثالث عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «يتبعه أهله وماله» «مظ»*: أراد بعض ماله وهو مماليكه. أقول: متابعة الأهل على الحقيقة. وأما متابعة المال والعمل فعلى الاتساع؛ فإن المال حينئذ له نوع تعلق بالميت، من التجهيز والتكفين ومؤنة الغسل والحمل والدفن، فإذا دفن انقطع تعلقه بالكلية.

---

(١) البقرة: ١٣١

(٣) النحل: ٩٦

* فى«ك» «خط».

٥١٦٨ ـ * وعن عبدالله بن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «أيُّكم مالُ وارثه أحبُّ إليه من ماله؟» قالوا: يا رسول الله! مامنَّا أحدٌ إلا مالهُ أحبُّ إليه من مال وارثه. قال: «فإن مالَه ما قدَّم، ومالَ وارثه ما أخَّر». رواه البخارى.

٥١٦٩ ـ * وعن مُطرِّف، عن أبيه قال: أتيتُ النبىَّ ﷺ وهو يقرأ: ﴿ألهكُم التَّكاثرُ﴾ قال: «يقول ابنُ آدم: مالى مالى». قال: «وهل لك يا ابن آدم! إلا ما أكلت فأفنيت، أو لبست فأبليت، أو تصدَّقت فأمضيت؟». رواه مسلم.

٥١٧٠ ـ * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «ليس الغنى عن كثرة العَرَض، ولكنَّ الغنى غنى النفس». متفق عليه.

الفصل الثانى

٥١٧١ ـ * عن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «من يأخذُ عنى هؤلاء

الحديث الرابع والخامس عشر عن مطرف رضى الله عنه: قوله: «فأمضيت» قيل: فأمضيته من الإفناء والإبلاء، وبقيته لنفسك تجده يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَمَا تقدموا لأنفسكُمْ مِنْ خير تجدُوُه عنَد الله هَو خيراً وأعظَمَ أجراً﴾(١)

الحديث السادس عشر عن أبى هرير رضى الله عنه: قوله: «عن كثرة العرض» «نه»: العرض ـ بالتحريك- متاع الدنيا وحطامها. انتهى كلامه. و«عن» هذه مثلها فى قوله تعالى: «فأزَلَّهُما الشَّيطانُ عنْهَا»(٢) الكشاف: أى فحملهما الشيطان على الزلة بسببها، وتحقيقه:فأصدر الشيطان زلتهما عنه. «شف»: المراد بغنى النفس القناعة، ويمكن أن يراد به ما يسد الحاجة؛ قال الشاعر:

غنى النفس ما يكفيك من سد حاجة فإنْ زادَ شيئًا عادَ ذاكَ الغنى فقرا

أقول: ويمكن أن يراد بغنى النفس حصول الكمالات العلمية والعملية، وأنشد أبو الطيب فى معناه:

ومَن ينفق الساعَات فى جَمع مَاله مخافةَ فقرٍ فالذى فعَل الفقرُ

يعنى ينبغى أن ينفق ساعاته وأوقاته فى الغنى الحقيقى، وهو طلب الكمالات ليزيد غنىً بعد غنىً، لا فى المال لأنه فقر بعد فقر.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «أو يُعلِم» «أو» بمعنى الواو، كما فى قوله تعالى: ﴿عُذْراً أوْ نذْراً﴾(٣).

---

(١) المزمل: ٢٠ (٢) البقرة:٣٦. (٣) المرسلات: ٦

الكلمات فيعمل بهنَّ أو يُعلِّمُ من يعمل بهنَّ؟» قلت: أنا يارسول الله! فأخذ بيدى فعَدَّ خمسًا، فقال: «اتَّقِ المحارم تكن أعبد الناس، وارض بما قسم الله لك تكن أغنى الناس، وأحسِن إلى جارك تكن مؤمنا، وأحِبَّ للناس ما تُحبُّ لنفسك تكن مسلمًا، ولا تكثر الضحك، فإنَّ كثرة الضحك تميت القلب». رواه أحمد، والترمذى وقال: هذا حديث غريب. [٥١٧١]

٥١٧٢ ـ * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ اللهَ يقول: ابنَ آدم! تَفَرَّغ لعبادتى أمْلأْ صدرك غنىً وأسدَّ فقرك، وإن لا تفعل ملأتُ يدك شغلاً ولم أسُدَّ فقرك» رواه أحمد، وابن ماجه. [٥١٧٢]

٥١٧٣ ـ * وعن جابرٍ، قال: ذُكر رجلٌ عند رسول الله ﷺ بعبادة واجتهادٍ، وذُكِرَ آخَرُ برِعَةٍ فقال النبى ﷺ: «لا تعدِل بالرعة» يعنى الورع. رواه الترمذىُّ.

أقول: «وأحسن إلى جارك تكن مؤمنا» من قوله: «لا يؤمن أحدكم حتى يؤمن* جاره بوائقه» وقوله: «أحب للناس» من قوله: «المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده».

الحديث الثانى عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «تفرغ لعبادتى» أى تفرغ من مهامك لعبادتى حتى أقضى مهامك، ومن كان الله تعالى قاضيا لمهامه يستغنى به عن خلقه؛ لأنه الغنى على الإطلاق، وهو المعنى بقوله: «أملأ صدرك غنى، وإن لم تتفرغ، واشتغلت بغيرى لم أسد فقرك؛ لأن الخلق فقراء على الإطلاق، فيزيد فقرك على فقرك وهو المراد بقوله: «ملأت يدك شغلاً» فاليد عبارة عن سائر جوارحه؛ لأن معظم الكسب إنما يتأتى من اليد.

الحديث الثالث عن جابر رضي الله عنه: قوله: «لا تعدل». «مظ»: «لا تعدل» يجوز أن يكون نهى المخاطب المذكر مجزوم اللام، يعنى لا تقابل شيئا بالرعة، وهى ـ بكسر الراء وتخفيف العين ـ «الورع» التقى؛ فإن الورع أفضل من كل خصلة. ويجوز أن يكون خبرا منفيا بضم التاء وفتح الدال، أى لا تقابل خصلة بالورع فإنها أفضَل الخصال.

«غب»: الورع فى عرف الشرع عبارة عن ترك التسرع إلى تناول أعراض الدنيا، وذلك ثلاثة أضرب: واجب: وهو الإحجام عن المحارم، وذلك للناس كافة. وندب: وهو الوقوف على[1]

[٥١٧١] انظر صحيح الترمذى ١٨٧٦، الصحيحة ٩٣٠.

[٥١٧٢] انظر صحيح الجامع ١٩١٤، الصحيحة ١٣٥٩

(١) كذا فى النسخ الموجودة عندنا وفى المرقاة نقلا عن الراغب: «الوقوف عن الشبهات».

* كذا في (ك) و(ط) والصحيح: (يأمن).

٥١٧٤ ـ * وعن عمرو بن ميمون الأوْدى، قال: قال رسول الله ﷺ لرجلٍ وهو يعظه: «اغتنمْ خمسًا قبل خمس: شبابَك قبل هَرَمك، وصحتَك قبل سَقَمك، وغناك قبل فقرِك، وفراغَك قبل شغلِك، وحياتَك قبل موتِك» رواه الترمذى مرسلا. [٥١٧٤]

٥١٧٥ ـ * وعن أبي هريرةَ، عن النبى ﷺ قال: «ما ينتظرُ أحدُكم إلا غنى مُطْغيًا، أو فَقرًا مُنْسيًا، أو مرضًا مفسدًا، أو هرمًا مفنِّدًا، أو موتًا مُجهزًا، أو الدجالَ فالدجالُ شرٌّ غائب ينتظر، أو السَّاعةَ والساعة أدهى وأمرُّ» رواه الترمذى، والنسائى. [٥١٧٥]

الشبهات، وذلك للأوساط. وفضيلة: وهو الكف عن كثير من المباحات والاقتصار على أقل الضرورات، وذلك للنبيين والصديقين والشهداء والصالحين. انتهى كلامه.

وقد ألحق فى بعض نسخ المصابيح بعد قوله: «لا تعدل بالرعة» قوله: «شيئا» وليس فى جامع الترمذى وأكثر نسخ المصابيح عنه أثر.

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ما ينتظر أحدكم» استبطاء لمن تفرغ لأمر وهو لا يغتنم الفرصة فيه. قيل: معنى الحديث: الرجل في الدنيا ينتظر إحدى الحالات المذكورة فالسعيد من انتهز الفرصة واغتنم المكنة واشتغل بأداء مفترضه ومسنونه قبل حلول مرضه. «نه»: الفند فى الأصل الكذب، وأفند: تكلم بالفند. «فا»: قالوا للشيخ إذا هرم: قد أفند؛ لأنه يتكلم بالمحرف من الكلام عن سنن الصحة. فشبه بالكاذب فى تحريفه. والهرم المفند من أخوات قولهم: نهاره صائم، جعل الفند للهرم وهو للهرم. ويقال أيضا: أفنده الهرم وأفنده الشيخ. وفى كتاب العين: شيخ مفند يعنى منسوب إلى الفند. ولا يقال: امرأة مفندة؛ لأنها لا تكون فى شبيبتها ذات رأى فتفند فى كبرها.

«تو»: «مفند» الرواية فيه بالتخفيف، ومن شدده فليس بمصيب. أقول: إن كان بطريق الرواية فلا نزاع، وإن كان بطريق الدراية ففيه نزاع؛ إذ لا يبعد حمله على **الإسناد المجازى**، كأن الهرم يحمل من رأى صاحبه وأن ينسبه إلى الفند، نحو قولهم: ناقة ضبوث. قال فى أساس البلاغة: ضبث الشيء وضبث عليه إذا قبض عليه وحبسه، ومن المجاز ناقة ضبوث، شك فى سمنها فضبثت. وإنما جعلت ضابثة لما بها من الداعى إلى الضبث ومنه قول الشاعر:

إذا ردعا فى القدر من يستعيرها

[٥١٧٤] انظر صحيح الجامع ١٠٧٧.

[٥١٧٥] انظر ضعيف الجامع ٢٣١٤ بنحوه.

٥١٧٦ ـ * وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «ألا إنَّ الدنيا ملعونة، ملعونٌ ما فيها، إلا ذكرُ الله وما والاه، وعالم أو متعلم». [٥١٧٦] رواه الترمذى، وابن ماجه.

«نه»: «المجهز» هو السريع يقال: أجهز على الجريح يجهز إذا أسرع قتله. «قض»: الموت المجهز المسرع يريد به الفجاءة ونحوها مما لم يكن بسبب مرض أو كبر سنٍ، كقتل وغرق وهدم. «والساعة أدهى» أى أشد الدواهى وأفظعها من قولهم: دهته الداهية وهو الأمر المنكر الذى لا يهتدى لدوائه، وأمرٌ من جميع ما يكابده الإنسان فى الدنيا من الشدائد لمن غفل عن أمرها، ولم يعدَّ لها قبل حلولها. قوله: «فالدجال» الفاء تفسيرية؛ لأنه فسر ما أبهم فيما سبق. والواو فى «والساعة» نائبة مناب الفاء لملابسة العطف.

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «وَما والاه» «مظ»: أى ما يحبه الله فى الدنيا. والموالاة المحبة بين اثنين. وقد تكون من واحد وهو المراد هاهنا، يعنى ملعون ما فى الدنيا إلا ذكر الله وما أحبه الله مما يجرى فى الدنيا، وما سواه ملعون. «شف»: هو من الموالاة وهى المتابعة. ويجوز أن يراد بما يوالى ذكر الله تعالى، طاعته واتباع أمره واجتناب نهيه؛ لأن ذكر الله يقتضي ذلك. وقوله: «وعالم أو متعلم» فى أكثر النسخ مرفوع واللهجة العربية تقتضي أن يكون عطفا على «ذكر الله» فإنه منصوب مستثنى من الموجب.

أقول: هو فى جامع الترمذى هكذا: «وما والاه وعالم أو متعلم» بالرفع. وكذا فى جامع الأصول إلا أن بدل «أو» فيه «الواو». وفى سنن ابن ماجه: «أو عالما أو متعلما» بالنصب مع «أو» مكررا. والنصب فى القرائن الثلاث هو الظاهر، والرفع فيها على التأويل. كأنه قيل: الدنيا مذمومة لا يحمد مما فيها إلا ذكر الله تعالى وعالم أو متعلم. ونظيره قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم﴾(١) الكشاف(٢): ضمن «حافظون» معنى النفى كما ضمن فى قولهم: نشدتك بالله إلا فعلت، يعنى ما طلبت منك إلا فعلت.

قال فى مختصر الإحياء: الدنيا أدنى المنزلتين؛ ولذلك سميت دنيا، وهى معبرة إلى الآخرة. والمهد هو الميل الأول واللحد هو الميل الثانى، وبينهما مسافة هى القنطرة. وهى عبارة عن أعيان موجودة، للإنسان فيها حظ، وله فى إصلاحها شغل. ويعنى بـ«الأعيان» الأرض وما عليها من النبات والحيوان والمعادن. ويعنى بالحظ حبها فيندرج فيه جميع المهلكات الباطنة كالرياء والحقد وغيرهما، ونعنى بقولنا: له فى إصلاحها شغل، أنه يصلحها

[٥١٧٦] حديث حسن.

(١) المؤمنون: ٥:٦.

(٢) الكشاف: ٣/ ٣٤.

٥١٧٧ - * وعن سهل بن سعد، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «لو كانتِ الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة، ما سقى كافرًا منها شربة» رواه أحمد، والترمذي، وابن ماجه. [٥١٧٧]

٥١٧٨ - * وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تتَّخذوا الضيعةَ فترغبوا في الدنيا» رواه الترمذي، والبيهقي في «شعب الإيمان». [٥١٧٨]

لحظ له أو لغيره دنيوى أو أخروى، فتندرج فيه الحرف والصناعات. وإذا عرفت حقيقة الدنيا فدنياك ومالك، فيه لذة فى العاجل. وهى مذمومة فليست وسائل العبادات من الدنيا كأكل الخبز مثلا للتقوى عليها. وإليه الإشارة بكون الدنيا مزرعة الآخرة، وبقوله ﷺ: «الدنيا ملعونة وملعون ما فيها إلا ما كان لله منها».

وقال ابن عباس رضى الله عنهما: إن الله تعالى جعل الدنيا ثلاثة أجزاء: جزء للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر، فالمؤمن يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع.

أقول: كان من حق الظاهر أن يكتفى بقوله: «وما والاه» لاحتوائه على جميع الخيرات والفاضلات ومستحسنات الشرع [ثم بينه](١) فى المرتبة الثانية بقوله: «والعلم» تخصيصا بعد التعميم دلالة على فضله، فعدل إلى قوله: «وعالم أو متعلم» تفخيما لشأنهما صريحا، بخلاف ذلك التركيب؛ فإن دلالته عليه بالالتزام، وليؤذن أن جميع الناس سوى العالم والمتعلم همج، ولينبه على أن المعنى بالعالم والمتعلم العلماء بالله الجامعون بين العلم والعمل فيخرج منه الجهلاء والعالم الذى لم يعمل بعلمه، ومن يعلم علم الفضول وما لا يتعلق بالدين.

وفى الحديث أن ذكر الله تعالى رأس كل عبادة ورأس كل سعادة، بل هو كالحياة للأبدان والروح للإنسان. وهل للإنسان عن الحياة غنى؟ وهل له عن الروح معدل؟ وإن شئت قلت: به بقاء الدنيا وقيام السموات والأرض؛ روينا عن مسلم قال ﷺ: «لا تقوم الساعة على أحد يقول الله الله» فالحديث إذن من كنوز الحكم وجوامع الكلم التى خص بها هذا النبى المكرم صلوات الله على قائلها؛ لأنه دل بالمنطوق على جميع الخصال الحميدة وبالمفهوم على جميع رذائلها.

الحديث السادس عن سهل رضى الله عنه: قوله: «جناح بعوضة» مثل للقلة والحقارة، أى لو كان لها أدنى قدر ما متع الكافر منها أدنى تمتع.

الحديث السابع عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «لا تتخذوا الضيعة»، «نه»: «الضيعة»

[٥١٧٧] انظر صحيح الترمذى ١٨٨٩، الصحيحة . ٩٤.

[٥١٧٨] إسناده جيد.

(١) ما بين المعكوفتين ليس فى النسخ الموجودة عندنا وإنما زدناه من المرقاة شرح المشكاة للعلامة الملا علىّ القارى.

٥١٧٩ ـ * وعن أبي موسى، قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحبَّ دنياه أضرَّ بآخرته، ومن أحب آخرته أضرَّ بدنياه، فآثِرُوا ما يبقى على ما يفنى» رواه أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٥١٧٩]

٥١٨٠ ـ * وعن أبي هريرة، عن النبى ﷺ قال: «لُعِنَ عبدُ الدينار، ولُعِنَ عبدُالدرهم» رواه الترمذى. [٥١٨٠]

٥١٨١ ـ * وعن كعب بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «ماذئبان جائعان

فى الأصل المرة من الضياع. وضيعة الرجل ما يكون منه معاشه كالصنعة والتجارة والزراعة وغير ذلك. انتهى كلامه. والمعنى لا تتوغلوا فى اتخاذ الضيعة فتتلهوا به عن ذكر الله؛ قال تعالى: ﴿رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله وإقام الصلاة﴾(١).

الحديث الثامن عن أبي موسى رضى الله عنه: قوله: «أضر بآخرته» الباء فيه للتعدية، وكذا فى القرينة الأخرى، أى هما ككفتى ميزان، فإذا رجحت إحدى الكفتين خفت الأخرى وبالعكس؛ وذلك أن محبة الدنيا سبب لاشتغاله بها والانهماك فيها، وذلك سبب الاشتغال عن الآخرة فيخلو عن الذكر والفكر والطاعة، فيفوت الفوز بدرجاتها وثوابها وهو عين المضرة سوى ما يقاسيه من الخوف والحزن والغم والهم والتعب، فى دفع الفساد وتجشم المصاعب فى حفظ الأموال وكسبها.

الحديث التاسع والعاشر عن كعب رضى الله عنه: قوله: «ما ذئبان جائعان» «ما» بمعنى ليس، و«ذئبان» اسمها و«جائعان» صفة له، و«أرسلا فى غنم» الجملة فى محل الرفع على أنها صفة بعد صفة، وقوله: «بأفسد» خبر لـ«ما» والباء زائدة، وهو أفعل التفضيل أى بأشد إفساد، والضمير فى «لها» لـ«الغنم»، واعتبر فيه الجنسية؛ فلهذا أنث، وقوله: «من حرص المرء» هو المفضل عليه لاسم التفضيل، وقوله: «على المال» يتعلق بـ«الحرص»، و«الشرف» عطف على «المال» والمراد به الجاه.

وقوله: «لدينه» اللام فيه بيان كما فى قوله تعالى: ﴿لمن أراد أن يتم الرضاعة﴾(٢) كأنه قيل: يرضعن لمن؟ قيل: لمن أراد أن يتم الرضاعة. وكذلك هنا، كأنه قيل: بأفسد لأى شيء؟ قيل: لدينه. ومعناه: ليس ذئبان جائعان أرسلا فى جماعة من جنس الغنم بأشد إفسادا لتلك الغنم من حرص المرء على المال والجاه؛ فإن إفساده لدين المرء أشد من إفساد الذئبين

[٥١٧٩] انظر ضعيف الجامع ٥٣٤٦.

[٥١٨٠] بنحوه فى صحيح الجامع ٢٩٦٢ بلفظ تعس.

(١) النور: ٣٧. (٢) البقرة: ٢٣٣.

أرسلا فى غنم بأفسدَ لها من حرصِ المرء على المال والشرف لدينه» رواه الترمذي، والدارمى. [٥١٨١]

٥١٨٢ ـ * وعن خباب، عن رسول الله ﷺ قال: «ما أنفقَ مؤمنٌ من نفقة إلا أُجر فيها، إلا نفقتَه فى هذا التراب». رواه الترمذي، وابن ماجه. [٥١٨٢]

٥١٨٣ ـ * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «النفقة كلُّها فى سبيل الله إلا البناء فَلا خير فيه». رواه الترمذى، وقال: هذا حديث غريب. [٥١٨٣]

الجائعين لجماعة من الغنم إذا أرسلا فيها. وفى «أرسلا» تتميم فى غاية من الدقة واللطف؛ فإن الإرسال مسبوق بالمنع والممنوع أشد حرصا مما لم يمنع، ونظيره فى المعنى قول الشاعر:

كأنى وضوء الصبح يستعجل الدجى تطير غرابا ذا قوادم حول(١)

راعى معنى الاستعجال فى قوله: «تطير غرابا» لأن الطائر إذا أزعج كان أسرع منه فى الطيران، إذا كان عن اختيار منه.

وأما المال فإفساده فيه: أنه نوع من القدرة يحرك داعية الشهوات ويجر إلى التنعم فى المباحات، فيصير التنعم مألوفا، وربما يشتد أنسه بالمال ويعجز عن كسب الحلال فيقتحم فى الشبهات مع أنها ملهية عن ذكر الله تعالى، وهذه لا ينفك عنها أحد. وأما الجاه: فكفى به إفسادا؛ أن المال يبذل للجاه ولا يبذل الجاه للمال، وهو الشرك الخفى فيخوض فى المراءاة والمداهنة والنفاق وسائر الأخلاق الذميمة فهو أفسد وأفسد.

الحديث الحادى عشر عن خباب رضى الله عنه: قوله: «إلا نفقته فى هذا التراب» نفقته منصوبة على الاستثناء من الكلام الموجب إذ المستثنى منه مستثنى من كلام منفي، فيكون موجبا، وهذا للتحقير.

الحديث الثانى عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «فلا خير فيه» حال مؤكدة من الجملة.

[٥١٨١] حديث صحيح.

[٥١٨٢] شعب الإيمان بنحوه ١٠٧١٣ (٧ / ٣٩٢).

[٥١٨٣] انظر ضعيف الجامع ٦٠٠٦.

(١) قال مصحح (ط) كذا فى النسخ. ولفظ «حول» غير واضح معناه فى الشعر، وما وجدت الشعر فى الكتب الميسرة لى فى الأدب العربى ولو قرأنا البيت كالتالى لكان مفيدا فى معناه:

كأنى وضوء الصبح يستعجل الدجى نطير غرابًا ذا قوادم حوم

٥١٨٤ ـ * وعنه، أنَّ رسولَ الله ﷺ خرجَ يومًا ونحنُ معه، فرأى قُبَّة مُشرِفةً، فقال: «ما هذه؟» قال أصحابُه: هذه لفلانٍ، رجلٍ من الأنصارِ، فسكتَ وحملَها فى نفسه، حتى إذا جاءَ صاحبُها، فسلَّم عليه فى النَّاس، فأعرضَ عنه، صنع ذلكَ مرارًا حتى عرفَ الرجلُ الغضبَ فيه والإعراضَ، فشكا ذلكَ إلى أصحابه وقال: واللهِ إنى لأنكرُ رسول الله ﷺقالوا: خرجَ فرأى قُبَّتكَ فرجعَ الرجلُ إلى قبَّته فهدمها حتى سوَّاها بالأرضِ. فخرجَ رسولُ الله ﷺ ذات يومٍ، فلم يرَها، قال: «ما فعلت القُبَّةُ؟» قالوا: شكا إلينا صاحبُها إعراضك، فأخبرناه، فهدمَها. فقال: «أما إنَّ كلَّ بناءٍ وبالٌ عَلَى صاحبِه إلا مالا، إلا مالا» يعنى مالا بدَّ منه. رواه أبو داود.[٥١٨٤]

٥١٨٥ ـ * وعن أبى هاشم بن عُتبة. قال: عهدَ إلىَّ رسولُ الله ﷺ قال: «إنما

الحديث الثالث عشر عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ما هذه؟»، أى ما هذه العمارة المنكرة ومن بانيها؟ ولذلك أجابوا بقولهم: هذه لفلان. وقوله: «فأعرض عنه» يجوز أن يكون جوابا لـ«ما» مع الفاء، وهو قليل. ويجوز أن يقدر جواب لـ«ما» أى كرهه فأعرض عنه. وقوله: «حتى عرف الرجل الغضب فيه» أى عرف أن الغضب كان لأجله.

قوله: «وحملها فى نفسه» أى أضمر تلك الفعلة فى نفسه غضبا عليه؛ قال فى أساس البلاغة: حملت الحقد عليه إذا أضمرته. قال الشاعر:

ولا أحمل الحقد القديم عليهم وليس رئيس القوم من يحمل الحقدا

وقلت له كلمة فاحتمل منها، أى استقر وغضب.

قوله: «إنى لأنكر رسول الله ﷺ» أى أرى منه ما لم أعهده منه من الغضب والكراهة؛ قال فى أساس البلاغة: يقال خرج متنكرا وتنكر لى فلان: لقينى لقاء بشعا. قيل: معنى الحديث أن كل بناء بناه صاحبه فهو وبال، أى عذاب فى الآخرة، والوبال فى الأصل الثقل والمكروه، أراد ما بناه للتفاخر والتنعم فوق الحاجة، لا أبنية الخير من المساجد والمدارس والرباطات؛ فإنها من الآخرة وكذا ما لابد منه، للرجل من القوت والملبس والمسكن.

الحديث الرابع عشر عن أبى هاشم: قوله: «عهد إلى» أى أوصانى. وقوله: «قال إنما يكفيك» بدل منه، بدل الفعل من الفعل كما فى قوله:

متى تأتنا تلمم بنا فى ديارنا تجد حطبا جزلا ونارا تأججا(١)

[٥١٨٤] انظر ضعيف الجامع ١٣٢٨ ونحوه عند أحمد وهو ضعيف أيضًا.

(١) كذا فى النسخ وذكره صاحب لسان العرب ج٥/٣٨٨ ـ ولفظه:

فمن يأتنا يلمم بنا فى ديارنا يجد أثرًا دعسًا ونارًا تأججًا

يكفيكَ من جمع المال خادمٌ ومركبٌ في سبيل الله». رواه أحمد، والترمذى، والنسائى، وابن ماجه. وفى بعض نسخ «المصابيح» عن أبي هاشمٍ بن عُتبد، بالدالِ بدل التاءِ، وهو تصحيفٌ. [٥١٨٥]

٥١٨٦ ـ وعن عثمانَ بنِ عفانَ [رضى الله عنه]. أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «ليسَ لابن آدمَ حقٌّ فى سوى هذه الخصالِ: بيتٍ يسكنُه، وثوب يوارى به عورتَه، وجلفِ الخبزِ والماءِ» رواه الترمذى[٥١٨٦]

٥١٨٧ ـ * وعن سهل بن سعد، قال: جاءَ رجلٌ، فقال: يا رسولَ الله! دُلنى على عمَلٍ إذا أنا عملتُه أحبَّنى اللهُ وأحبَّنى الناسُ. قال: «ازهَدْ فى الدنيا يُحبَّكَ الله، وازهد فيما عندَ الناسِ يُحبكَ الناسُ» رواه الترمذي، وابن ماجه. [٥١٨٧]

أبدل «تلمم بنا» من قوله: «تأتنا»

الحديث الخامس عشر عن عثمان رضى الله عنه: قوله: «فى سوى هذه الخصال» «سوى» موصوفه محذوف أى شيء سوى هذه. «قض»: أراد بـ«الحق» ما يستحقه الإنسان لافتقاره إليه وتوقف تعيشه عليه، وما هو المقصود الحقيقى من المال. وقيل: أراد به ما لم يكن له تبعة حساب، إذا كان مكتسبا من وجه حلال. والمراد بالخصال هنا ما يحصل للرجل ويسعى فى تحصيله من الأموال، شبهه بما يخاطر عليه فى السبق والرمى ونحوهما.

أقول: بيان وجه التشبيه أن الخطر فى الأصل الرهن، ولا يخاطر إلا فى شيء له قدر، ومنه الحديث: «إلا رجل يخاطر بنفسه وماله» أى يلقيهما فى الهلكة بالجهاد، ومن شرع فى سعى الدنيا والاستمتاع بها وبمستلذاتها ومباحاتها أوقع نفسه ودينه فى خطر عظيم، فيجب عليه أن يحترز منها كل الاحتراز إلا ما لابد له منه، وهى هذه الخصال الثلاث.

«نه» «الجلف»: الخبز وحده لا أدم معه، وقيل: هو الخبز الغليظ اليابس. قال: ويروى بفتح اللام جمع جلفة وهى الكسرة من الخبز. وفى الغريبين عن ابن الأعرابى: الجلف الظرف مثل الخرج والجوالق. «قض»: ذكر الظرف وأراد به المظروف، أى كسرة خبز وشربة ماء.

الحديث السادس عشر عن سهل رضي الله عنه: قوله: «ازهد فى الدنيا». قيل: الزهد عبارة

[٥١٨٥] حسن انظر صحيح الجامع ٢٣٨٦.

[٥١٨٦] ضعيف الجامع ٤٩١٧.

[٥١٨٧] صحيح الجامع ٩٢٢.

٥١٨٨ ـ * وعن ابن مسعودٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ نامَ على حصيرٍ، فقامَ وقد أثَّرَ فى جسده، فقال ابنُ مسعود: يا رسولَ الله! لو أمرتَنا أن نبسُطَ لك ونعملَ فقال: «ما لى وللدنيا؟ وما أنا والدنيا إلا كراكبٍ استظلَّ تحتَ شجرة، ثمَّ راحَ وتركها» رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه. [٥١٨٨]

٥١٨٩ ـ * وعن أبى أمامةَ، عن النبى ﷺ قال: «أغبَطُ أوليائى عندى لمؤمنٌ خفيفُ الحاذ، ذو حظٍ من الصَّلاةِ، أحسنَ عبادةَ ربِّه، وأطاعَه فى السرِّ، وكانَ

عن عزوف النفس عن الدنيا مع القدرة عليها لأجل الآخرة، ولا يتصور الزهد ممن ليس له مال ولا جاه، وقيل لابن المبارك: يا زاهد! قال: الزاهد عمر بن عبدالعزيز إذ جاءته الدنيا راغمة فتركها، أما أنا ففى ماذا زهدت. وفى قوله: «ازهد فى الدنيا يحبك الله» دليل على أن الزهد أعلى المقامات وأفضلها؛ لأنه جعله سببا لمحبة الله تعالى، وأن محب الدنيا متعرض لبغض الله تعالى.

الحديث السابع عشر عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «ونعمل» متعلقه محذوف فيقدر من جنس الكلام السابق، وهو وجوه التنعم والتلذذ بالأغراض الدنيوية أعم من أن يكون بساطا؛ ومن ثم طابقه قوله: «مالى وللدنيا؟» وقوله: «وما أنا والدنيا» أى ليس حالى مع الدنيا إلا كحال راكب مستظل، وهو من التشبيه التمثيلى، ووجه التشبيه سرعة الرحيل وقلة المكث؛ ومن ثم خص الراكب. واللام فى «للدنيا» مقحمة للتأكيد، إن كان الواو بمعنى «مع». وإن كان للعطف فتقديره: مالى والدنيا وما للدنيا معى؟

الحديث الثامن عشر عن أبى أمامة رضى الله عنه: قوله: «أوليائى» أفعل هنا بنى للمفعول، أى أحق أحبائى وأنصارى بأن يغبط به ويتمنى مثل حاله مؤمن بهذه الصفة. واللام فى «لمؤمن» داخل فى خبر المبتدأ، قال الزجاج فى قوله تعالى: ﴿إن هذان لساحران﴾[1]: اسم «إن» ضمير الشأن، والخبر جملة اسمية اقترن بخبرها لام الابتداء. نحو قول الشاعر:

أم الحليس لعجوز شهربَه[2]

وقد سبق بحثه فى حديث ابن مسعود رضى الله عنه: «أنتم آل عبدالله لأغنياء» فى باب

[٥١٨٨] صحيح الجامع ٥٦٦٨ وفقه السيرة ٤٧٨.

(١) طه: ٦٣

(٢) وتمام البيت:

أم الحليس لعجوز شَهر به ترضى من الشاة بعظم الرقبة

غامضًا فى النَّاسِ، لا يشارُ إليه بالأصابعِ، وكانَ رزقُه كفافًا، فصبرَ على ذلكَ» ثم نَقَدَ بيدِه فقال: «عُجِّلَتْ منيَّتُه، قلَّتْ بواكيهِ، قلَّ تُراثُه». رواه أحمد، والترمذى، وابن ماجه. [٥١٨٩]

الطب والرقى. ومن أراد الكلام المشبع فليطلب فى شرح الكشاف(١) في قوله: ﴿إن هذان لساحران﴾(٢)

قوله: «خفيف الحاذ» أى قليل المال. «نه» الحاذ والحال واحد من حاذ يحوذ، وأصل الحاذ: طريقة المتن، وهو ما يقع عليه اللِّبْدُ من ظهر الفرس، أى خفيف الظهر من العيال.

قوله: «ذوحظ من الصلاة» أى ذو راحة من مناجاة الله تعالى فيها واستغراقه فى المشاهدة، ومنه قوله ﷺ لبلال: «أرحنا بها يا بلال!»* أى أذن بالصلاة نسترح بأدائها من شغل القلب بها. وقيل: كان اشتغاله بالصلاة راحة له؛ فإنه كان يعد غيرها من الأعمال الدنيوية تعبا، وكان يستريح بالصلاة لما فيها من مناجاة الله تعالى؛ ولهذا قال: «وقرة عينى فى الصلاة»** وما أقرب الراحة من قرة العين. وقوله: «أحسن عبادة ربه» تعميم بعد التخصيص، والمراد به إجادة العبادة على سبيل الإخلاص، فعلى هذا قوله: «وأطاعه فى السر» عطف تفسيرى على «أحسن». و«كان غامضا» أى مغمورا غير مشهور. وقوله: «لا يشار إليه بالأصابع» بيان وتقرير لمعنى الغموض. وقوله: «على ذلك» أى على المذكور دلالة على أن ملاك الكل الصبر، وبه يتقوى على الطاعات، نحو قوله تعالى: ﴿أولئك يجزون الغرفة بما صبروا﴾(٣)

قوله: «ثم نقد» «نه»: هو من نقدت الشيء بإصبعى أنقده واحدا واحدا نقد الدراهم، ونقد الطائر الحب ينقده، إذا كان يلقطه واحدا واحدا، وهو مثل النقر ويروى بالراء. «تو»: أريد به هنا ضرب الأَنْمُلة على الأَنْمُلة، أو ضربها على الأرض كالمتقلل للشيء، أى لم يلبث إلا قليلا حتى قبضه الله تعالى يقلل مدة عمره وعدد بواكيه ومبلغ تراثه. وقيل: الضرب على هذه الهيئة فعل المتعجب من الشيء، أو من رأى ما يعجبه حسنه، وربما يفعل ذلك من يظهر قلة المبالاة بشيء أو يُفعل طربًا وفرحًا بالشيء.

أقول: ويمكن أن يقال: إنه كالقرع بالعصا والتنبيه على أن ما يرد بعده مما يهتم بشأنه، ويجب تلقيه بالقبول، ومن ثمة عقبه بقوله: «فقال»؛ قال ثعلب: حروف التهجى فى الفواتح بمنزلة ألا، كمن أراد الإخبار بمهم، حرك الحاضر بيده أو صاح به صرخة ليقبل بكله إليه.

[٥١٨٩] انظر ضعيف الجامع بنحوه ١٠٧٣

(١) الكشاف: ٢/٣٣٨.

(٢) طه : ٦٣. (٣) الفرقان: ٧٥.

* انظر المجمع (١/ ١٤٥) وفي مسند أحمد (٥/ ٣٧١) بلفظ «قم يا بلال فأرحنا بالصلاة».

** جزء من حديث رواه أحمد فى المسند (٣/١٢٨، ٢٨٥) وأخرجه الحاكم فى المستدرك (٢/ ١٦٠) عن أنس مرفوعًا: «حبب إليّ .... وجعلت قرة عينى في الصلاة» الحديث، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه.

٥١٩٠ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «عرضَ عَلَيَّ ربِّي ليجعلَ لي بطحاءَ مكةَ ذهبًا، فقلتُ: لا؛ يارب! ولكنْ أشبَعُ يومًا، وأجوعُ يومًا، فإذا جعتُ تضرعتُ إليكَ وذكرتُكَ، وإذا شبعتُ حمدْتُكَ وشكرتُكَ». رواه أحمدُ، والترمذي.[٥١٩٠]

٥١٩١ ـ * وعن عبيدِالله بنِ محصَنٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «مَن أصبحَ منكم آمناً في سربه، مُعافًى في جسدِه. عندَه قوتُ يومِه؛ فكأنما حِيزَتْ له الدنيا» رواه الترمذي، وقال: هذا حديثٌ غريب.[٥١٩١]

٥١٩٢ ـ * وعن مقدامِ بن معدي كرب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «ما مَلأَ آدمي وعاءً شرًا منْ بطنٍ، بحسبِ ابن آدمَ أُكُلاتٌ يُقمنَ صلبَه،فإنْ كانَ لا محالَةَ

وقيل: قوله: «وعجلت منيته» يعني يسلم روحه بالتعجيل لقلة تعلقه بالدنيا، وغلبة شوقه إلى الآخرة. «شف»: ويمكن أنه أراد أنه قليل مؤون الممات، كما كان قليل مؤون الحياة.

الحديث التاسع عشر عن أبي أمامة رضي الله عنه: قوله: «بطحاء مكة» تنازع فيه «عرض» و«ليجعل» أي عرض على بطحاء مكة ليجعلها لي ذهبا. قوله: «فإذا جُعت» إلخ جمع في القرينتين بين الصبر والشكر وهما صفتا المؤمن الكامل؛ قال تعالى: ﴿**إنَّ في ذَلكَ لآيات لكُلِّ صبار شكُور**﴾[1]. الكشاف[2]: صبار على بلائه شكور لنعمائه، وهما صفتا المؤمن المخلص فجعلهما كناية عنه.

الحديث العشرون عن عبيدالله: قوله: «في سربه». «نه»: هو بالكسر أي في نفسه، وفلان واسع السرب أي رَخِيّ البال، ويروى بالفتح وهو المسلك والطريق، يقال: خل سربه أي طريقه. «تو»: «أبى بعضهم إلا السَّرَب» ـ بفتح السين والراء ـ أي في بيته. ولم يذكر فيه روايه ولو سلم له قوله ـ أن يطلق السرب على كل بيت ـ كان قوله هذا حريا بأن يكون أقوى الأقاويل، إلا أن السرب يقال للبيت الذي هو في الأرض*. والحيازة: الضم والجمع.

الحديث الحادي والعشرون عن المقدام: قوله: «فثلث» أي ثلث منه للطعام، واللام مقدرة بقرينة قوله: «ثلث لنفسه» أي الحق الواجب أن لا يجاوز ما يقام به صلبه؛ ليتقوى به على طاعة الله تعالى، فإن أراد البتة التجاوز، فلا يتعدى عن القسم المذكور. جعل البطن أولا وعاء

[٥١٩٠] انظر ضعيف الجامع بنحوه ٣٧٠٦.

[٥١٩١] انظر صحيح الجامع ٦٠٤٢.

(١) لقمان: ٣١. (٢) الكشاف: ٣/ ٢١٢.

* كذا في (ط)، وفي (ك): (الأصل).

فثُلُثٌ طعامٌ، وثُلثٌ شرابٌ، وثُلثٌ لنفسه». رواه الترمذى، وابنُ ماجه. [٥١٩٢]

كالأوعية التى تتخذ ظروفا لحوائج البيت توهينا لشأنه، ثم جعله شر الأوعية؛ لأنها استعملت فيما هى له، والبطن خلق لأن يتقوم به الصلب بالطعام وامتلاؤه يفضى إلى الفساد فى الدين والدنيا، فيكون شرا منها.

قال الشيخ أبو حامد: فى الجوع عشر فوائد:

الأولى: صفاء القلب، وإيقاد القريحة، ونفاذ البصيرة؛ فإن الشبع يورث البلادة ويعمى القلب، ويكثر البخار فى الدماغ كشبه السكر، حتى يحتوى على معادن الفكر فيثقل القلب بسببه عن الجريان.

وثانيتها: رقة القلب وصفاؤه الذى به يتهيأ لإدراك لذة المناجاة والتأثر بالذكر.

وثالثتها: الانكسار والذل وزوال البطر والأشر والفرح الذى هو مبدأ الطغيان، ولا تنكسر النفس بشىء ولا تذل كما تذل بالجوع، فعنده تستكين لربها وتقف على عجزها.

ورابعتها: أن لا ينسى بلاء الله وعذابه وأهل البلاء؛ فإن الشبعان ينسى الجائعين والجوع.

وخامستها: وهى من كبار الفوائد كسر شهوات المعاصى كلها والاستيلاء على النفس الأمارة بالسوء، وتقليلها يضعف كل شهوة وقوة، والسعادة كلها فى أن يملك الرجل نفسه، والشقاوة فى أن تملكه نفسه.

وسادستها: دفع النوم ودوام السهر؛ فإن من شبع شرب كثيرا، ومن كثر شربه كثر نومه، وفى كثرة النوم ضياع العمر وفوات التهجد، وبلادة الطبع وقساوة القلب، والعمر أنفس الجواهر وهو رأس مال العبد فيه يتجر، والنوم موت فتكثيره تنقيص من العمر.

وسابعتها: تيسير المواظبة على العبادة؛ فإن الأكل يمنع من كثرة العبادات؛ لأنه يحتاج إلى زمان يشتغل بالأكل، وربما يحتاج إلى زمان فى شراء الطعام أو طبخه، ثم يحتاج إلى غسل اليد والخلال ثم يكثر تردده إلى بيت الماء. ولو صرف هذه الأوقات فى الذكر والمناجاة وسائر العبادات، لكثر ربحه. قال السرى: رأيت مع على الجرجانى سويقا يستف منه، فقلت: ما دعاك إلى هذا؟ فقال: إنى حسبت ما بين المضغ إلى الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ أربعين سنة.

وثامنتها: من قلة الأكل صحة البدن ودفع الأمراض؛ فإن سببها كثرة الأكل وحصول فضلة الأخلاط فى المعدة والعروق، ثم المرض يمنع من العبادات ويشوش القلب، ويحوج إلى الفصد والحجامة والدواء والطبيب، وكل ذلك يحتاج إلى مؤون، وفى الجوع ما يدفع عنه كل ذلك.

[٥١٩٢] صحيح الجامع ٥٦٧٤.

٥١٩٣ ـ * وعن ابن عمرَ، أنَّ رسولَ الله ﷺ سمعَ رجلاً يتجشَّأُ، فقال: «أقصِرْ منْ جُشائكَ، فإنَّ أطولَ الناسِ جوعًا يومَ القيامةِ أطولُهم شبعًا فى الدنيا» رواه فى «شرح السنة» وروى الترمذى نحوَه. [٥١٩٣]

٥١٩٤ ـ * وعن كعب بن عِياضٍ، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «إنَّ لكلِّ أمةٍ فتنةً، وفتنةُ أُمتى المالُ» رواه الترمذى. [٥١٩٤]

٥١٩٥ ـ * وعن أنسٍ، عن النبى ﷺ، قال: «يُجاء بابن آدمَ يومَ القيامةِ كأنه بذَجٌ، فيوقفُ بينَ يدىِ الله، فيقولُ له أعطيتُك وخوَّلتُك وأنعمْتُ عليكَ، فما صنعتَ؟ فيقولُ: ياربِّ! جمعْتُه وثمَّرتُه وتركتُه أكثرَ ما كانَ، فارجِعنى آتكَ به كلِّه.

وتاسعتها: خفة المؤونة؛ فإن من تعود قلة الأكل كفاه من المال قدر يسير.

وعاشرتها: أن يتمكن من الإيثار والتصدق بما فضل من الأطعمة على المساكين، فيكون فى يوم القيامة فى ظل صدقته، فما يأكله فخزانته الكنيف، وما يتصدق به فخزانته فضل الله تعالى.

الحديث الثانى والعشرون عن ابن عمر رضي الله عنهما: قوله: «رجلا يتجشأ»، «تو»: الرجل هو وهب أبو جحيفة السوائى، روى عنه: أنه قال: أكلت ثريدة بر بلحم، وأتيت رسول الله ﷺ وأنا أتجشأ. وذكر الحديث. الاسم من التجشؤ الجشاءة على مثال الهمزة. قال الأصمعى: الجشاء على فعال كأنه من باب العُطاس والدُوار. وقوله: «أقصر عنا» بقطع الألف، أى اكفف عنا. والنهى عن الجشأ هو النهى عن الشبع؛ فإنه هو السبب الجالب له.

الثالث والعشرون والرابع والعشرون عن أنس رضى الله عنه: قوله: «كأنه بَذَج» «نه»: هو ولد الضأن، وجمعه بذجان. «فا»: هى كلمة فارسية تكلمت بها العرب وهى أضعف ما يكون من الحملان. «حس»: شبه ابن آدم بالبذج لصغاره وصغره أى يكون حقيرا ذليلا.

«نه»: «خولتك» أى ملكتك. «قض»: «رب! جمعته وثمرته» أى أنميته وكثرته؛ يقال: ثمر الله ماله إذا كثره. قوله: «فإذا عبد» الفاء فيه فصيحة تدل على مقدر، و«إذا» للمفاجأة، و«عبد» خبر مبتدأ محذوف، أى قال رسول الله ﷺ. .

فظهر مما حكيت عن هذا الرجل أنه كان كعبد أعطاه سيده رأس مال ليتجر به ويربح، فلم يمتثل أمر سيده فأتلف رأس ماله بأن وضعه فى غير موضعه، واتجر فيما لم يؤمر بالتجارة فيه، فإذا هو عبد خائب خاسر؛ قال تعالى: ﴿**أولئك الذين اشتروا الضلالة بالهدى فما ربحت**

[٥١٩٣] حسن. صحيح الجامع ١١٧٩

[٥١٩٤] انظر صحيح الجامع ٢١٤٨

فيقولُ له: أرنى ما قدَّمت. فيقول: ربِّ! جمعْتُه وثمَّرته وتركتُه أكثرَ ما كانَ، فارجعْنى آتكَ به كله. فإذا عبدٌ لم يُقدِّمْ خيرًا فيُمضى به إلى النارِ». رواه الترمذى وضعَّفه. [٥١٩٥]

٥١٩٦ - * وعن أبى هريرةَ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ أوَّلَ ما يسألُ العبدُ يومَ القيامةِ منَ النَّعيم أن يُقالَ له: ألَم نُصح جسمَكَ؟ ونُروكَ منَ الماءِ الباردِ؟». رواه الترمذى. [٥١٩٦]

٥١٩٧ - * وعن ابن مسعودٍ، عن النبىِّ ﷺ، قال: «لا تزولُ قدما ابن آدمَ يومَ القيامةِ حتى يُسألَ عن خمسٍ: عن عمرِه فيما أفناهُ، وعن شبابه فيما أبلاهُ، وعن ماله من أينَ اكتسبَه، وفيما أنفقَه، وماذا عمِلَ فيما علِمَ؟» رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥١٩٧]

تجارتهم وما كانوا مهتدين﴾(١) فما أحسن موقع العبد، وذكره فى هذا المقام.

قال الشيخ أبو حامد: اعلم أن كل خير ولذة وسعادة بل كل مطلوب ومؤثر يسمى نعمة، ولكن النعمة الحقيقية هى السعادة الأخروية، وتسمية ما عداها سعادة، غلط أو مجاز كتسمية السعادة الدنيوية التى لا يعبر عنها إلى الآخرة نعمة؛ فإن ذلك غلط محض. وكل سبب يوصل إلى سعادة الآخرة ويعين عليها إما بواسطة واحدة أو بوسائط فإن تسميته نعمة صحيح وصدق؛ لأجل أنه يفضى إلى النعمة الحقيقية.

الحديث الخامس والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه؛ قوله: «ما يسأل» «ما» فيه مصدرية و«أن يقال» خبر «إن» أى أول سؤال العبد هو أن يقال له... إلخ. قوله: «ألم نصح» كذا فى المصابيح شرح السنة. وقد غيروا فى بعض نسخ المصابيح نظرا إلى أنه غير صحيح؛ لأنه لازم، وقد جاء فى أساس البلاغة: أصحه الله وصححه وأصح الله بدنك وصحح جسمك.

الحديث السادس والعشرون عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «عن خمس» إنما أنثه بتأويل الخصال. والمراد بالخصال هاهنا ما يحصل للرجل كما سبق فى الحديث الخامس عشر

[٥١٩٥] انظر ضعيف الجامع ٤٦٣٠.

[٥١٩٦] إسناده صحيح.

[٥١٩٧] حديث صحيح لشواهده.

(١) البقرة: ١٦.

الفصل الثالث

٥١٩٨ ـ * عن أبي ذر، أنَّ رسولَ الله ﷺ قال له: «إنك لستَ بخيرٍ منْ أحمرَ ولا أسودَ إلا أنْ تفضلَه بتقوى». رواه أحمد.[٥١٩٨]

٥١٩٩ ـ * وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «ما زهِدَ عبدٌ في الدنيا إلا أنبتَ اللهُ الحكمة َ في قلبِه، وأنطقَ بها لسانَه، وبصَّرَه عيب الدنيا وداءَها ودواءَها، وأخرجه منها سالما إلى دارِ السلامِ». رواه البيهقي في «شعب الإيمان».[٥١٩٩]

٥٢٠٠ ـ * وعنه، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «قد أفلحَ مَن أخلصَ اللهُ قلبَه للإيمان، وجعلَ قلبَه سليمًا، ولسانَه صادقًا، ونفسَه مطمئنَّةً، وخَلَيقتَه مستقيمةً،

من هذا الفصل. قوله: «وعن شبابه فيما أبلاه» فإن قلت: هذا داخل في الخصلة الأولى فما وجهه؟ قلت: المراد سؤاله عن قوته وزمانه الذي يتمكن منه على أقوى العبادة. وإنما غير السؤال في الخصلة الخامسة حيث لم يقل: عن علمه ماذا عمل به؛ لأنها أهم شيء وأولاه. وفيه إيذان بأن العلم مقدمة العمل وهو لا يعتد به لولا العمل.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: «من أحمر» المراد به العجم وبالأسود العرب، والضمير في «أن تفضله» عائد إلى كل واحد منهما أو إليهما معا على تأويل الإنسان، والاستثناء مفرغ. والتقدير لست بأفضل منهما بشيء من الأشياء إلا بالتقوى. وقوله: «أن تفضله» تكرير تأكيد: قال تعالى: ﴿إن أكرمكم عند الله أتقاكم﴾(١).

الحديث الثاني عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: «وبصرّه عيب الدنيا» من البصيرة وهو إشارة إلى الدرجة الثانية يعني لما زهد في الدنيا، لما حصل له من علم اليقين بعيوب الدنيا أورثه الله تعالى به بصيرة حتى حصل له به حق اليقين.

الحديث الثالث عن أبي ذر رضي الله عنه: قوله: «سليما» أي عن الحسد والبغض والحقد وسائر الأخلاق الذميمة، قال تعالى: ﴿يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم﴾(٢). والخليقة الطبيعة. قال في أساس البلاغة: له خلق حسن وخليقة وهي ما خلق عليه من طبيعته، يعني: جبله الله تعالى في أصل خلقته مستقيمة غير مائلة إلى طرفي الإفراط والتفريط.

[٥١٩٨] انظر مسند أحمد (١٥٨/٥).

[٥١٩٩] انظر شعب الإيمان ١٠٥٣٢ (٧/ ٣٤٧).

(١) الحجرات: ١٣. (٢) الشعراء: ٨٨، ٨٩

وجعلَ أُذنَه مستمعةً، وعينَه ناظرةً، فأما الأذنُ فقمعٌ، وأمَّا العينُ فمقرّةٌ لما يُوعى القلب، وقد أفلحَ من جُعلَ قلبُه واعيًا». رواه أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢٠٠]

٥٢٠١ - * وعن عُقبة بن عامرٍ، عن النبيِّ ﷺ قال: «إذا رأيتَ اللهَ عزَّ وجلَّ يُعطى العبدَ من الدنيا، على معاصيه، ما يُحبُّ؛ فإنما هو استدراجٌ». ثمَّ تَلا رسول الله ﷺ: **﴿فلمَّا نَسُوا ما ذُكرُوا به فَتَحنَا عَليهم أبوَاب كل شيء حتى إذا فرِحوا بما أوتوا أخذناهم بغتَة فإذا هم مُبلسُونَ﴾**(١). رواه أحمد. [٥٢٠١]

قوله: «فقمع» هو الإناء الذى يترك فى رءوس الظروف؛ لتملأ بالمائعات من الأشربة والأدهان. شبه أسماع الذين يستمعون القول ويعونه بقلوبهم بالأقماع. وقوله: «فمقرة» وارد على سبيل **الاستعارة**؛ لأنها تثبت فى القلب وتقر فيه ما أدركته بحاستها، فكأن القلب لها وعاء وهى تقر فيه ما رأته.

قال فى أساس البلاغة: ومن **المجاز** قر الكلام فى أذنه إذا وضع فاه على أذنه فأسمعه وهو من قر الماء فى الإناء إذا صبه فيه. و«القلب» يحتمل النصب أى يقر فى القلب ما يجعل القلب وعاء له. والرفع على أنه فاعل يوعى أى لما يوعيه القلب أى يحفظه. وإنما خص السمع والبصر؛ لأن الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى، إما سمعية فالأذن هى التى تجعل القلب وعاء لها، أو نظرية فالعين هي التى تقرها فى القلب وتجعله وعاء لها؛ ومن ثمة جعل قوله: «وقد أفلح من جعل قلبه واعيا» كالفذلكة للقرينتين.

الحديث الرابع عن عقبة رضى الله عنه: قوله: «استدراج» هو الأخذ فى الشىء والذهاب فيه درجة فدرجة كالمراقى والمنازل في ارتقائه ونزوله، ومعنى استدراج الله: استدراجهم قليلا قليلا إلى ما يهلكهم، ويضاعف عقابهم من حيث لا يعلمون ما يراد بهم. وذلك أن تواتر الله نعمه عليهم مع انهماكهم فى الغى، فكلما جدد عليهم نعمة ازدادوا بطرا وجددوا معصية، فيستدرجون فى المعاصى بسبب ترادف النعم ظانين أن تواتر النعم أثرة من الله وتقريب، وإنما هى خذلان منه وتبعيد. وقوله: **﴿فإذا هم مُبلسُونَ﴾**(١) واجمون متحسرون آيسون.

[٥٢٠٠] انظر ضعيف الجامع بنحوه ٤٠٧٩.

[٥٢٠١] انظر صحيح الجامع ونحوه ٥٦١ بدون «ثم تلا».

(١) الأنعام: ٤٤.

٥٢٠٢ ـ * وعن أبى أمامة، أنَّ رجلاً من أهل الصفة توفى وتَركَ ديناراً، فقال رسول الله ﷺ: «كيَّةٌ» قال: ثم توفى آخر فتركَ دينارين، فقال رسولُ الله ﷺ: «كيَّتَانِ». رواه أحمد، والبيهقيُّ فى «شعب الإيمان».[٥٢٠٢]

٥٢٠٣ ـ * وعن معاوية: أنهُ دخلَ على خالِه أبى هاشم بن عتبة يعوده فبكى أبو هاشم، فقال ما يبكيك ياخال؟ أوَجَعٌ يشئزكَ أم حرصٌ على الدنيا؟ قال: كلا؛ ولكنَّ رسول الله ﷺ عهد إلينا عهداً لم آخذْ به. قال: وما ذلك؟ قال سمعته يقول: «إنما يكفيكَ من جمع المال خادمٌ ومركبٌ فى سبيل الله». وإنى أرانى قد جمعتُ. رواه أحمد، والترمذى،و النسائى، وابن ماجه.[٥٢٠٣]

٥٢٠٤ ـ * وعن أم الدرداء، قالتْ: قلت: لأبى الدرداءِ: مالك لا تطلبُ كما يطلبُ فلانٌ؟ فقال: إِنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إِن أمامكم عقبةً كؤوداً لا يجوزُها المثْقَلون». فأحِب أن أتخفف لتلك العقبة.[٥٢٠٤]

الحديث الخامس عن أبى أمامة رضى الله عنه: قوله: «من أهل الصفة». «نه»: أهل الصفة هم فقراء المهاجرين ومن لم يكن له منهم منزل يسكنه وكانوا يأوون إلى موضع مظلل فى مسجد المدينة يسكنونه. انتهى كلامه. وفى وصف الرجل بهذا النعت إشعار بأن الحكم الذى يليه معلل به، يعنى انتماؤه إلى الفقراء الذين زهدوا فى الدنيا مع وجود الدينار أو الدينارين دعوى كاذبة يستحق به العقاب. وإلا فقد كان كثير من الصحابة، كعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف وطلحة بن عبيدالله رضى الله عنهم، يقتنون الأموال ويتصرفون فيها، وما عابهم أحد ممن أعرض عن الفتنة؛ لأن الإعراض اختيار للأفضل والأدخل فى الورع والزهد فى الدنيا، والاقتناء مباح موسع لا يذم صاحبه ولكل شىء له حد.

الحديث السادس عن معاوية بن أبى سفيان رضي الله عنهما: قوله: «يشئزك» «نه»: أى يقلقك يقال: شَئِز فهو مشئوز وأشأزه غيره، وأصله الشأز وهو الموضع الغليظ الكثير الحجارة: قوله: «قد جمعت» حذف متعلقه ليدل على الكثرة من أنواع المال.

الحديث السابع عن أم الدرداء رضى الله عنها: قوله: «قال: إنى سمعت رسول الله ﷺ»

[٥٢٠٢] أحمد (١ / ١٠١ ، ٤١٥) (٢/٣٥٦)

[٥٢٠٣] صحيح الجامع ٢٣٨٦.

[٥٢٠٤] صحيح الجامع ٢٠٠١.

٥٢٠٥ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «هل من أحد يمشى على الماء إلاَّ ابتلتْ قدماه؟». قالوا: لا، يا رسول الله! قال: «كذلك صاحبُ الدنيا لا يسلمُ منَ الذنوب». رواهما البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢٠٥]

٥٢٠٦ - * وعن جُبيرِ بن نُفير [رضى الله عنه] مرسلا، قال: قال رسول الله ﷺ: «ما أوحى إليَّ أنْ أجمعَ المال وأكونَ من التاجرين، ولكن أوحى إليَّ أن ﴿سبّح بحمدِ ربّك وكنْ من السَّاجدين واعبد ربَّك حتى يأتيك اليقين﴾(١)». رواه فى «شرح السنة» وأبو نعيم فى «الحلية» عن أبى مسلم. [٥٢٠٦]

يحتمل أن تكون «إنى» مفتوحة الهمزة على حذف اللام الجارة أى لا أطلب لأنى سمعت وأن تكون مكسورتها استئنافا: قوله: «عقبة كؤودا» أى شاقة والمراد بها الموت والقبر والحشر وأهوالها وشدائدها، شبهها بصعود العقبة، ومكابدة ما يلحق الرجل من قطعها.

الحديث الثامن عن أنس رضى الله عنه: قوله: «إلا ابتلت قدماه» استثناء من أعم عام الأحوال، تقديره: هل يمشى فى حال من الأحوال إلا فى حال ابتلال قدميه، وحاصل معناه: هل يتحقق المشى على الماء مع عدم الابتلال؟؛ ولذا صح الجواب بـ«لا».

قوله: «لا يسلم من الذنوب» فيه تخويف شديد للمتقين، وحث على التزهد فى الدنيا وإيثار الآخرة على الأولى. وكفى بها تبعة أن يدخل الفقراء فى الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، عافانا الله تعالى منها بفضله وكرمه.

الحديث التاسع عن جبير رضى الله عنه: قوله: «ولكن أوحى إلى» يعنى أمرنى ربى أن أستغرق أوقاتى فى المواظبة على التسبيح والتحميد وكثرة السجود والعبادة لربى حتى يأتى أمر الله وألقى الله تعالى، فكيف أتلهى بالتجارة والبيع والشراء وأمور الدنيا وأنى يتراءى ناراهما. ومعنى قوله: «وأكون من التاجرين» أى من المتوغلين فى صنعة التجارة ومن له مساهمة فيها، وكذا قوله: ﴿من الساجدين﴾(٢) أى أكون من المتوغلين فى إقامة الصلاة وكثرة السجود ومن له القدح المعلى فيها، وفيه رائحة معنى قوله: «لا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا» وفيه إباحة سعىّ ما، كما ينبئ عنه الحديث التالى.

[٥٢٠٥] انظر ضعيف الجامع ٦١٠٨ ،والسلسلة الضعيفة ٤٧٤١.

[٥٢٠٦] انظر شرح السنة٤٠٣٦ (١٤ / ٢٣٧)وهو مرسل.

(١) الحجر: ٩٨،٩٩.　　(٢) الحجر: ٩٨

٥٢٠٧ ـ * وعن أبي هريرةَ [رضى الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «من طَلَبَ الدنيا حلالاً استعفافًا عن المسألة، وسَعْيًا على أهله، وتعطفًا على جاره؛ لَقِىَ اللّهَ تعالى يومَ القيامةِ ووجهُهُ مثلُ القمر ليلة البدر. ومن طلب الدنيا حلالاً، مكاثرًا، مفاخرًا مرائيا؛ لَقِى الله تعالى وهوَ عليهِ غَضْبان». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». وأبو نُعَيْمٍ فى «الحلية». [٥٢٠٧]

٥٢٠٨ ـ * وعن سهل بن سعد، أن رسولَ الله ﷺ قال: «إن هذَا الخيرَ خزائن، لتلك الخزائنُ مفاتيح، فطوبى لعبدٍ جعله الله مفتاحًا للخير، مغلاقا للشرّ؛ وويلٌ لعبدٍ جعلَه الله مفتاحًا للشر، مغلاقًا للخَير». رواه ابن ماجه. [٥٢٠٨]

الحديث العاشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ووجهه مثل القمر» وفى الحديث معنى قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾(١) وهما عبارتان عن رضا الله تعالى وسخطه، قوله: «ووجهه مثل القمر» مبالغة فى حصول الرضى بدلالة قوله فى مقابلته: «وهو عليه غضبان».

الحديث الحادى عشر عن سهل رضى الله عنه: قوله: «إن هذا الخير» «غب»: الخير ما يرغب فيه الكل كالعقل مثلا والعدل والفضل والشيء النافع، والشر ضده. والخير والشر قد يقيدان وهو أن يكون خيرا لواحد وشرا لآخر، كالمال الذى يكون ربما كان خيرا لزيد وشرا لعمر؛ ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال فى موضع: ﴿إن ترك خيرا﴾(٢) وقال فى موضع آخر: ﴿أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُم به من مال وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فى الخيرات﴾(٣) وقوله: «إن ترك خيرا» أى مالا. وقال بعض العلَمَاء: لا يُقالَ للمال: خير حتى يكون كثيرا.

أقول: المعنى الذى يحتوى على خيرية المال وعلى كونه شرا هو المشبه بالخزائن، فمن توسل بفتح ذلك المعنى، وأخرج المال منها أنفقه فى سبيل الله ولا ينفقه فى سبيل الشيطان، فهو مفتاح الخير مغلاق الشر، ومن توسل بإغلاق ذلك الباب بإنفاقه فى سبيل الله وفتحه فى سبيل الشيطان، فهو مغلاق الخير مفتاح الشر. وفى قوله ﷺ: «إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة»* إلى قوله: ﴿الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء﴾(٤) إشارة إلى هذا المعنى.

[٥٢٠٧] انظر شعب الإيمان (١٠٣٧٤ - ١٠٣٧٥) (٧/ ٢٩٨).

[٥٢٠٨] انظر ضعيف الجامع (٢٠١٩).

* جزء من حديث عند الترمذي (٢٩٨٨) وعزاه إلى ابن مسعود، وقال الشيخ في المشكاة: ضعيف؛ لأن فيه عطاء بن السائب وكان قد اختلط.

(١) آل عمران: ١٠٦.   (٢) البقرة: ١٨٠.

(٣) المؤمنون: ٥٥، ٥٦.   (٤) البقرة: ٢٦٨

٥٢٠٩ ـ * وعن على [رضى الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا لم يُبَارِكْ للعبد فى ماله جعله فى الماءِ والطينِ». [٥٢٠٩]

٥٢١٠ ـ * وعن ابن عمر، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «اتقوا الحرامَ فى البنيانِ؛ فإنهُ أساسُ الخراب». رواهما البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢١٠]

٥٢١١ ـ * وعن عائشة [رضى الله عنها]، عن رسول الله ﷺ قال: «الدُّنيا دَارُ مَنْ لا دَارَ لهُ، ومالُ من لا مالَ له، ولها يجمعُ من لا عقلَ له». رواه أحمد، والبَيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢١١]

الحديث الثانى عشر والثالث عشر عن ابن عمر رضى الله عنهما: قوله: «اتقوا الحرام» لابد من تقدير مضاف، أى احترزوا إنفاق مال الحرام فى البنيان؛ فإنه أساس لخراب الدين، أو يكون المعنى: اتقوا ارتكاب الحرام فى البنيان؛ فإنه أساس الخراب، فلولم يبن لم يخرب كما فى قوله ﷺ: «لدوا للموت وابنوا للخراب» وفى مثلها فى قولهم: فى البيضة عشرون رطلا حديدا والبيضة نفسها هذا المقدار. والوجه الأول دل على أنه قد يجوز البناء من الحلال بخلاف الثاني، وهذا أنسب بالباب.

الحديث الرابع عشر عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «دار من لا دار له» لما كان القصد الأول من الدار الإقامة مع عيش هنىء ولذ صفى، ودار الدنيا خاوية عنها لا يستحق لذلك أن تسمى دارا. ، فمن داره الدنيا فلا دار له، ﴿وإن الدار الآخرة لهى الحيوان لو كانوا يعلمون﴾[1]. والمقصود من المال الإنفاق فى المبرات والصرف فى وجوه الخيرات، فمن أتلفه فى الشهوات واستيفاء اللذات فحقيق بأن يقال: لا مال له، وما الحياة الدنيا إلا متاع الغرور؛ ولذلك قدم الظرف على عامله فى قوله: «ولها يجمع» دلالة على أن الجمع للدار الآخرة للتزود وهو المحمود؛ قال الله تعالى: ﴿وتزودوا فإن خير الزاد التقوى﴾[2] ويحتمل أن تكون «لها» مفعولا به لـ«يجمع» كقولك لزيد: ضربت؛ فإن المفعول بغير واسطة إذا قدم على الفعل جاز اقتران اللام به لضعف العمل إذ ذاك.

«غب»: كل اسم نوع فإنه يستعمل على وجهين: أحدهما: دلالة على المسمى وفصلا بينه

[٥٢٠٩] ضعيف جداً انظر ضعيف الجامع ٧٩١ .

[٥٢١٠] انظر ضعيف الجامع ١١٣ بلفظ (اتقوا الحجر الحرام).

[٥٢١١] انظر شعب الإيمان ١٠٦٣٨ ونحوه ١٠٦٣٧ (٧/ ٣٧٥).

(١) العنكبوت: ٦٤ . (٢) البقرة: ١٩٧ .

٥٢١٢ ـ * وعن حُذيفَةَ [رضى الله عنه]، قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول فى خطبته: «الخمرُ جماعُ الإثم، والنساء حبائلُ الشيطان، وحب الدنيا رأس كل خطيئة». قال: وسمعته يقول: «أخّروا النساء حيث أخّرهن الله». رواه رزين. [٥٢١٢]

٥٢١٣ ـ * وروى البيهقى منه فى «شعب الإيمان» عن الحسن، مرسلا: «حب الدنيا رأسُ كلِّ خطيئة». [٥٢١٣]

٥٢١٤ ـ * وعن جابر [رضى الله عنه]، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إن أخوفَ ما أتخوَّفُ على أُمتى الهَوى وطولُ الأمل؛ فأما الهوى فيصد عن الحقّ، وأما طول الأمل فيُنسي الآخرةَ، وهذه الدنيا مرْتحلة ذاهبة، وهذه الآخرة مرتحلة قادمة، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بنون، فإن استطعتم أن لا تكونوا من بِنى الدُّنيا فافعلوا، فإنكم اليوم فى دار العملِ ولا حسابَ، وأنتم غداً فى دارِ الآخرة ولا عمل». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢١٤]

وبين غيره. والثانى لوجود المعنى المختص به وذلك هو الذى يمدح به، وكل شيء لم يوجد كاملا لما خلق له لم يستحق اسمه مطلقا، بل قد ينفى عنه كقولهم: فلان ليس بإنسان أى لا يوجد فيه المعنى الذى خلق لأجله.

الحديث الخامس عشر عن حذيفة رضى الله عنه: قوله: «جماع الإثم» أى مجمعه ومظنته. و«حبائل الشيطان» أى مصائده، واحدها حبالة بكسر الحاء وهى ما يصاد بها من أى شيء كان. دعى رجل إلى قتل النفس فأبى، ثم إلى الزنا فأبى وإلى شرب الخمر فأتى، فلما شرب الخمر قتل وزنى. وقيل: ما أيس الشيطان من بنى آدم إلا أتى من قبل النساء وحب الدنيا ملاكهما وملاك كل خطيئة. والكلمات الثلاث كلها من الجوامع؛ لأن كل واحدة منها على الانفراد أصل فى المآثم والمغرم. وقوله: «حيث أخرهن الله» للتعليل أى أخرهن الله تعالى فى الذكر وفى الحكم وفى المرتبة. فلا تقدموهن ذكرا وحكما ومرتبة.

الحديث السادس عشر عن جابر رضى الله عنه: قوله: «وهذه الدنيا» أشار بـ«هذه» إلى

[٥٢١٢] الجملة الأخيرة منه رواها عبد الرزاق فى مصنفه كما فى نصب الراية عن عبد الله بن مسعود موقوف عليه، وأفاد أنه لا أصل له مرفوعًا. كذا قال الشيخ حفظه الله.

[٥٢١٣] ضعيف الجامع ٢٦٨١.

[٥٢١٤] شعب الإيمان ١٠٦١٦ (٧ / ٣٧٠).

٥٢١٥ ـ * وعن علي [رضي الله عنه] قال: ارتحلت الدنيا مُدبرة، وارتحلت الآخرة مقبلةً، ولكلٍّ واحدةٍ منهما بنون، فكونوا منْ أبناءِ الآخرة، ولا تكونوا من أبناءِ الدنيا، فإنَّ اليوم عملٌ ولا حسابَ، وغدًا حساب ولا عمل. رواه البخاري في ترجمة باب.

٥٢١٦ ـ * وعن عمرو [رضي الله عنه] أن النبي ﷺ خطبَ يومًا فقال في خطبته: «ألا إنَّ الدنيا عرض حاضرٌ، يأكل منه البرّ والفاجر، ألا وإنَّ الآخرة أجلٌ صادق، ويقضي فيها مَلِك قادر، ألا وإن الخيرَ كله بحذافيره في الجنة، ألا وإنَّ الشرّ كله بحذافيره في النار، ألا فاعملوا وأنتم من الله على حَذَر، واعلموا أنكم معروضون على أعمالكم، فمنْ يعملْ مثقالَ ذرّة خيرًا يرَهُ، ومن يعملْ مثقال ذرةٍ شرًا يره» رواه الشافعي.

تحقير شأن الدنيا ووشك زوالها. وفي قوله: «وهذه الآخرة» إشارة إلى تعظيم أمر الآخرة وقرب نزولها. قوله: «فإن استطعتم» يعني بينت لكم حال الدنيا من غرورها وفنائها وحال الآخرة من نعيمها وبقائها، وجعلت زمام الاختيار في أيديكم فاختاروا أيا ما شئتم. وكان من حق الظاهر أن يقال: فإنكم اليوم في دار الدنيا ولا حساب، فوضع دار العمل موضعها ليؤذن بأن الدنيا ما خلقت إلا للعمل والتزود منها للدار الآخرة، ولم يعكس ليشعر بأن الدار هي الدار الآخرة. وهذا الحديث رواه جابر مرفوعًا، وفي رواية البخاري عن علي رضي الله عنه كما سيأتي موقوف. وهذا الحديث أيضا يدل على أن حديث علي رضي الله عنه أيضا مرفوع.

الحديث السابع عشر، والثامن عشر عن عمرو رضي الله عنه: قوله: «عرض» «غب»: العرض ما لا يكون له ثبات ومنه استعار المتكلمون قولهم: العرض لما لا ثبات له إلا بالجوهر كاللون والطعم. وقيل: «الدنيا عرض حاضر» تنبيها على أن لا ثبات لها. قوله: «ألا وإن الآخرة» حرف التنبيه هنا مقحم، وما بعده معطوف على قوله: «إن الدنيا» قوبلت القرينة السابقة بقوله: «ألا وإن الآخرة» إلى قوله: «ملك قادر». والأجل الوقت المضروب الموعود وصفه بالصدق دلالة على تحققه وثباته وبقائه، ثم أتبعه بقوله: «يقضي فيها ملك قادر» يميز بين البر والفاجر فيثيب البر ويعاقب الفاجر، وإليه أشار في الحديث الآتي بقوله: «يحق فيها الحق ويبطل الباطل».

«غب»: يستعمل التصديق في كل ما فيه تحقيق؛ يقال: صدقني فعله وكتابه. وفي المثل: «صدقني سن بكره» وصدق في القتال إذا وفى حقه، وفعل على ما يجب وكما يجب. قوله:

٥٢١٧ ـ * وعن شداد [رضى الله عنه] قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «يأيها الناس! إن الدنيا عرضٌ حاضرٌ، يأكل منها البرّ والفاجر، وإن الآخرة وعدٌ صادق، يحكم فيها ملك عادل قادر، يحق فيها الحقَّ، ويُبطل الباطلَ، كونوا من أبناء الآخرة، ولا تكونوا من أبناء الدنيا، فإن كل أم يتبعها ولدها».

٥٢١٨ ـ * وعن أبى الدرداء [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «ما طلعت الشمسُ إلا وبجنبتيها مَلَكان يناديان، يسمعان الخلائق غَيْر الثقلين: يأيُّها الناس! هلموا إلى ربكم، ما قلَّ وكفى خيرٌ مما كثر وألهى» رواهما أبو نعيم فى «الحلية». [٥٢١٨]

«بحذافيره» أى بأسره، «نه»: الحذافير الجوانب، وقيل: الأعالى واحدها حذفور. وقوله: «إنكم معروضون على أعمالكم» أى الأعمال معروضة عليكم من باب القلب كقولهم: عرضت الناقة على الحوض.

الحديث التاسع عشر عن شداد رضى الله عنه: قوله: «وعد صادق» هو من الإسناد المجازى وصف الوعد بما هو من سببه أى الله صادق فى وعده، ثم المراد بالوعد الموعود هو الأجل المسمى. قوله: «يحق فيها الحق ويبطل الباطل»، بيان لقوله: «يحكم فيها ملك عادل قادر» فإن تحقيق الحق وإبطال الباطل يقتضيان العدل والقدرة.

الحديث العشرون عن أبى الدرداء رضى الله عنه: قوله: «إلا وبجنبتيها» استثناء مفرغ، والواو للحال والمستثنى منه أعم عام الأحوال. وقوله: «ملكان» يجوز أن يكون فاعل الجار والمجرور على رأى، أو هو مبتدأ والجار والمجرور خبره. والإسماع يجوز أن يكون على الحقيقة، وأن يكون على التشبيه العقلى مجازا فمعنى يسمعان الخلائق غير الثقلين» إنهما يقصدان بالإسماع الثقلين فيسمعان غيرهما، ثم خص من الثقلين الإنسان بقوله: «يأيها الناس» تنبيها على تماديهم في الغفلة وانهماكهم فى الحرص وجمع حطام الدنيا، حتى ألهاهم ذلك عن الإقبال إلى ذكر الله تعالى وعبادته. وقيل لهم: إلى كم هذه الغفلة والإعراض عن ذكر الله؟ هلموا إلى طاعة ربكم، ما قل من الدنيا ويكفيكم ولا يلهيكم خير مما كثر وألهى، سمع هذا النداء من ألقى السمع وهو شهيد، أولئك الذين أشار الله بذكرهم ورفع من منزلتهم فى قوله تعالى: ﴿**لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله**﴾[1] الآية. ولعل السر فى عدم إسماع الثقلين: لئلا يرتفع التكليف. نحوه قوله ﷺ: «لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب

[٥٢١٨] إسناده ضعيف.

(١) النور: ٣٧

٥٢١٩ - * وعن أبى هريرة [رضى الله عنه] يبلغ [به]، قال: «إذا مات الميّت قالت الملائكة: ما قدّم؟ وقال بنو آدم: ما خلَّف ؟». رواه البيهقي فى «شعب الإيمان». [٥٢١٩]

٥٢٢٠ - * وعن مالك [رضى الله عنه]: أن لقمان قال لابنه: «يابُنى! إن الناسَ قد تطاولَ عليهم ما يوعدون، وهم إلى الآخرة، سِرَاعًا يذهبون، وإنّك قد استدبرت الدنيا منذ كنت، واستقبلت الآخرة، وإن دارًا تسيرُ إليها أقربُ إليك من دارٍ تخرج منها». رواه رزين.

٥٢٢١ - * وعن عبدالله بن عمرو [رضى الله عنهما] قال: قيلَ لرسول الله ﷺ: أيُّ الناسِ أفضلُ؟ قال: «كل مخموم القلب، صَدوق اللِسان» قالوا: صدوقُ اللسان نعرفه، فما مخمومُ القلب؟ قال: «هو النقى، التقى، لا إثم عليه، ولا بغى، ولا غلَّ، ولا حسد» رواه ابن ماجه، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢٢١]

القبر». ومعنى إسماع غير المكلفين كونها مسبحة لله تعالى منقادة لما يراد منها، ﴿وإن من شيء إلا يسبح بحمده﴾(١).

الحديث الحادى والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «مات الميت» من باب **المجاز** باعتبار ما يؤول؛ فإن الميت لا يموت بل الحى هو الذى يموت. الكشاف: عن ابن عباس رضى الله عنهما: إذا أراد أحدكم الحج فليعجل؛ فإنه يمرض المريض وتضل الضالة، فسمى المشارف للمرض والضلال مريضا وضالة، وعلى هذا سمى المشارف للموت ميتا، وفائدته: اهتمام شأن الملائكة بالأعمال، أى ما قدم من عمل حتى يثاب به أو يعاقب عليه واهتمام الوارث بما ترك ليرثوه.

الحديث الثانى والعشرون عن مالك رضى الله عنه: قوله: «قد تطاول عليهم» أى طال عليهم مدة ما وعدوا به. وقوله: «منذ كنت» أى منذ ولدت ووجدت.

الحديث الثالث والعشرون عن عبدالله: قوله: «هو النقى التقى» الجواب ينظر إلى قوله تعالى: ﴿أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى﴾(٢) من قولهم: امتحن الذهب وفتنه إذا أذابه فخلص إبريزه ونقاه من خبثه ، وعن عمر رضى الله عنه: أذهب الشهوات عنها.

[٥٢١٩]ضعيف الجامع ٧٩٢ بلفظ (تقول الناس).

[٥٢٢١] شعب الإيمان ٦٦٠٤ (٥/ ٢٦٤).

(١) الإسراء : ٤٤.　　(٢) الحجرات: ٣

٥٢٢٢ ـ * وعنه، أن رسول الله ﷺ قال: «أربع إِذا كنَّ فيك فلا عليك ما فاتك [من] الدنيا: حفظ إمانة، وصدق حديث، وحسن خليقة، وعفة فى طُعْمةٍ». رواه أحمد، والبيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢٢٢]

٥٢٢٣ ـ * وعن مالك [رضى الله عنه] قال بلغنى أنه قيل للقمان الحكيم: ما بلغ بك ما نرى؟ يعنى الفضل قال: صدق الحديث، وأداء الأمانة، وترك ما لايعنينى. رواه فى «الموطأ». [٥٢٢٣]

٥٢٢٤ ـ * وعن أبى هريرة [رضى الله عنه] قال: قال رسول الله ﷺ: «تجىءُ الأعمال، فتجىء الصلاة فتقول: يارب! أنا الصلاة فيقول: إنك على خير. فتجىءُ

الحديث الرابع والعشرون عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «ما فاتك الدنيا»، «ما» يحتمل أن تكون مصدرية والوقت مقدر أى لا بأس عليك وقت فوت الدنيا إن حصلت لك هذه الخلال، وأن تكون نافية أى لا بأس عليك لأنه لم تفتك الدنيا إن حصلت لك هذه الخلال. والعفة فى طعمة يراد بها أن يجتنب الحرام ولا يزيد على الكفاية ولا يكثر الأكل. وأطلق الأمانة ليشبع فى جنسها، فيراعى أمانة الله تعالى من التكاليف وأمانة الخلق فى الحفظ والأداء.

الحديث الخامس والعشرون عن مالك رضى الله عنه: قوله: «ما بلغ بك ما نرى» أى: أى شىء بلغك إلى هذه المرتبة التى نراها فيك.

الحديث السادس والعشرون عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «تجىء الأعمال» أى تجىء الأعمال لتحتج لصاحبها وتشفع فيه، فقول الصلاة: أنا الصلاة، أى أن لى مرتبة الشفاعة لأنى عماد الدين. وقوله تعالى: «إنك على خير» رد لها على ألطف وجه، أى أنت باقية مستقرة على خير كقوله تعالى: **﴿أولئك على هدى من ربهم﴾**(١) ولكن لست بمستقلة فيها ولا كافية فى الاحتجاج، وعلى هذا سائر الأعمال بخلاف الإسلام فإنه جامع للخصال كلها؛ ولذلك قال الله تعالى فى حقه: «بك آخذ وبك أعطى» وفيه نكتة شريفة؛ لأن كل واحدة من الأعمال ذكرت نفسها بالتعظيم ورآها مستحقة بأن تمنح مطلوبها بخلاف الإسلام؛ فإنه عظم الله سبحانه وتعالى أولا ليتذرع به إلى قبول الشفاعة هضما لنفسه؛ فلذلك قبلت له الشفاعة.

[٥٢٢٢] صحيح الجامع ٨٧٣.
[٥٢٢٣] ضعيف رواه بلاغًا.
(١) البقرة: ٥.

الصدقة، فتقول: يارب! أنا الصدقة. فيقول: إنك على خير. ثم يجىء الصيامُ، فيقول: يارب! أنا الصيام فيقول: إنك على خير. ثم تجىء الأعمال على ذلك. يقول الله تعالى: إنك على خير. ثم يجىء الإسلام فيقول: يارب! أنت السلام وأنا الإسلام فيقول الله تعالى: إنكَ على خيرٍ، بكَ اليوم آخُذُ، وبكَ أُعطى. قال الله تعالى فى كتابه: ﴿**ومن يبتغ غير الإسلام دينًا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين**﴾(1). [٥٢٢٤]

٥٢٢٥ - * وعن عائشة [رضى الله عنها] قالت: كان لنا سِترٌ فيه تماثيلُ طير، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة! حوِّليه؛ فإنى إِذا رأيته ذكرت الدنيا». [٥٢٢٥]

٥٢٢٦ - * وعن أبى أيُّوب الأنصارى [رضى الله عنه] قال: جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال: عظنى وأوجز. فقال: «إذا قمت فى صلاتك فصلِّ صلاةَ مُودِّعٍ، ولا تكلمْ بكلام تَعذِرُ منه غدًا، وأجمع الإياس مما فى أيدى الناس». [٥٢٢٦]

فإن قلت: ما الفرق بين قوله: «أنا الصلاة» وقوله: «أنا الإسلام؟» قلت: لا شك أن فائدة الخبر هنا غير مرادة لعلمه تعالى بها بل المراد أمر آخر، فقول الصلاة: «أنا الصلاة» على تعريف الخبر فى هذا المقام. معناه: أنا المعروف المشهور بالفضل والمزية. وقوله: «أنا الإسلام» فى مقام التواضع معناه أنا المعروف المشهور بالانقياد والخضوع لبارئه والاستشهاد بالآية لمجرد مدح الإسلام لا للاستدلال.

الحديث السابع والعشرون والثامن والعشرون عن أبى أيوب رضى الله عنه: قوله: «صلاة مودع» أى إذا شرعت فى الصلاة فأقبل إلى الله تعالى بشراشرك* وودع غيرك لمناجاة ربك.

وقوله: «بكلام تعذر منه غدا» كناية عن حفظ اللسان، وأن لا يتكلم بما يحتاج أن يعتذر له. «وأجمع الإياس» أى أجمع رأيك على اليأس من الناس وصمم عليه، وهو من قوله تعالى: ﴿**فأجمعوا كيدكم**﴾(2) ﴿**ثم كيدون**﴾(3) والظاهر أن الإياس وقع موقع اليأس سهوا من

[٥٢٢٤] أعله الحافظ بن كثير بانقطاع بين الحسن وأبى هريرة والحديث به عباد بن راشد وهو ضعيف، وقد ضعفه ابن معين وأبو داود وغيرهما، إلا أنه روى له البخارى،كذا قال الشيخ.

[٥٢٢٥] صحيح الجامع ٧٩٢٦.

[٥٢٢٦] صحيح الجامع ٧٤٢.

(1) آل عمران: ٨٥ . (2) طه: ٦٤. (3) الأعراف: ١٩٥.

* أى بكليتك ومحبة نفسك.

٥٢٢٧ ـ * وعن معاذ بن جبل [رضى الله عنه] قال: لما بعثَه رسولُ الله ﷺ إلى اليمنِ، خرجَ معه رسولُ الله ﷺ يُوصيه، ومعاذٌ راكبٌ ورسولُ الله ﷺ يمشى تحت راحلته، فلما فرغ قال: «يا معاذ! إنك عسى أن لا تلقانى بعد عامى هذا، ولعلكَ أن تمرَّ بمسجدى هذا وقبرى» فبكى معاذٌ جَشَعًا لفراقِ رسولِ الله ﷺ ثم التفت فأقبل بوجهه نحوَ المدينة. فقال: «إن أولى الناس بى المتَّقون، من كانوا وحيثُ كانوا» روى الأحاديث الأربعة أحمد. [٥٢٢٧]

٥٢٢٨ ـ * وعن ابن مسعود [رضى الله عنه] قال: تلا رسولُ الله ﷺ: ﴿فمن يرد الله أن يهديه يشرحْ صدرهُ للإسلام﴾(١) فقال رسول الله ﷺ: «إن النورَ إذا دخل الصدر انفسح». فقيل: يا رسول الله! هل لتلك من عَلَمٍ يعرف به؟ قال: «نعم، التجافي من دار الغرور، والإنابة إلى دار الخلود، والاستعداد للموت قبل نزوله». [٥٢٢٨]

الكاتب؛ لأن الإياس مصدر آسه إذا أعطاه، وليس مصدر أيس مقلوب يئس؛ لأن مصدر المقلوب يوافق الفعل الأصلى لا المقلوب. ويمكن أن يقال: إنه من أيس نفسه مما فى أيدى الناس إياسا، فخففت الهمزة.

الحديث التاسع والعشرون عن معاذ رضى الله عنه: قوله: «ولعلك أن تمر» استعمال «لعل» على الحقيقة لكونه ﷺ راغبا فى لقاء الله تعالى، وأدخل «أن» فى الخبر تشبيها للعل بـ «عسى» تلويحا إلى قوله تعالى: ﴿عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا﴾(٢) والواو فى «وقبرى» بمعنى «مع».

قوله: «جشعا» «نه»: الجشع الجزع لفراق الإلف. قوله: «ثم التفت» لعل الالتفات كان تسليا لمعاذ بعد ما نعى نفسه إليه يعنى إذا رجعت إلى المدينة بعدى فاقتد بأولى الناس بى وهم المتقون، وكنى به عن أبى بكر الصديق رضى الله عنه. ونحوه حديث جبير بن مطعم: «أن امرأة أتت النبى ﷺ وكلمته فى شيء فأمرها أن ترجع إليه، فقالت: يا رسول الله أرأيت إن جئت ولم أجدك، وكأنها تريد الموت، قال: فإن لم تجدينى فأتى أبا بكر، وفيه دليل على أنه رضى الله عنه خليفة رسول الله ﷺ بعده وقائم مقامه.

الحديث الثلاثون والحادى والثلاثون عن ابن مسعود رضى الله عنه قوله: «يشرح صدره

[٥٢٢٧] انظر صحيح الجامع ٢٠١٢.

[٥٢٢٨] انظر شعب الإيمان ١٠٥٥٢ (٧/ ٣٥٢)

(١) الأنعام: ١٢٥. (٢) الإسراء: ٧٩.

٥٢٢٩ ـ ٥٢٣٠ ـ * وعن أبي هريرة وأبي خَلّادٍ [رضي الله عنهما]: أنَّ رسولَ الله ﷺ قال: «إذا رأيتم العبد يُعْطى زهدًا في الدنيا، وقلةَ منطق؛ فاقتربوا منه فإنَّه يُلقَّى الحكمة». رواهما البيهقي في «شعب الإيمان». [٥٢٢٩]، [٥٢٣٠].

باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ

الفصل الأول

٥٢٣١ ـ * عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «رُبَّ أشعثَ مَدفوعٍ بالأبواب لو أقسم على الله لأبرّه» رواه مسلم.

للإسلام» أي يلطف به بقذف النور فيه حتى يرغب في الإسلام وتسكن إليه نفسه ويحب الدخول فيه. قوله: «من دار الغرور» الغرور كل ما يغر الإنسان من مال وجاه وشهوة وشيطان، وقد فسر بالشيطان إذ هو أخبث الغارين، وبالدنيا لما قيل: الدنيا تغر وتضر وتمر، والله أعلم بالصواب.

باب فضل الفقراء وما كان من عيش النبي ﷺ

الفصل الأول

الحديث الأول عن أبي هريرة رضي الله عنه: قوله: «أشعث» «قض»: الأشعث: هو المغبر الرأس المتفرق الشعور. وأصل التركيب هو التفرق والانتشار. والصواب مدفوع بالدال أي يدفع عند الدخول على الأعيان والحضور في المحافل فلا يترك أن يلج الباب فضلا أن يحضر معهم. ويجلس فيما بينهم. و«لو أقسم على الله لأبره» أي لو سأل الله شيئا وأقسم عليه أن يفعله لفعله، ولم يخيب دعوته فشبه إجابة المنشد المقسم على غيره بوفاء الحالف على يمينه وبره فيها.

وقيل: معناه لو حلف أن الله يفعله أو لا يفعله صدقه في يمينه وأبره فيها بأن يأتي بما يوافقها. انتهى كلامه. ويشهد لهذا الوجه حديث أنس بن النضر رضي الله عنه: «لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله» الحديث. ومما يؤيد الأول لفظ «على الله» لأنه أراد به المسمى، ولو أريد به اللفظ لقيل: بالله. وأما معنى الإبرار فعلى ما ذهب إليه القاضي من باب **الاستعارة والتمثيل**، ويجوز أن يكون من باب المشاكلة المعنوية.

الكشاف: شهد رجل عند شريح، فقال: إنك لسبط الشهادة. فقال الرجل: إنها لم تجعد

[٥٢٢٩]، [٥٢٣٠] إسنادهما ضعيف.

٥٢٣٢ ـ * وعن مصعب بن سعدٍ، قال: رأى سعدٌ أن له فضلاً على من دونه، فقال رسول الله ﷺ: «هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم؟!». رواه البخارى.

٥٢٣٣ ـ * وعن أسامة بن زيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «قمتُ على باب الجنة، فكان عامةُ من دخلها المساكينَ، وأصحابُ الجدِّ محبوسون، غير أنَّ أصحابَ النار قد أمر بهم إلى النار، وقمت على باب النار فإِذا عامةُ من دخلها النساء» متفق عليه.

٥٢٣٤ ـ * وعن ابن عبَّاس، قال: قال رسول الله ﷺ: «اطلعتُ فى الجنَّة، فرأيت أكثر أهلها الفقراء. واطلعتُ فى النار فرأيت أكثر أهلها النساء» متفق عليه.

عنى. والذى سوغ تجعيد الشهادة هو مراعاة المشاكلة، ولولا ذكر سبوطة الشهادة لامتنع تجعيدها.

الحديث الثانى عن مصعب: قوله: «أن له فضلا» أى شجاعة وكرما وسخاوة، فأجابه ﷺ بأن تلك الشجاعة ببركة ضعفاء المسلمين، وتلك السخاوة أيضا ببركتهم، وأبرزه فى صورة الاستفهام؛ ليدل على مزيد التقرير والتوبيخ.

الحديث الثالث عن أسامة رضى الله عنه: قوله: «وأصحاب الجد»، أصحاب الجد هم الأغنياء والجد ـ بالفتح ـ الغنى. قوله: «غير أن أصحاب النار» «غير» بمعنى لكن، والمغايرة بحسب التفريق* ؛ فإن القسم الأول بعضهم محبوس وبعضهم غير محبوس، والثانى غير محبوس، يدل عليه حديث عبدالله بن عمرو كما سيجىء.

قيل: إن الأغنياء وأرباب الأموال والمناصب محبوسون، حبسوا فى العرصات للحساب والجزاء والمكافأة، وقوله: «غير أن أصحاب النار قد أمربهم إلى النار» المراد منهم الكفار، أى يساق الكفار إلى النار ويوقف المؤمنون فى العرصات للحساب، والفقراء هم السابقون إلى الجنة لفقرهم.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «اطلعت فى الجنة» ضمن «اطلعت» معنى «تأملت» و«رأيت» بمعنى «علمت»؛ ولذا عداه إلى مفعولين، ولو كان الإطلاع بمعناه الحقيقى لكفاه مفعول واحد.

---

* هكذا فى (ك) وفى (ط) [التعريف].

٥٢٣٥ ـ * وعن عبدالله بن عمرو [رضى الله عنهما] قال: قال رسول الله ﷺ «إن فقراءَ المهاجرينَ يسبقونَ الأغنياء يومَ القيامةِ إلى الجنة بأربعين خريفـًا» رواه مسلم.

٥٢٣٦- * وعن سهل بن سعد، قال: مرَّ رجلٌ على رسول الله ﷺ فقال لرجلٍ عنده جالس: «ما رأيك في هذا؟» فقال رجل من أشراف الناس: هذا والله حريٌّ إن خطب أن ينْكحَ، وإن شَفَعَ أن يُشفَّعَ. قال: فسكت رسول الله ﷺ ثم مرَّ رجلٌ فقال له رسول الله ﷺ: «ما رأيك في هذا؟» فقال: يارسول الله، هذا رجلٌ من فقراءِ المسلمين، هذا حريٌّ إن خَطب أن لا ينكح. وإن شفع أن لا يُشفع. وإن قال أن لايسمع لقوله. فقال رسول الله ﷺ: «هذا خيرٌ من ملء الأرضِ مثل هذا». متفق عليه.

٥٢٣٧- * وعن عائشةَ، قالتْ ما شَبِعَ آل محمّد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قُبض رسول الله ﷺ . متفق عليه.

٥٢٣٨- * وعن سعيد المقبري، عن أبي هريرة: أنَّه مرَّ بقومٍ بين أيديهم شاةٌ مصلية، فدعوه فأبى أن يأكلَ، وقال: خرج النبيُّ ﷺ من الدنيا ولم يشبَعْ من خبز الشعير. رواه البخاري.

٥٢٣٩- * وعن أنس، أنه مشى إلى النبيِّ ﷺ بخبز شعير وإهالة سنخة، ولقد رهن النبيﷺ درعـًا بالمدينة عند يهوديّ، وأخذ منه شعيرًا لأهله، ولقد سمعته يقول: «ما أمسى عند آلِ محمَّدٍ صاعُ بُرّ ولا صاعُ حَبّ، وإن عنده لتسعَ نسوةٍ». رواه البخاري.

الحديث الخامس عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «خريفا» «نه»: الخريف الزمان المعروف بين الصيف والشتاء، ويريد به أربعين سنة؛ لأن الخريف لا يكون فى السنة إلا مرة واحدة.

الحديث السادس عن سهل بن سعد رضي الله عنه: قوله: «ملء الأرض» وقع مفضلا عليه باعتبار مميزه وهو قوله: «مثل هذا»؛ لأن البيان والمبين شيء واحد.

الحديث السابع إلى التاسع عن أنس رضي الله عنه: قوله: «وإهالة سنخة» «نه»: قيل : هي ما أذيبت من الألية والشحم. وقيل: الدسم الجامد. والسنخة المتغيرة الريح. انتهى كلامه. وضمير المفعول فى «سمعته» عائد إلى «أنس» والفاعل لراوى أنس.

٥٢٤٠- * وعن عمر، قال: دخلتُ على رسول الله ﷺ فاذا هو مضطجعٌ على رمالِ حصيرٍ، ليس بينه وبينه فراش، قد أثَّر الرِّمالُ بجنبه، متَّكئًا على وسادةٍ منْ أُدمٍ، حشوُها ليفٌ. قلتُ: يا رسول الله: ادعُ اللهَ فلْيوسعْ على أمَّتك، فإن فارسَ والرومَ قد وسعَ عليهم وهم لايعبدون الله فقال: «أوفى هذا أنتَ يا بن الخطاب؟ أولئكَ قومٌ عُجِّلتْ لهم طيِّباتهم فى الحياة الدنيا». وفى رواية: «أمَا ترضى أن تكونَ لهم الدنيا ولنا الآخرة!» متفق عليه.

٥٢٤١- * وعن أبي هريرة، قال لقد رأيتُ سبعين من أصحاب الصُّفَّة، ما منهم رجلٌ عليه رداءٌ، إما إزارٌ وإما كساءٌ، قد ربطوا فى أعناقهم، فمنها ما يبلغُ نصفَ الساقين، ومنها ما يبلغُ الكعبين فيجمعه بيده كراهيةَ أنْ ترى عورته». رواه البخاري.

٥٢٤٢- * وعنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر أحدكم إلى مَنْ فُضِّل عليه فى المال والخَلْقِ؛ فلينظر إلى من هو أسفل منه». متفق عليه. وفى روايةٍ لمسلم،

الحديث العاشر عن عمر رضى الله عنه: قوله: «على رمال حصير» «نه»: الرمال ما رمل أى نسج. يقال: رمل الحصير وأرمله فهو مرمول ومرمل، ورملته شدد للتكثير. قال الزمخشري: ونظيره الخطام والزكام لما خطم وزكم. وقال غيره: الرمال جمع رمل بمعنى مرمول كخلق الله بمعنى مخلوقه. والمراد أنه كان السرير قد نسج وجهه بالسعف، ولم يكن على السرير وطاء سوى الحصير.

وقوله: «فليوسع» الظاهر نصبه؛ ليكون جوابا للأمر، أى ادع الله فيوسع، واللام للتأكيد والرواية بالجزم على أنه أمر للغائب، كأنه التمس من رسول الله ﷺ الدعاء لأمته بالتوسع، وطلب من الله الإجابة، وكان من حق الظاهر أن يقال: ادع الله ليوسَع عليك، فعدل إلى الدعاء للأمة؛ إجلالا لمحله ﷺ وإبعادا لمنزلة من رسخ للنبوة أن يطلب من الله تعالىٰ هذا الدنيء الخسيس لنفسه، ومع ذلك أنكر عليه هذا الإنكار البليغ. وقوله: «أو فى هذا؟» مدخول الهمزة محذوف أى أتطلب هذا وفى هذا أنت؟ وكيف يليق بمثلك أن يطلب من الله التوسعة فى الدنيا.

الحديث الحادى عشر عن أبى هريرة رضي الله عنه: قوله: «رداء» «نه»: هو الثوب أو البرد الذي يضعه الإنسان على عاتقه وبين كتفيه فوق ثيابه. انتهى كلامه. أى لم يكن له ثوب يتردى به بل كان له إما إزار فحسب أو كساء فحسب. وتأنيث الضمير فى «منها» باعتبار الجمعية فى الأكسية والإزار وتعدد المكتسين والإفراد فى «بيده» باعتبار الرجل المذكور.

الحديث الثانى عشر عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «الخلق» أى الخليقة والصورة

قال: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكمْ؛ فهو أجدر أن لا تزدروا نعمة الله عليكم».

الفصل الثاني

٥٢٤٣- * عن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ :«يدخلُ الفقراء الجنة قبلَ الأغنياء بخمسمائة عام نصف يومٍ» رواه الترمذي.[٥٢٤٣]

وقوله: «فهو» أى النظر إلى أسفل فى المال والخلق لا إلى من هو فوق حقيق بعدم الازدراء. و«أن لا تزدروا» متعلق بـ«أجدر» على حذف الجار.

«نه» : والازدراء الاحتقار والانتقاص والعيب، وهو افتعال من زريت عليه زراية إذا عبته. وأزريت به إزراء إذا قصرت به وتهاونت. وأصل ازدريت ازتريت وهو افتعل منه، فقلبت التاء دالا لأجل الزاى.

«مح»: هذا حديث جامع لأنواع الخير؛ لأن الإنسان إذا رأى من فضل عليه فى الدنيا طلبت نفسه مثل ذلك، واستصغر ما عنده من نعمة الله تعالى، وحرص على الازدياد؛ ليلحق بذلك أو يقاربه، هذا هو الموجود فى غالب الناس. فأما إذا نظر في أمور الدنيا إلى من هو دونه فيها، ظهرت له نعمة الله تعالى، وشكرها وتواضع وفعل بها الخير.

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي هريرة رضى الله عنه: قوله: «نصف يوم» صفة فارقة لأن خمسمائة عام يحتمل أن يرادبه ما هو متعارف بين الناس، وأن يراد به ما هو عند الله تعالى لقوله تعالى: ﴿وإن يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون﴾(١). وأن يكون عطف بيان أو بدلا منه.

«شف»: فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث والحديث السابق من قوله: «بأربعين خريفا»؟ قلت: يمكن أن يكون المراد من «الأغنياء» فى الحديث الأول؛ أغنياء المهاجرين، أى يسبق فقراء المهاجرين إلى الجنة بأربعين خريفا. ومن «الأغنياء» فى الحديث الثاني: الأغنياء الذين ليسوا من المهاجرين. فلا تناقض بين الحديثين. وقال فى جامع الأصول: وجه الجمع بينهما: أن الأربعين أراد بها تقدم الفقير الحريص على الغني الحريص. وأراد بـ«خمسمائة» تقدم الفقير الزاهد على الغني الراغب. وكان الفقير الحريص على درجتين من خمس وعشرين درجة من الفقير الزاهد. وهذه نسبة الأربعين إلى الخمسمائة. ولا تظنن أن هذا التقرير وأمثاله

[٥٢٤٣] صحيح الجامع ٨٠٧٦.

(١) الحج: ٤٧.

٥٢٤٤- * وعن أنس، أن النبيﷺ قال: «اللهَّم أحيني مسكينًا، وأمتني مسكينًا، واحشرني في زمرة المساكين». فقالتْ عائشةُ: لِمَ يا رسول الله؟ قال: «إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفًا، يا عائشة! لا تردِّي المسكين ولو بشق تمرة، يا عائشة! أحبي المساكين وقربيهم، فإنَّ الله يقرِّبُك يومَ القيامةِ» رواه الترمذي والبيهقي في «شعب الإيمان». [٥٢٤٤]

٥٢٤٥- * وروى ابن ماجه عن أبي سعيد إلى قوله في «زمرة المساكين». [٥٢٤٥]

٥٢٤٦- * وعن أبي الدرداء، عن النبي ﷺ قال: ابغوني في ضعفائكم، فإنما تُرْزقون - أو تنصرون- بضعفائكم». رواه أبو داود. [٥٢٤٦]

٥٢٤٧- * وعن أُمية بن خالد بن عبدالله بن أسيد، عن النبي ﷺ: أنه كان يستفتح بصعاليك المهاجرين. رواه في «شرح السنة». [٥٢٤٧]

يجرى على لسان النبي ﷺ جزافا ولا بالاتفاق، بل لسر أدركه، ونسبة أحاط بها علمه؛ فإنه ﷺ ما ينطق عن الهوى.

الحديث الثاني عن أنس رضي الله عنه: قوله: «أحيني مسكينا» قيل: هو من المسكنة وهي الذلة والافتقار، فأراد ﷺ بذلك إظهار تواضعه وافتقاره إلى ربه إرشادًا لأمته إلى استشعار التواضع والاحتراز عن الكبر والنخوة، وأراد بذلك التنبيه على علو درجات المساكين وقربهم من الله تعالى.

الحديث الثالث عن أبي الدرداء رضي الله عنه: قوله: «ابغوني في ضعفائكم». «نه»: هو بهمزة القطع والوصل، يقال: بغى يبغى بغاء بالضم إذا طلب وهذا نهى عن مخالطة الأغنياء وتعليم منه.

الحديث الرابع عن أمية رضى الله عنه: قوله: «يستفتح» «نه»: أى يستنصر بهم؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إن تستفتحوا فقد جاءكم الفتح﴾(١) أى إن تستنصروا فقد جاءكم النصر. «فا»:

[٥٢٤٤] سنن الترمذى (١٤٥٣)، شعب الإيمان ١٠٥٠٧ (٧/ ٣٤٠)

[٥٢٤٥] صحيح الجامع ١٢٦١.

[٥٢٤٦] صحيح الجامع ٤١.

[٥٢٤٧] إسناده ضعيف.

(١) الأنفال: ١٩ .

٥٢٤٨ - * وعن أبي هريرةَ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تغبطنَّ فاجرًا بنعمة، فإنك لا تدرى ما هو لاقٍ بعد موته، إنَّ له عند الله قاتلاً لايموت». يعنى النار. رواه فى «شرح السنة». [٥٢٤٨]

٥٢٤٩ - * وعن عبدالله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «الدنيا سجن المؤمن وسنَتُه، وإذا فارق الدنيا فارق السجنَ والسنة » رواه فى «شرح السنة». [٥٢٤٩]

الصعلوك هو الذى لا مال له ولا اعتمال، وقد صعلكته إذا ذهبت بماله، ومنه تصعلكت الإبل إذا ذهبت أوبارها.

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه : قوله: «يعنى النار» تفسير عبدالله بن أبى مريم راوى أبى هريرة، كذا فى «شرح السنة» وسماها قاتلا على **الاستعارة التبعية**. شبه عذابها بقتل القاتل، ثم سرى من المصدر إلى اسم الفاعل، نحو قول الشاعر:

قتل البخل واحيى السماحة

وقوله: «لا يموت» عبارة عن: لا تخمد، فيكون **ترشيحًا للاستعارة**.

الحديث السادس عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: فى«سنته»: «السنة»: القحط وهى من **الأسماء الغالبة** قال الإمام الحافظ أبو القاسم الوراق: إن قيل: كيف يكون معنى الحديث وقد نرى مؤمنا فى عيش رغد وكافرا فى ضنك وقصر يد؟ قلنا: الجواب من وجهين: أحدهما: أن الدنيا كالجنة للكافر فى جنب ما أوعد الله له من العقوبة فى الآخرة ونعيمها. فالكافر يحب المقام فيها ويكره مفارقتها، والمؤمن يتشوق الخروج منها ويطلب الخلاص من آفاتها كالمسجون الذى يريد أن يخلى سبيله.

والثانى أن يكون هذا صفة المؤمن المستكمل الإيمان الذى قد عزب نفسه عن ملاذ الدنيا وشهواتها، فصارت عليه بمنزلة السجن فى الضيق والشدة، وأما الكافر فقد أهمل نفسه وأمرحها فى طلب اللذات وتناول الشهوات، فصارت الدنيا كالجنة له فى السعة والنعمة.

الحديث السابع عن قتادة رضى الله عنه: قوله: «حماه الدنيا»: أى منعه منها ووقاه من أن

[٥٢٤٨] إسناده ضعيف.

[٥٢٤٩] إسناده ضعيف، وررواه أحمد (٢/ ١٩٧).

٥٢٥٠ - * وعن قتادة بن النعمان، أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إذا أحبَّ اللهُ عبدًا حماه الدنيا، كما يظل أحدكم يحمى سقيَمه الماءَ» رواه أحمد، والترمذى. [٥٢٥٠]

٥٢٥١ - * وعن محمود بن لَبيد، أنَّ النبى ﷺ قال: «اثنتانِ يكرههما ابن آدم: يكره الموتَ، والموتُ خيرٌ للمؤمنِ من الفتنةِ، ويكره قِلة المال، وقلةُ المال أقلُّ للحسابِ» رواه أحمد. [٥٢٥١]

٥٢٥٢ - * وعن عبدالله بن مغفَّل، قال: جاء رجلٌ إلى النبى ﷺ فقال: «إنى أُحبُّك. قال: «انظر ما تقول». فقال: والله إني لأحبُّك، ثلاث مرات. قال: «إن كنتَ صادقًا فأعد للفقرِ تجْحافًا، للفقرُ أسرعُ إلى من يحبنى من السيل إلى منتهاه» رواه الترمذيُّ، وقال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. [٥٢٥٢]

يتلوث بزهرتها؛ كيلا يمرض قلبه بداء محبة الدنيا وممارستها، كما يحمى أحدكم سقيمه المستسقى الماء كيلا يزيد مرض جسده بشربه.

الحديث الثامن عن محمود رضى الله عنه: قوله: «من الفتنة» «غب» : الفتنة من الأفعال التى تكون من الله تعالى ومن العبد كالبلية والمصيبة والقتل والعذاب وغير ذلك من الأفعال الكريهة، انتهى كلامه. وقد تكون الفتنة فى الدين مثل الارتداد و المعاصى وإكراه الغير على المعاصى، وإليه أشار بقوله ﷺ: «إذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون».

الحديث التاسع عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «تجحافا» المغرب: هو شيء يلبس على الخيل عند الحرب كأنه درع، تفعال من جف لما فيه من الصلابة واليبوسة.

أقول: انظر ما تقول، أى رمت أمرًا عظيمًا وخطبًا خطيرًا ففكر فيه: فإنك توقع نفسك فى خطر وأى خطر تشهد فيها غرضا لسهام البلايا والمصائب، فهذا تمهيد لقوله: «فأعد للفقر تجحافا» فاستعير للصبر وتحمل المشاق التجفاف على **الاستعارة التخييلية**.

وشبه الفقر بالقرن الذى له سهام وأسنة، وأخرجه مخرج **الاستعارة المكنية** والقرينة **الاستعارة التخييلية** يريد رشقه بالبلايا وطعنه بالمصائب فيستعد له من الصبر والقناعة والرضا تجحافا، ثم ترقى منه إلى الاستعارة بالسيل دلالة على أن تلك البلايا والمصائب لاحقة به

[٥٢٥٠] انظر صحيح الجامع(٢٨٢).

[٥٢٥١] انظر صحيح الجامع (١٣٩).

[٥٢٥٢] إسناده ضعيف والمتن منكر.

٥٢٥٣ - * وعن أنس، قال: قال رسول الله ﷺ: «لقد أُخفتُ في الله وما يُخاف أحد، ولقد أُوذيت في الله وما يُؤذى أحدٌ، ولقد أَتَتْ عليَّ ثلاثون من بين ليلةٍ ويومٍ، ومالي ولبلال طعام يأكله ذو كبدٍ، إلا شيء يواريه إبطُ بلالٍ» رواه الترمذي قال: ومعنى هذا الحديث: حين خَرَجَ النبيُّ ﷺ هاربًا من مكةَ ومعه بلال، إنما كان مع بلال من الطعام ما يحملُ تحتَ إبطه. [٥٢٥٣]

٥٢٥٤ - * وعن أبي طلحة، قال: شكونا إلى رسول الله ﷺ الجوعَ، فرفعنا عن بطونِنا عن حَجَرٍ حَجَرٍ، فرفع رسول الله ﷺ عن بطنه عن حجرين. رواه الترمذي، وقال: هذا حديث غريب.

٥٢٥٥ - * وعن أبي هريرة، أنه أصابهم جوعٌ فأعطاهم رسولُ الله ﷺ تَمرةً تمرةً. رواه الترمذي.

بسرعة، كالسيل إلى منتهاه، فلا خلاص له ولا مناص، هذا على مقتضى قوله ﷺ: «المرأ مع من أحب»، وقوله في جواب من سأل: أي الناس أشد بلاء؟: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل» وهو سيد الأنبياء فيكون بلاؤه أشد من بلائهم. وفيه أن الفقر أشد البلايا.

الحديث العاشر عن أنس رضي الله عنه: قوله: «لقد أخفت» «مظ»: وهو ماض مجهول من أخاف بمعنى خوف، يعني كنت وحيدا في ابتداء إظهاري الدين فخوفني في ذلك، وآذاني الكفار في الله أي في دين الله انتهى كلامه. وقوله: «وما يخاف أحد» حال أي خوفت في دين الله وحدي. وقوله: «من بين ليلة ويوم» تأكيد للشمول، أي ثلاثون يوما وليلة متواترات لا ينقص منها شيء من الزمان. و«ذو كبد» أي حيوان، أي ما معنا طعام، سواء كان ما يأكل الدواب أو الإنسان.

الحديث الحادي عشر عن أبي طلحة رضي الله عنه: قوله: «عن حجر حجر» «عن» الأولى متعلقة بـ «رفعنا» على تضمين الكشف. والثانية صفة مصدر محذوف أي كشفنا عن بطوننا كشفا صادرا عن حجر حجر، ويجوز أن يحمل التنكير في «حجر» على النوع أي حجر مشدود على بطوننا، فيكون بدلا، وعادة من اشتد جوعه، وخمص بطنه أن يشتد على بطنه حجرا ليتقوم به صلبه.

الحديث الثاني عشر والثالث عشر عن عمرو: قوله: «فأسف على ما فاته منه» أي حزن على

[٥٢٥٣] إسناده صحيح.

٥٢٥٦ - * وعن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن رسول الله ﷺ قال: «خصلتانِ من كانتا فيه كَتَبَه اللهُ شاكرًا: من نظر فى دينه إلى من هو فوقه، فاقتدى به؛ ونظَر فى دنياه إلى من هو دونه، فحمد الله على ما فضَّلَهُ الله عليه، كتبه الله شاكرًا صابرًا، ومَن نظَر فى دينه إلى من هو دونه، ونَظَر فى دنياه إلى من هُو فَوقَه فأسِفَ على ما فاته منه؛ لم يكتبه الله شاكرًا ولا صابرًا» رواه الترمذى. [٥٢٥٦]

وذكر حديث أبى سعيد: «أبشروا يا معشر صعاليك المهاجرين» فى بابٍ بعد فضائل القرآن.

الفصل الثالث

٥٢٥٧ - * عن أبي عبدالرحمن الحُبلي، قال: سمعتُ عبدالله بنَ عمرو، وسأله رجلٌ قال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال له عبدالله: ألك امرأةٌ تأوى إليها؛ قال: نعم. قال: ألك مسكن تسكنه؟قال: نعم. قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإن لى خادمًا. قال: فأنت من الملوك. قالَ عبدالرحمن: وجاءَ ثلاثةُ نفَرٍ إلى عبدالله بن عمرو وأنا عنده فقالوا: يا أبا محمد؛ إنَّا والله ما نقدرُ على شيء. لا نفقة ولادابة ولا متاع. فقال لهم: ما شئتم إن شئتم رجعتم إلينا، فأعطيناكم مايسَّر الله لكم، وإن شئتم ذكرنا أمرَكم للسلطان، وإن شئتم صبرتم، فإنى سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياءَ يومَ القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا». قالوا: فإنَّا نصبرُ لا نسألُ شيئًا. رواه مسلم.

فواته وتحسر، ولا يجوز أن يحمل على الغضب؛ لأنه لا يجوز أن يقال: غضب على ما فات بل على من فوت عليه. وقوله: «فاقتدى به» عبارة عن الصبر على مشاق العبادات، كما أن حمد الله تعالى أمارة للشكر ودلالة على الجميل.

الفصل الثالث

الحديث الأول عن أبى عبدالرحمن الحُبلى: هو بالحاء المهملة والباء الموحدة من تحت وضمهما، قوله: «سمعت عبدالله بن عمرو» لابد من محذوف، أى سمعته يقول قولا يفسره ما بعده. و«جاء ثلاثة نفر» حال، عطف على قوله: «سأله رجل» وقوله: «إن شئتم رجعتم إلينا» أى إن شئتم أن نعطيكم شيئا رجعتم إلينا بعد هذا؛ فإن هذه الساعة ما حضرنا شىء.

[٥٢٥٦] إسناده ضعيف. انظر ضعيف الجامع (٢٨٣١).

٥٢٥٨ - * وعن عبدالله بن عمرو [رضى الله عنهما]، قال: بينما أنا قاعدٌ فى المسجد وحلقةٌ من فقراء المهاجرين قُعودٌ إذ دخل النبىُّ ﷺ، فقعدَ إليهم ، فقمتُ إليهم، فقال النبىُّ ﷺ: «ليُبَشَّر فقراءُ المهاجرين بما يسرُّ وجوهَهم، فإنهم يدخلونَ الجنة قبلَ الأغنياء بأربعين عامًا» قال: فلقدْ رأيتُ ألوانهم أسفرت. قال عبدالله بن عمْرٍو: حتى تمنَّيتُ أنْ أكونَ معهم أو منهم. رواه الدارمى.[٥٢٥٨]

٥٢٥٩ - * وعن أبى ذر [رضى الله عنه]، قال: أمرَنى خليلى بسبعٍ: أمرنى بحب المساكينَ والدنو منهُم، وأمرنى أن أنظرَ إلى منْ هوَ دونى ولا أنظر إلى من هو فَوقى، وأمرنى أن أصلَ الرَّحمَ وإن أدبرتْ، وأمرنى أنْ لا أسألَ أحدًا شيئًا، وأمرنى أن أقول بالحقّ، وإنْ كانَ مُرًا، وأمرنى أنْ لا أخافَ فى الله لومةَ لائمٍ، وأمرنى أنْ أُكثرَ من قولِ: لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ إلا بالله؛ فإنهنَّ من كنزٍ تحتَ العرشِ. رواه أحمد.[٥٢٥٩]

٥٢٦٠ - * وعن عائشة [رضى الله عنها]، قالت: كانَ رسولُ الله ﷺ يُعجبُه من الدُّنيا ثلاثةٌ: الطعامُ والنساءُ، والطيبُ، فأصاب اثنينِ، ولم يصب واحدًا، أصاب النساءَ والطيبَ، ولم يُصبِ الطعامَ. رواه أحمد.[٥٢٦٠]

الحديث الثانى عن عبدالله رضى الله عنه: قوله: «فلقد رأيت» اللام جواب للقسم أى فوالله لقد رأيت . و«أسفرت» هو من الإسفار إشراق اللون: قال تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة﴾(١)، ﴿والصبح إذا أسفر﴾(٢) ، و«حتى» متعلقة به أى أشرقت إشراقا تاما كاملاً حتى تمنيت.

الحديث الثالث عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «وإن أدبرت» أى قطعت على ما ورد: «صل من قطعك» أسند الإدبار إلى «الرحم» مجازًا لأنه لصاحبها.

الحديث الرابع عن عائشة رضى الله عنها: قوله: «ولم يصب الطعام» أى لم يكثر من إصابته إكثارهما.

الحديث الخامس عن أنس رضى الله عنه: قوله «قرة عينى فى الصلاة» جملة اسمية عطفت على جملة فعلية؛ لدلالة الثبات والدوام فى الثانى، والتجدد فى الأول. وجىء بالفعل مجهولاً؛

[٥٢٥٨] رواه الدارمى كتاب الرقائق، باب فى دخول الفقراء الجنة قبل الأغنياء ح (٢٨٤٤) والحديث أخرجه مسلم مختصرًا.

[٥٢٥٩] له شواهد لأكثره.

[٥٢٦٠] أحمد فى المسند(٦/ ٧٢).

(١) عبس: ٣٨.

(٢) المدثر: ٣٤.

٥٢٦١ - * وعن أنسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «حُبِّبَ إليَّ الطيبُ والنساءُ، وجُعلتْ قُرَّةُ عيني في الصَّلاة». رواه أحمد، والنسائي. وزاد ابنُ الجَوزي بعد قوله: «حُببَ إليَّ» «من الدنيا»[٥٢٦١].

٥٢٦٢ - * وعن معاذِ بن جبلٍ، أنَّ رسولَ الله ﷺ لما بَعثَ بهِ إلى اليمنِ، قال: «إياكَ والتَّنعُّمَ؛ فإنَّ عباد الله ليسوا بالمتنعمينَ» رواه أحمد [٥٢٦٢].

٥٢٦٣ - * وعن عليٍّ [رضي الله عنه]، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن رضى من الله باليَسيرِ من الرزقِ رضى الله منه بالقليل من العمل»[٥٢٦٣].

٥٢٦٤ - * وعن ابن عبَّاسٍ قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ جاعَ أواحتاج، فكتمه الناسَ، كان حقًا على الله عزَّ وجلَّ أن يرزقه رِزق سنةٍ من حلالٍ» رواهما البيهقي في«شعب الإيمان»[٥٢٦٤].

٥٢٦٥ - * وعن عمران بن حُصينٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يُحبُّ عبدَه المؤمنَ الفقيرَ المتعففَ أبا العيالِ» رواه ابن ماجه

٥٢٦٦ - * وعن زيدِ بن أسلمَ، قال: استسقى يومًا عمرُ، فجيءَ بماءٍ قد شيب

دلالة على أن ذلك لم يكن من جبلته وطبعه؛ وأنه مجبور على الحب رحمة للعباد وترأفًا بهم. وكأنهما كالقيدين ولولاهما لم يحط عنه بطائل؛ بخلاف الصلاة فإنها محبوبة لذاتها. ومنه قوله ﷺ: «أرحنا بها يا بلال» أي أشغلنا عما سواها بها.، فإنه تعب وكدح، وإنما الاسترواح في الصلاة فأرحنا بندائك بها.

الحديث السادس إلى آخر الفصل عن زيد بن أسلم: قوله: «لكني أسمع الله» مستدرك عن مقدر يعني أنه لطيب أشتهيه لكني أعرض عنه لأني سمعت الله عز وجل نعي... وقوله: «حسناتنا» أي ثواب حسناتنا التي نعملها نستوفيها في الدنيا قبل الآخرة، قال الله تعالى: ﴿من

[٥٢٦١] إسناده حسن وزيادة «من الدنيا» ثابتة عند أحمد والنسائي في رواية، وقد اشتهرت على الألسنة زيادة أخرى وهي «ثلاث» ولا أصل لها في شيء من طرق الحديث، بل هي مفسدة للمعنى كما لا يخفى.

[٥٢٦٢] إسناده جيد.

[٥٢٦٣] ضعيف، وانظر ضعيف الجامع (٥٦١٢).

[٥٢٦٤]، [٥٢٦٥] كلاهما إسناده ضعيف.

بعسلٍ، فقال: إنَّه لطيبٌ؛ لكني أسمعُ اللهَ عزَّ وجلَّ نعى على قومٍ شهواتهم، فقال: ﴿أذهبتُم طيِّباتكم فى حياتكم الدنيا واستمتعتُمْ بها﴾[1] فأخاف أن تكونَ حسناتُنا عُجلتْ لنا فلم يشربْه. رواه رزين.

٥٢٦٧ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: ما شبِعنا من تمرٍ حتى فتَحْنا خيبَر. رواه البخاريُّ.

(٢) باب الأمل والحرص

الفصل الأول

٥٢٦٨ - * عن عبدالله ، قال: خطَّ النبيُّ خطًا مربَّعًا، وخطَّ خطا فى الوسَطِ خارجًا منه، وخطَّ خُططًا صغارًا إلى هذا الذى فى الوسطِ من جانبه الذى فى الوسط، فقال: «هذا الإنسانُ، وهذا أجلُه مُحيطٌ به، وهذا الذى هو خارجٌ أملُه، وهذه الخطوطُ الصغارُ الأعراضُ، فإن أخطأه هذا نهسَه هذا، وإن أخطأه هذا نهسَه هذا». رواه البخارى.

كان يريد العاجلة عجلنا له فيها ما نشاء لمن نريد ثم جعلنا له جهنم يصلاها مذمومًا مدحورًا﴾[2].

باب الأمل والحرص

الجوهرى: الأمل الرجاء، يقال: أمل خيره يأمله أملاً، وكلك التأميل. «غب»: الحرص فرط الشره والإرادة؛ قال تعالى: ﴿إن تحرص على هداهم﴾[3] أى إن تفرط إرادتك فى هدايتهم.

الفصل الأول

الحديث الأول عن عبدالله : قوله: «خطا مربعا» صورة الخط هذه:

والمراد بالخط الرسم والشكل وقوله: «أخطأه هذا» أى إن جاوزه هذا أصابه هذا. فوضع موضع الإصابة، النهس وهو لدغ ذوات السم مبالغة فى الإضرار.

الحديث الثانى عن أنس رضى الله عنه: قوله : «فبينما هو كذلك» أى هو طالب لأمله البعيد فتدركه الآفات التى هى أقرب إليه فتؤديه إلى الأجل المحيط به، هذا التأويل محمول على

(١) الأحقاف : ٢٠.
(٢) الإسراء: ١٨. (٣) النحل: ٣٧.

٥٢٦٩ - * وعن أنسٍ ، قال: خطَّ النبيُّ ﷺ خطوطًا فقال: «هذا الأملُ، وهذا أجلُه، فبينما هوَ كذلك إذ جاءهُ الخطُّ الأقربُ» رواه البخاري.

٥٢٧٠ - * وعنه ، قال: قال النبيُّ ﷺ: «يَهْرمُ ابنُ آدمَ ويشِبُّ منه اثنانِ: الحرصُ على المالِ، والحرصُ على العمرِ» متفق عليه.

٥٢٧١- * وعن أبي هريرةَ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لايزالُ قلبُ الكبير شابًا في اثنين: في حبِّ الدنيا وطولِ الأمل» متفق عليه.

٥٢٧٢- * وعنه ، قال: قال رسول الله ﷺ: «أعذَرَ اللهُ إلى امرئٍ أخَّرَ أجلَه حتى بلَّغه ستين سنةً» رواه البخاري.

٥٢٧٣ - * وعن ابن عبَّاسٍ، عن النبيِّ ﷺ، قال: «لو كانَ لابنِ آدمَ واديان من مالٍ لابتغى ثالثًا، ولا يَمْلأ جَوفَ ابنِ آدمَ إلا الترابُ، ويتوبُ الله على من تابَ». متفق عليه.

معنى الحديث السابق ويجوز أن يحمل على حديث أبي سعيد في الفصل الثاني: «أن النبي ﷺ غرز عودا بين يديه. . . » الحديث.

الحديث الثالث عن أنس رضي الله عنه: قوله: «ويشب» «مح»: هو **استعارة**، ومعناه أن قلب الشيخ كامل الحب للمال يحتكم احتكاما مثل احتكام قوة الشباب في شبابه. أقول: يجوز أن يكون من باب **المشاكلة والمطابقة** لقوله: «يهرم».

الحديث الرابع والخامس عن أبي هريرة رضي الله عنه : قوله: «أعذر الله» «تو»: المعنى أنه أفضى بعذره إليه فلم يبق له عذر، يقال: أعذر الرجل إلى فلان أي بلغ به أقصى العذر. ومنه قولهم: أعذر من أنذر أي أتى بالعذر وأظهره. وهذا **مجاز** من القول فإن العذر لا يتوجه على الله تعالى، وإنما يتوجه له على العبيد وحقيقة المعنى فيه أن الله لم يترك لـه سببا في الاعتذار يتمسك به.

الحديث السادس عن ابن عباس رضي الله عنهما: قوله: «ولا يملأ جوف ابن آدم» «مح»: معناه أنه لا يزال حريصًا على الدنيا حتى يموت؛ **ويمتلىء** جوفه من تراب قبره. وهذا الحديث خرج على حكم غالب بني آدم في الحرص على الدنيا، ويؤيده قوله: «ويتوب الله على من تاب» وهو متعلق بما قبله، ومعناه أن الله تعالى يقبل التوبة من الحرص المذموم وغيره من المذمومات.

أقول: ويمكن أن يقال: معناه أن بني آدم مجبولون على حب المال، والسعي في طلبه،

٥٢٧٤ - * وعن ابنِ عمرَ، قال: أخذَ رسولُ الله ﷺ ببعضِ جسدى فقال: «كنْ فى الدُّنيا كأنك غريبٌ أو عابرُ سبيلٍ، وعُدَّ نفسكَ فى أهلِ القبور» رواه البخارى.

وأن لا يشبع منه إلا من عصمه الله تعالى، ووفقه لإزالة هذه الجبلة عن نفسه، وقليل ما هم، فوضع «ويتوب الله على من تاب» موضعه؛ إشعارا بأن هذه الجبلة المركوزة فيه مذمومة جارية مجرى الذنب، وأن إزالتها ممكنة، ولكن بتوفيق الله وتسديده، ونحوه قوله تعالى: ﴿**ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون**﴾[1] أضاف الشح إلى النفس ؛ دلالة على أنها غريزة فيها، وبين إزالتها بقوله: «يوق» ورتب عليه قوله: «فأولئك هم المفلحون».

وهنا نكتة دقيقة: فإن فى ذكر بنى آدم **تلويحًا** إلى أنه مخلوق من التراب، ومن طبيعته القبض واليبس فيمكن إزالته بأن يمطر الله سبحانه وتعالى عليه السحائب من غمائم توفيقه. فيثمر حينئذ الخلال الزكية والخصال المرضية: ﴿**والبلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه والذى خبث لا يخرج إلا نكدا**﴾[2] فمن لم يتداركه التوفيق وتركه حرصه، لم يزدد إلا حرصا وتهالكا على جمع المال.

وموقع قوله: «ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب» موقع التذييل والتقرير للكلام السابق؛ ولذلك أعاد ذكر ابن آدم ونيط به حكم أشمل وأعم، كأنه قيل: ولا يشبع من خلق من التراب إلا بالتراب. وموقع «ويتوب الله على من تاب» موقع الرجوع، يعنى أن ذلك لعسير صعب، ولكن يسير على من يسره الله تعالى، فحقيق أن لا يكون هذا من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى والقدر.

روينا عن الترمذى عن أبى بن كعب أن رسول الله ﷺ قال: «إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن فقرأ عليه: ﴿**لم يكن الذين كفروا**﴾[3] وقرأ فيها: (إن الدين عند الله الحنيفية المسلمة لا اليهودية ولا النصرانية ولا المجوسية ومن يعمل فيه خيرا فلن يكفره) . وقرأ عليه: «لو أن لابن آدم واديا من مال لابتغى إليه ثانيا. ولو أن له ثانيا لابتغى إليه ثالثا. ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب»

الحديث السابع عن ابن عمر رضى الله عنهما : قوله: «أو عابر سبيل» «أو» فيه للتنويع وفى الحديث معنى **الترقى**، وقد مضى تحقيقه فى باب تمنى الموت.

---

(١) الحشر: ٩ . (٢) الأعراف: ٥٨.

(٣) البينة: ١.

الفصل الثاني

٥٢٧٥ - * عن عبدالله بن عمْرو [رضى الله عنهما]، قال: مرَّ بنا رسولُ الله ﷺ وأنا وأمى نُطينُ شيئًا، فقال: «ما هذا يا عبدالله؟» قلتُ: شىءٌ نصلحُه. قال: «الأمرُ أسرعُ من ذلكَ» رواه أحمد ، والترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريب.

٥٢٧٦ - * وعن ابن عبَّاسٍ، أنَّ رسول الله ﷺ كانَ يُهريقُ الماءَ فيتيمم بالترابِ، فأقولُ : يا رسولَ الله؛ إنَّ الماءَ منكَ قريبٌ، يقولُ: «ما يُدرينى لعلى لا أبلغُه» رواه فى «شرح السنة» ، وابن الجوزى فى كتاب «الوفاء». [٥٢٧٦]

٥٢٧٧ - * وعن أنس، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «هذا ابنُ آدمَ وهذا أجلُه» ووضعَ يده عند قفاهُ، ثمَّ بسطَ ، فقال: «وثمَّ أملهُ» رواه الترمذى. [٥٢٧٧]

٥٢٧٨ - * وعن أبى سعيدٍ الخدرىِّ ، أنَّ النبىَّ ﷺ غرزَ عودًا بين يديه، وآخرَ

الفصل الثانى

الحديث الأول عند عبدالله : قوله: «الأمر أسرع من ذلك» أى كوننا فى الدنيا كعابر سبيل أو راكب مستظل تحت شجرة أسرع مما أنت فيه من اشتغالك بالبناء.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما : قوله: «يهريق الماء» :«شف»: يعنى يستعمل الماء قبل الوقت فإذا لم يبق فى الوقت تيمم. وقيل: يهريق الماء أى يبول.

الحديث الثالث عن أنس رضى الله عنه: قوله: «ووضع يده» الواو فيه للحال، وفى قوله: «وهذا أجله» للجمع مطلقا فالمشار إليه مركب. فوضع اليد على قفاه معناه : أن هذا الإنسان الذى يتبعه أجله هو المشار إليه. وبسط اليد عبارة عن مدها إلى قدام.

الحديث الرابع عن أبى سعيد رضى الله عنه: قوله: «دونَ الأمل» حال من الضمير المنصوب، أى لحقه وهو متجاوز عما قصده من الأمل . قال أمية:

يا نفس ما لك دون الله من واق

إى إذا تجاوزت وقاية الله ،ولم تبالها لم يقك غيره.

[٥٢٧٦] وأحمد (١/٢٨٨) وقال محققا شرح السنة: إسناده صحيح؛ لأن الراوى عن ابن لهيعة عبدالله بن المبارك ح (٤٠٣١).

[٥٢٧٧] صحيح، انظر صحيح الترمذى (١٩٠٣).

إلى جنبه، وآخرَ أبعدَ [منه]. فقال: «أتدرونَ ما هذا؟» قالوا: اللهُ ورسولُه أعلمُ. قال: «هذا الإنسانُ وهذا الأجلُ» أُراه قال: «وهذا الأملُ ، فيتعاطى الأملَ فلحقَه الأجلُ دونَ الأملِ» رواه فى «شرح السنة». [٥٢٧٨]

٥٢٧٩ - * وعن أبى هريرةَ [رضى الله عنه]، عن النبىِّ ﷺ ، قال: «عُمْرُ أُمتى منْ ستينَ سنة إلى سبعين» رواه الترمذى، وقال: هذا حديثٌ غريب. [٥٢٧٩]

٥٢٨٠ - *وعنه، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «أعمارُ أمتَّى ما بينَ الستينَ إلى السَّبعينَ، وأقلُّهم من يجوزُ ذلكَ» رواه الترمذى، وابن ماجه. [٥٢٨٠]

وذُكر حديثُ عبدالله بن الشِّخير [رضى الله عنه] فى «باب عيادة المريض».

الفصل الثالث

٥٢٨١ - عن عمْرِو بنِ شُعيبٍ، عن أبيهِ، عن جدِّه، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «أوَّلُ

الحديث الخامس عن أبى هريرة رضى الله عنه. قوله: «عمر أمتى من ستين» قيل: معناه آخر عمر أمتى ابتداؤه إذا بلغ ستين سنة وانتهاؤه سبعون سنة، وقل من يجوز سبعين.

هذا محمول على الغالب بدليل شهادة الحال، فإن منهم من لم يبلغ ستين، ومنهم من يجوز سبعين.

الفصل الثالث:

الحديث الأول عن عمرو رضى الله عنه : قوله: «اليقين» معناه : التيقن أن الله هو الرزاق المتكفل للأرزاق: ﴿وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها﴾* فمن تيقن هذا، زهد فى الدنيا فلم يأمل ولم يبخل؛ لأن البخيل إنما يمسك المال لطول الأمل وعدم التيقن.

[٥٢٧٨] رجاله ثقات، وأخرجه أحمد (١٨/٣) وإسناده حسن، وانظر شرح السنة ح (٤٠٩٢)

[٥٢٧٩] والحديث صح من حديث أبى هريرة وأنس عند الترمذى، بلفظ: «أعمار أمتى ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك» وانظر صحيح الجامع (١٠٧٣)

والحديث ذكره الشيخ الألبانى فى الصحيحة (٧٥٧) وقال: حسن لذاته، صحيح لغيره وعزاه إلى أبى يعلى بلفظ: «عمر أمتى ما بين الستين سنة إلى السبعين » وقال: وهذا إسناد حسن أيضًا، رجاله موثقون رجال مسلم، غير محمد بن ربيعة وهو الكلابى، وهو صدوق كما فى «التقريب».

[٥٢٨٠] وإسناده حسن.

* سورة هود : ٦ .

صلاح هذه الأمَّة اليقينُ والزُّهدُ، وأوَّلُ فسادِها البخلُ والأملُ» رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢٨١]

٥٢٨٢ - * وعن سفيانَ الثوريِّ، قال: ليسَ الزهدُ فى الدنيا بلُبس الغليظِ والخشِنِ، وأكلِ الجشبِ، إنما الزهدُ فى الدنيا قِصَرُ الأمل. رواه فى «شرح السنة». [٥٢٨٢]

٥٢٨٣ - * وعن زيدِ بن الحسين، قال: سمعتُ مالكًا وسُئل أيُّ شيءٍ الزهدُ فى الدنيا؟ قال: طيبُ الكسبِ وقِصَرُ الأملِ. رواه البيهقى فى «شعب الإيمان». [٥٢٨٣]

روى عن الأصمعى قال: تلوت على أعرابى: ﴿**والذاريات**﴾(١) فلما بلغت قوله تعالى: ﴿**وفى السماء رزقكم**﴾(٢) قال: حسبك، فقام إلى ناقته فنحرها، ووزعها على من أقبل وأدبر، وعمد إلى سيفه وقوسه، فكسرهما، وولى، فلقيته فى الطواف قد نحل جسمه واصفر لونه فسلم على، واستقرأ السورة، فلما بلغت الآية صاح، وقال: قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا، ثم قال: وهل غير هذا؟ فقرأت: ﴿**فورب السماء والأرض إنه لحق**﴾(٣) فصاح، وقال: يا سبحان الله من ذا الذى أغضب الجليل(٤) حتى حلف، فلم يصدقوه حتى ألجأ إلى اليمين قالها ثلاثا وخرجت معها نفسه.

الحديث الثانى عن سفيان قوله: و«أكل الجشب» بفتح الجيم وكسر الشين المعجمة هو الغليظ الخشن من الطعام وقيل: غير المأدوم وكل شيء يبشع الطعم جشب، والبشع الخشن الكريه الطعم.

الحديث الثالث عن زيد: قوله: «طيب الكسب» فإن قلت: أى مدخل لطيب الكسب فى الزهد؟ قلت: هذا رد لمن زعم أن الزهد فى مجرد ترك الدنيا، ولبس الخشن، وأكل الجشب، أى ليس حقيقة الزهد ما زعمته، بل حقيقته أن تأكل الحلال، وتلبس الحلال، وتقنع بالكفاف، وتقصر الأمل، ونحوه قوله ﷺ: «الزهادة فى الدنيا ليست بتحريم الحلال ولا بإضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لا تكون بما فى يديك أوثق بما فى يدى الله تعالى».

[٥٢٨١] «شعب الإيمان» ح (١٠٨٤٤).

[٥٢٨٢] «شرح السنة» للبغوى ح (٤٠٩٣).

[٥٢٨٣] «شعب الإيمان» ح(١٠٧٧٩).

(١) الذاريات: ١. (٢)، (٣) الذاريات: ٢٢-٢٣.

(٤) وفي نسخة: «الخليل».

(٣) باب استحباب المال والعمر للطاعة

الفصل الأول

٥٢٨٤ - * عن سعدٍ ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الله يُحب العبد التَّقى الغنىَّ الخفىَّ» رواه مسلم .

وذُكر حديثُ ابن عمر: «لا حسدَ إلا فى اثنينِ» فى «باب فضائل القرآن».

الفصل الثانى

٥٢٨٥ - * عن أبى بكرةَ، أنَّ رجلاً قال: يا رسولَ الله؛ أى النَّاسِ خيرٌ؛ قال: «من طالَ عمُرُهُ، وحسنَ عملُه». قال: فأىُّ النَّاسِ شرٌّ؟ قال: «مَن طالَ عمُرُه وساءَ عملُه» رواه أحمد ، والترمذى، والدارمى[٥٢٨٥].

باب استحباب المال والعمر للطاعة

الفصل الأول

الحديث الأول عن سعد رضى الله عنه: قوله: «التقى» قيل: هو الذى يتقى المحارم والشبهات ويتورع عن المشتهيات. قوله: «الغنى» «مح» : المراد بالغنى ، غنى النفس، هذا هو الغنى المحبوب لقوله ﷺ: «الغنى غنى النفس» وأشار القاضى إلى أن المراد به غنى المال، و«الخفى» بالخاء المعجمة معناه: الخامل المنقطع للعبادة، والاشتغال بأمور نفسه، وروى بالمهملة ومعناه: الواصل للرحم اللطيف بهم وبغيرهم من الضعفاء والصحيح الأول.

أقول: إن الصفات الثلاث الجارية على العبد واردة على التفضيل والتمييز فالتقى مخرج للعاصى، والغنى للفقير، والخفى على الروايتين لما يضادهما. فإذا قلنا: إن المراد بـ «الغنى» غنى القلب اشتمل على الفقير الصابر والغنى الشاكر فعم. وكان أولى، وعلى هذا «الخفى» بالخاء المعجمة أنسب؛ لأن الغنى حينئذ تكميل للتقى، والخفى تتميم للغنى، لأن غنى القلب مستغن بالله عن الخلق، ويؤثر العزلة استئناسًا بالله تعالى، وفى بعض نسخ المصابيح ألحق بعد قوله: «التقى» «النقى» بالنون. ولم يوجد فى صحيح مسلم وشرحه ولا فى الحميدى وجامع الأصول.

«مح» وفيه حجة لمن يقول: الاعتزال أفضل من الاختلاط. ومن قال: بتفضيل الاختلاط تأول هذا بالاعتزال فى وقت الفتنة.

[٥٢٨٥] قال محققا شرح السنة: رجاله ثقات، ويقويه الطرق الأخرى. يعنى ما رواه عبد الرحمن بن أبى بكرة عن أبيه سئل رسول الله: «أي الناس خير ..» الحديث، وهو حديث حسن. وانظر شرح السنة ح(٤٠٩٢).

٥٢٨٦ - * وعن عُبيدِ بن خالدٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ آخى بين رجُلين، فقُتل أحدهُما، ثمَّ ماتَ الآخرُ بعدَه بجمعةٍ أو نحوها، فصلَّوْا عليه، فقال النبيُّ ﷺ :«ما قلتم؟» قالوا: دعَونا الله أنْ يغفرَ له ويرحمَه ويُلحقه بصاحبه فقال النبيُّ ﷺ: «فأينَ صلاتُه بعد صلاته، وعملُه بعد عَمله؟» أو قال: «صيامُه بعد صيامِه؛ لما بينهما أبعدُ ممَّا بينَ السَّماءِ والأرضِ» رواه أبو داود ، والنسائي.[٥٢٨٦]

٥٢٨٧ - * وعن أبي كبشةَ الأنماريِّ، أنَّه سمعَ رسولَ الله ﷺ يقول: «ثلاثٌ أقسمُ عليهنَّ، وأحدِّثكم حديثًا فاحفظوُه، فأمَّا الذي أُقسمُ عليهنَّ فإنَّه ما نقص مالُ عبدٍ من صدقةٍ، ولا ظُلمَ عبدٌ مظلمةً صبرَ عليها إلا زاده اللهُ بها عزًا ، ولا فتح عبدٌ

الفصل الثاني

الحديث الأول عن أبي بكرة: قوله: «من طال عمره وحسن عمله» قد سبق أن الأوقات والساعات كرأس المال للتاجر، فينبغي أن يتجر فيما يربح فيه، وكلما كان رأس المال كثيرًا كان الربح أكثر، فمن مضى لطيبه فاز وأفلح، ومن أضاع رأس ماله لم يربح وخسر خسرانًا مبينًا.

الحديث الثاني عن عبيد : قوله: «فأين صلاته بعد صلاته؟» فإن قلت : كيف تفضل هذه الزيادة في العمل بلا شهادة على عمله معها؟ قلت: قد عرف ﷺ أن عمل هذا بلا شهادة ساوى عمله مع شهادته بسبب مزيد إخلاصه وخشوعه، ثم زاد عليه بما عمل بعده، وكم من شهيد لا يدرك شأو* الصديق رضي الله عنه في العمل.

الحديث الثالث عن أبي كبشة: قوله: «فأما الذي أقسم عليهن» أفرده وذكره باعتبار كون المذكورات موعودا، وجمع الراجع إلى الموصول باعتبار الخصال المذكورات، وبه فسر قوله تعالى: ﴿مثلهم كمثل الذي استوقد نارًا﴾(١) في وجه أي الجمع أو الفوج وفي المصابيح: «أما اللاتي أقسم عليهن» هو الظاهر . ليس المراد تحقيق الحلف بل تأكيد ثبوتها ، فإن المدعى ربما يثبت دعواه تارة بذكر القسم، وأخرى بلفظ «أقسم».

قوله : «ما نقص مال عبد من صدقة» قيل: يحتمل تأويلين: أحدهما: ما نقص بركة ماله بسبب الصدقة. والثاني: ما نقص ثوابه بل يضاعف يوم القيامة إلى سبعمائة ضعف.أقول: هذا

[٥٢٨٦] صحيح انظر، صحيح أبي داود ح(٢٢٠٢)، وشرح السنة (ح٤٠٩٦) تحقيق شعيب الأرناؤط وزهير الشاويش.

(١) البقرة: ١٧ .

* في (ط) [شيئا، و] وهو خطأ بين، والتصويب من (ك).

باب مسألةٍ إلاَّ فتحَ الله عليه باب فقرٍ وأمَّا الذى أُحدِّثُكم فاحفظوه» فقال: «إنما الدنيا لأربعةِ نفرٍ: عبدٌ رزقَه اللهمالاً وعلمًا، فهوَ يتَّقى فيهِ ربَّه، ويصلِ رحِمه، ويعمل لله فيه بحقه، فهذا بأفضل المنازلِ. وعبدٌ رزقه الله علمًا ولم يرزقه مالاً، فهو صادق النيَّةِ، يقول: لو أنَّ لى مالاً لعملتُ بعمل فلانٍ، فأجرهُما سواءٌ، وعبدٌ رزقه الله مالاً ولم يرزقه علمًا، فهو يتخبَّطُ فى ماله بغير علمٍ؛ لا يتَّقى فيه ربَّه، ولا يصلُ فيه رحمه، ولا يعمل فيه بحقٍّ، فهذا بأخبثِ المنازلِ وعبدٌ لم يرزقه اللهُ مالاً ولا علمًا، فهوَ يقولُ: لو أنَّ لى مالاً لعمِلتُ فيه بعملِ فلانٍ، فهو نيَّتُه ووزرهما سواءٌ» رواه الترمذى . وقال: هذا حديثٌ صحيح .[٥٢٨٧]

٥٢٨٨ - * وعن أنسٍ، أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «إنَّ الله تعالى إذا أراد بعبدٍ خيرًا استعمله». فقيلَ: وكيفَ يستعملُه يا رسول الله؟ قال: «يُوفقُه لعمل صالحٍ قبلَ الموتِ» رواه الترمذى.[٥٢٨٨]

٥٢٨٩ - * وعن شدَّادِ بن أوسٍ، قال: قال رسول الله ﷺ : «الكَيسُ من دانَ

يوهم أنه علق الاستثناء فى قوله: «إلا زاده الله عزا» بالخصلة الثانية، وجعل الأولى جملة مستقلة، وقد تقرر فى الأصول أن الاستثناء إذا ورد عقيب جمل يمكن حمله عليها، وجب الحمل على كل واحدة منها على الأصح، وهنا لم يوجد مانع فلا يبعد الحمل عليها. وليوافق الخصال الثلاث فى التعليق بالاستثناء.

قوله: «فهونيته» مبتدأ وخبر، أى فهو سىء النية. يدل عليه وقوعه فى مقابلة قوله: «فهو صادق النية» فى القرينة الأولى. وقوله: «يقول: لو أن لى مالا..» إلخ تفسير لقوله: «صادق النية». وقوله: «فهو يقول: لو أن لى مالا...» إلخ مقابل له. وقوله: «فأجرهما سواء» وقوله: «ووزرهما سواء» متقابلان.

الحديث الرابع والخامس عن شداد: قوله: «من دان نفسه» «نه»: أى أذلها واستعبدها. وقيل: حاسبها. انتهى كلامه. والعاجز الذى غلبت عليه نفسه وعمل بما أمرته به نفسه، فصار

[٥٢٨٧] قال الشيخ الألبانى: فى الزهد (٢/ ٥٦) وقال: حديث حسن صحيح. وأحمد فى «المسند» (٤/ ٢٣٠) وسياق الحديث فيهما مخالف لسياق الكتاب فى عدة مواطن منه، وهو موافق لسياقه فى «المصابيح» (٢/ ١٧٨) وهذا من تساهل المؤلف، إذ يبقى على سياق أصله وهو «المصابيح» ويعزوه لغيره مع اختلاف السياق، وللحديث فى «المسند» (٤/ ٢٣٠) إسناد آخر وهو صحيح.

[٥٢٨٨] صحيح، انظر صحيح الجامع ح (٣٠٥).

نفسَه، وعمِلَ لما بعدَ الموتِ. والعاجزُ مَن أتبعَ نفسَه هَواها، وتمنَّى على اللهِ» رواه الترمذي، وابن ماجه.[٥٢٨٩]

الفصل الثالث

٥٢٩٠ - * عن رجلٍ من أصحابِ النبيِّ ﷺ، قال: كنَّا في مجلسٍ، فطلعَ علينا رسولُ الله ﷺ وعلى رأسِه أثرُ ماءٍ. فقلنا: يارسولَ الله! نراكَ طيِّبَ النَّفسِ. قال: «أَجَلْ». قال: ثمَّ خاضَ القومُ في ذكرِ الغنى، فقال رسولُ الله ﷺ: «لا بأسَ بالغنى لمنِ اتَّقى اللهَ عزَّ وجلَّ، والصحَّةُ لمنِ اتَّقى خيرٌ من الغِنى، وطِيبُ النَّفسِ من النَّعيمِ» رواه أحمد.[٥٢٩٠]

٥٢٩١ - * وعن سُفيان الثَّوريِّ، قال: كانَ المالُ فيما مضى يُكرهَ، فأما اليومَ فهوَ تُرسُ المؤْمنِ. وقال: لولا هذهِ الدَّنانيرُ لتمندَلَ بنا هؤلاءِ الملوكُ. وقال: مَن كانَ في

عاجزاً لنفسه فأتبع نفسه وأعطاها ما اشتهته. وقوبل الكيس بالعاجز، والمقابل الحقيقي للكيس السفيه الرأى، والعاجز القدر ليؤذن بأن الكيس هو القادر. والعاجز هو السفيه. «وتمنى على الله» أى يذنب ويتمنى الجنة من غير توبة واستغفار.

الفصل الثالث

الحديث الأول والثاني عن سفيان: قوله: «لتمندل» قال في أساس البلاغة: ندل المال وغيره نقله بسرعة، ومنه المنديل، وتندلت بالمنديل تمسحت به كنى به عن الابتذال. «مح»: قيل: هو مأخوذ من الندل وهو الوسخ لأنه يندل به، ويقال: تندلت بالمنديل. قال الجوهرى: ويقال: أيضا: تمندلت به. وقيل لبعضهم: إن المال يدنيك من الدنيا فقال. لئن أدناني من الدنيا لقد صانني عنها. وقيل: لأن أترك مالا يحاسبني الله عليه خير من أن أحتاج إلى الناس.

وقوله: «لا يحتمل السرف» يحتمل معنيين: أحدهما: أن الحلال لا يكون كثيراً فلا يحتمل الإسراف. وثانيهما: أن الحلال لا ينبغي أن يسرف فيه ثم يحتاج إلى الغير. قوله: «كان أول

[٥٢٨٩] إسناده ضعيف.

[٥٢٩٠] قال الشيخ الألباني: هذا يوهم أنه لم يخرجه أحد من أصحاب السنن وليس كذلك فقد رواه ابن ماجه (٢١٤١) وإسناده صحيح.

يدِه منْ هذِه شيءٌ فليُصلحه، فإنَّه زمانٌ إنِ احتاجَ كانَ أوَّلَ من يبذلُ دينَه. وقال: الحَلالُ لا يَحتملُ السَّرَفَ. رواه فى «شرح السنة».[٥٢٩١]

٥٢٩٢ - * وعن ابنِ عبَّاسٍ، قال: قال رسولُ الله ﷺ «يُنادى مُنادٍ يومَ القيامة: أينَ أبناءُ الستينَ؟ وهوَ العمُرُ الذى قال اللهُ تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم ما يتذكَّرُ فيه مَن تذكَّرَ وجاءكُم النَّذير﴾(١)». رواه البيهقى فى «شعب الإيمان».[٥٢٩٢]

٥٢٩٣ - * وعن عبدِالله بنِ شدَّادٍ، قال: إنَّ نفرًا منْ بَنى عُذْرَةَ ثلاثةً أتوا النبىَّ ﷺ، فأسلموا، قال رسولُ الله ﷺ: «من يكفينيهُم؟» قال طلحةُ: أنا. فكانوا عندَه، فبعثَ النبىُّ ﷺ بَعْثًا، فخرجَ فيهِ أحدُهم، فاستشهدَ، ثمَّ بعثَ بَعْثًا فخرجَ فيه الآخر، فاستشهد، ثم ماتَ الثالثُ على فراشه؛ قال: قال طلحة: فرأيت هؤلاءِ الثلاثةَ فى الجنة، ورأيتُ الميت على فراشه أمامهم والذى استشهد آخرًا يليه، وأولَّهم يليه،

من يبذل دينه» أى كان ذلك الشخص أول شخص يبذل دينه فيما يحتاج إليه. ولو حمل «من» على «ما» كما نقل المالكى عن قطرب كان أبين. ويعضده ما فى رواية الكشاف: «كان أول ما يأكل دينه» «ما» موصوفة و«أول» اسم «كان» و«دينه» خبره.

الحديث الثالث عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «ما يتذكر فيه من تذكر» «ما» فيه موصوفة أى ما عمرناكم عمرا يتعظ فيه العاقل الذى من شأنه أن يتعظ فيه.

الحديث الرابع عن عبدالله: قوله: «من يكفينيهم؟» «هم» ثانى مفعولى «يكفى» على تقدير مضاف أى من يكفينى مؤنتهم، قال فى الأساس: كفاه مؤنته كفاية. قوله: «أمامهم» الظاهر أن يقال: أمامهما إلا أن يقال: إنه المقدم من بينهم. ونحوه قول الشاعر:

تلقى السرى من الرجال بنفسه　　　وابن السرى إذا سرا أسراهما

أى أسرى من بينهما، أو يذهب إلى أن أقل الجمع اثنان.

[٥٢٩١]« شرح السنة» ح(٤٠٩٨).

[٥٢٩٢] شعب الإيمان ح (١٠٢٥٤) وفى إسناده إبراهيم بن الفضل المخزومى قال الإمام أحمد: ليس حديثه بشيء. وقال أبو زرعة: ضعيف. وقال أبو حاتم: ضعيف الحديث منكر الحديث. وقال البخارى: منكر الحديث. وانظر تهذيب الكمال (٢/ ١٦٦).

(١) فاطر: ٣٧.

فدخلنى من ذلك، فذكرت للنبىِّ ﷺ ذلك، فقال «وما أنكرتَ من ذلك؟! ليسَ أحدٌ أفضلَ عندالله من مؤمنٍ يعمَّر فى الإسلام، لتسبيحه وتكبيره وتهليله»[٥٢٩٣].

٥٢٩٤ - * وعن محمد بن أبى عميرةَ ـ وكان من أصحاب رسول الله ﷺ ـ قال: إنَّ عبدًا لوخرَّ على وجهه من يوم ولد إلى أن يموتَ هرمًا فى طاعة الله لحقَّرهُ فى ذلك اليوم، ولوَدَّ أنه رُدَّ إلى الدُّنيا كيما يزداد من الأجر والثَّواب. رواهما أحمد.[٥٢٩٤]

(٤) باب التوكل والصبر

الفصل الأول

٥٢٩٥ - * عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «يدخلُ الجنةَ من أُمَّتى

الحديث الخامس عن محمد: قوله: «لحقره» أى يعده قليلا نذرا لما يرى من ثواب العمل فيه.

باب التوكل والصبر

«نه»: يقال: توكل بالأمر إذا ضمن القيام به، ووكلت أمرى إلى فلان أى ألجأته إليه واعتمدت فيه عليه، ووكل فلان فلانا إذا استكفاه أمره ثقة بكفايته، أو عجزا عن القيام بأمر نفسه، والوكيل هو القيم الكفيل بأرزاق العباد، وحقيقته أنه يشتغل بأمر الموكول إليه.

«غب»: الصبر الإمساك فى ضيق، يقال: صبرت الدابة حبستها بلا علف، والصبر حبس النفس على ما يقتضيه العقل أو الشرع، أو عما يقتضيان حبسها عنه. فالصبر لفظ عام وربما خولف بين أسمائه بحسب اختلاف مواقعه، فإن كان حبس النفس لمصيبة سمى صبرا لا غير ويضاده الجزع، وإن كان فى الحرب يسمى شجاعة ويضاده الجبن، وإن كان فى نائبة مضجرة سمى رحب الصدر ويضاده الضجر. وإن كان فى إمساك الكلام سمى كتمانا وضده الإفشاء.

الفصل الأول

الحديث الأول عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «لا يسترقون ولا يتطيرون» من الثنائى

[٥٢٩٣] إسناده حسن. قال الشيخ الألبانى: وهو صحيح على شرط مسلم وفى طلحة بن يحيى أحد رجال الإسناد كلام من قبل حفظه لا ينزل حديثه عن مرتبة الحسن إن شاء الله تعالى، وعبدالله بن شداد تابعى كبير ولد فى عهد النبى (ص)، فقد يقال: إنه مرسل. فأقول بل الظاهر أنه مسند تلقاه من طلحة نفسه لقوله فى أثناء الحديث: قال طلحة. والله أعلم وانظر الصحيحة (٦٥٤).

[٥٢٩٤] المسند (٤/ ١٨٥).

سبعونَ ألفًا بغيرِ حسابٍ، همُ الذينَ لا يستَرْقُونَ ولايتَطيَّرونَ، وعلى ربِّهم يتوَكَّلونَ». متفق عليه.

٥٢٩٦ - * وعنه، قال: خرج رسول الله ﷺ يومًا فقال: «عُرِضتْ على الأممُ فَجَعَلَ يَمرُّ النبى ومعه الرَّجلُ، والنبى ومعه الرَّجلان، والنبى ومعه الرهط، والنبى وليسَ معه أحدٌ، فرأيتُ سوادًا كثيرًا سَدَّ الأفقَ، فرجوتُ أن يكونَ أمتى. فقيل: هذا موسى فى قومه، ثم قيل لى: انْظر، فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق، فقيل لى: انظر هكذا وهكذا، فرأيت سوادًا كثيرًا سدَّ الأفق. فقيل: هؤلاء أُمَّتك، ومعَ هؤلاء

التى يراد بها الاستيعاب، كقولهم: لا ينفع زيد ولا عمرو على معنى: لا ينفع إنسان ما. «نه»: هذا من صفة الأولياء المعرضين عن أسباب الدنيا الذين لايلتفتون إلى شىء من علائقها، وتلك درجة الخواص لايبلغها غيرهم. وأما العوام فرخص لهم فى التداوى والمعالجات. ومن صبر على البلاء وانتظر الفرج من الله تعالى بالدعاء، كان من جملةالخواص والأولياء، ومن لم يصبر رخص له فى الرقية والعلاج والدواء، ألا ترى! أن الصديق رضى الله عنه لما تصدق بجميع ماله، لم ينكر عليه ﷺ علما منه بيقينه وصبره. ولما أتاه الرجل بمثل بيضة الحمام من الذهب، وقال: لا أملك غيره، فضربه بحيث لو أصابه عقره، وقال فيه ما قال.

«مح» قال المازرى: احتج بعضهم به على أن التداوى مكروه، ومعظم العلماء على خلاف ذلك، واحتجوا بالأحاديث الواردة فى منافع الأدوية، وبأنه ﷺ تداوى، وبأخبار عائشة رضى الله عنها عن كثرة تداويه بما علم من الاستشفاء برقاه. فإذا ثبت هذا حمل على ما فى الحديث على قوم يعتقدون أن الأدوية نافعة بطبعها، ولا يفوضون الأمر إلى الله تعالى.

الحديث الثانى عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «يمر النبى» التعريف فيه للجنس، وهو ما يعرفه كل أحد أنه ما هو، فهو بمنزلة النكرات. قوله: «ومع هؤلاء سبعون ألفا قدامهم» حال أى مقدمين عليهم. «مح»: يحتمل هذا أن يكون معناه سبعون ألفا من أمتك غير هؤلاء وليسوا مع هؤلاء، وأن يكون معناه فى جملتهم سبعون ألفا. ويؤيد هذا رواية البخارى: «هذه أمتك ويدخل الجنة من هؤلاء سبعون ألفا».

قوله: «سبقك بها» أى بتلك الدعوة. «مح»: قال القاضى عياض: قيل: إن الرجل الثانى لم يكن ممن يستحق تلك المنزلة، ولا كان بصفة أهلها بخلاف عكاشة، وقيل: بل كان منافقا، فأجابه النبى ﷺ بكلام محتمل، ولم ير ﷺ التصريح له بأنك لست منهم: لما كان النبى ﷺ عليه من حسن العشرة.

سبعونَ ألفًا قدَّامَهُمْ يدخلونَ الجنةَ بغير حسابٍ، هم الذين لايتطيَّرون، ولايسْتَرْقُون، ولا يكتوون، وعلى ربّهم يتوكلون» فقام عكاشةُ بن مِحْصَن فقال: ادعُ الله أن يجعلنى منهم. قال: «اللَّهم اجعله منهم». ثم قام رجلٌ آخر فقال: ادع اللهَ أن يجعلنى منهم. فقال: «سبقك بها عكاشةُ». متفق عليه.

٥٢٩٧ - * وعن صهيبٍ، قال: قال رسول الله ﷺ: «عجبًا لأمرِ المؤمنِ! إنَّ أمْرَهُ كُلَّه له خيرٌ، وليس ذلك لأحد إلاَّ للمؤمن، إن أصابتْه سرَّاءُ شكر فكان خيرًا له، وإن أصابتْه ضرَّاءُ صَبَرَ فكان خيرًا له» رواه مسلم.

٥٢٩٨ - * وعن أبى هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «المؤمنُ القوىُّ خيرٌ وأحبُّ إلى اللهِ منَ المؤمنِ الضعيفِ، وفى كل خيرٌ، احرصْ على ما ينفعك،

وقيل: قد يكون سبق عكاشة بوحى ولم يحصل ذلك للآخر، قال الشيخ: وقد ذكر الخطيب البغدادى أنه قال فى كتابه فى الأسماء المبهمة: أنه يقال: إن هذا الرجل هو سعد بن عبادة، فإن صح هذا بطل قول من زعم أنه منافق، والأظهر المختار هو القول الأخير.

الحديث الثالث عن صهيب رضى الله عنه: قوله: «إلا للمؤمن» مظهر وقع موقع المضمر ليشعر بالعلية.

قوله: «إن أصابته سراء» وأنشد فى معناه:

إذا كان شكر نعمة الله نعمة	على له فى مثلها يجب الشكر
فكيف بلوغ الشكر إلا بفضله	وإن طالت الأيام واتسع العمر
إذا مس بالنعماء عم سرورها	وإن مس بالضراء أعقبه الأجر

الحديث الرابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «المؤمن القوى» قيل: أراد بـ«المؤمن القوى» الذى قوى فى إيمانه، وصلب فى إيقانه، بحيث لايرى الأسباب، ووثق بمسبب الأسباب. والمؤمن الضعيف بخلافه، وهو أدنى مراتب الإيمان.

أقول: ويمكن أن يذهب إلى اللف والنشر، فيكون قوله: «احرص على ما ينفعك» ولا تترك الجهد بيانا للقوى، وقوله: «ولا تعجز» بيانا للضعيف. «مح»: والقوة هنا يراد بها عزيمة النفس فى أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على الغزو والجهاد، وأسرع خروجا إليه وذهابا فى طلبه، وأشد عزيمة فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، والصبر على

واستعِن بالله، ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ، فلا تقل: لو أنى فعلتُ كان كذا وكذا، ولكنْ قُلْ: قدَّر اللهُ، وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتحُ عملَ الشيطان» رواه مسلم.

الفصل الثانى

٥٢٩٩ - * عن عمر بن الخطاب، قال: سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقول: «لو أنكم

الأذى فى كل ذلك. وقوله: «وفى كل خير» معناه: فى كل من القوى والضعيف خير لاشتراكهما فى الإيمان مع ما يأتى به الضعيف من العبادات.

قوله: «فإن لو تفتح» «قض»: أى لو كان الأمر لى وكنت مستبدا بالفعل والترك كان كذا وكذا، وفيه تأسف على الفائت ومنازعة للقدر وإيهام بأن ما يفعله باستبداده ومقتضى رأيه خير مما ساقه القدر إليه، من حيث إن لوتدل على انتفاء الشىء لانتفاء غيره فيما مضى؛ ولذلك استكرهه وجعله مما يفتح عمل الشيطان. وقوله ﷺ فى حديث فسخ الحج إلى العمرة: «ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت» ليس من هذا القبيل، وإنما هو كلام قصد به تطييب قلوبهم وتحريضهم على التحلل بأعمال العمرة.

«مح» قال القاضى عياض: هذا النهى إنما هو لمن قاله معتقدا ذلك حتما، وأما قول أبى بكر رضى الله عنه: «لو أن أحدهم رفع رأسه لرآنا» فهذا لاحجة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن مستقبل. وكذا قوله ﷺ: «لو كنت راجما بغير بينة لرجمت هذه» وشبه ذلك لا اعتراض فيه على قدر، فلا كراهة فيه؛ لأنه إنما أخبر عن اعتقاده فيما كان يفعل لولا المانع، وعما هو فى قدرته، وأما معنى قوله: «فإن لو تفتح عمل الشيطان» أنه يلقى فى القلب معارضة القدر، ويوسوس به الشيطان.

قال الشيخ: وقد جاء استعمال «لو» فى الماضى كقوله ﷺ: «لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى». فالظاهر أن النهى إنما ورد فيما لا فائدة فيه، فيكون نهى تنزيه لاتحريم. وأما من قاله: متأسفا على ما فات من طاعة الله تعالى أو هو معتذر من ذلك فلا بأس به، وعليه يحمل أكثر استعمال «لو» الموجودة فى الأحاديث.

الفصل الثانى

الحديث الأول عن عمر رضى الله عنه: قوله: «حق توكله» بأن يعلم يقينا بأن لا فاعل إلا الله، وأن كل موجود من خلق ورزق، وعطاء ومنع، وحياة وموت، وغنى وفقر، وغير ذلك مما يطلق عليه اسم الموجود ـ من الله تعالى، ثم يسعى فى الطلب على الوجه الجميل، يشهد لذلك تشبيهه بالطير؛ فإنها تغدو خماصا، ثم تسرح فى طلب القوت فتروح بطانا.

تتوكلونَ على اللهِ حقَّ توكلهِ لَرزَقَكم كما يَرْزُقُ الطَّيرَ، تغدو خِماصًا وتروحُ بِطَانًا».
رواه الترمذى، وابن ماجه. [٥٢٩٩]

٥٣٠٠ - * وعن ابن مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: أيُّها النَّاس! ليس من شيءٍ يُقرِّبكم إلى الجنة ويباعدكم من النار إلا قَدْ أمرتُكُمْ به، وليس شيءٌ يُقرّبكم من النارِ ويباعدكم من الجنةِ إلاَّ قدْ نهيتكمْ عنه، وإن الرُّوحَ الأمينَ - وفى روايةٍ: وإِنَّ روح القدس - نَفَثَ فى روعى أن نفسًا لن تموتَ حتى تستكملَ رزقها، ألا فاتقوا الله، وأجملوا فى الطلب، ولا يحملنكم استبطاءُ الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله، فإنه لا يدرك ما عندَ اللهِ إلا بِطاعتِهِ». رواه فى «شرح السنة» والبيهقى فى«شعب الإيمان» إلا أنه لم يذكر: «وإِنَّ روح القدس». [٥٣٠٠]

قال الشيخ أبو حامد: قد يظن أن معنى التوكل ترك الكسب بالبدن، وترك التدبير بالقلب والسقوط على الأرض، كالخرقة الملقاة أو كلحم على وضم، وهذا ظن الجهال؛ فإن ذلك حرام فى الشرع، والشرع قد أثنى على المتوكلين، فكيف ينال مقام من مقامات الدين بمحظورات الدين؟ بل نكشف عن الحق فيه، فنقول: إنما يظهر تأثير التوكل فى حركة العبد وسعيه أى بعمله إلى مقاصده.

«مح»: قال الإمام أبو القاسم القشيرى: اعلم أن التوكل محله القلب، وإنما الحركة بالظاهر. فلا ينافى التوكل بالقلب بعد ما تحقق للعبد أن الثقة من قبل الله تعالى، فإن تعسر شيء فبتقديره، وإن تيسر فبتيسيره. «حس»: الخماص جمع الخميص للبطن. وهو الضامر والمخمصة الجوع؛ لأن البطن يضمر به.

الحديث الثانى عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «إن روح القدس» أى الروح المقدسة، كما تقول: حاتم الجود ورجل صدق، فهو من باب إضافة الموصوف إلى الصفة للمبالغة فى الاختصاص،ففى الصفة القدس منسوب إليها، وفى الإضافة بالعكس نحو مال زيد. «نه» نفث فى روعى أى أوحى إلى وألقى من النفث بالفم وهو شبيه بالنفخ، وهو أقل من التفل؛ لأن التفل لايكون إلا ومعه شيء من الريق. والروع الجلد والنفس.

[٥٢٩٩] صحيح وانظر صحيح الجامع (٥٢٥٤٤)

[٥٣٠٠] صحيح وانظر صحيح الجامع (٢٠٨٥).

٥٣٠١ - * وعن أبى ذر، عن النبى ﷺ قال: «الزهادةُ فى الدُّنيا ليست بتحريم الحلال ولا إضاعة المال، ولكن الزهادة فى الدنيا أن لاتكون بما فى يديك أوثقَ بما فى يدالله، وأن تكون فى ثواب المصيبة إذا أنت أصبتَ بها أرغبَ فيها لو أنها أبقَيَتْ لك» رواه الترمذى، وابن ماجه، وقال الترمذى: هذا حديث غريبٌ، وعمرو بن واقد الراوى منكر الحديث.[٥٣٠١]

٥٣٠٢ -* وعن ابن عباس، قال: كنتُ خلفَ رسول الله ﷺ يومًا فقالَ: «ياغلام! احفظ الله يحفظكَ، احفظ الله تجدهُ تجاهك، وإذا سألت فاسأل الله ، وإذا

قوله: فأجملوا فى الطلب» أى اكتسبوا المال بوجه جميل، وهو أن لاتطلبه إلا بالوجه الشرعى، والاستبطاء بمعنى الإبطاء، والسين فيه للمبالغة كما استعف بمعنى عف، فى قوله تعالى: ﴿ومن كان غنيا فليستعفف﴾(١) وفيه أن الرزق مقدر مقسوم لابد من وصوله إلى العبد، لكن العبد إذا سعى وطلب على وجه مشروع وصف بأنه حلال، وإذا طلب بوجه غير مشروع فهو حرام. فقوله: «ما عند الله» إشارة إلى أن الرزق كله من عند الله الحلال والحرام.

وقوله: «أن تطلبوه بمعاصى الله» إشارة إلى أن ماعند الله إذا طلب بمعصية الله ذم وسمى حراما. وقوله: «إلا بطاعته» إشارة إلى أن ماعند الله إذا طلب بطاعته مدح وسمى حلالا. وفى هذا دليل بين لأهل السنة على أن الحلال والحرام يسمى رزقا، وكله من عند الله خلافا للمعتزلة.

الحديث الثالث عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «أوثق» أى أوثق منك. قوله: «لو أنها أبقيت لك» حال من فاعل «أرغب» . وجواب «لو» محذوف و«إذا » ظرف، والمعنى أن تكون فى حصول المصيبة وقت إصابتها أرغب من نفسك فى المصيبة حال كونك غير مصاب بها؛ لأنك تثاب بوصولها إليك، ويفوتك الثواب إذا لم تصل إليك. فوضع «أبقيت» موضع «لم يصب» يريد أن المؤمن إذا أذنب ذنبا، وجوزى فى الدنيا بمصيبة وصبر عليها، يثاب فى الآخرة. وإن لم يجاز عليها بالمصيبة فى الدنيا أبقيت له ويجازى فى الآخرة، قال تعالى: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم﴾ (٢) فاختصر الكلام . وفيه حث على التسلى وتنبيه على أن العاقل لايرغب فى إبقاء المصيبة وتأخيرها إلى الآخرة والآخرة خير وأبقى.

الحديث الرابع عن ابن عباس رضى الله عنهما: قوله: «احفظ الله» أى راع حق الله تعالى وتحر رضاه. و«تجاهك» أى مقابلك وحذاءك. والتاء بدل من الواو كما فى تقاة وتخمة، أى

[٥٣٠١] منكر.

(١) النساء : ٦. (٢) الشورى: ٣٠ .

استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على أن يضرُّوك بشيءٍ لم يضرُّوك إلا بشيءٍ قد كتبه الله عليك، رُفعت الأقلام، وجفَّت الصحف». رواه أحمد، والترمذي. [٥٣٠٢]

٥٣٠٣ - * وعن سعد قال: قال رسول الله ﷺ: «من سعادةِ ابن آدم رضاه بما قضى الله له، ومن شقاوة ابنِ آدمَ تركه استخارةَ الله، ومن شقاوة ابن آدم سخطه بما قضى الله له». رواه أحمد، والترمذي وقال: هذا حديث غريب.

احفظ حق الله حتى يحفظك الله من مكاره الدنيا والآخرة. وزاد بعد قوله: «تجاهك» في رواية رزين: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة» وفي آخره: «فإن استطعت أن تعمل لله بالرضا في اليقين فافعل، فإن لم تستطع فإن في الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم أن النصر مع الصبر والفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين». والحديث بطوله قد جاء مثله أو نحوه في مسند أحمد بن حنبل.

«نه»: معنى «تعرف إلى الله» اجعله يعرفك بطاعته، والعمل فيما أولاك من نعمته: فإنه يجازيك عند الشدة والحاجة إليه في الدنيا والآخرة.

أقول: أراد بقوله: «لن يغلب عسر يسرين» أن التعريف في «العسر» الثاني في قوله تعالى للعهد، والتنكير في «يسرا» للنوع، فيكون العسر واحدا واليسر اثنين فالعسر ماكانوا عليه من متاعب الدنيا ومشاقها، واليسر في الدنيا الفتح والنصرة على الأعداء.. وفي العقبى الفوز بالحسنى.

الحديث الخامس عن سعد رضي الله عنه: قوله: «رضاه بما قضى الله له» أي الرضا بقضاء الله وهو ترك السخط علامة سعادته. وإنما جعله علامة سعادة العبد لأمرين: أحدهما: ليتفرغ للعبادة؛ لأنه إذا لم يرض بالقضاء، يكون أبدا مهموما مشغول القلب بحدوث الحوادث، ويقول: لم كان كذا ولم لايكون كذا؟ والثاني: لئلا يتعرض لغضب الله تعالى بسخطه. وسخط العبد أن يذكر غير ماقضى الله له، وقال: إنه أصلح وأولى فيما لايستيقن فساده وصلاحه.

فإن قلت: ما موقع قوله: «ومن شقاوة ابن آدم تركه استخارة الله» بين المتقابلين؟ قلت: موقعه بعد القرينتين لدفع توهم من يترك الاستخارة، ويفوض أمره بالكلية فقدم اهتماما.

[٥٣٠٢] حديث صحيح.

الفصل الثالث

٥٣٠٤ - * عن جابر ، أنه غزا معَ النبى ﷺ قِبَلَ نجد، فلما قفلَ رسول الله ﷺ قَفَل معَه، فأدركتهُم القائلةُ فى وادٍ كثيرِ العضاة، فنزل رسول الله ﷺ، وتفرَّقَ الناس يستظلُّونَ بالشجر، فنزل رسول الله ﷺ تحت سمُرة فعلَّق بها سيفه ونمْنا نومة، فإذا رسولُ الله ﷺ يدعونا، وإذا عنده أعرابىٌّ فقال: «إن هذا اخترطَ عَلَىَّ سيفى وأنا نائمٌ، فاستيقظتُ وهو فى يده صَلْتًا . قال: من يمنعك منى؟ فَقُلْتُ: الله، ثلاثاً»، ولم يعاقِبْه، وجلس. متفق عليه.

٥٣٠٥ - * وفى رواية أبى بكر الإسماعيلى فى «صحيحه» فقال: من يمنعك منى؟ قال: «الله» فسقَط السيفُ من يدِه، فأخذ رسول الله ﷺ السيفَ فقال: «من يمنعُك منى؟» فقال: كنْ خيرَ آخذٍ . فقال: «تشهد أنْ لا إله إلا الله، وأنى رسولُ الله؟ قال : لا، ولكنى أعاهدِك على أن لا أقاتلك ولا أكون مع قوم يقاتلونك. فخلَّى سبيلَه، فأتى أصحابَه ، فقال: جئتكم من عندِ خيرِ الناسِ. هكذا فى «كتاب الحميدى» و«الرياض».

٥٣٠٦ - * وعن أبى ذر، أنَّ رسول اللهِ ﷺ قال: «إنى لأعلم آيةً لو أخذَ النَّاسُ

الفصل الثالث

الحديث الأول عن جابر رضى الله عنه: قوله: «القائلة»، الجوهرى: القائلة الظهيرة.

وقد تكون بمعنى القيلولة أيضاً وهى النوم فى الظهيرة. و«العضاة» الشجر الذى له شوك. و«السمرة» -بفتح السين وضم الميم- الشجرة من الطلح ، وهى العظام من شجر العضاة. و«اخترط السيف» أى : سله، وهو فى يده صلتا أى مسلولا، وهو بفتح الصاد وضمها. قوله: «من يمنعك منى؟» أى يحميك منى؛ قال فى أساس البلاغة ومن **المجاز**: فلان يمنع الجار أى يحميه من أن بضام. وقوله: «خير آخذ» أى آخذ بالجنايات والمعاقب بها، يريد العفو.

الحديث الثانى عن أبى ذر رضى الله عنه: قوله: «إنى لأعلم آية» يريد الآية بتمامها. قوله: ﴿ومن يتق الله﴾[1] إلى قوله: ﴿من حيث لايحتسب﴾[1] إشارة إلى أنه تعالى يكفيه جميع ما

(١)،(٢) الطلاق: ٢،٣

بها لكفتهم: ﴿ ومن يتَّقِ الله يجعل له مخرجًا ويرزقْه من حيثُ لايحتسبُ﴾[1] رواه أحمد ، وابن ماجه، والدارمى.[٥٣٠٦]

٥٣٠٧- * وعن ابن مسعود، قال: أقرأنى رسول الله ﷺ (إنى أنا الرزاق ذو القوَّة المتين). رواه أبو داود، والترمذى وقال: هذا حديث حسن صحيح.

٥٣٠٨ -* وعن أنس، قال: كان أخَوان على عهد رسول الله ﷺ، فكان أحدُهما يأتى النبىَّ ﷺ ، والآخرُ يحترِفُ ، فشكا المحترفُ أخاه النبىَّ ﷺ، فقال: «لعلك ترزق به» رواه الترمذى وقال : هذا حديث صحيح غريب.[٥٣٠٨]

يخشى ويكره من أمور الدنيا والآخرة. وقوله: «ومن يتوكل..» إلخ . إشارة إلى أنه تعالى يكفيه جميع ما يطلبه ويبتغيه من أمور الدنيا والآخرة. و«بالغ أمره» أى نافذ أمره، وفيه بيان لوجوب التوكل على الله وتفويض الأمر إليه؛ لأنه إذا علم أن كل شىء من الرزق ونحوه لايكون إلا بتقديره وتوفيقه ، لم يبق إلا التسليم للقدر والتوكل وأنشد:

إذا المرء أمسى حليف التقى فلم يخش من طارق حله
ألم تسمع الله سـبحانـه ومـن يتق الله يجعـل له

الحديث الثالث عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «أقرأنى» أى حملنى على أن أقرأ. وقوله: «إنى أنا الرزاق» قراءة شاذة منسوبة إلى رسول الله ، والمشهور: ﴿إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين﴾ [2]و «المتين» الشديد القوة. والمعنى فى وصفه سبحانه بالقوة والمتانة أنه القادر البليغ الاقتدار على كل شىء. وقوله: «ذو القوة» خبر بعد خبر، وفيه من المبالغات: تصدير الجملة «بإن»، وتوسط ضمير الفصل المفيد للاختصاص، وتعريف الخبر بلام الجنس ثم إردافه بقوله: «ذو القوة» وتتميمه بالمتانة، فوجب أن لايتوكل إلا عليه ولاتفوض الأمور إلا إليه.

الحديث الرابع عن أنس رضى الله عنه: قوله: «النبى ﷺ »هو منصوب على انتزاع الخافض، قال فى أساس البلاغة: شكوت إليه فلانا فأشكانى منه، أى أخذ لى منه ما أرضانى. ومعنى «لعل» فى قوله: لعلك يجوز أن يرجع إلى «رسول الله ﷺ» فيفيد القطع والتوبيخ، كما

[٥٣٠٦] إسناده منقطع.

[٥٣٠٨] إسناده جيد.

(١) الطلاق : ٢:٣ . (٢) الذاريات : ٥٨ .

٥٣٠٩ - * وعن عَمرو بنِ العاص، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن قَلْبَ ابنِ آدم بكل وادٍ شعبة، فمن أَتْبع قلبه الشُّعب كلَّها لم يبال الله بأىِّ وادٍ أهلكه، ومن توكل على الله كفاه الشُّعبَ». رواه ابن ماجه.[٥٣٠٩]

٥٣١٠ - * وعن أبى هريرةَ، أنَّ النبىَّ ﷺ قال: «قال ربكم عزَّ وجلَّ: لوْ أنَّ عبيدى أطاعونى لأسقَيتُهم المطرَ بالليلِ، وأطلعْتُ عليهمُ الشَّمسَ بالنَّهارِ، ولمْ أسمِعْهم صوتَ الرَّعدِ». رواه أحمد.[٥٣١٠]

٥٣١١ - * وعنه، قال: دخلَ رجلٌ على أهله، فلمَّا رأى مابهم منَ الحاجةِ خرجَ إلى البريةِ، فلمَّا رأتِ امرأتُه قامتْ إلى الرَّحى، فوضعتها، وإلى التَّنورِ، فسجَرته، ثمَّ قالت: اللهُمَّ ارزُقنا، فنظرتْ فإذا الجَفنةُ قد امتلأتْ. قال: وذهبتْ إلى التَّنورِ، فوجدَته مُمتلئًا. قال: فرجعَ الزَّوجُ، قال: أصَبتم بعدى شيئًا؟ قالتْ امرأتُه: نعم، من ربِّنا، وقامَ إلى الرَّحى، فذُكرَ ذلك إلى النبىِّ ﷺ، قال: «أما إنَّه لو لمْ يرفعها لم تزل تدورُ إلى يومِ القيامةِ». رواه أحمد.

ورد: «هل ترزقون إلا بضعفائكم»، وأن يرجع إلى المخاطب ليبعثه على التفكر والتأمل فينصف من نفسه.

الحديث الخامس عن عمرو رضى الله عنه: قوله: «شعبة» «نه»: الشعبة الطائفة من كل شيء والقطعة منه، انتهى كلامه، ولابد فيه من تقدير أى فى كل واد له شعبة. وقوله: «كفاه الشعب» أى كفاه الله تعالى مؤون حاجاته المتشعبة المختلفة.

الحديث السادس عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «ولم أسمعهم صوت الرعد» من باب التتميم؛ فإن السحاب مع وجود الرعد فيه شائبة الخوف من البرق، كقوله تعالى: ﴿هو الذى يريكم البرق خوفا وطمعا﴾(١) فنفاه ليكون رحمة محضة.

الحديث السابع عن أبى هريرة رضى الله عنه: قوله: «اللهم ارزقنا» دعت أن يصيب زوجها بما يطحنه ويعجنه ويخبزه فهيأت الأسباب لذلك «وقام إلى الرحى» أى قام الزوج إلى الرحى فرفعها، يدل عليه ما بعده، فعلى هذا «قام» معطوف على محذوف.

[٥٣٠٩] ضعيف انظر ضعيف الجامع (١٩٠٧).

[٥٣١٠] إسناده ضعيف.

(١) الرعد: ١٢.

٥٣١٢ - * وعن أبى الدَّرداءِ، قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إنَّ الرِّزقَ ليطلبُ العبدَ كما يطلبُه أجلُه». رواه أبونعيم فى «الحلية». [٥٣١٢]

٥٣١٣ - * وعن ابنِ مسعودِ، قال: كأنى أنظرُ إلى رسولِ الله ﷺ يحكى نبيًّا منَ الأنبياءِ، ضربَه قومُه فأدْمَوْه وهوَ يمسحُ الدَّمَ عن وجهِه ويقولُ: اللهُمَّ اغفر لقومى فإنهم لايعلمونَ. متفق عليه.

الحديث الثامن والتاسع عن ابن مسعود رضى الله عنه: قوله: «نبيا» منصوب على شريطة التفسير بقرينة قوله: «ضربه» وهو حكاية لفظ رسول الله ﷺ ، ويجوز أن يقدر مضاف، أى يحكى حال نبى من الأنبياء، وهو معنى ما تلفظ به، وحينئذ «ضربه» يجوز أن يكون صفة للنبى، وأن يكون استئنافا، كأن سائلا سأل ما حكاه، فقيل: «ضربه».

[٥٣١٢] حسنه الشيخ الألبانى فى صحيح الجامع بلفظ «إن الرزق ليطلب العبد أكثر مما يطلبه أجله» وعزاه إلى الطبرانى وابن عدي.

بسم الله الرحمن الرحيم

فهرس الجزء العاشر لشرح الطيبى

❁ ❁ ❁

